

المشروع القومي للترجمة

غزليات سعدى الشيرازى

ترجمة : محمد علاء الدين منصور

887

المشروع القومى للترجمة

غزليات

سعدى الشيرازى

ترجمة : محمد علاء الدين منصور



٢٠٠٥

المشروع القومى للترجمة

إشراف : **جابر عصفور**

- العدد : ٨٨٧
- غزليات سعدى الشيرازى
- سعدى الشيرازى
- محمد علاء الدين منصور
- الطبعة الأولى ٢٠٠٥ م

هذه ترجمة الجزء الأخير من
كليات شيخ سعدى

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El. Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo.

Tel. : 7352396 **Fax** : 7358084

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

المحتويات

المقدمة

لقيت أعمال الشيخ سعدى الشيرازى (ولد فى عام ٥٨٠هـ / ١١٨٤م وتوفى فى عام ٦٩٠هـ / ١٢٩١م) أو كلياته كبير الاهتمام فنشرت مرارا بداخل إيران وخارجها ، وقد ترجم كتاباه الجلستان والبوستان ، أشهر أعماله ، إلى معظم اللغات الحية الشرقية والغربية ، وأول ترجمة للجلستان بمصر هى التى قام بها الدكتور أمين بدوى بعنوان (جنة الورد) ونشرها المركز العربى للصحافة أوائل عام ١٩٨٣م ، ثم صرف همته إلى ترجمة البوستان فنقله إلى العربية بعنوان (أريج البستان) ونشرته دار الشروق عام ١٩٩٧م . وكان الدكتور بدوى محققا دقيقا فضلاً عن كونه مترجما أمينا فقد اعتمد فى ترجمته على تحقيق العالمين الإيرانيين المشهورين عبد العظيم قريب ومحمد على فروغى لهذين الكتابين . وقد شاء فروغى أن يفسر كليات سعدى التى تشمل نحو ثلاثة وعشرين كتابا ورسالة بعد أن رد نسبة الخبيثات والهزليات على أجزاء أربعة هى الجلستان والمعميات والبوستان ثم غزلياته فى مجلدين الأول ما تضمن المغازلة والمعاشقة أو الحب البشرى ، وقسمت غزلياته هذه إلى الطيبات والبدائع والخواتيم والغزليات القديمة والترجيعات والقطعات والرباعيات والمفردات ، وقد اقتصر مضمونها على العشق والتغزل ، ونشرت بعنوان (غزليات سعدى) أما أبياتها التى رأى فيها الوعظ والنصح والحب الإلهى والعرفان والأخلاق ففصلها من بين ما سبقها وتلاها وضم إليها القصائد الفارسية والعربية والمراثى والمثلثات والقطعات والرباعيات والمفردات التى تتحدث فى النصح والوعظ ، ثم ألحق بها رسائل سعدى النثرية . ونشر كل ذلك تحت عنوان (مواعظ سعدى) . وقد صادفت مواعظ سعدى تحقيق فروغى طبعة (بروخيم) عام ١٣٢٠ش / ١٩٤٢م فنقلته إلى العربية ونشره المجلس الأعلى للثقافة بالعنوان نفسه عام ٢٠٠٢م ، ولم يبق خارج ترجمة كليات سعدى غير غزلياته .

وقد سعيت إلى إتمام ما بدأ الدكتور بدوى بنقله الجلستان والبوستان ثم نقلى مواعظه مترجمة يتألف فى شطره الأعظم من الغزليات واعتمدت فيه على طبعة (شركت تضامنى علمى) عام١٣٢٠ش / ١٩٤٢م ، أى بعيد طبعة بروخيم للمواعظ وقد ضمت كل الأجزاء الأربعة لفروغى بعد استئذانه فى مجلد واحد أسمته كليات شيخ سعدى . وبما أننى ترجمت المواعظ منذ عامين والغزليات فى أيامنا هذه فقد راق لى عدم صحة ما رآه فروغى من تقسيم غزليات سعدى إلى ضربين : غزليات الحب البشرى أو المعاشقة ، ثم غزليات الحب الإلهى أو العرفان وما اتصل إليها من قريب من غزليات الموعظة . لأنه ليس من حدود دقيقة بين الموضوعين تجعل القارئ يميز تماما أحدهما عن الآخر ، كما أن المتمعن فى غزليات سعدى يدرك أن حبه البشرى أو عشقه المادى ليس هو المعنى والمقصود عنده بل الحب الإلهى أو الروحانى أو العرفانى ، وهذا ما يتقاضانا بشىء من التفصيل فى تبيان مفاهيم الحب أو العشق عنده . فإن أمكن أن يسمى سعدى بشاعر الإنسانية ذى الأفاق الرحبة فى معرفة النفس البشرية وسبر أغوارها والاهتمام بهمومها والحزن لها ونقدها فى آن من خلال كتابه الجلستان والبوستان ، وإن سمى بشاعر الحكمة من خلال مواعظه من خلال غزلياته ، فيمكن لى أن أسميه شاعر العشق الإلهى والعرفان والجذبة والاشتياق والتوله بحب الله بما يجعله فى هذا الباب أستاذا ، بلا مماراة ، لجلال الدين الرومى (٦٠٤ – ٦٧٢هـ) الذى عاصره تقريبا (توفى ٧٩٢هـ) وحافظ الشيرازى ، فقد استمدا من أنفاس شهوده واقتبسا من فيض جذبته . وعنه وعنهما شاع الغزل الذى يتحدث عن العشق الإلهى فى إيران والهند وتركيا .

الحياة عند سعدى ما هى إلا الموت على أعتاب الحبيب ، وإلا فإن الحياة فى الأحياء القصيرى النظر هى الموت أو موت القلب . يقول : (ما هى الحياة ؟ هى الموت أمام الحبيب ، وهذه الجماعة من الأحياء ما هم إلا أموات القلوب) والحب عنده على ضربين : الحب الإنسانى وهو الحب الشهوانى البهيمى ، والحب الإلهى أو الروحانى أو العرفانى أو العشق الحقيقى ، وشتان ما بين العشقين ، أولهما عبادة الهوى والغريزة وثانيهما ، وهو الأول ، الانصياع التام لإرادة الله والموت هياما به وشوقا إليه . ويفرق سعدى بين العشقين بقوله : (العشق شىء وعبادة النفس شىء

آخر . وأنت تنظر إلى سيماء الشخص ونحن حيارى فى آثار صنعة الله) . والإنسان مختار بين الحبين ؛ فهو إما إنسان الصورة أو إنسان المعنى ، وتستحيل الصورة إلى المعنى إذا اندفعت الشهوة بقوله : (إنسان الصورة إن دفع شهوة النفس صار إنسان المعنى وإلا فهو حيوان) وإن دق النظر وتطهر كما يقول : (المحبون لذواتهم ينظرون إلى الشخوص والطاهرون النظر ينظرون إلى الصنع الربانى) .

كما يميز الشيخ بين ما يرتبط بالعشقين من لوازم كالخمر والساقى والسكر وجمال الوجه وفراعة القوام والثمر والبستان فيقول : (ينظر الناس إلى الخمر والعارفون إلى الساقى) وبدهى أن الساقى ليس هو الساقى البشرى ولا الخمر هى الخمر المعروفة ، بل هو الله ، وخمره هى جماله المسكر ونوره الزاهى . ويقول : (الضيقو النظر ينظرون إلى الثمر ونحن ننظر إلى البستان) لأن كل مظاهر الجمال الحسى التى تنخدع بها أبصار ذوى الشهوات والحسيين ما هى إلا دليل مبسط للجمال الإلهى ، والمخلوق لا يمكن أن يكون خالقا ، والفرع لا يستحيل إلى الأصل حتى ولو شابهت الثمرة البستان ونبتت منه ؛ فإن الإنسان لن يشبه فى أى طور من وجوده بالدنيا أو الآخرة خالقه تعالى . كذلك السكر نوعان بالخمر المعروفة وبالعشق : (السكران الفانى بالخمر ظلوم وجهول والسكر والفناء بالعشق هو الأولى) . والسرو مثال رفاعة القوام ، وعلو القد ضربان : (أتى السرو البستانى فى جولان واختيال فَجُلْ بنا مرة أيها السرو الروحانى) ويقول : (لا يصل ألف سرو إلى قامتك بالمعنى ولو أن السرو بالصورة سام مرتفع والجمال الحق الذى يعشق هو جمال الله أو الجمال المعنوى لا الحسى الصورى) ، " من قال إن النظر فى صور الحسان خطأ فإنما هو الذى يرى هذه الصور نفسها ويغفل عن المعنى) . والفكر والخيال يتبعان المعشوق ؛ فهناك تخيل للمحسوس وآخر لغير المحسوس الذى يجل عن إدراك النظر والوهم : (برأس كل إنسان خيال وجه إنسان آخر ، وأنا برأسى خيال من يخرج عن الخيال) ولا يحتظى برؤية الله بالفكر إلا من كان به ذوق المشاهدة وجذب المكاشفة : (ليس لكل إنسان ما لى من ذوق ، فما أراه لا يظهر على غيرى) . لكن لا نرى فى سعدى غلواء من جاءوا بعده وزعموا رؤية الله على الحقيقة أو حتى بالخيال ؛ لأن الله تعالى عن أن يحيط به فكر أو يدركه وهم ، وكفى أن يستكنه المتفكر قدرته فى خلقه وآلائه ،

لا يتصور ذاته ووجوده :(ليس فكرى فيك بل في قلم قدرتك ، فمن باستطاعته أن يتصور صورتك ؟) وبناء على هذا فلا يمكن عند سعدى أمران : امتزاج العشق الإلهى بالشهوة والهوى ، وامتزاج المخلوق بالخالق . أى ينفى سعدى تماماً كل درجات الفناء التى قيلت من قبله وبعده كالاتحاد عند البسطامى والحلول عند الحلاج ووحدة الوجود عند محيى الدين بن عربى ، يقول سعدى : (يا سعدى العشق والشهوة لا يتمازجان ، والشيطان الرجيم لا يتقدم حتى تسبيح الملائكة) ثم ينتهى إلى قوله : (لو تصور أن يُحاط بك ما كان ظلما ألا يفتدى قدمك بالوجود) .

كل معانى العشق هذه ضمتها الغزليات التى سماها فروغى (بغزليات العشق والتغزل) يريد عشق البشر والتغزل في المحسوس . بينما شحت الغزليات العرفانية والأخلاقية التى اجتزأها فروغى من الدوحة الفيحاء للغزليات التى نقدم الآن ترجمتها عن تبيان غيض من فيضها . وقد أدى هذا الخلط والتفرقة المصطنعة بين الغزليات وما لحق بها من مثلثات ، رباعيات ومثنويات وقطعات ومفردات إلى أن نمسك عن تكرار ما سبق أن ترجمناه في مواعظ سعدى بعد أن اعتمدنا نسخة شركة التضامن العلمى التى أعادت الأمور إلى نصابها ، وجمعت شتات الغزليات وملحقاتها ، ولم تميز بينها على حسب مضامينها ، ونقلنا عنها ترجمتنا هذه . وبوجه عام فإن المتكرر قليل جدا فى المثنويات منه فى ملحقاتها. وأرى أن التقسيم الأمثل لكليات سعدى وهو ما يخالف ترتيب الأقدمين والمحدثين أن يكون كالتالى : الجزء الأول يضم كل نثر سعدى من الجلستان والرسائل النثرية ، وهى نصيحة الملوك ورسالة العقل والعشق ورسالة انكيانو ومجالس الوعظ المنسوبة لسعدى ورسائل ثلاث ألفت فى أحواله ، وشرح تنظيم أبى بكر بيستون للكليات ، وقد ترجمنا هذه الرسائل النثرية بآخر مواعظ سعدى ، والجزء الثانى يضم البستان والقصائد والمراثى والمدح والمثلثات والقطعات أو الصاحبيات والرباعيات والمثنويات والمفردات ، أى كل ما خالف الغزليات . أما الجزء الثالث فينتصر على الغزليات التى تشكل ما يقرب من نصف كلياته وهى على الترتيب الآتى :

١- الملمعات ، وهى أبيات وشطرات فارسية تلمعها أبيات وشطرات عربية تندرج فى نحو عشرة أبيات فى غزلية واحدة لها قافية ووزن واحد ويضمن الشاعر اسمه فى البيت الأخير منها ، وغالبا ما تضم أفكاراً تدور حول معنى عام واحد .

٢- الترجيعات هى مجموعات من الغزليات الواحدة فى نحو عشرة أبيات كالملمعات إلا أن البيت الأخير المتضمن لاسم الشاعر يتكرر فى نهاية كل غزلية ، أو يرجع الشاعر إليه لإنهاء الغزلية .

٣- الطيبات ، كما أسماها الشاعر ، وهى غزليات كسابقتها ، وقد تدور الغزلية التى لا تقل عن عشرة أبيات حول فكرة واحدة أو قليل من الأفكار وجماعها ، كما ذكرنا ، العشق الإلهى .

٤- البدايع ، وهى تسمية الشاعر لها ، ولا تفترق عما سبقتها .

٥- الخواتيم ، وقد تقل الغزلية منها عن عشرة أبيات ، وتشرح فى الغالب فكرة أو قليلا من الأفكار .

٦- الغزليات القديمة ، ولا وجه لتسميتها بالقديمة ، فهى لا تختلف عن غيرها من الغزليات فى الشكل والمضمون .

تلك هى المثنويات ، أما الملحقات فتشمل الصاحبيات أو القطعات وكل منها يختلف عن الأخرى ببيتين فقط ، ومعظمها فى الوعظ ولذلك وردت ترجمة لها بكتاب المواعظ . وهذه القطعات ما هى فى الأصل إلا قصائد ضاع أغلبها أو بعضها ، فهى قطع بقيت بعد غِيَر الزمان وتغاير أقلام النساخ عن القصائد . ثم المثنويات فالرباعيات ، وأخيرا المفردات وهى أبيات فرادى فى معانى شتى ، كل بيت مقفى المصراعين كبيت المثنوى ، ويحمل فكرة كاملة أو طرفة ظريفة أو حكمة أو وعظا . وقد ضربنا صفحا عن إثبات القلة القليلة من الأبيات العربية من نظم الشاعر ، فمن شاء قراءتها راجعها فى كليات سعدى ، وقد وقعت هذه الأبيات فى الملحقات ، أما الأبيات القليلة العربية الأخرى فى المثنويات فقد جعلناها بين قوسين للتمييز بينها وبين الترجمة .

وأخيراً فإن كرر سعدى معانيه فى غزلياته بسبب كثرتها فلم يبلغ درجة إملال القارئ ، وإن بالغ فيها فلم يصل إلى حد غلواء غيره ، وقد تفتق ذهنه عن معانى طريفة وجميلة قبسها حافظ وغيره وبنوا عليها ، وقد وازن سعدى بين جمال المعنى الذى يبقى بعد الترجمة وجمال اللفظ والصورة الذى يذهب بالترجمة الملتزمة ، مهما جد المترجم ، وَوَدَدْنا منها أن يعرف الناس اللغة الفارسية ليتذوقوا عذوبة لفظ الشاعر وحلاوة منطقه

فإن تعذر هذا فلا أقل من أن تكون معانى الشاعر وأفكاره وأخيلته معينا لشعراء العربية الفصحى والعامية فى وقتنا هذا كحال الشعر الفارسى فى بداية القرن العشرين حين اقتبس منه شعراؤنا الكبار أمثال أحمد شوقى ورامى ، وكانت الفارسية فى ذاك العصر لغة أدب وذوق عند الشعراء خاصة نوى الأصول التركية ، وأولى بناظمى الشعر الغنائى والأزجال فى أيامنا هذه أن يفيدوا من معانى الشعر الفارسى الأصيل ، وليتهم قرأوا مواعظ سعدى التى نشرت أو يقرأون غزلياته هذه فيستفيدون منها ويفيدون بها ويقتربون أكثر إلى معرفة هذه اللغة والأدب العتيدين ، والمأمول فى النهاية أن تكون ترجمة أعمال سعدى الكاملة ذات أثر وأسر وجدوى عند الدارسين والمعنيين والمثقفين .

محمد علاء الدين منصور

القسم الأول : الغزليات

أولا : الملمعات

تسفح دماء الخلق وتعرض عنا بوجهك

ولا أدرى أى عقاب ستجده جزاء هذا الجرم

(تصد عنى فى الجور النوى لكن

إليك قلبى يا غاية المنى صاب)

كم من صيحات أناجى بها كالعندليب

وأنت من غرور الشباب دومًا فى منام

(إلى العداة وصلت وتصحبونهم

وفى ودادكم قد هجرت أحبابى)

ليس كل صاحب حسن يحترف الجور

فماذا جرى لك وأنت نفسك فى كمين أصحاب ؟

(أحبَتى أمرونى بترك ذكراه

لقد أطعت ولكن حبه آبِ)

أنَّى لى الإغضاء عن همك

وعيناك على وجهك تشهد علىَّ بالكذب ؟

أجلستنى فوق النار والعجيب

أننى أتحرق بالنار وأنت معرض عن حالى

لا ولن أشبع منك لأن صاحب الاستسقاء

لا يمكن أن يرتوى أبداً

وله أيضاً

لم تنعم يا جسدى بالراحة لحظة فى عمرك

(قال مولائى بطرفى لا تنم)

(اسقيانى ودعانى أفتضح)

فالعشق والاستتار لا يتمازجان

ألقينا سلاحنا بمسكنة

(لا تحلُّوا قتل من ألقى السلم)

(يا غريب الحسن رفقًا للغريب)

ولا تسفك دم الفقراء أيها المحتشم

إذا لم تنسب مخالبك فى دمائى

(ما لذاك الكف مخضوباً بدم)

(قد ملكت القلب ملكا دائماً)

ويستوى الآن لديك أن تعدل أو تظلم

أنا عبدك إن دعوتنى أو طردتنى

(لا أبالى إن دعانى أو شتم)

(يا قضيب البان ما هذا الوقوف)

تكسَّر فى مشيتك إن أردت مخالفة السرو

كنت أتقى العشق أزماناً

(ما حسبت الآن إلا قد هجم)

(خلِّياني نحو منظوري أقف)

حتى أحترق كالشمعة من الرأس إلى القدم

قد جرى إلينا من الأزل أن نحبكم

(لا تخونوني وعهدي ما انصرم)

(بذل روحي فيك أمر هيِّن)

وأي وزنٍ للمال في كف حاتم

أنا عبدك ما دمت حيا بلا ملاذ

(لم أزل عبداً وأوصالي رمم)

(شنعة العزال عندي لم تفد)

لأن من الأزل قد خطت هذه على جبيني

كيف تطلب العقل والصبر مني والعشق

(كلما أسست بنياني هدم)

(أنت في قلبي ألم تعلم به)

وأنه لا يجد ألما من ناصحه

حين أنوح وقتًا من جرحي القديم

(لا تلوموني فجرحي ما التأم)

(إن ترد محو البرايا فانكشف)

حتى تصب وجود الخلق في العدم

فخذ يا سعدي بروحك في سبيل الحبيب

(إن غايات الأماني تغتنم)

وله أيضا :

(ترحم زلتي يا ذا المعالي

وواصلني إذا شوشت حالي)

(ألا يا ناعس الطرفين سكرى

سهل السهران عن طول الليالي)

(كمال الحسن في الدنيا مصون

كمثل البدر في حد الكمال)

أنت مركَّب في وجودي كالروح

وأنت مصوَّر في دماغي كالخيال

(فماذا النوم ؟ قيل النوم راحة

وما لي النوم في طول الليالي)

فاسترضِ قلبي لحظة وارفق بفؤادي

فأنت بجمالك أبدى من الشمس

(ألم تنظر إلى عيني ودمعي

ترى في البحر أصداف اللآلي)

إن أبلغ مسمعك نواحي المتوجع

لَنُحتَ ألمًا من نُواحي الشديد

(لقد كلفت ما لم أقو حملاً

وما لي حيلة غير احتمالي)

ألا قَصُر كمثل يدى عن ثوب الحبيب

لسان الأعادى عن سوء الظنون

(ألا يا ساليًا عنى توقف

فما قلب المعنى عنك سال)

وحياة عينيك ولو شردت عنى عينى

إن قلبى ليس من ذكراك لحظة بخال

(منعتُ الناس يستسقون غيثًا

إن استرسلتُ دمعًا كالآلى)

عيون المتعطشين مركوزة فيك

حتى إننى أظنك زلالاً صافيًا

(ولى فيك الإرادة[1] فوق وصف

ولكن لم تردنى ؟ ما احتيالى ؟)

أى أيدٍ هذى التى تمسك بك وأنت كالثعلب

تهرب من الناس كأنك غزال ؟

(جرت عيناى من ذكراك سيلاً

سل الجيران عنى ما جرى لى)

يشير إليك الناس بأصابعهم

حين يرون حاجبيك المقوسين كالهلال

(حفاظى لم يزل ما دمت حيًّا

ولو أنتم ضجرتم من وصالى)

قلبك صلد ووعدك واهٍ

لكنك كامل الوصف فى غير هذين

(إذا كان افتضاحى فيك حلواً

فقل لى ما لعذالى ومالى)

دعنى إلى أيامى

فلا يفيد العذل الماجنين

(ترانى ناظماً فى الوصل بيتًا

وطرفى ناثر عقد اللآلى)

لا أدرى أقامتك هى الجميلة أم السرو

إنك لطف كلُّك وجمال

(وإن كنتم سمعتم طول مكثى

حواليكم فقد حان ارتحالى)

إذ تحول سعدى رماداً فلا جدوى

إن مسحت عينك برماده

فى التنبيه والموعظة

(إن هوى النفس تَقدُّ العقال

لا يهتدى ويعى ما يقال)

إنه رمادى ورمادك الذى تهبُّ به

ريح الشمال صوب اليمين والشمال

(مالك فى الخيمة مستلقياً

وانتهض القوم وشدو الرحال ؟)

مضى العمر هباء ، هكذا مضى

فلا تضيع ما بقى منه على المحال

(قد وعر المسلك يا ذا الفتى

أفلح من هيأ زاد المآل)

ما أكثر ما يمضى علىَّ وعليك فى

كنف اللحد من الشهور والأعوام والأيام والليالى

(لا تك تغتر بمعورة

يعقبها الهدم أو الانتقال)

لو أن الآدمى بمثل مرآة جمشير [1]

فحجر الأجل يحكمها كالصلصال

(لو كشفت التربة عن بدرهم

لم يُرَ إلا كدقيق الهلال)

ما أكثر ما تمزق فى هذه التربة

من أجساد الحسان بديعات الجمال

(واندرس الرسم بطول الزمان

وانتحر العظم بمر الليالى)

يا من تعكر باطنك بالآثام

---

١ – جمشير من ملوك الفرس الأقدمين الاسطوريين كانت له عجائب سبع منها مرأته التى كان يرى فيها كل ما كان يحدث على البسيطة فى عصره .

أخشى أن تأبى مرآتك الصقال

(مالك تعصى ومنادى القبول

من قِبَل الحق ينادى تعال ؟)

أتدرى من هو الحى الميت القلب ؟

إنه من ليس له بالحق اشتغال

(عزَّ كريمٌ أحدٌ لا يزول

جلَّ قديمٌ صمدٌ لا يزال)

الملوك على باب تعظيمه

مدُّوا أيديهم بحكم السؤال

(كم حزن فى بلد بلقع

منَّ عليها بسحاب ثقال)

هو البارئ تعالى الذى يخلق فى

باطن الصدف الدُّر من قطر الماء الزلال

(إن نطق العارف فى وصفه

يعجز عن شأن عديم المثال)

ليس من شأن الذباب أن يطير فى هذا الطريق

بل يحترق فيه جناحا العنقاء الطوال

(كم فطن بادر مستفهماً

عاد وقد كَلَّ لسان المقال)

سافرت كثرة الأفهام ولم تهتد إليه

وعادت ولم تجد إليه المجال

(لو دنت الفكرة من حجبه

لاحترقت من سبحات الجلال)

تحلو إلى قلوب عشاق جماله

مرارة الهجران بأمل الوصال

(أصبح مَن غاية ألطافه

يجترم العبد ويبقى النوال)

فمن يعتمد عليه العبد

إذا لم يعتمد على كرم ذى الجلال

(إن مقالى حِكم فاعتبر

موعظة بسمع صم الجبال)

كل من يأبى الناصحين سماعًا

عرك أذنه وضيم الفعال

(بادية المحشر واد عميق

تمتحن النفس وتمضى الجمال)

لو كانت لك قدم فتقدم كالرجال

وإذا لم يكن لك عمل فنُح كسعدى والأطفال

(ربِّ أعنّى وأقل عثرتى

أنت رجائى وعليك اتكال

هذا الملائكى الطلعة أهو الشمس أم الملائك أم

البشر ؟ وقامته هل هى القيامة أم الألف أم عود القصب ؟

(هدَّ صبرى ما تولى ، ردَّ عقلى ما ثنى

صاد قلبى ما تمشى ، زاد وجدى ما عبر)

أشجرة ورد هو أم هو جسده الرقيق أم الحرير ؟

أحديد هو أم قلبه الصلد أم الحجر ؟

(تِهت والمطلوب عندى ، كيف حالى إن نأى ؟

حِرت والمأمول نحوى ، ما احتيالى إن هجر ؟)

إنه جنة الفردوس لا أسميه ورق الورد والربيع

إنه الروح العذبة لا أقول له الشمس والقمر

(قل لمن يبغى فراراً منه هل لى سلوة

أم على التقدير إنى ابتغى أين المفر ؟)

انظر إلى مقلتيه المثيرتين للفتن بأعلى سروه

الفضى حين يتبختر حتى ترى نجماً بأعلى الشجر

(يكره المحبوب وصلى أنتهى عما نهى

يرسم المنظور قتلى أرتضى فيما أمر)

ليتنى كنت أرى قليلاً من الرفق فى خطابه لى

لسهل علىَّ أن يقتلنى عشقه بكثير من القسوة

(قيل لى : فى الحب أخطار وتحصيل المنى

دولة (ألقى ؟)بمن ألقى بروحى فى الخطر)

فانتح يا رفيقى جانبا أو انج بروحك لأن العشق

سهام هاطلة ، ولا بد من الاستسلام أو الحذر

(فالتنائى غصة ما ذاق إلا من صبا

والتدانى فرصة ما نال إلا من صبر)

لا كرامة لبنات القريحة ، أى الشعر ، مع جمال

الحبيب ، وأمام ذاك الولد البهى الجميل

(لحظك القتال يغوى فى هلاكى ، لا تدع

عطفك المياس يسعى فى بلائى ، لا تذر)

فحرّج فى النهاية وقتًا أيها السرو السيَّار

وانظر إلينا فى النهاية نظرة يا طمأنينة الروح

(يا رخيم الجسم لولا أنت ، شخصى ما انحنى

يا كحيل الطرف لولا أنت ، دمعى ما انحدر)

ذكرت لصديق إن عمرى انتهى فقال :

عجبًا لك ، أتعيش ما بقى من عمرك بدون حبيب ؟ !

(بعض خلاّنى أتانى سائلاً عن قصتى

قلت : لا تسل ، صفار الوجه يغنى عن خبر)

فقال : اصبر يا سعدى ، أو هب ما لك ، أو اهرب

فلا فوت للعشق من المال أو الصبر أو السفر

***

(أوشكت أن أطلق آلاف النوحات كالبلبل

لأنى لا أطيق صبراً عن ورقة ورد واحدة من الأحياء

فأخبروا البلبل إن الورد ينقض عهده

فاحزم أنت بدورك ما استطعت رحل التحول

(أما أخالص ودى ؟ ألم أرعكَ جهدى ؟

فكيف تنقض عهدى وفيم تهجرنى ؟ قُلْ)

لو أنت مالك رِقّى ومليكى بحقٍّ

فلا يحلُّ لك أن تسفك دم عبدك

(من المبلغُ عنى إلى معذب قلبى ؟

إذا جرحت فؤادى بسيف لحظك فاقتل)

ليس لديك هذا الوهق الذى أنجو منه

فبقيت أسيراً وعلاجى ليس غير التحمل والتذلل

(لأوضحن بسرِّى ولو تهتك سترى

إذا الأحبة ترضى دع اللوائم تعذل)

الوفاء وعهد المودة بين أهل المحبة

وليسا مثل بقاء الزهرة وتعشق البلبل

(تميل بين يدينا ولا تميل إلينا

لقد شددت علينا إلام تعقد ؟ فاحلل)

أنا الذى عنَّ حبه على وجهك وشعرك

ولا يدل على صدق المحبة النظر إلى الشقائق والسنبل

(فتات شعرك مسك إن اتخذت عبيراً

وحشو ثوبك ورد ، وطيب فيك قرنفل)

إنك نفسك لا تتأمل حال سعدى وإلا رأيته

فأمل التأمل قط إذا وقع نظره عليك

***

(انتبه قبل السحر يا ذات المنام) [1]

وأعلن عن توبة التمتع وقدم الكأس

وحتى يستريح فارس العقل لحظة

سلم قياده ، أى الطبع المثير للفتنة ،

فأدر الأقداح التى تشبه البط قبل

أن يصيح ديك الصباح

قيدت طير روحى بسلسة سوداء كالمسك

وطوقت عنقى كالحمام

صار باطنى مثقوبًا كالشبكة

بسبب مخالب صقر همومك الحديدية

فمر بصحرائى ساعة كالورد

ومِسْ دالاً فى بستانى زمنا كالسرو

حتى تغدو على الورد الجميل وبالاً

---

١ - هكذا فى شعره العربى والأصح (ياذا المنام) .

وتصبح على السرو الميَّاس حرامًا
وامنح ببغاوات روح سعدى بلطف
سكرًا من شفتيك الياقوتيتين
نواح البلبل أطيب مع السُكْر والثمالة
فهات أقداحك أيها الغلام

***

(سل المصانع ركبًا تهيم فى الفلوات)
أنَّى أن تعرف قدر الماء وأنت على شاطئ الفرات
ليلى لوجهك نهار وعيناى بك منيرتان
(وإن هجرت سواء عشيتى وغداتى)
لو طال انتظارى فلن أقطع فيك رجائى
(مضى الزمان وقلبى يقول إنك آت)
لم أرَ ولم أسمع بإنسان بجمالك
ولو أنت ورد فأنت معجون فى الحق بماء الحياة
ليالى أملى الحالكة كائنة فى صباح طلعتك
(وقد تفتش عين الحياة فى الظلمات)
(فكم تمرر عيشى وأنت حامل شهد)
والجواب المرُّ بديع من ذاك فم سكر النبات
عشق وجهك عندنا لا يجدر بحياتى القصيرة

(وجدت رائحة الورد إن شممت رفاتى)

(وصفت كل مليح كما تحب وترضى)

فماذا أقول فى محامدك وهى وراء كل الصفات

(أخاف منك وأرجو وأستغيث وأدنو)

فأنت وهق البلاء كما أنت مفتاح النجاة

نئت عن نظر الحبيب كما يتمنى العدو

(أحبتى هجرونى كما تشاء عداتى)

رسالة فراق سعدى لا تؤثر فيك من عجب

(وإن شكوت إلى الطير تحنُّ فى الوكنات)

***

انتهى هذا الدفتر ولا تزال حكاياتى باقية

ولا يجدر فى مائة دفتر حسب حالى شرح اشتياقى

(كتاب بالغ منى حبيباً معرضاً عنى

إن أفعل ما ترى إنى على عهدى وميثاقى)

لا أدعى صلة لى بمقربى بلاطك بل إنى

أعقد نفسى بك الخداع والنفاق

(أخلائى وأحبابى دروا من حبه ما بى

مريض العشق لا يدرى ولا يشكو إلى الراقى)

---

١ - واضح تصرف النساخ فى شعر الشاعر العربى حتى صار بلا وزن وصحيح تركيب .

وليل العاشق أن يصل الليل بالنهار

وأنت إن نمت فلا تألم ألم العُشَّاق

(قم املأ واسقنى كأس ماء ودع فيه مسمومًا

أما أنت الذى تسقى فعين السم ترياقى)

حين يصلنا القدح فى دورته فاعطه إلى المفيقين

فى المجلس ودعنى كى أظل حيران العين فى الساقى

(سعى فى هتكى الشانى ولما يدر ما شانى

أنا المجنون لا أعبأ بإحراق وإغراق)

أليس هو شمس الفلك بلحظه المسعد هذا ؟

وأليس هو نفس الملك بطهره الأخلاقى ؟

(لقيتُ الأُسد فى الغابات لا تقوى على صيدى

وهذا الظبى فى شيراز يسبينى بأحداق)

ليس لحسنك آخر وليس لشعر سعدى نهاية

ويموت المستسقى عطشان ويظل البحر هو الباقى

***

لا يسع القلم وصف الاشتياق

سادتى احترق القلب من الأشواق

لا يتم دفتر آلام القلب المجروح

لو أضافوا صحف الدهر إلى أوراقى

رجاء قلوب خلق منك هو لطف كلامك لهم

وآثار الرحمة القليلة منك هى حسنك الأخلاقى

أى متعة من العمر العزيز بدون الإغراء

كيف يحلو زمن البين لدى العشاق

أنا نفس عاشقك ذاك لو لم تكن له محبا

أنا هواك وإن ملت عن الميثاق

لو أدخلونى الجنة بدونك فبحق عينيك

لن أميل إلى الحور ولن أنظر إلى الساقى

قُدَّ رداء عمرك يا سعدى بسبب همومك

وفاق أسفى حدود ولا أتمثل من الخمر بقدر ثمالتى من عشق

وجهه الساقى الصبر والاشتياق

انتهى عمرك ولا يزال عشقى حتى الآن

يا غاية الأمانى قلبى لديك فإنى

شخص كما ترانى من غاية اشتياقى

فيا أيها المتألم المفتون بخده وخاله الباهيين

إنك تدرى قدر وصاله لأنك فى فراق

يا سعد كيف صرنا فى بلدة هجرنا

من بعد ما سهرنا والأيد فى العناق

لا يطربنى مكان من بعد الفراق

فاعزف أيها المطرب لحنا من المقام العراقى

خان الزمان عهدى حتى بقيت وحدى

ردوا على ودى بالله يا رفاقى

ماذا تقول ف السرو والمر يا مجمع الحسن

وأنت القمر المسكى النشر والسرو الفضى الساق

إن مت فى هواها دعنى أمت فداها

يا أزلى نباها ذرنى وما ألاقى

فقوموا أيها الفتية ودعوا حديثكم عنهم

حتى نبذل فى هوى الأحبة العمر الباقى

أنت غريب لا رفيق ما دمت تضن وتشح

ألا فاغرم كل ما لديك لو كنت رجل اتفاق

ثانيـــًا : الترجيعات

أيها السرو الفارع القامة الحبيب

بخ بخ ما أجمل شمائلك

ألا فليمت تحت قدم لطافتك

كل سرو ممتشق القامة على حافة الغدير

بلغت من لدونة إلعود حتى انزلقت عنك

عباءتك كما نبا عن البرعمة ورقها

هو فلقة قمر لو طلع على السقف

فمن يفرق بينه وبين القمر

هو بيدر من الورد لا الورد الذى بالروض

وليس جنة إرم بل جنة الفردوس

تلك الكرة من العنبر هل هى فى جيبه ؟

أم أنها نشر فمه العنبرى الأريح ؟

وقلبى العاجز وقع كالكرة

فى حلقة صولجان طرتّه

يحترق قلبى ويظل محبا له

ويموت يبقى داعيًا بالخير له

دماء قلوب عاشقيه المتلهفين

تتحمل وزرها عيناه الملكيتان

أنا عبد هذه الميَاسات البَضَات

لأن الإنسانى وجوده على قلبه لا وجهه

أكثروا من عذلى قائلين

لا تطعه فهو سيئ المعشر

فلأ جلس وأسألك الصبر

وأتابع أمرى

فى عهدك أيها البديع الحسن المعشوق

ما أكثرالعهود التى تنقض وتبرم

وفؤادى الذى تعلق بك

لا يفارقك أبداً سعياَ إلى أى مطلوب

لا تحوٌل لى عنك

كأنى ذبابة أمام السكر

حل العشق وأزال رسوم العقل

ونزل الشوق واجتث شأفة الصبر

لم تلد أمٌ وليداً بجمالك

فى أى زمان سبق

نصيحة الرفاق لى رياح

وأحزان فراقك جبل ألوند

إن قنع واحد من حبيبه بذكرى حبيبه

فلست أنا هو

فإلى متى هذا الجور الذى أعانى

وختَام هذا الصبر الذى أقاسى

أنا فى الشرك كالطائر طمعًا فى الحبة

وكالذئب فى الفخ طمعًا فى رائحة لية الخروف

سقطت وكانت المصلح وأحدث لى

ولا يقبل الإنسان النصح ما دام مطلق السراح

أنا أستحق هذا وأكثر من هذا

لو كنت مثل العقلاء

فلأ جلس وأسلك الصبر

وأتابع أمورى

لا يجفو فى المدينة اليوم أحد

إلا أنت ياكثير الجفاء

فى شركك العشاق أسرى

وفى قيدك المحبون محبوسون

يا لحرقتى بنار خد

من حجرتها السراج تقبس

أنت الصباح الذى تستلذ مشام

روح العشاق فوحه إذ تنفس

أستقبله وإن تولى

أستأنسه وإن أوحش

عودك بنفسه حرير الصين

فماذا يفيد العباء الأطلس ؟

أنا فى كل مقال فصيح

وفى وصف شمائلك أخرس

أفرش طريق خطوك بروحى لكنى

أخشى ألا تطأ على الغذى

فاسع يا صاحب الحسن فى الوفاء

فحسنك لم يف إلى أحد

أتجد قلوب المنكسرة قلوبهم

زكاة عن سلامتك

فلا تفعل ما فعلت قبلا من الآن

وإلاَّ بالله فسلوف من بعد

أجلس وأنت وأسلك الصبر

وأتابع أمورى

مقالك عذب وشفتاك رقيقتان

ما أطيب فاك جل باريك

من طلعتك استحى بدر السماء الطالع

فتحول إلى هلال نحيف

يا قاتلى بسيف لحظ

والله قتلتنى بهاتيك اللواحظ

فبحق الله إن الملوك الجائرين

لا يفعلون كما تفعل بالمماليك

لعلهم يبلغون الملك

إن تُرْكَكَ سفحوا دم التاجيك [1]

أتدرى كيف ينقضى الليل علىً

لا يأت بمثله أعاديك

وما كل هذا لو استمرت حياتى

فإن أيامى تستحيل ليالى حالكة

وفى الجملة لم يعد بى صبر وسكينة

كم تزجرنى وكم أداريك

وا أسفا قد انقضى عمرى عبثا

وأنت يا قلبى لا تتركنى وحالى

لأجلس وأسلك الصبر

وأتابع أمورى

العين التى لا تفيض كم من الفتن

تنزلها على القلوب

والغزال بوهق جدائل الحسان

---

١ – الترك أو الاتراك استعادة تصريحية لوجه المحبوب وطلعة المنيرة والتاجيك هم من دون الاتراك من شعرب .

يهلك نفسه

واكرباه من النقش المرسوم

ومن اليد التى تنقشه

حيثما وجد وله مثل فرهاد

تستولى عليه حلوة مثل شرين

ما جنى أحد المشهدة إلا

إذا زرع بذر المجاهدة

والغِرُّ هو الذى يحسب

نواح العاشقين المدنفين أمراً مجازيًّا

فلا يقروهم أيها العقلاء

فهم ينوحون لاحتراق محصولهم

وما الشوكة التى بقدم المشتاق

إخراجها حتى لا تشك رأسه

قد أصابتنا الحاجة إلى من

لا يقضى حوائج الناس

يقولون لى غادر جوره

وإن غادرته فلن يدعنى هو

ولو خلانى فلن أتركه أنا نفسى

باختيار منى

بعد طلبك ليس شىء فى فكرى

وغيرك ليس شيء في خاطرى

لا تسمح لى بأن أتقدم إليك

وليس لى من طريق آخر أسلكه مبتعداً عنك

أنا طائر عاجز فى فخ الأنس

ومهما طردتنى فلن أطير عنك

لو قالوا إن ملاكا يمازح إنسيا مثلك

موجودا فى العالم ما صدقتهم

صرمت مودتى عن كل الخلق

وليس فى تصورى غير ذكراك

يقال من جد وجد

وأنا جددت ولم يساعدنى جدِّى

إن القسيمة التى قسمت لى

لن يتيسر لى غيرها مهما اجتهدت

ليت لم يكن بوجهى نظر

بما أن حظى من النظر لا يوافينى

هام فكرى فى كل العالم

فلم أجد لى أفضل من زاوية الصبر

لا يمكن مخاصمة

وليس لى غير الصبر طريق آخر

فلأجلس وأسلك الصبر

وأتابع أمورى

يا قلبى ألم تعاهدنى ألف مرة

بألا تطلب الهوى؟

فمن الذى اجترح واجترحته على نفسك من

السيئات / إذا طعنت نفسك بالسيف وجرحت

أرأيت ما أصابك من دعوى العشق ؟

ليس غير شحوب الوجه

فإما أن يحيق الظلم والجور بك

أو تطوى قصة العشق تماماً

أيتها البطة السوداء الذؤابة

قد أشعلت من الفرك فيك رأسى شيباً

إن دورة الفلك اللازوردى قد أحالت

رأسى الحالك السواد إلى ناصع البياض

قد حل السلام بين الكفر والإسلام

وأنت لا تزال معنا فى قتال وجدال

فلا تبالغ عناداً فإننا أقررنا

بالعبودية لك والعجز

يطيب لى إصابتك لى بالألم

لأنك أنت الألم كما أنت دواء الألم

قلت اصطبر وهيهات الاصطبار

فقد كان قلبى موضع الصبر لكنك ذهبت بالصبر منه
لا مناص لنا من التحمل والتسليم
ولا فيمن يفيد الاجتهاد والجرأة ؟
فلأجلس وأسلك الصبر
وأتابع أمورى

***

مرَّ ولم يلق إلىَّ بنظرة وقد كشف عن ساقيه كبرا
نرجستاه الثملتان الناعستان من أمامه وأنا خلفه فى حسرة
فيا قبلة المحبين المشتاقين إذا كنت تفعل مع الجميع ما تفعله معى
فإن كثيرا من الناس يفتدون خطاك بأرواحهم العزيزة وأنا أولى منهم بذلك
حدثتنى نفسى بأن أشكوك إلى الملك بأنك تعاملنى بقسوة قلبك ووهن حب
فرأيت أننى لو صرخت من جفوتك فلن يكون هذا من شرط المحبة
لن أرفع يدى عنك لو طارت رأسى فدءا لقدمك
يحرم علىَّ غير وصلك أن أطلب حاجة من الله
يقولون لى غض طرفك عنه ، وكيف أغض الطرف عن قضاء مبرم لى ؟
لم أسمع عمن يناظرنى فى صبره على عدم موافاة حبيبه
فلأجلس وأسلك الصبر وأتابع أمورى
يا من طلعتك شمس العالم ، ويا من يشير إليك بالبنان أبناء آدم
فوح أنفاسك المسيحية يحيى أرواح الموتى

الثناء الجميل على روحك العزيز والاسم الأعظم على جسمك الشريف

أيها السرو المستقيم الفارع ذا الحاجب المقوس إنك محبوب مثل عينى اليمنى

بيديك أيها الملكى الطلعة كم من القلوب استلبت بكفك ومعصمك

ولست وحدى أسير عشقك فخلق بك متعشقون وأنا مثلهم

فأنت عالم العذوبة والطلاوة حقا واترك أى وصف خلا ذلك

سلم لك الحسن ولم يسلم لنا الصبر عنك

نقضت عهد وفائك لكن العهد من جانبا لا يزال محكما

فلا تدع المنهكين يموتون بعيدا عنك وهم ينتظرون منك العلاج

تمضى حياتك بدوننا لكن لا يذهب بك الظن أننى أعيش لحظة بدونك

فلأجلس وأسلك الصبر وأتابع أمورى

لا تذكر الورد أمامى مع وجود حس ذاك الوردى القوام

كنا يشير الناس إلينا بأصابعهم فصرنا هلالاً بسبب هذا البدر التمام

واجهونا بكافة عيوبنا منتقدين ، يا قوم إلى متى

قد حطمنا كأسنا بالحجر فلا تضربوا ثانية كأسنا بالحجر

فجد علينا فى النهاية بنظرة أيها المجد الخاص والحسرة العامة

فما أكثر أن أنضجنا فى طلبك طبيخ الجنون ولا يزال مع هذا أمرنا فجًا نيئا

علاج أسير العشق هو الصبر ، لكن ما نهاية هذا الصبر ؟

أنا تحت قدمك غبار الريح على أمل أن تصنع خطوك فوق رأسى

كم سيطول صبرى وأنا بعدى عنك لا يمكنه أن يظل ساكنا وهو فوق النار

أتلوى فى فخ همومك كالطائر البرى فيزداد فخّى علىّ إحكاما وتقييداً

أنا غير راض بعدم وجودك معى ولكن لأنك لا تنجح للخائب مأمولا

فلأجلس وأسلك الصبر وأتابع أمورى

يا من جديلتيك عقد كل وهن وعينك بغمزها سحر العين

لا تتكسر فى مشيك بهذا الجمال حتى لا تصيبك عين السوء

يا مرآة الأمان التى تلوح فجأة عليها آهات الآلام

إما تستر وجهك أو تحرق على وجهك النارى البخور

المستهام بك ضبا يا ملكى الطلعة لا يستحيل عاقلا بأى نصح

قد تمرر فم عيشى من الصبر فهات أيها الرقيق السكرى الشفة منك سكرا

فى أى شيء تشبه قامته أيها السرو ؟ إنه جميل ولكن ليس كل فارع جميلا

أبكى أملاً فيه وأعدائى يسخرون ببكائى

فليت حبيبى يخرج من عندى مرة حتى يقتلع أعين أعدائى

ماذا كان يضير يا ربى لو أنه منَّ علينا رحمة منه بنظرة منه

انصرم عمرى عبثًا ، فإلى متى سيطول بى من بعد ؟

فلأجلس وأسلك الصبر وأتابع أمورى

هل بلغت روحى حلقومى ؟ واكرباه فقد خرج عنانى عن يدى

لم يرُ أحد مثلى فى ضعفه حتى أننى أشك فى أننى موجود

فراشة أنا أطير وأحط وأحترق مرة واحدة وأتخلص وأنجو

إن تلطفت بى فأنا أستحق ، وإن جرت علىَّ فهذا جزائى

ليس خلا صورتك فى وجدانى ، وليس عدا اسمك على لسانى

إن مررت عيشى ببعدك أحليت فمى كالسكر بذكراك

لا أفشى أسرارك لأحد ولا أتل لامعين لى مع آلامك

و أوصافك أمام أحد ولا أعرف منقذا من يديك

يفر العاقل من أمام السيف وأنا أضع رأسى المفصولة على أعتابك

وإذا عجزت عن الوصول إليك فليس أفضل لى ما استعطت إلا أن

أجلس وأسلك الصبر وأتابع أمورى

أحلمة أذنك هذى أم ورة ورد أم خضرة حول عين عذبة

يتحول وجودى قيامة مع قامة كقامتك إذا عانقتنى

لم أرَ قمرا يلبس تاجا ولم أرَ سروًا يرتدى قباء

كيف أصف امجسئه وذهابه ياتى بالوجد ويزيل العقل

فغر الفسدق يوما فاه الضحك فقال له فوك : اصمت

كان خاطرى يتعقب الزهد والتوبة فجاء عشقك وقال كفاك خداعًا

مستغرق أنا فى ذكراك حتى إن وجودى القليل صار نسيا منسيا

بم ينصحنى الرفاق ؟ يقولون اجلس واصطبر ولا تصرخ

لا تلمنى أيها الغِرّ وأنا هكذا فوق النار جشت غليانا

سوف أحاول جهد طاقتى ، وإذا ذاك بحكم الضرورة وبكل خضوع :

فلأجلس وأسلك الصبر وأتابع أمورى

ما عدت أطيق وما زلت أقول إننى أخفى عشقك عن الناس .

تحولت حياتى إلى الفراق والصبر والتريث منذ أن قارننى همُك

لى على كل رمش قطرة كالماس نظمتها فى عقد من البكاء

لا تعجبوا إن قُتلت فأنا نفسى أعجب من أننى لا أزال حيا

رمى بى قدرى فى هذه الحال على الرغم من أننى كنت أتحاشاها بالأمس وأنا فى ربعه
ليس ما يفوق الشوك تظلا فدعنى حتى أقع تحت قدمه العزيزة
منذ أن أن بعدت عن حضنى بعد الصبر عن قلبى الجريح
كان يسير مبكرا ويقول متدللا : ماذا تفعل بدوننا ؟ فقلت باكياً
أجلس وأسلك الصبر وأتابع أمورى
فَعَرِّج علينا ساعة فقد دمى فى فراقك قلبى المطعون من اشتياقك
افتح فاك ولو بإجابة مُرة فهى سكر منك فى مذاقتها
انظر إلى قتيلك يوما إذا سنحت لك فرصة
أنت الضاحك كالشمع وخلق كالفراش فى الاحتراق بك
من أى خيل نحن حتى نضرب خيامنا فى وثاقك
ما اخترت صبابتى ولكن عينى نظرت وما أطاقت
ما أكثر المآقى التى غدت فى انتظارك بحاراً ولم تصل إلى ساقك
أنت ثمل بشراب والمنام ونحن قتلنا السهاد فى انتظار ترياقك
ليست لى قدرة وأنا معك وليست لى طاقة وأنا بعيد عنك
فلأجلس وأسلك الصبر وأتابع أمورى
وآ جزعاه حين أدبر عنِّى الزمان ، تحول عنى لبى وصبرى وحبيبى
كان انفلات أمرى أمراً لازما ، وذاك الحلو تحوَّل عنِّى باختياره
كنت ربيبه فى عهده فتعود على وانقلب علىَّ كالزمان
أى هم ولو فارقنى إذا عاد من يزيل همى
فارحم كسيراً بارح الصبر فؤاده المسلوب

واعذره إذا عاد مدقوق الرأس من تحت حجر كالأفعى

فجار بروحه من هذا البحر العميق من عاد معجلا من ساحل البحر

أنا ساكن أرض العشق الطاهرة فلا أقوى على هجر هذه الديار

العجز هو حيلة العشق ، أتدرى ماذا أفعل إذا عاد الحبيب ؟

لأجلس وأسلك الصبر وأتابع أمورى

كل قلب لم يستذله العشق ما عدا ألعوبة الزمان الوضيع

لا يتحدر على الوجه عبرات الدم السائلة إلا من أعين العاشقين المرمودة

قال لى قصير نظر وأنا بخلوتى : لا تتوله جنونا فنهايتك ليست الجنون

فقلت له كيف يتصاعد منك هذا دخانى هذا وأنت سليم الباطن من ذلّ الهموم

إنما العاقل يعلم أن النحيب الشديد لا يصدر إلا عن احتراق الصدر

فأنا مستسلم للقضاء ، فليس لأحد خلاص من هذا القيد

وأنا إذا لم أصطبر فماذا لى بعده من حيلة ولا يعدو سكون القلب أمرا واحدا هو الصبر ؟

فإن قتلنى وإن عفا عنى فليس مثلى من عاجز فى قبضته

أتعرف عبراتى ماذا تشبه ؟ إنها تشبه الزئبق الذى لا يسكن لحظة واحدة

لم يكن بالدهر وفاء قط ، ولو كان فليس من حظنا الآن

نثرت روحى فداء وجه حبيبى وقلت عله يفى بعهده ، فلماذا لم يف ؟

فلأجلس وأسلك الصبر وأتابع أمورى

كل من لم يسجد على قدمك ما أزال عن وجهك سترا

ما وصلك سالما بدون انزلاق طائر لم يخفض لك جناح الذل

وما فقد أحد أحضانا مع وجهك إلا إذا أسقط روحه فسارت كالمترجل

وما زاد همك نورا لمن لم يُسجد رأسه كالشمعة

أتحمل أعباءك لأن العاقل الحكيم يفقد رأسه ولا يضع سلاحه

يتلف حياته ولا يفشي خبيئة نفسه للناس ، ويتجرع دماءه ولا يذيع أسراره

يوم أن قلت له : لم يخاطر أحد بحياته من أجلك مثلى

قال : ولم تصد سهام عينى السكرى صيداً أضعف منك

ومع أن كل نظرى عليه فلم يلق إلىَّ يوما بنظرة

ولست قانطا من أن عين لطفه سوف يوجهها إلىَّ وإلا :

فلأجلس وأسلك الصبر وأتابع أمورى

يا من اكتسيت عباءة الحسن الفتاك وتمزقت مئات القمصان من حبك

قد تواضع محياك تواضع الشمس إلى الأرض

نصير تراباً ولا يتطهر جدرننا من تراب بابك

هل يمكن قطع حبنا عنك ؟ هيهات وهل نقدر أن نؤثر عليك أحداً ؟ حاشاك

أعد أولاً قلبى المسلوب إلىَّ حتى أرفع يدى عن ذيلك

لا أمل لى فى أحد من بعدك ، ولا أخشى أحدا غيرك

الداء منك هو عين الدواء ، والسم منك هو محض الترياق

الهيام بك نار محرقة وهجرانك ورطة مهلكة

أين سحر بابل من وجهك ؟ وأين أفعى الضحاك من ضفيرتك ؟

لن يستسلم سعدى بعد ما قيل من وصفه إلى العقل والإدارك

لأن الغبار وإن أثرى كثرة من الريح لن يبلغ قط الأفلاك

عجزتِ قدمى عن الخطو وأعرف هذا وليس لى من حيلة إلا أنت

فلأجلس وأسلك الصبر وأتابع أمورى

يا من لا يشبه شفتيك اللعليتين سكر ولا يشابه يا حبيبى عينك لوز

لا يميل خاطرى إلا إليك ولا تنظر عينى إلا إلى وجهك

طالعت حسان العالم كلهم فلم أجد من يماثلك روعة وظرافة

ولم يستدل شيوخ الدنيا عن آخر يشبهك فى أى قرن

يا من لا يشبه قدك الجميل شجرة فى روضة الحسن

قد غرست كثير من شجر الوفاء ولم ألق من وصلك ذرة ثمر

تجاوز صراخى الأرض وأنت لا تدرى عن آلام قلبى خبرا

لا تحزن لرحيلى ولا أدرى أثرا من مجيئك

فلأعودن إليك لو أذنت يا سلوى الفؤاد أو لم تأذن

فلأجلس وأسلك الصبر وأتابع أمورى

حل موسم الخضرة والنزهة فانهض واتجه إلى الصحراء

والفتنة التى بوجهك الجميل حيثما حلت ثارت الجلبة والصياح

إن العاقل إذا عاين وجهه جرَّه بعشقه واستلبه الهيام

وأنت أدرى بأن مستر العشق المجنون لا يقبل أن تلوك سيرته ألسنة العقلاء

عينى إنما خلقت لأجل مشاهدتك ، وأنا بدونك شوك على شاطئ البحر

لا أشكو من جور الرقيب فلابد من الشوك أولا ثم التمر

فحافظ يا سعدى على هموم قلبك مستورة حتى لا يفتضح أمرك عند الأغيار

قال ألم يكن الحاسد الشانى معك ؟ فَحذارِ أن تعاود الذهاب معه من بعد وأنا بدورى مع عدم صبرى أتحاشاه من أجل الصلاح ليوم أو اثنين

لأجلس وأسلك الصبر وأتابع أمورى

اختطف جمالك أيها القمر الجديد من بدر التمام الضوء

فإن مررت فقل للطاووس أن يجلى إن استطاع مثل وجهك الجميل

لو فاخرت بأننى صبور مغتر فلسوف تذاع الحكايات من بعدك فلا تأبه بها

استسلمت بسبب همومك واضعًا يدى على قلبى ، وانحدرت مقلتى من أجلك فى حدقتها

إما أن تلج أبواب عشاقك ، وإما أن تخرج من قلوب طلابك

ما غرضك من جورك وتحكمك ؟

يا متلف مهجتى ونفسى يقيك الله محضر السوء

لما لم ير المعشوق منى اجتهاداً لم يزن حديثى بمثقال ذرة

قلت : لا ترنى عتيقًا باليًا فيومًا ما سترانى بحُلَّةٍ طريفة قشيبة :

فى ظلال الملك السماوى القدر ، القمرى الطلعة ، الشمسى الضياء

وإذا لم يبلغ مسامع الملك شعرى هذا العذب

فلأجلس وأسلك الصبر وأتابع أمورى

ثالثـًا : الطيبات

أفتح دفترى باسم الله العليم الصانع الرب الحى القدير ،

الأكبر الأعظم إله العالمين والآدميين ، خالق الصورة الجميلة والسيرة البديعة

من فيضه وكرمه يصيب الطير بالهواء والسمك بالبحار

يتخطى بنصيبه من رزقه الغنى والفقير ويأكل رزقه منه البقة والعنقاء

يعلم بعلم الغيب حاجة نملة وهى بقعر جب أو بأسفل صخرة صماء

يخلق حيا من نطفة ، والسكر من الغاب ، والورق الأخضر من الخشب اليابس ، والماء من الصوان

أوجد العسل من النحل والنحل الطخيم من نواة تمرة

لا يحتاج إلى أحد ويتلطف بالجميع ، مستور عن الجميع وظاهر لهم

تجاوز ضياء نور سرادقات جلاله من العظمة نهاية أفكار الحكماء

ومع أن ليس له لسان ذَربٍ بليغ فمه إلا أن العارف المجذوب يحمده ويذكر أن له شعرا على أعضائه ، وكل من لم يف بحق نعمته اليوم فلسوف يأسف على نصيبه من الرحمة فى الآخرة .

فيا ربى المهيمن والمدبر المقدس المبرأ عن كل عيب

أعجز عن الوفاء بحمدك أنا وكافة ملائكة السماء المقربين

قد نطق سعدى بما وصل إليه فهمه , غلا ، فأى وهم يمكنه أن يصل إلى كماله تعالى

عجز القمر أمام جمال محمد وليس السرو فى قامته باعتدال محمد

وليس لقدر الفلك كمال ومنزلة أمام قدر كمال محمد

وكل مؤمن وُعد برؤيته يوم القيامة ، ليلة الإسراء ليلة وصال محمد
آدم ونوح والخليل وموسى وعيسى تجمعوا تحت ظلال محمد
لا تسع الحياة – وإن رحبت – همته ، فانتظر يوم القيامة فهى مجال محمد
وكل هذه الزينة المعلقة بجنة الفردوس انظرها يقبلها بلال محمد
لا تضىء الشمس والقمر يوم المحشر ولا يشع ضياء إلا جمال محمد
ستسقط السماء كالأرض تلثُم نعال محمد
والأخرى إذا لم تطلع الشمس والقمر أيام حاجبين كهلال محمد
منذ أن طالع عينى فى المنام جماله لم تكتحل بمنام من خيال محمد
فإن عشقت يا سعدى وتصابيت فحسبك عشق محمد وآل محمد
يا ريح الصبا ذات الأنفاس السعيدة قد جئت من صدر المحبوب فمرحبًا
ماذا سمعت قافلة الليلة عن الصباح ؟ وأى خبر يدريه طائر سليمان عن سبأ
لا يزال ذاك النِّدُ مغاضبا ، فهل يقاس وهو يظهر الرضا ؟
أجئت من باب الصلح أو الخلاف ؟ وهل أسير أنا بقدم الخوف أو الرجاء ؟
فإن تَمَّر يا رسول نسيم الصبا ثانية على ربع الحبيب
فأبلغه بأنه لم يبق رمق فىَّ أنا الضعيف ، فإلى متى ستبقى صورته التى بلا روح ؟
ما أحسنت صنعًا بكل استرضائك وعهودك ومواثيقك لأنك لم تف بها
لكن إن حل عهد وصال فإن الصلح يُنسى ما جرى
لن أدع ثوبك حتى تبلغ يد المنون خناقى
ليس ودودا فى الحق من ينسى فى البلاء محبه
العناء فى طلبك راحة ، وشرب المر يحلو على أمل دوائك

لا أستطيع إبراز رأسى كالصنج ولو تقطع جلدى كالدف وصار بظهرى
كل كلمة أنطقها لك كالسحر عن عشقه أسمعها فى اليوم التالى من الملأ
طوت قصة آلامى كافة الأرجاء ، ومن الذى لم يسمع بحكايتى ؟
ولو بلغ أنين سعدى الجبال لتأوهت الجبال بصوت صاد
طلعتك تظهر مرآتنا جميلة ، لأن المرآة صافية ووجهك بديع
شمائلك الحسناء تبدو من طلعتك الحسناء كالخمر الصافية من الكأس الصافية
وكل مَن تنفس معك نفسًا أو سايرك خطوة ما تصبَّر بأى وجه غيرك
يلوى الصيد بالصحراء رأسه عن الشرك ، ونحن جميعًا نعقد رءوسنا بشركك متعمدين
والطائر المسكين الذى ارتبط بحب مكان لا يغادره ولو بالعفو طرده عنه
أغار من أن أشكوك لكل إنسان وأنا لا أعالج مرضى الأحباء عند الأطباء
حبذا لو عُدتَ حبيبك مرة فإن شمعدان الثريا يموت أولا قبل شموع الأفق
إن أنت لم تنثر من كمك سكر شِحاتك فسوف تزعم كل ذبابة أنها ببغاء تقضم السكر
إن سعدى هو المريض بروحه من حسنك لكن الأدنياء هم الذين ينهبونه
إن فرغت من حال أحبائك يا حبيبى فلن يتيسر لنا الفراغ منك
يتبين لك من مرآة مطالعة جمال طلعتك ماذا جرى لمن لا يصبر على فراقك
فهلم فقد حل الربيع لكى يخلو أحدنا إلى الآخر وندع لغيرنا الرياض والصحراء
لماذا لا تطل أيها المحبوب السرو الفارع بدلا من السرو المستقيم القائم على حافة الغدير
لم تترك الشمائل التى بأوصاف حسن تركيبه مجالا لنطق اللسان الفصيح
من قال إن النظر إلى الوجه الجميل إثم ؟ إنما الإثم هو ألا تنظر فى الوجه الجميل

وحقك أيها الحبيب لو قدمت لى بيدك سما ناقعا لتناولته على أنه حلوى لسعادة حبى لك

يعزل العازل (وامق) جاهلاً من هو حبيبى لأنه لم ير وجه (عذرا) [١]

أوافقك على أنك لا تعرف وما بى من نار خافية وكيف لا ترى عبراتى الظاهرة ؟

ألم أنبئك يا سعدى أن قلبك منهوب مسلوب حين تعشق الأحياء الناهبين السالبين

ما زلت آمل فى العلاج مع كافة آلامى لأن بآخر أطول الليالى يأتى الفجر

لا أبتغى الفراش الحريرى فى ليل الفراق لأن الليل يطول فى منام الوحيد المنفرد

يعرف العقلاء من تشتت حال المجانين أن غير الصابر لا يطيق احتمالا

لو رأيت حبيبى وميزت يدك من البرتقال جاز لك أن تلوم زليخا

أزل وأنت فى ميعة شبابك البرقع عن وجهك وإلا زال قلب الشيخ الثابت

أنت شجرة الورد التى باعتدال قامتها تدنى قيمة السرو الفارع الممتشق القامة

لن أخالفك قولا فيما بعد لأن الحياة لا تتيسر لى بدونك

أمضيت الليل مسهدا مارقا كالفرقدين ، وأرقب الثريا بعينى المفتوحتين

ما أجمل الليل والشمع والجمع حتى انبلاج الصباح ، والنظر فى وجهك عمى لعيون الأعداء

ومن الذى أشكوك إلهى ، وفى شريعة العشق يجاز للحبيب أن يقتل محبه عمدا ؟

وأنت لا تزال تستلب قلوب مدينة بغمزة منك كما يستلب موالى بنى سعد ما على الموائد

يمكنك أن تجفو وتجوز على ألف مثل سعدى وأنت بمثل جمالك لكن لا تفعل يا حبيبى

ليس من عادتنا نقض عهد الوفاء فالله الله لا تنس صحبتنا

إن الواهى العهد الذى لا يتحمل أعباء الجفاء لا يعرف قيمة العشق ويعدم الفردوس لكم ، لن ألوى عنقى من عهدك ولو ضاع عنقى حتى يقولوا من بعدى إننى عشت الوفاء

ما أطيب الداء الذى يعودنى فيه حبيبى ، إن المرضى بهذا الداء لا يطلبون من بعده دواء

لن تَصْدُقْنا أنامل التحير فى وصفك الا حين تتأمل وجهك الذى يشار إليه بالبنان

يحدونى الأمل فى أن يحرق كل شمع صفاتى أمام وجودك فأغدو بلا وجود وكيان

إن قصار النظر يرون على ورق وجه الحسان الخطوط والألوان ، ويرى العارف قلم صنع الله

يمعن الجميع نظرهم فى وجهك ، ولكن من يحبون ذواتهم لا يميزون الحق عن الهوى

تعلم الحب منى وإذا لم يطل بى العمر فاطلب شجر المغروسة بأول تربة سعدى

لا يلوم أى عاقل مفيق سكرنا (قل لصاح ترك الناس من الوجد سكارى)

تجاوزت حدود الصدى فهات أيها الساقى ذلك الماء وابدأ بإروائى ثم اعط الصحاب

كنت لا أفتح عينى من قبل من منامى الهنئ ، وفى يوم فراق الأحبة سوف أودع النوم الوداع ليلا

إذا وقع نظر أى زاهد على هذا المعشوق عند مروره أمام المسجد أبطل الزاهد الصلاة

أنا هذا الصيد الذى لا أعبأ بحياتى فإذا رمانى بسهم وقفت أستقبله بصدرى

لا يعرف أحد مثلى مقدار حبيبى الذى يشاركنى أنفاسى ولا تدرى السمكة قدر الماء إلا إذا فارقته

كنت أضرب بيدى وقدمى والماء قد بلغ وسطى ، والآن أعتقد أن الماء لا نهاية له ولا قرار

وأنا الآن غارق حتى أجد الساحل ، وما أحكى لك عنه إنما هو آلام قلب غريق

لو ارتكبت خيانة حمَّلنى غرامتها ذاك القاسى ، فهذا الكافر يقتل الأعداء وذاك القاسى القلب يقتل الأحباب

إن الرقيب العازل يصرخ من ازدحام المشتاقين إليه . وسبب شدو المطرب على بابه الإزعاج للبواب ، إن قاسيت جوره ياسعدى فلا تقترب إليه ، لكن أنى لمثلى أنا الأعمى أن يتحاشى فخاخه . لقيت ذاك المحبوب المدل سعيدا وقت الطرب فهات ياساقى كئوس الخمر واشد أيها المطرب بألحانك

الليلة وقد تنوَّر حفل العارفين بشمع وجهك فتلطَّفوا ولا يشعرن بكم الماجنون الهائمون بهذا الجميل

ظلم أن أخفى أسرار هموم عشق كهذا ، فبح فى أذن الناى برمز حتى يرفع به صوته

عيناك أيها الوليد تشهدان بأنك شربت الخمر البارحة فابحث عن رفيق يستر أسرارك

للوجه الجميل لذة وللصوت الجميل متعة ، فانظر كيف يكون التمتع بالمحبوب الحسن الصوت

عيناه التركيتان وحاجباه يضربون روحى بسهامهم ، فمن يارب أعطى هذا القوس ذاك التركى الذى يمطر سهامه ؟

أنا طائر معقود الجناح ، لهذا قابع بالقفص ولو حطمت القفص عنى لأظهرت لك كيف يكون التحليق

امتلأت شيراز بالجلبة والصياح لفتنة عينه الجميلة ، وأخشى أن تحطم شيراز كلها فتنة منه

أوقعت فى شباكك ياسعدى طيرك الذكى الجميل لكن المشكلة أنه لا ، يستطيع أحد أن يوقع فى حبائله الصقر الملكى

إنى لأحب هذا النواح الذى يشوى القلب فلعلى أمضى نهارى بأى شكل به

أما ليلى فينقضى فى انتظار صبوح الوجه ، لأن الصباح الذى ينير الدنيا ليس له مثل صباحته

ألا ليتنى أرى ثانية وجهى الذى يفيض الحب حتى أظل حتى القيامة أشكر طالعى السعيد

إن أنا أشحت بوجهى عن حجر الملامة فأنا امرأة ، إذ أن الرجال المغاوير يتدرعون بأرواحهم

لا مفر للناجحين من تجرع الفشل ، ولابد من أن يصطبر على برد الشتاء من يبتغى الربيع

والعقلاء الذين يجنون الثمار غافلون عن سر ليلى ،لأن هذه الكرامة ليست إلا للمجنون المحترق المحصول

ولعشاق الدين ومحبى الدنيا خاصية ليست للزهاد وطالبى الجاه

فأوقع غيرنا فى شباكك لأننا أنفسنا عبيد مطيعون ولا يلزم من يسعى إلى تعلم حرفة أن تقيد قدماه

انقضى ياسعدى الأمس والغد بظهر الغيب فاغتنم فرصة يومك هذا بين ما فات وما سيأتى

الليلة تقرع الطبول بسرعة وفى غير موعدها ، أو يجوز أن وقت إيقاظ طائر السقف لم يكن فى موعده

هل كانت هذه لحظة أم ليلة نهبت من عمرنا ونحن على حالنا صامتون فشلنا فى تحقيق أمورنا

أنا طلق الوجه وخجلان وسعيد ومتحسر جميعاً لأنى لا أقوى على القيام بتبعة هذا الإنعام

إن تطأ مفرق شعرى شرفتنى بقربك ولا أدرى عذراً لوطء قدميك إلا تقديم رأسى إليك

بما أن الحظ السعيد النهاية قد تصالح معنا بالكلية فذره حتى ينفث روحاً فى السيء المثال والختام

صار سعدى علماً فى العالم فأبلغ الصوفى والعامى بأننا نعبد الأصنام إذا كانت كهذه الأصنام

قم حتى ينحنى هذا الدلق الأزرق اللون جانباً ونرمى إلى ريح العربدة هذا الشرك الذى اسمه تقوى

تتجدَّدُ قبله فى كل ساعة مع عبادة الأوثان فاعرض علينا التوحيد حتى نحطم الأصنام

شربى الخمر مع الشباب يجعلنى أتمنى أن يتعقبنى ، أنا الشيخ الثمل ، الصبيان

يمكن بباعث عجز قطمير الناس أن يجعل جنون العظمة (بلعام) كلباً

من مضيق خلوتى يهجس خاطرى إلى الصحراء بأن ريح السحر سوف تبشر البستان

فلا تغفل لو أنت عاقل ، وكن ذا فطنة لو أنت عارف فيمكن ألا تصادف ثانية مثل هذه الأيام

حيثما يميس سرو البستان بقدمين من الخشب نجعل بدورنا ذاك السرو الفضى القوام يتراقص

عقدت قلبى بناكث عهدى ، منظور عينى ، راحة قلبى ، لا ، لا تسمه راحة القلب ، بل هو مزيل الراحة من القلوب

أضعت فى الحزن عليه الدنيا والدين والصبرو العقل ، وحيثما ضرب السلطان خيامه خمدت جلبة العامة

تهطل الأمطار دموعى وتشب النار من سحابى ، فقل للناضجين إن الأفجاج ليس لهم حرقة كلامى هذا

إن سعدى لا يسمع لوما ولو فقد حياته من أجل هذا السرو فاطرد الصوفى الثقيل الظل وهات يا ساقى كأسك

ماذا يفعل العبد حين لا ينصاع للأمر ؟ وماذا تصنع الكرة حين لا تعجز أمام الصولجان ؟

لو رشق السـرو الفارع المقـوس الحاجب سـهامـه فـالعاشق هو من يسـتـقبل نصـاله بعينيه

فخـذ بيـدى إذ تجـاوز عجـزى حده وارفع رأسى فأنا أهرق روحى على قدمك

ليت الحجاب انزاح عن ذاك المنظر الحسن حتى يرى جميع الناس النقش البديع

حارت عيون الجميع فى أوصافك حتى لا يعيبونى ثانية بالحيرة

لكن ذاك النقش الذى أراه فى طلعتك ليس كل المشاهدين يرونه

شـكـوت إلى الطبـيـب حال عينى الباكيتين فقال الثم مرة ذاك الثغر الضاحك

فقلت هل ستوافينى المنية فى هذا المرض ؟ لأن من المحال أن أحصل على هذا الدواء

لم أدفع كفه وساعده الفتى بعقلى ، فغاية الجهل دفع السندان باللكم

لا يخشى سـعدى لـوم الـلائـمـين وهيـهات أن يـأبـه الغـريق فى النيل بالمطر

فتطامن بجبـهتك لو جزت رئاسة ميدان الإدارة ، ولا فوت لك من أن تكون كرة لهذا الميدان

انظر ذاك المحيا الذى أخفى بحسنه القمر وذاك شرك الجدائل وحبة الخال السوداء

لم أسـمع قط أن سـرواً تسـربل بالبـقاء ولـم أرَ تـاجا على مفـرق الشـمس ، لو بعُثَتْ صورة مثل صورته يوم القيامة لاعتذر الفاسق عن ذنوبه بألف عذر

أسمعت أن يوسف سقط أسيراً فى تجويف جب ، وهذا أيضـاً هو يـوسفى له تجويف فى ذقنه

ينظر إلى محبيه كما ينظر السلطان إلى عسكره بتكبر

كل خـطـوة يخـطـوها هذا السـرو المستقيم من الظلم ألا تمسح بحبات العيون

لن أستطيع صبـراً أكثر مما صبـرت على فـراق وجـهـه ، وأنَّى للقش أن يتـحـمل ثقل الجبل ؟

فيا أيها النائم الذى لا تسمع آهات صدر السهران لا تَعِبْ عليه فلآلام القلب آهات

فلا تعاود ياسعدى حديث السكر وصراخ العشق فالعيب عيب الخانقاه

وامح دفتر الشعر الذى نظمت ولا تنظم شعراً من بعد إلا فى الدعاء لدولة سلجوق شاه

فيارب أدِم عمره حتى يثيب بلطفه الأبرار ويعاقب بقهره الأشرار

وليثبت فراشه طناب بلاطه كالمسمار فى حلق عدو دولته

***

لن ينقص قدر الملك شيئا لو بذل قليلا من العناية فى حق الشحاذ

وحياة الحبيب إن العدو لا يرضى بأن يعتقل إنسان معروف له أمامه

إنما لا يحل لعبيد الملوك أن يطردوا فقيراً عن معسكرهم

ولو جُرت فلن يتغير رأينا بل سوف نزجى ألف شكر عن كل جفاء

كل الناس ترجو سلامة النفس إلا أنا الذى أشترى بروحى البلاء

لا يدرى حديث العشق من لم يضرب طوال عمره باب الدار برأسه

طار خيالى فى كافة أرجاء العالم وعاد ولم يجد مكانا أجمل من حضرتك

فاسجد برأسك فى صحبة العاجزين سجود من يقبِّل تراب القدم

يمكن أن تجد قباء أجمل من هذا على جسد لكنك لن تجد جسداً أجمل من هذا داخل قباء

إذا لم تستر وجهك وهو بهذه اللطافة والحسن فلن تجد ثانية زاهداً فى (زهدان)

فلا تثقل- وحياتك- قلبى المطعون بأعباء فراقك ، فالبقة لا تتحمل ثقل حجر الرحى

لن يتصادف وجود مثلي في وفائه ، لأنني لا أنقض عهد من نقض عهدى

لن يضيرك أن تسمع دعاء سعدى فيحتمل أن يقترن دعاؤه بالإجابة

***

لو سأمت من مجالستنا زايلنا المجلس فَمُر بخدمة نستطيع تقديمها

قمنا ورسمك فى نفسنا حتى إن مجلسنا لا يخلو منك حيثما حللنا

انشب مخالبك حين تنشب في ذاتك أنت ، لأننا مكسورون فماذا ستفيد من كسرنا ؟

لم أجترح جريمة يعاقبنى عليها ، ولكن حبيبنا التركى السكران لا يقتل الناس حسب الشرع

الحمد لله أن هذا المعشوق لم يف بعهده فلعلى ، أنا عاشقه ، أتوب

ألم أقل لك يا سعدى إن إمكان ارتفاع وضاعتنا إلى علو سوره العالى أمر صعب ؟

حين كان يطوف قلبى المستهام بالبساتين كان فوح الورد وأريج الرياحين يفقدنى الوعى

وكان بلبل يصرخ مرة وكانت وردة تمزق ثيابها أخرى فتذكرت ونسيت البلابل والورود

يا من كَلفُك فى القلوب وقفلك على الشفاه وثورتك في الرءوس وأسرارك فى الأرواح

نقضت كل عهودك حين واثقت عهدك ، ويجوز لى من بعدك نقض كافة المواعيد

وما دام شوك هَمِّ عشقك مشتبكا بذيلى فمن قصر النظر التوجه إلى البساتين

إن من يقعده عجزا مثل هذا المرض لا فوت من أن يتخلى عن كافة الأدوية

وإن عانينا فى طلبك جاز - بما إن عشقك حرام - أن يسهل علينا طى القفار

وأنا واحد من جملة الضحايا إن نشب بقلبى الجريح كل سهم فى جعبته

وكل من له نظر على الحبيب القوسى الحاجبين لا مناص له من أن يكون درعا أمام كل النصال . يقولون لا تطرِ يا سعدى كثيراً أحاديثك فى عشقه ، لكن سأنظم شعرى فيه وسوف يتناقله الناس من بعدى

***

لا نهنأ سائر ليالينا فافهم يا نائم الدهر

يموت العطشى فى البادية والماء يجرى من الحلة إلى الكوفة

هل هذا هو الوفاء بعهد الأصحاب يا صلب القوس وواهن الميثاق ؟

فراشى المغزول من فراء السنجاب أشواك فى جنبى بدون وجهك

يا من مآقى العاشقين على وجهك كوجوه المجاورين على المحراب

استسلمت لما قضى به العشق وتوجهت فى الشيب إلى الكُتَّاب

والسم من كفِّ اللطيف الظريف ينزل فى الحلق كالجلاب

والمجنون على ربع الحسان لا يؤلمه جفاء البواب

لا يقتل سعدى قط إلا فراق وجه الأحباب

***

أى البدرىِّ الطلعة لا تعرض بوجهك الجميل عنى ، كيف ترى صائبا قتلى بدون ذنب ؟

رأيت فى منامى البارحة أنك فى حضنى و لا أظن أن هذا لن يحدث إلا فى المنام

بسبب باطنى المشتعل وعينى الدامعتين نصفى فى النار ونصفى الآخر فى الماء كل من يطرق بابى أظنه أنت والعطشان المسكين يظن السراب ماءً

أرواح الفقراء هدف لنصله ودماء المساكين خضاب لأظافره

يقول الخطاب فيخلب الألباب وينثر الملح والناس فى كيٍّ واحتراق

من الحيف أن يستتر جسده فى قميص ، ومن الظلم أن يتنقب وجهه بنقاب

أحط بالعرق المتقطر مما وراء أذنيه حتى تكتسب ثيابك أرى الجلاب

إن جميلا بيده شمع فتنة إذا ثقل رأسه بالنوم وسكر رأسه بالشراب

فلا تخف وجهك من الصباح حتى المساء حتى تخفى جمال الشمس

إن أردت يا سعدى أن تكون كالصبح على صدره فلا محيص لك من تحريك أذنك كالرباب

***

وا كرباه أيها المسلمون من نَرْجِسَيْهِ الساحرتين الخداعتين اللتين استلبتا منى كرَّة واحدة الصبر والسكينة والتحمل

له وجه تركى وجديلة وخال زنجيان ، وله حاجبان يفضيان بالعتاب كقوس شاشى

رأيت من عجائب الدنيا اثنين وثلاثين أعجوبة لكنى أراها جميعاً فى وجهه بلا حجاب

وهى القمر والثريا وعطارد والزهرة والشمس والقوس والصنوبر والعاج والورد والنرجس واللعل والورد والخضرة والخمر والوصل والقرب والبان والخمطى والشمع والصندل واللبن والقار والنور والنار والشهد والسكر والمسك والعنبر والدر واللؤلؤ والرمان والتفاح

ظهرت على وجهه معجزات الأنبياء الخمسة : أحمد و دواد وعيسى والخضر وزوج ابنة شعيب

فيا أيها المعشوق إن مت ولم أذق طعم شفتيك فلسوف ينتصف الله العادل لى منك يوم الحساب

لم تسمع يا سعدى بوجه التحقيق هذه الحكمة وهى أن لكل انحدار ارتفاعاً ولكل ارتفاع انحدارا

***

رحلت ومائة ألف قلب متشبثة بركابك يا روحى ، كيف يمكن لأصحاب القلوب الاصطبار على فراق أرواحهم ؟

كأن من لا يطيق العتاب لحظة واحدة سوف يتحمل فراقك مدة

وحتى تطلع كالشمس ثانية من الشرق فأبصارنا جميعاً على الطريق ونحصى الأيام

سوف أسقط على قدم الرسول الذى يبلغنى منك رسالة ، وسأضع رسالتك على رأسى

لن تبارح قلبى مثل الآخرين لو فارقت بصرى لأنك ممتزج بروحى ومحتجب عن عينى

إن الأمل فى يوم وصلك يهب الناس الحياة وإلا استنزف فراقك دماءهم من القلق

فى بستانك كيف يضحك الرمان من بعدك وينضر السفرجل ويحمرُّ وجه التفاح ؟

سوف يصاب الناس بالإحباط فى هذا العيد لأن عيدهم حين تصل سوف يزينونه ويحلونه

لا تقلق وأنت تجتاز هذه الطلعة الميمونة ، لأن الإقبال سيكون نصيرك فى الرخاء والشدة

خاطر سعدى هو رفيق سفرك بحكم أن خلقتك البهية تخلب الألباب مثل شعر سعدى

ألا رافقك التأييد والنصر والظفر كل صباح ومساء حين تضع قدمك فى الركاب

***

حركاتك الخلابة متناسبة وموزونة وكلامك الذى بلا حساب إلينا مُبرَّر وفى محلِّه

وإن أنا عجزت عن تحمل ظلمك الذى لا فوت منه أفلا يكون الذى يتأذى من عتابك رجلا له نظر ، وإن أنت خصمى فلن أفارق مرمى سهمك ، ولو أنت سيل لى فلن أتحاشى انحدارك

لا يسعك قياس ولا يحيطك وصف ، حرت فى أوصاف جمالك ووجهك وبهائك

لو أبلغنى حظى عرش الملك فلن أسعد سعادتى بكونى عبداً يتبعك طوال عمره

عجباً لمن ظل على زهده فى هذه المدينة ، لأنه لم يشهد وجه الذى يفتن الزهاد

لا تدرى وأنت بالخارج بماذا يجرى من عشقك فادخل وإلا أضرمنا النار فى حجابك

أنت شجرة بهية المنظر تثمر كل الثمار ، ولكن ماذا أفعل ويدى عاجزة عن بلوغ تفاحك

لم تشهد ليلة منتظراً فكيف تدرى كيف انقضى الليل على من ينتظرونك فارغى الصبر ؟

ويا ليلة الفراق نفسك أى ليلة أنت بهذا الطول ، انقضى فقد ذابت روح سعدى من مخاوفك

***

كل من أوقعه خصمه فى شباكه لا مناص له من أن ينصاع إلى مراده

وكل من لم يذق العشق ما صار رجلاً ، ولا يظهر نقاء الفضة إلا إذا انصهرت

ولم يتجه مصلح قط إلى ربع العشق إلا وفقد الدنيا والآخرة

قد انشغلت بذكره حتى ما عرفت الانشغال بنفسى

ليس أطيب من شعرك يا سعدى فهو تحفة الزمان لأهل المعرفة

فثناءً على لسانك العذب الذى ألقى كل هذه الثورات فى العالم

***

يخبو مع الزمان عند كل امرئ إلا أنا فحبى يبقى كما كان بل يزيد

إذا لم تسمح لى بدخول حضرة قبولك فإلى أين أتجه إذا لم أتجه إلى عتبة العبادة ؟

هل سأحاسب يوم القيامة وأنا الذى عاينت هجر وصلك ؟ فلماذا إماتتى وإعادتى ؟

سمعت عنك أنك تنظر إلى حال الضعاف وأصابتنى الحمى وسعد قلبى وهو ينتظر عيادتك

إن منحتنى – أنا المهزوم – غمزة من طرف عينك صرت فلكًا فى عظمتى والمشترى فى سعادتى

آتى إليك لأبلو نفسى فى مقدرتها ومكنتها ، وأرحل لكى أمتحن ، وأنا بعيد عنك ، صبرى وجلادتى

لسوف تشهدنى بلا ريب مقتولاً تمامًا يومًا وقد أخذت بيدى حبى بذيل قاتلى

إن حملت جنازة سعدى إلى ربع الحبيب فما أزهى حياته الطيبة الذكر ومماته على الشهادة

***

أوثر أن تستر وجهك القمرى حتى لا يُرى كالشمس فوق كل سقف ودار

لا يكون الجُرم غريبًا عنك لو أنت طالعت وجهك فى المرآة وقفز قلبك من صدرك

ما يثير الضحك هو إزجاء الكلام العذب أمامك ، لأن الماء العذب يجرى حين تضحك من فمك السكرى . لا أستطيع التأوه من الشوق إليك وقت السحر ، فلا يجب أن يثير تأوهى منامك بالسحر

لا تزيد أى زينة شيئًا على حُسنك ، ولم تزين أى مشاطة من هو أجمل منك

قلت مرارًا : لا تظهر وجهك أمام كل من هبَّ ودبَّ حتى لا يتأمله نظر كل عديم البصر

ثم أعيد القول : لا ، إن هذه الصورة والمعنى الذى لك لا يمكن أن يراه إلا أهل النظر

لا فوت لى من إرشاد مائة عدو إليك حتى أصادف منهم صديقًا يبلغنى أخبارك

لا يضيرنى أن تطير رأسى أيها المدل اللطيف ولا تضطرب شعرة من رأسك

ولا يهتم سعدى بأن يفترش التراب ، فهو لا يريد الزحام على معبرك

***

أتيت كالعبد فى حِماك لأنى أعدم سلاح قتالك

أنا متفق على حبك ومعتقد ثانية بك

ليس لدى مشتر ثمن وجهك ، وأنا مع إفلاسى مشتريك

لدىَّ الغيرة وليس لدىَّ القدرة على أن أخفيك عن أعين الأغيار

مع أننى بلا قوة كالنملة الضعيفة إلا أننى أقتل نفسى وأتحمل أعباءك

ما تلويت فى شباكك بحيث يغدو مخلصك أسيرك

قلت عندما رأيتك أول مرة حذار من عينك السكرانه السفاكة

أحرى بالعيون ألا تغمض بدونك حتى ترى فراق رؤياك

أنت ملول وأحباؤك مشتاقون ، وأنت فرَّار ونحن طالبوك

ترى عين سعدى مناماً فى منامها أنك سحرت الناس بعينيك الساحرتين
أى ضير للعيون اليقظى بسببك وأنت لك هاتان العينان الناعستان ؟

***

لا تظن أن نجاحاً يحصل بلا مرارة من الشفاه العذاب العبارة
يقع الفراق بين الأحبة وتجرى الربح والخسارة فى التجارة
حين ترى واحداً قتله محبوبه فأبشر بذلك محبيه الآخرين
لا أعرف واحداً قط فى عهد حسنك له قلب إلا وعدم البصارة
طرف العين الخلابة يقتلنى كأنه إشارة
لو وقعت هذه الحلوى فى يد صوفى لن يخشى الله يوم أن ينهبها
أعجب من بواطن العاشقين لا تحرق حرارتها القمصان خارجها
قد ألقى جمال الحبيب من الظلال ما أخفى سعدى بسبب حقارته

***

تحرم الخلوة بدونك ، ومن الظلم أن توصد بابك على مثل هذه الطلعة
إذا وقع ذيل العظمة فى يدك فلا تدعه وإلا ما عاد ثانية إلى يدك
أى نظرة هذى التى سفكت دمى ؟وأى ملح هذا الذى نكأ جرحى ؟
ما نهض من سقط بسهمك ، وما نجا من وقع فى فخك
تقيدنا جميعا بقيدك ، طائر سقط فى شركك وسمكة فى شعبك تلقى الصبر صفعة فهرب إلى طريق ، ورأى العقل البلاء فاعتزل فى زاوية

يمكننى تحمل أعباء المذلة ولا يمكننى نقض عهد المحبة

وهذا الرمق المتبقى فى وجودى أمام وجودك لا يمكن القول إنه موجود

إن عابد الوثن لو أدرك المعنى ما سجد قط إلى صورة

كل من سكر كسعدى بالعشق ما تمنى السكر من خمره

***

قد همت مفتونا بشعرك وسكرت بنشرك حتى غفلت عما يجرى بالدارين

لا تنظر عيناى إلى وجه غير وجهك ، فإن خليلى قد حطم جميع أصنام "آزر "

لا يدعنى خيالى أنام ، ولا يجدر قفل باب الدار فى وجه المعارف

كل أسير يطلب النجاة من سجنه ، ولا أود النجاة من قيدك ما دمت حيًا

أنا عبد دولة الذى يعبد واحداً لأنه تعلق بواحد ونجا من ألف

أنا مطيع أمرك ولو أردت إحراق قلبى ، وأسير حكمك ولو أعييت جسدى

يفيق فى مساء القيامة من شرب خمر صباح يوم (ألست)

نظراتك معلقة بك والآخرون منصرفون إلى أنفسهم ويسكر المتلذذون بالخمر والعارفون بالساقى

إذا لم تقعد أيها السرو الميَّاس فكم من الفتن ستثور فى أهل المجلس

فلا تنصحونى إخوتى وسادتى ، فقد خرج اختيارى عن يدى وسهمى من قوسه

احذروا مطر عينى سعدى ، لأن القطرات إذا اتصلت صارت سيلاً

اسمك يطيب إلى قلبى ولكنهم للأسف هم متعجلون فى فهم حديثى هذا

***

لا يجدر أن تعتبر من لم يفقد قلبه بسبب هذه الطلعة أن له قلباً

فلست منظوراً حتى يمكن محادثتك ، ولست خصماً حتى يمكن النجاة من وهقك

قلت في نفسى : اتق عينيه ، والمفيقون لا يخالطون السكارى

ألا ترى أنامله المخضوبه ، قد لوى يد الصبر وحطمها

لا يمكن النهوض بحرية من مجلسه ، ولا يمكن الجلوس معه براحة

ليس من دخان بلا نار ، وليس من دم بلا قتيل

خياله في نظرى فكيف يأتينى فى المنام ، ولا يجدر قفل الباب على وجه الأحباب

ولا يحق حرق محصول الفقراء ولا يجب جرح قلوب المتألمين

لا تقدر على قطع حبل المودة فى النهاية ، لأنه كان ينبغى ألا تصل نفسك به فى البداية

قد خرج قلبك عن طوعك يا سعدى والسهم المارق من قوسه لا يعود ثانية

***

انتشر أريج الورد وشدو الطير وآن المرح وقضاء الأيام فى الصحراء

نثر فراش الخريف أوراق الشجر فزين نقاش الصبا كل الخمائل

ونحن لا نفكر فى التريض بالبساتين ، فمكان فرجتنا حيثما تولى

يقال النظر فى وجه الحسان منهى عنه . لا ، ليس هذا النظر الذى ننظره

فى وجهك سر صنع الله بادٍ كالماء فى القارورة

أحول عينى الشمال حتى لا تراك غير عينى اليمين

كل من لم يمهره مهر حبك هو حجر صوان

سوف تحرق النار التى بأسفل وعاء الجنون أخضرى ويابسى يومًا ما

نحيب سعدى المتجاوز الحد يقال إنه يخالف رأى العقلاء

لكن المستريح على شاطئ البحر لا يدرى شيئًا عن ورطتنا

***

هذا الولد إذا قام تكسر فى مشيته ، سرو حين يسير مستقيمًا

حاجباه قوس يقتل العاشق ، وجديلته شرك عقل العاقل

علوه هذا لو قيل إنه يوجد فى الشرع ما كان علوًا ، بل يتأرجح بين التسفل والاعتلاء

يا نارًا تحرق محصول الأعزاء اجلس فقد أثرت ألف فتنة

اقتلنى بلا جرم فأنا عبدك المملوك ، وانهب بغير مؤاخذة من الشرع فالدار للنهب

أتحمَّل مرضك لأن مرضك هو دوائى ، وأشتاك بشوكك لأن شوكتك تمرى

إن قبحت الإشارة لأحد بالبنان جملت إذا كانت الإشارة إليك

السلامة واجبة لك والملامة سهلة إذا كانت موجهة إلينا

أهرق سعدى روحه تحت قدمك ، وكان يطلب هذه المنزلة من الله

هل تريد أن يحتظى بالحياة الأخرى ؟ قل له أن يغدو قتيلاً لنا خالصًا

***

لم نسمع من قبل أن مثل هذه الفتنة قد ثارت حين خرج من منزله وزين الأسواق

لا يسع الوهم جاذبيته وحلاوته ، ولا يتسع الوصف حسنه وجماله

يفارق الصبر والقلب والدين والتحمل والسكينة الإنسان ويظهر من طعنته قوة شكيمة

فلا تحجب وجهك بحق الله عن النساء والرجال حتى يشاهدوا صنع الله من اليمين والشمال

العين التى تراك ولا تذهل من القدرة الإلهية لا يمكن أن يقال لها إنها بصيرة

فماذا تفيد الدنيا وما معنى الفردوس ؟ إنه لا يمكن طلب حاجة أفضل منك من الله تعالى

لايعيرنى صراخى بسبب همومك ، لأننى لا أعتقد أن ما بى من ألم لا يتجاوز شخصى

ماذا نفعل ونحن لا نرتضى بجورك وجفائك ، وإن زايلتك القدرة والمسكنة فلا مندوحة من المداراة ، الصبر على فراق طلعتك ليس صبراً بل موتاً ، والسم من يدك ليس سمًّا بل حلوى

حلقك وثغرك وشفتاك وأسنانك لذة ومتعة ، ولكن من الذى سيحتظى بهذه اللذة ؟

إن سفحت دمى وجملة الخلق لأقررنا أن ذنب ما فعلت منا

لا يستطيع سعدى إلا أن يستسلم إليك ، فإن خضع لك أو لم يخضع فيدك هى العليا

***

ما أسعد البقعة التى يستريح فيها الحبيب ،إنها راحة الروح وشفاءُ القلب للمريض

ليس لى إلا صورتى الميتة وحسب فى مقامى هنا ، لكن قلبى حيث يقيم ذاك الفتان العيَّار

جسمى هنا سقيم وقلبى هناك مقيم ، والفلك هنا لكن الكوكب السيَّار هناك

إن تحمل يا نسيم الصبا عبقًا وأريجًا فمُر بشيراز واقتبسهما من حبيبى فيها

من الذى أشكو له بثى وحزنى الذى أعانى ، لأذهبن هناك فهناك محرم أسرارى

لا يميل فؤادى إلى التريض فى الرياض ، لأن تريض قلبى حيث يقيم من تعلق به قلبى

فيا سعدى إن هذا المنزل الذى تهدمه مكانك فاعقد أحمالك إلى حيث ينزل الأحرار هناك

***

تعشقت فانبعث عقلى يلومنى بأن من عشقه ودعته السلامة

وكل من اختلى بجميل وردى الوجه استطاع أن ينجو من الملام

هل سمعت عن واحد أثار جواد هموم العشق ولم يثر فى عقبه نقع الندامة ؟

تغلب العشق فزال عن المعتزلين فى زاوية الصلاح الستر وشرف الكرامة

حيثما جلس فى بستان الورد الضاحك هذا نهض السرو الحر على قدم الخسارة

لا أدرى بأى رونق تفتحت الوردة ذات المئة ورقة ؟ أو بأى قدٍّ وقامة وقف الصنوبر ؟

حين قعد عن سعدى متكلفاً قعدت الفتنة وحين انبعث واقفا انبعثت القيامة

***

ليست تلك ضفيرة وحلمة أذن بل نهار وليل ، وليس ذلك علو الصنوبر بل ارتفاع النخيل

وليس فماً يتوهمه العليم بالكلام إلا إذا تحرك بالكلام وأدرك هذا أنه فم وشفتان

اشتعلت نار وجهك فى الناس بحيث لم يعد الاحتراق عجيباً بل عدم الاحتراق

ليس إنساناً من لم يعشق فى الربيع وكل نبات لا يتحرك فى الربيع إنما هو حطب

أتظن أن تحرك السرو بسبب ريح الصبا ؟ لا ، بل إنه يطرب من شدو طيور الخميلة

كل من ليس به ما بى من ميلٍ إليك إنما هو خفاش أعمى أمام ضياء شمسك

أود أن ينقضى عمرى فى طلبك مع أن طريقى أقصر من خطوات طلبك

لكل قضاء سبب وينقضى أجلى فى همومى من حبيبى ، وآلام فراقه سبب نهايتى

لا أقدر على البوح بما أُعانى إلى غريب ، فليس من الأدب الشكوى من الحبيب إلى عدو

لكن حالتى محال أن تظل خافية خاصة وأنت تمزق الدروع وحجاب سعدى مصنوع من القصب

***

ذاك البدر أهو فى نقاب أم حورية يدها مخضبة بالدماء ؟

وهل تلك وسمة على حاجبى الحبيب أم قوس قزح فوق الشمس ؟

بلغ السيل الزُبا يا حبيبى فلا تتجاوز الحدود فى جفائك

فعد إليَّ إذ إن بنا من همومك عينًا واحدة وألف عين ماء

القسوة والجفوة والفظاظة وكل ما تفعله طيب حسن

أطيعك في كل ما تقول ، روحى موقوفة على شفتك وعينى على خطابك

يا من طلعك باب من أبواب الجنة إن قلبى مشوى على ملح شفتيك

قلت سأطفئ النار بماء لكن نار قلبى لا يطفئها ماء

لا يطيق أحدٌ على فراقك صبراً ، ولا تهنأ عين بنعاس بسبب همومك

ولا شك أن كل ما تشيده على ممر الطوفان مآله إلى الخراب

يا شهرة المدن وفتنة الخيل (في منظرك النهار والليل)

كل من لا يهوى صورتك دابة في صورة آدمى

يا دواء لمرضى مقبولا أقررت بالعبودية إليك

مهما فعلت من خطأ فأنت مصيب ، فأنت تعلم أننى لن أتحول عنك

مع أنك أمير ونحن أسراك ومع أنك عظيم ونحن حقراء أمامك

ومع أنك غنى ونحن فقراء ، لكن جبر خواطر محبيك ثواب

أيها السرو والمستقيم وشجرة الورد الغضة والقمرى القالب وضياء الشمس

الكلام أخذ وعطاء واستماع وخطاب ، ومثل ليالينا هذه ليست للمنام

الليلة هى ليلة الخلوة حتى طلوع الصباح أيها المسعد الطالع والعظيم الجد

أوقد الشمع بيننا أو لا توقده فأنت ضياء القمر

فأعطِ أيها الساقى قدحًا ماجنًا إلى طلاب المتعة المفيقين

واترك المجنون لحاله ، لأنه سكران بنا وليس بالشراب

غرور الحياة ريح ولوامع الشباب برق

فأدرك اللحظة التى يمكنك اقتناصها وعجِّل فالعمر فى عجل

فهذا الذئب المتضور الضارى لا يشبع من الناس

أبناء الزمان بمثال القمح ودوران الفلك كحجر الرحى

يا سعدى لست رجل وصاله حتى تفاخر جزافًا وتطلب قربه

فإلى متى سوف تظل تبحث عبثا ، أيها المتعطش إن طريقك لا ينتهى إلا إلى السراب

***

رؤيتك حل المشكلات والصبر عليك خلاف الممكنات

ديباجة صورتك البديعة عنوان كمال حسن الذات

شفتاك لو رآهما الخضر لقال إنهما حافة عين الحياة

ثغرك ليس فوهة كوز ماء ، إنه كوز من السكر إن فتحته

أخشى أن تدعى إتيان المعجزات بسحر غمزاتك يومًا

السم من قلبك ترياق والفحش من فمك طيبات

لم أشهد فى المدينة وجهًا مثل طلعتك يبطل الصلوات

أرى العهد منك وتوبتى من العشق كليهما لا يثبتان

فأطلل علينا إطلالة فى النهاية فلدولة حسنك زكاة

إذا احترق عطشان فى الصحراء ما يفيده إذا كان العالم فراتًا ؟

لا يغتم سعدى بالفناء لأن خروج أرواح العاشقين نجاة

***

سرور الخميلة أمام اعتدالك دان ووجهك بوَر سوق الشمس

وشمع الفلك ذو الألف نجم مشتعل خمد نوره أمام وجودك

يتوب الناس عن ذنوبهم فى شعبان وفى رمضان عيناك سكرى أيضا

سلكتُ كل هذا الاقتدار والرجولة والشجاعة حتى إننى لا أعرف رجلا أفلت من أحابيلك

فهذا من بين محبيك قتيل سيفك ، وذاك من بين عاشقيك جريح سهمك

تتمثل عيناى بحكاية المجنون إلى قلبى ، والقلب الذى لا يعشق ليس له عينان

فأخبر من اختياره بيده بقصر اليد عن ذيل المعشوق إن أمكنها

من لم يتعلق خاطره بمثلك أنت الروحانى إنما هو بهيمة تعبد أهواءها

من ينكر على سعدى يُعدم مذاق العشق والسكر فى فمه حنظل

***

فى كل صباح يهب عبق الورد من بستانك وتنتشر ألحان البلبل من أنفاس محبيك

لما رأى الخضر شفتيك المناحتين للحياة الخلابتين قال إن ماء عين الحياة هو رضابك

عقد يوسف خصره بحزام العبودية حين أيقن أنك ملك الملاحة

وكل جميل بدا أنه يستلب القلوب لم يجد طريقًا إلى قلب لأن القلوب هى مكانك

لم تسمع قط بصفة لحوض الكوثر لأنه يشبه ثغرك الذى لا وصف له

رأيت القمر كل شهر يشبه حاجبك حسداً من شمس جمالك فى السماء

وهذه الريح المربية للروح من أنفاس الصباح لعلها بعض من طرتك التى تنشر العنبر
أفرق مائة قميص من السعادة لو رأيت يدى تحيط بخصرك كالحزام
قالوا إنك تستضيف العشاق وسعدى تقبله من ثغرك ضيف عليك
مررت على ناصية ربع امرئ حيث سقط فيه كثرة من القتلى على غرارى
فأبلغ خبرنا إلى طيور الخميلة وأن من يساويكم شدواً وطيراً قد سقط فى قفص
وقل لمن هو سكينة قلبى يا أنفاس ريح السحر قد أصابنا السحر لما نفثت فينا أنفاس
ماذا يفيد القيد على قدم التحمل وهو شهد سقطت فيه ذبابة
لا يعيب أحد علينا عشقنا له إلا من سقط فى شرك هواه وهوسه
فيا سعدى لا يدرى حال الكرة المضطرب إلا من ارتهن كافة عمره بصولجان معشوقه

***

هل هذا هو أنت أم سرو بستان سائر على قدمين ؟ أم أنك ملاك فى صورة إنسان ينطق

ذاك الملاك الذى استتر عن الخلق عهوداً طويلة ، أراه قد ظهر ثانية فى العالم

هل يحرقون يا صاح العود أم أن الورد يتنفس فى البستان أو قافلة المسك أتت من بلاد التتار

منذ أن تعرفت على نقش طلعته بدا كل ما أرى إلى عينىَّ نقشاً على جدار

ياحادى القافلة ألق نظرة فى وجه ذاك الجميل البديع فإن ضحيت بروحك من أجله فأنت المشترى له ، لن أمكث فى منزلى من بعد أسيراً حزيناً خاصة حين يقال إن الورد وصل الأسواق

وإن أنت أنكرت حكمة الإيجاد والخلق قلت لك إن عينك قد خلقت لأجل مشاهدته

لو شاهدت وجه حبيبى ثانية رأيتنى ميتًا قد بُعِثَ ثانية حيًا فى الدنيا

ما يجرى علىَّ فى أسرك يا سلوى الروح أحكى عنه لمن وقع أسيرًا وحسب

الناى الذى ينوح دائمًا فى مجلس الأحرار إنما ينوح لأنه أصيب بجروح كثيرة

فلا تظن أن عينى المسهدة سوف تهنأ بنعاس بعد فراقى لعينيك الناعستين

لا تنح يا سعدى من جور حبيبك إذا كنت ذا هِمة ، فالُمحب يتجرع جور المحبوب ما بقيت الحياة

***

من الذى يدرى كم طول ليل الفراق حتى انبلاج الصباح إلا من أسره سجن العشق

افترض أننى من فرط حزنى اتخذت طريقى إلى الرياض فأى سرو يشبه فى سموه قامة حبيبى

من الذى يبلغ رسالة منى إلى حبيبى المنقطع الوداد ، إنك صرمت حبل الود ولازلتُ واصلاً له

فلأقُسمن بحياتك ، لا بل بتراب قدميك وهو قسم لو تعلم عظيم إن عينىَّ لا تزالان تطمحان إلى رؤيتك مع نقضك العهود وصرم حبل ودك

فهلمَّ ، فقد بسطنا وجوهنا فوق ربعك بدل التراب لكى تطأها بقدميك

ثبَت خيال وجهك مسمار الأمل ، وهدم بلاء عشقك أساس الصبر

والعجب من أنك مجتمع وإن تَقِس فبأسفل كل انحناءة بشعرك قلب متفرق

وإذا لم تكن مجردًا وبدوت جسدًا يظن أن قميصك محشو بالورود

لست أنا الوحيد الذى ضاع فى هذا الجنون فى أكثر الأيدى التى تتضرع إلى الله منك

فراق الحبيب الذى تظنه هيِّنا كقشة هلُمَّ وانظر أثره على قلبى ، إنه طود عظيم
لم أعد أقوى على التأوه لضعف طاقتى وأخشى أن يظن الناس من هذا أن سعدى راضٍ بحبيبه

***

واأسفاه على تلك العين التى لم تشهد وجهك أو تلك التى رأتك ثم نظرت إلى وجه آخر غيرك

لو رأى المدعون رسمًا للملاك لعلموا سبب تمزيق المجنون ثيابه

من الذى رسم نصف دائرة بالمسك الأسود حول شمس جماله ؟

لو عثُرت قدمك أيها العاقل بحجر فَهِمت لماذا قطع (فرهاد) الأحجار

لا يرحم قلب فرهاد المسكين من لم يسمع كلمات (شيرين) العذبة

ليس فى المدينة قلب لم يخفق فى صدره كالحمامة بسبب تقوس خرز حاجبيك

بدا سر قلم القدرة الإلهية المتعالية فى وجهك كما يظهر الوجه فى المرآة

لا نتمنى منك غيرك فهب الحلوى من لم يذق المحبة

لا عجب مع كل هذا البلاء الهاطل على رأس سعدى أن تقطر عينه ماءً

***

أيها الدمية الضاحكة من الذى امتصَّ شفتيك اللعلية ، ويا حبة اللطافة من الذى مَضَغ وجهك ؟

لم يصطد أحد طوال عمره صيدًا أفضل منك ولم يقطع شمامة قط أحلى منك

أيها الخضر لا أُحِلَّ لك عين الحياة ، أتدرى كم من المحن لاقاها الإسكندر للوصول إلى هذه العين ؟

أذاك دم أحد سفحته أم خمر صهباء أو توت أسود تقطرت عصارته على ثيابك ؟

تُخالط الجميع وتهرب منا وليس الذنب ذنبك وإنما ذنب حظنا الجافل

حسن أن سقط السور برمته حتى لا يدعى أحد أنه لم ير تلك الروضة التى كانت بداخله

لا تظل الثمار فوق الأشجار طويلا إذا علمت العامة أنها نضجت وحلت

ولم يفتح الورد بدوره فى ذاك الأسبوع فمه فهب النسيم السَحر اليوم ومزق أستاره

وفى دجلة حيث لم يكن البط يعوم خوفًا تجرى السفن الآن بعد أن حطم التتر الجسور

مضى ذاك العهد حين كانوا يزيلون القناع عنك ، ومن بعد ليس لنا غير بعض ما فى الكأس الذى امتصه الغرباء

فتريض يا سعدى فى بستان هوى محبوب آخر واترك هذا القتيل فقد رعاه القطيع

***

حديث الحبيب أجمل من كل ما يجرى ، وخطاب العارف بالنفوس يربى الأرواح

أسمعت قط بالوجود الحاضر الغائب ؟ أنا موجود وسط الجمع لكن قلبى فى مكان آخر

الجميل الذى لم يكن شمعًا فى الجمع قُل له أن يموت فإذا كان فهو المنير لو انعدم السراج

أبناء الزمان يتوجهون إلى الصحراء والحدائق ، وصحراء الأحباء القلوب وحدائقهم هى ربع الحبيب

أجتهد لكى أرمى بروحى على قدميه شوقًا لكنى حِرت فلا تزال روحى نُزلاً حقيراً له

ألا ليت آب المغاضب لنا مصالحًا ، فلا تزال عينى - أنا المشتاق - معلقة ببابه

أحرقتَ حبيبى قلبى كالعود على النار وأنفاسى التى أنفثها من همومك هى دخان المجمر

ليالىَّ بِدونك ليل القبر فى خيالى وصباحى بغيرك هو صباح الحشر

ضفائرك هى عنبر كامل فوق جيدك ، وهل يحتاج المعشوق الصبوح إلى زينة ؟

تخيلت عبثًا يا سعدى آمال الوصل وقتلك الهجر ولا زِلت تتصور الوصال

فحذار هذا الأمل الطويل الذى يخالج قلبك وهيهات من هذا الخيال المستحيل الذى يختمر برأسك

***

هذا الروح المربى للروح من عرق حبيبى ذاك وماء الحياة من حوض كوثره

يا نسيم الجنان أليس من نافحة بوسطك ؟ويا أيها الطائر الأليف أليس من خطاب فى جناحك ؟

أعبق الجنة يفوح أم نسيم الحبيب أو قافلة الصباح التى تنير الدنيا ؟

هذا الرسول من أى أرض مسكيَّة الأريج ؟ وهذه الرسالة ما فيها وعنوانها معطر ؟

هل وضعوا العود على النار مهب الريح أم أنت نفسك فتات المسك المنثور على الأرض ؟

فَعُدْ واضرب الحلقة على باب الماجنين من شوقك فلا تزال أعين الأصحاب مثبتة كالمسامير على بابك ، عُدْ لأن عينى فى فراقك يحدوها أمل عودتك كأذن الصائم التى تتلهف على سماع أذان المغرب

أتعلم كيف نقضى أيامنا ؟ إن اليوم الذى ينقضى بدونك هو يوم الحشر

قلنا سنداوى العشق بالصبر لكن عشقك كلما زاد فى كل يوم نقص الصبر فينا

إن غابت صورتك عن عينى فأخلاقك قائمة فى نظرى ، وإن توارت رؤياك فى حجاب فمعانيك نصب عينى

كيف تسع رسالة أحاديث عشقى ؟ إننى أتوخى الإيجاز فقصتى لا يسعُها إلا ديوان شعرى

سعدى كشجر البادية محترق ببرق الشوق لكن ثمار شعره نضرة لدنة

أجل إن الأنداد يسعدون برائحة العود ويغفلون عن الاحتراق الشابٍّ فى روح المجمر

***

لا يمكن أن تصف بالعقل كل امرئ ، لأن العشق شىء وعبادة الهوى شىء مختلف

ليس كل عين ترى سوداء أو بيضاء ، وهل البصر هو الذى يميز البياض عن السواد ؟

وكل من لم يطق الاكتواء فى نار عشقه قل له لا تقترب واسقطى أنت أيها الفراشة

إذا أنا شكوت من الحبيب فلستُ صادق الأنفاس ، يغفل عن الحبيب من لا يغفل عن ذاته

إن الآدمى الصورة إن دفع شهوة النفس عنه كان آدميًا ، فالمستسقى أشد عطشًا إليها

وأنا بنفسى لا أفهم حديثا بسبب عشق شفتيك ، وكل ما تقول سكر ولو كان علقمًا حنظلا

ولن أخاصمك ولو قطعتنى بسيفك إربا ، وإنما أخاصم من وقف درعًا بينى وبينك

لن أطلب الخلاص من قيدك طول عمرى ، والقيد منك بقدمى هو تاج على رأسى

إن يد سعدى لا تنفصم عن ذيل حبيبه ولو جافاه ، ولا يمكن التخلى عن اللؤلؤ لأن البحر يكتنفه الخطر

***

صراخى بسبب فراق الحبيب ، وصياحى بعلة هموم المعشوق .

وجهى كخضاب النقش بلا وجه ذاك الجميل البدرى

انسال دم كبدى من فرقتك فسحَّ من عينى وانحدر إلى جانبى

تجاوزت آلام فؤادى الحد وطارت نفسى شعاعًا من فراقك

ولا يعلم أحد بهمومى ، وا أسفاه فالدنيا لا تدوم

أنا فى عذاب من فعل الزمان وروحى وقلبى جريحان من مسلكه

فلماذا تشكو يا سعدى من حبيبك والسرور والحزن لا يدومان ؟

***

عيناك جميلتان ويزيد جمالهما بعد النوم ، ورضابك أحلى من السكر الصافى

الحذر من بسمتك الحلوة التى تفوق الضحكة البرعمة النضرة عذوبة

قلت : سوف أطفئ الشمع أمام وجهك فلا يحتاج نور القمر الأبهى إلى الشمع

كنت البارحة أتمنى النوم الهنيء ولو للحظة ، أما الليلة فالنظر إلى وجهك أحلى عندى من النوم

جلد القنفذ أرقُّ من فرو السنجاب فى مخدع العاشق لو كان رأسه على صدر حبيبه

لو دعانى بلطف لأعبر بحر المنار لكان عبورى فوق النار أطيب لى من الماء

لا تحادثنى عن السلسبيل الجارى والخضرة والصحراء والشقائق فالنظر إلى الأحباب أشهى

لا تسقنى السم بيد الرقباء الأفظاظ ، بل اسقِه من يدك فهو عندى ألذ من الجلاب

لن يولى سعدى ثانية وجهه إلى زاوية الوحدة ، فالخلوة حلوة وصحبة الأصحاب أحلى

كل باب من هذا الكتاب المنقوش تنمقه أبهى نقشًا من أى باب ولو شابه الجنة

***

القلب العاشق والصابر ليس غير حجر وما بين العشق حتى الصبر ألف فرسخ

فلا تنصحونى يا رفاق الطريقة ، لأن التوبة عن العشق قارورة تصطدم بالصخر

لم يعد التستر فى التراب والسماع واجبًا علىَّ ، لأن حسن السمعة فى دين العاشقين عار

أى وعظ أسمع أو مصلحة أرى وعينى على الساقى وأذنى على الصنج ؟

تشبثتُ بذيل نسيم الصبا فى تذكرى واحداً من الناس ، ومن أسف قبضت علىَّ الريح

من الذى يحمل رسالة منا إلى الغاضب منا يقول هلم فقد ألقينا دروعنا واستسلمنا لك

فاقتلنا قدر استطاعتك لأن بدون مشاهدتك تضيق علينا الأرض بما رحبت

إن العذل لا يزيل العشق من قلب سعدى ، والسواد لا يفارق الحبشى لأنه لونه الطبيعى

***

جذور سرو البستان فى الطين وجذر المعنى لسروِنا فى القلب

كل من وقعت عيناه على مثل طلعته تيمن طالعه وأقبل فأله

المخلصون لى ينصحونى ، وضرب الطوب فوق البحر بلا جدوى

فيا أخى نحن فى غمار الدوامة ومن يشنع علينا آمن على الساحل

قوة الشوق تغلب الصبر ودعوى العقل باطلة مع العشق

ينسبون الغفلة إلى العشق بينما من ليس له معشوق هو الغافل

أرأيت متعطشاً يحث الخطى نحو الماء ؟ كذاك الروح تهرول إلى حبيبها

بذل المال والجاه وترك السمعة الطيبة والسيئة هم أول منزل فى طريق العشق

لو مات طالبا فى أسر حبيبه فهذا أمر سهل ، إنما المشكل هو حياته

كان عاشق يقول وهو ينتحب : إن ما يريح روحى أن حبيبى هو قاتلى

فيا سعدى عند العاشقين المجانين هم الناس والمجنون هو العاقل

***

إغماض العين عن رؤية الحسان أمر مشكل ، وكل من نصحنا بتركهم عبثًا فعل

لو فاض قلب بالخوف من الحبيب الجميل فإن رؤية وجهه فى الصباح هى الصباح المقبل

هو الذى فى تجويف ذقنه انحبست قلوب المساكين كالملكين المحبوسين فى سجن جُبٍّ بابل

كنت أدعى من قبل التقوى ، وأعيد قولى إن كل دعوى من ذاك القبيل باطلة

لو ارتأى العقلاء أن السم قاتل فهو الشفاء العاجل لو أخذته من يد حبيبك

لا أستطيع تجاوز ربع الحبيب فاعذرونى خِلاّنى ، فقدمى مغروسة فى الطين

انتظر حتى يُسلم جميع العقلاء بجنونى ولا يمكن ترك الحبيب لكى تقول إننى عاقل

من يقول إن النظر فى وجه الحسان إثم ، إنما لا يرى غير الوجه ويغفل عن المعنى

فقُد ياحادى القافلة قافلتك ببطء لإنك تحمل سلوك فؤادى ، إلإبل تحمله على ظهورها ونحن نحمله على قلوبنا

لو وقع البين بينى وبين الحبيب بمسافة مائة منزل فسوف يبقى منزله العزيز بوسط روحى

سهل يا سعدى أن تحب كل امرئ ، لكن إذا ارتبطت بإنسان بات من الصعب الانفصال عنه

***

الشراب من يد الحبيب سلسبيل ولو كان دماء السكارى نفسه سبيلاً

لا أعرف ما مذاق الرطب وإنما ما أراه هو التمر بأعلى النخيل

ليس هذا وسماً عليه بل إنه مخضب بسبب تعلق القلوب به ، وليس ذاك كحلاً فى عينيه بل هو كحيل بسبب سحره الألباب

أنامل هذا العارف الخلاَّب ليست محنَّاة بل مخضبة بدماء قتيله

فاندفعى يا قافلة بمحملك ، لأن أقدامنا مصفدة عن الرحيل

كل ليلة تنقضى على المجنون فى فراق طلعته إنما هى ليل طويل

تجر أحبولته بسرعة قدم المشتاق ، فلا يعود المشتاق يسأل كم تمتد الصحراء

ولا محيص له من السير متعثراً كالنمل ولو كان طريقه موطئ أقدام الفيل

حيثما يتجلى الحبيب ولا يفتديه محبه بحياته كان المحب بخيلاً

نستحى عاراً من طاعته ولو حسنت ، وتجمل منه ولو قبحت

للأحباء والمحبوبين بدل ولكن حبيبنا الجميل بغير بديل

فلا تتجاوز عشق سعدى فى حديثك ، لأن الحديث لا يعدو العشق وغيره هزل وهزر

***

أمورى كجديلتى الحبيب متشعثة متخالطة ، وظهرى كحاجبى المحبوب مقوس

تجرع الهمُّ شربة من دماء قلبى وقال هذه هى سعادة الإنسان فى هذا العهد السعيد

أقلبى وحده المرتهن بالهموم ، أو أن القلوب السعيدة بنفسها فى هذا العهد قد قلَّت

ولأن قلبى ينتصف من نفسه لكل همٍّ وغمٍّ ينتابه فقد خلصُ الإنصاف وسلم العدل لحكمة عالم العشق

أتدرى ماذا قال خيال طلعتك فى عينى ؟ قال : هل من مكان آخر بدل مقامى هذا الدائم الرطوبة ؟

أتود أن تعرف حالى بوضوح النهار ؟ سل سواد الليل فهو بدوره كاتم أسرارى

ألا ليت كانت بينى وبين حبيبى نفس الصلة التى بينى وبين الألم

***

خَرَّقت علىَّ أنا الذى اصطبحت بالخمر خِرقة الزهد فأرشدونى يا رفاق المجلس إلى الحانة

كل امرئ سلك طريقا للسعادة فى دنياه ، وقد اكتملت لنا همومك أيها البدر الملكى الطلعة

فقم لكى نجلس فى ظل سرو ، لأن الموضع الذى تجلس فيه هو سرو القيامة

ثنيات جدائلك هى فخاخ قلوب الناظرين إليك ، والخال فى حلمة أذنك ليس إلا حبة الفخ

لا يحرم علىَّ خمر الجنة ولو شربت الخمر مع مثلك أيها الند فى مثل هذا المكان وفى هذا الوقت

فأبلغوا محتسب المدينة بأن يحاذرنا ولا يرمى مجلسنا بحجره فهو من زجاج

لا تدعنى غيرتى بأن أقول إنه قتلنى حتى لا تعرف الناس اسم معشوقى

واحسرةً فقد نضجنا فى هذا الاحتراق الخفى ، ومن لا يدرى عن نارنا خبرا هو الفج النيئ

فلا تقلق يا سعدى ، فإن جلست حيث يقع عليك نظر الحبيب فى حلوق التماسيح تحقق لك كل النجاح

***

ليلتُنا هذه بحق صباح منير ، والعيد هو عيد ، وصال الحبيب على رغم أنف العدو

أريج الجنة هو الذى يهبُّ أم نسيم الرياض أم نكهة فمك أم أريج ذوائبك ؟

ما كان أعز عندى وآثر من جسدك وروحك عينى التى برأسى وروحى التى بين ضلوعى

أطامن بعنقى لطاعتك وأصيخ بسمعى لقولك ، لأن خاطرى متعلق بعنقى وأذنى

لا يسعنى فى الدنيا فراق وأنا بعيد عنك ، فالعالم فى عين المحزونين عين إبرة

فلا تحسر أيها المليك ظلك عن الفقير ، فلا فوت من وجود الجانى حيث يوجد المحصول

يعجز العاشق عن تفادى يد العشق فحيثما ولى تعلقت بذيله

لا يغادر المحبوب الحلو داراً بدون رقيب ، ويعرف السكر أن الذباب لا يندفع عنه إلا بالمروحة

جور الرقيب وعزل أبناء زمانى لا يؤثران فىَّ كالثور الذى يقرع الطبول كما يروى

طير البازى الملكى يأكل قلوبها الحسد لأن هذا البازى الملكى اتخذ من قلب سعدى وكنة له

أنَّى للقلب الرقيق أن يُخفى حديث العشق ، ومهما غطيت شيئًا بالزجاج بان وظهر

***

هذى الريح أهى نسيم ربيع البستان أم عبق وصال الحبيب ؟
يستلب القلب هذا الخط المرقش المنقش كأنه الخط بوجه مستلب القلوب
فَعُدْ أيها الطائر المرتهن بشرك القلب فقد حان وقت مبيتك
إنى أذوب والشمع ليالى طويلة ، ولهذا فاحتراقى لا يعلم به الناس
وأذناى طوال النهار مصيخة السمع إلى طريقك وأنا فى انتظارك ونظرى على عتبة دارك
وإذا سمعت صوت مؤذن قلت إنه جرس القافلة
فَعُدْ مع كل ما أظهرت من عداء لى ، فما عداوتك إلا نفس صداقتك لى
تعجز أنامل الصبر أمام قوة ساعدى عشقك
بكاء أحبائى المواسين المخلصين بسبب تفريق الجسم عن روحه
ونواح سعدى المؤلم بيان لدعوى محبته
أضرم النار فى بوص الأقلام ، وهذا الحبر الذى يسيل إنما هو الدخان

***

هذا الخط الشريف من ذاك البنان ، وهذا نقل الحديث من ذاك الفم
وطيب عبير المعرفة هذا يفوح من ساحة الحبيب اللطيف
فضضت الخاتم عن رأس خطابه فكان كأنه غطاء زجاجة العطر
ألم يكن رسوله هو غزال المسك لأنه كان يحمل نافجة المسك فى وسطه ؟
أى عبارة لطيفة هذه التى خطها ؟ وأى بيان بديع هذا الذى دبجه ؟
بات معلوماً أن هذا الحديث العذب قد انتشر من منطق ذاك السكر
ولا يجدر أن ترمى هذا الخط إلى الأرض لأنه من جانب قمر السماء

وسوف تخرج يومًا روح سعدى ، لأن هذه الحياة ليست حياة دائمة

فالسعيد من يخرج الحديث السلس المنساب من شفته خروج الروح من الجسد

***

لا تسلنى كيف قلبك فى يده ، وإنما سله هو فإصابعه منغمسة فى الدم

ولو أجبت فأنَّى للسليم المعافى أن يعرف كيف حال باطن المجروحين ؟

لا يطالع حسن طلعته ليلى العاجز الذى يتعقب المسكين الذى هو المجنون

كل إنسان يتخيل خيال وجه حبيبه ، وأنا أتخيل من يخرج عن الخيال

سعيد من تخرج من بيته إذ يغدو صاحبه بوجهك فألاً ميمونًا

بمثل هذه الشمائل الموزونة والقدِّ الجميل الذى لك ، إنَّ ترك عشقك ليس من العقل الموزون

لو أن أحداً تراجع عن عشقه بسبب اللوم والعذل فحبى لك يزيد مع كلمة تقولها

لم يأمر الملك من ينادى بتحريم الخمر فأقبل إلىَّ وعيناك سكرى وفمك خمرى

منذ أن بان جانب سعدى عن وجهك وجانبته صار كأنه جانب نهر جيحون من سيل دموعه

***

من اقترن بك جَدَّ جَدُّه ، وما شاخ من دخل فردوسك الأعلى

لن أتوجه إلى القبلة من الآن إذا أشرت إلىَّ بأنك أنت القبلة

هل الموضوعة على باب خيمتك هى المرآة بمواجهة الشمس أم هو شعاع جبينك ؟

لو أزيل العالم بأسره من لوح الفكر فما بارح عشقك لأنه نقش على فص خاتم

اعتزلت جانبًا عن الخلق وليس من فائدة لأن جانب عينك استقر فى طيات عزلتى

حتى لا تتصور أننى صبور على فراقك فاعلم أن كل أنفاسى التى أتنفسها هى الأخيرة

حيثما قرع حسنك طبل العشق تصاعدت الصيحات بأن الإغارة على القلوب والدين موشكة

قل :أفقرك الله من المال والدنيا وحطامها فإننى أرى وجهك هو ملك وجه الأرض

لا يموت العاشق الصادق بطعنة حبيبه ، فاسقنى السم الزعاف فهو لى الماء المعين

بعد أن عرف سعدى الطريق الذى يفضى إليك إذا سلك طريقا آخر كان فى ضلال مبين

***

لم أر قط وجهًا تجمعت فيه كل المعانى من التعقل والجمال والزهد وحسن الخلق

ما تخيلوا حبيبًا كان مثلك حبيبى ، وما عشقوا معشوقًا كان شبهك معشوقى

لسوف ألثم تراب قدميه وأهدر كرامتى له فماء وجه المحبين لدى المحبوبين مهدر مثل ماء الشعير ، مَرآهُ ومقاله هما حسنه ، وحاجباه وعيناه فتنته ، وسموه هو نادرته ، وطبعه ودينه هو مسلكه المقبول

أثوب إلى رشدى وإذ ذاك أصف طلعته فمن تستفسر منه عنه فى هذا الميدان حائر ككرة الصولجان

يعيب علىَّ رفاقى تمزيقى قميصى ، وأنا عديم الوفاء إن مزقت قميصى ولم أفرق جلدى

هو التراب المنبت للخضرة والريح الناثر للورد والماء العذب والسحاب الممطر باللؤلؤ والهواء المسكىّ الفوح

حين ينهمر المطر على الرءوس يرتهن الصوفى بالفكر والنظر ، والمدعى فى جدال ، والعاشق فى بحث دائب

خَلِّ كل من آثر الاختيار والإرادة لأن المجذوب المجنون هو من اعتقل قدمه حبيبه الغالى

إذا علَّقت عينك بالحبيب فلا تعقد أذنك بالعدو ، والعشق والسمعة الطيبة يا سعدى هما حجر وزجاج

***

يهلك يا معشوقى المحب فى هوى المحبوب لأن حياته فى هلاكه

يستوى أمامى جفاؤك ، وكل ما أعجب المحبوب استطابه المحب

أنا وعشقك توأم بطن واحدة فى هذه الدنيا روحان حللنا بدنًا ولُبَّان فى قشرة واحدة

كل ما يجرى على رءوس الأحرار جميل خاصة إذا كان من يد المحبوب الجميل الطباع

أَعْجَزَ قلبى شغفًا سرو سامٍ خلاف عادة تلك السروات القائمة على ضفاف الجداول

رأيت البارحة فى المنام أننى مسكت ضفيرتيه فأصبحت وما زالت رائحته الغالية فى يدى

طفت بروحى كل العالم مثل الكرة بسبب عشقه ولا يزال الصولجان يتعقب الكرة

تنظر جماعة إلى دمعاتى الخارجية ولا يدرون شيئا عن النار بداخلى

كل ما ترى من حبيبك هو مراده ، ومراد خاطر سعدى هو مراد خاطره

***

لا يطول السفر بطالب الحبيب ، لأن قتيله هو الحى أبداً

يسكر بالمعنى حين يدخل مجلس السماع ، وما حاجة من يمزق جلده إلى الثياب ؟

كل من وقع نظره على وجه منظورنا استسلم له لأنه خصم معربد

وحتى لا تحقرن دمعات الفقير فإن قطرات الماء إذا تجمعت كونت نهراً

لا يبرحِ المشتاق إن وقع فى أحابيله فلا يفيد إذن نصح الناصحين ويغدو وعظهم عبثا

حين ترى ساقطًا وسط التراب فاسأله من هو الصولجان ولا تسله من هذا الكرة

عبادك المخلصون لا يسألونك لماذا وكيف فافعل ما شئت من شر فهو خير وهذا جائز لك

أى قدر لسرو فارع فى وجودك ؟ وأى فوح لغالية أمام تراب قدمك

أكثر العقلاء من نصحى ولم أسمعهم ، قالوا لا تسلم قلبك إلى خمرة المحبوب فهى حجر وهو زجاج

لو تجمع على رأس سعدى ألف عدو فلن يحكى عن الحبيب إلا الحبيب

قصة العشق مكتوبة بدمع عين دامية فلا تنظر إلى الصفحة الأولى منها فهى متعاقبة الصفحات

***

لا يلوح إلى ناظرى من أقول إنه يماثلك ولا يتراءى إلى أعين العاشقين صورة كالحبيب

كل من يجالس السكارى يترك الستر وكرامة الطيبى السمعة فى الحانات مهدرة كالخمر

لا يؤثر السماع إلا فى أرباب المعانى ، فلابد لك أولاً من العقل حتى تخرج عن جلدك

أنا عبدك سواء كان على رأسى التاج أو التبر ، وكل ما يجرى على العشاق من المعشوقين خير

ما كان العقل (يحكم) على ملك الوجود إلا وكان فرهاد يتعشق شفتيه (العذبتين) [1]

إن استقصيت صولجان جديلته العنبرى لرأيت بأسفل كل شعرة قلبًا حائراً مثل الكرة

فمهما بالغت يا سعدى فى وصف طلعة الحبيب فإن حسن الورد يخرج على قياس البلبل الكثير الشدو

***

يضحك الصبح وأنا بكَّاء من همِّ الحبيب ، فيا أنفاس الصباح ماذا تعرفين عن مقدم الحبيب ؟

أبكى على نفسى وعلى ضحكك فلماذا تبتسم وأنت تجهل مبسم الحبيب ؟

فأبلغ يا نسيم السحر منى رسالة إلى سكينة فؤادى وهى أننى لا أعرف سواه محرمًا لى أنا مُحبه

وقل له لا تحقرن محبك من أجل الأغيار فالعدو يعجبه كثيراً أن تقلل من قيمة محبك

لو نظرت إلى خصمك نظر الحب فهذا أفضل من أن تغض من قيمة تعظيم محبك لك

لست أنا بالنحو الذى ذكره عدوى عنى بأننى أهتم بنفسى جيداً والعدو جاهل تماما بعالم الحب

---

١ - الحكم (خسروى) والعذب (شيرين) فضلا عن (فرهاد) تضمين لحكاية خسروا وفرهاد هذين العاشقين لشيرين المشهورة .

لا أيهـا النسـيم لا تذهب ولا تحك عن حـالى أنا المعنًى حـتى لا يعلق غـبـار بقـلب حبيبى الهانئ

كل يبكى على ليلاه هو أما قلب سعدى فلا يغتم كل وقته إلا بماذا يفعل مع هموم الحبيب

***

ما لم تجعل من يديك حزامًا على خصر الحبيب فلن تنال قبلة كما يتمنى قلبك من ثغر الحبيب

أتعرف ما معنى حياة القتيل بسيف العشق ؟ إنه قضم تفاحة من وجهه الذى يشبه البستان

أبطل قصة عشق خسرو وشيرين الثورة التى شبت بينى وبين حبيبى

الخصم الذى لم يقتله فى الغزو سهم الكافر أهرق دمه حاجب الحبيب الذى يشبه القوس

ضاع قلبى ودمى بصرى وضعفت روحى ، وهذا كله لكى أفتدى حبيبى بروحى

سوف أقع يومًا أمام ساقى جواده العربى إذا لم يلو عنانه الكِبر والدلال

إذا لم يحسن التضحية بالمهجة من أجل صورة فهى أحسن وأولى فى ربع العشق وفوق عتبة الحبيب

سوف أحمل معى هذا الشوق حتى تربتى ، وسوف أطل برأسى من تربتى وأبحث عن الحبيب

يصرخ الناس جميعًا من أعدائهم ، لكن صراخ سعدى بسبب قلب حبيبى القاسى

***

هبت بالصباح الريح حاملة ترابًا من ربع الحبيب إلى الصحراء فتحولت إلى بستان عنبرى من عطر الحبيب

إن رضى الحبيب عنا فهذا مجد عظيم لنا وإذا لم يرض فلا فوت من التلاؤم مع طبع الحبيب

إن قبلنى كنت له عبداً عانيًا ، وإن طردنى فما غلبت قبضة ساعد الحبيب

وكل من ترغَّب خاطره محيا الحبيب فلابد من أن يتشعَّث كشعر الحبيب

يفرح غيرنا بالعيد ويكفينا أنفاسه ويرى الصائمون الهلال ونرى نحن حاجب الحبيب

كل من يجول فى ميدان العشق غائبًا عن ذاته أنَّى له أن يسقط بصولجانه كرة الحبيب ؟

لا أسب عدوى فيكفى هذا الشقى أن يرى المحب مجالسًا لحبيبه

كل امرئ يحب التوجه إلى الحدائق والصحراء ويولى كل واحد وجهه إلى حيث يحب ، أما العاشق فيتجه إلى حبيبه

ألا ليت الرياض والجنان التى يمتدحونها كانت بلبلا كسعدى أو وردة كخد الحبيب

***

إن جلست قبالتى غرست فى محبتك وإن غبت فصفتُك بقلبى

لا يستقيم شرح حسنك بالقول الفصيح لكنى سوف أشرحه ما بقى لسانى بفمى

لا أدرى أهذى قامتك أم قيامك ، فمن يقول إن مثل هذا السرو الفارع موجود ؟

يمكن تشبيهك بالقمر لكن لا أظن أن للقمر مثل هذا الفم العذب

لن أسجد إلا أمامك ، وإذا عدمت الوسادة فعتبتك موجودة

فاذهب يا سعدى فربع وصل الحبيب ليس سوقًا بل مكانًا بقدر الحبيب

***

لا تسمع يا حبيبى كلام من يقول إن لى حبيبا غيرك أو إن لى شغلاً بالليل والنهار غير التفكير فيك

لم أسقط وحسب فى أحبولة جدائلك ، بل إن بكل حلقة شعرة من شعرك أسيراً

إن قلت إننى لست منشغلا بك فإن الأبواب والجداران تشهد بأننى مشغول بك

كل من ينتقد عشقى لك ويلومنى يظل ينكرنى ما لم يرك

إذا لم أستطع الصبر على جور العاذل فماذا أفعل ؟ والجميع على علم بأن الشوك يلازم الورد

أنا طموح طماع فى عشقك وإلا فمثلى كثير محترق وسط خيلك

حملت الريح ترابًا من مقامك وأتت به فصار ماء كل طيب فى دكان عطارة كل عطار

ما الذى يرضيك بأن ألقى به تحت قدميك ؟ لا يمكن أن ترقى روحى ورأسى إلى قدر رميها تحت قدميك

سوف أنضو عنى يومًا هذا الدلق المرقع حتى يعلم الناس جميعًا بأننى أعقد زنار الكفر

إنى لأكتوى فى كل طريقى إليك بكى المحبة بسبب أننى لست ثملا والإفاقة وعدم السكر حولك

عشق سعدى ليس حديثًا يخفى بل قصة تدور فى كل المحافل والمجتمعات

***

من الذى ليس بخاطره سر التعلق بك أو ليس له نظر إليك اللهم إذا عدم النظر

لا يحل أن يرى طلعتك كل إنسان ، فليس يحرم النظر الظاهرى على من لا يحل له رؤيتك

ليس كل شخص يحظى بما أحظى من سعادة لأنى أرى ما لا يظهر للآخرين

يتحول الليل إلى نهار وللنهار زوال ، وليل وصلى بمعشوقى ليس له نهاية

كل من انشغل بنظرات المحبوب واهن فى حبه لأنه لم يصبر على ألم الجفاء

ومن رأى أناملك المخضوبة قال لا يندر من يُقتل بهذه اليد

فانظر إلى شعر رأسى لأنى لا أعرف شعرة واحدة فى جسدى لا تلهج بذكرك

يعلم الجميع أن المجنون المسلوب الفؤاد يحتال بالصبر ولكن ماذا يفعل إذا لم يستطيع الصبر ؟

كنت قد قلت سوف أنثر لك هموم قلبى لكن أقول ملء فمى إن قلبى ليس مستعدا

سهل إن سقطت من أعين كل الناس فلا تظن أن ليس لمخذولك ناصر

لا يأبه سعدى بكل العالم إلا بك ، والهمة المصروفة إليك ليست قاصرة

***

يا من قلت ليس من مُشْكل قط كفراق الحبيب ،إن اقترن به وصل الحبيب فلن يظل صعبا

كان ينبغى أن يفيق الناس من رقدتهم من انهمار عبراتى ، لكن من عجب أن أبكى الآن ولا يستفيق أحد

ينبئ عن قلبى سهام رموشى الحمراء على بياض وجه شاحب فلا حاجة إلى الشرح

كنت أنتقد المجانين فلا جرم أن صرت مثلهم مجنونا وجنونى جزاء وفاق لجرم انتقادى

يا نسيم الصباح إن اتفق ومررت على حضرة الحبيب فأقرئه منا الثناء لأنه لا يستقبلنا

كم مرة أخاطب الجداران من فرط اضطرابى وإن شكوت هموم قلبى إلى بشرى فلن يفضل الجدران ، شحنا بوجهنا ولساننا عن أحاديث الناس وإن توجب الحديث عن الحبيب فلن يكون مع الأغيار

أنت قادر على كل ما تريد إلا أن إيذائى حين تضرب مفرقى بسيفك ليس إيذاءً

تحمُّل اللدغ واجب من أجل العسل ، وحمل جبل بيستون على ذكرى شيرين ليس عبئا

تشبه السرو إلا أن السرو لا يسير ، وتشابه القمر إلا أن القمر لا ينطق

لو جُنَّ قلبى بعشقك فلا تَعِب عليه فإن البدر يدركه النقص والذهب يلحقه العيب والورد يصحبه الشوك

لا أوحش الله من هذا القدِّ والعلو لذاك السرو الفارع لأنه عديم النظير تحت هذه القبة الدوارة

يقول أصحابى اضرب خيمتك يا سعدى فى الروضة وأنا أحب وردة ليست فى أى روضة

***

يعدم الروح من ليس له حبيب ويضيق عيش من ليس له بستان

وكل من لا يعشق صورة فهو صورة لكن بدون روح

إن كان لك قلب فأسلم به إلى الحبيب ، ألا ضاع ذلك البلد الذى ليس له سلطان

ما أسعد القلب الذى يختلج بالحب وما أهنأ الفكر الذى لا يصبر على الحب

الأرض والسماء عمياوان لأنهما لا يريان بسبب انعدام الإنسانية بهما

العارفون الفقراء المتألمون يسمون ملوكًا ولو خلا وفاضهم من الخبر

سألت العشق عما حدث للعقل فقال قد عزل ولم يعُد له أمر وحكم

آلام العشق تفضل سلامة البدن مع أنه ليس للعشق دواء أكثر من الصبر

كل من سَعِد بعشق بدر حاز المجد الذى لانهاية له

الدار سجن والوحدة ضلال لكل من عَدَمَ الروض مثل سعدى

***

أتـدرى أننـى هـائـج وأنـا بـدون وجـهـك ولا تطـيـق كل أيـامـى أعبـاء فراقك

لا تهتـز شعـرة بجـسـدى خـالية من ذكرك ولا جارحة من جوارحى إلا بفكرك

لم أَهْوَ أكثر من رؤية حبة الخال الذى بوجهك فلما رأيتها لم أتخلص من شراكك

أمـضى ليلى فـى انتظار طلوع النـهـار وحـين لا أراك بالـصبـاح لا أطمع أن يأتـى علىَّ الليل

منـذ أن فتـحت عيـنى ورأيت طلعـتك عـزفت عـن رؤيـة النـاس بهذه العين

فلا تُنزل بى أيها الجميل المدل الجور الذى لا يصدر عن كافر وإن جَحَدتك فليس له من الإسلام حظ

فأبلغ كل المدينة أن يأتوا لقتالى ومعاداتى أنا الذى لا أدرى فى خلوتى الخاصـة خبراً عن العامة

لم آت مـخـادعًـا حـتى أذهب مُـلامًـا ، وإنما التـزمتُ العـبـودية ولو لـم أجـد العـزة والإكرام

فـبحق الله وحـقك إنـنى بسـبب انشـغالى بحبك لا أدرى شيئـًا عن أعـدائى ولا آبه بسببى

أحبـك لو تـرحمت بى أو قسوتَ ، وحياة عينيك أنا الذى لا أتوقع منك إنعامًا

إن الذى يقول إن له قلبـًا وليس له حبيب هو حىٌّ غير متوازن يا سعدى

***

جُبِلْتُ على ألا أصبر على فراق الحسـان ، ولا أبيع الخداع ، ولا أتراءى بزهد ليس فىَّ

فـيـا منـظور كـل نـاظر إنك لا تتـأمل فى هذا الأمـر وهو إن كـانـت تـتـمـتع بقـوة الجـذب فلا طاقة لى بها

ترك حسان (الخطا)[2] عين الصواب ولكن ماذا يفعل من لا يتحكم فى نفسه ؟

لن أميل إلى التريض بالصحراء والتنزه من بعد ، لأنه ليس من وردة تشبه وجهك فى كل البساتين

فيا ملكىَّ الوجه الملائكى الصورة الجميل السيرة من لم يأنس بك ليس إنسانًا

نظرت فرأيت أن كثيراً من الناس عميت أبصارهم وغدوا كالصورة المعلقة على الجدار ليس بها روح

الأفضل للدرويش ألا يذيع هموم قلبه لمن لا يخفى هو هموم قلبه

ذاك الذى أنا حيران فى قلم قدرته لا أدرى مخلوقًا قط ليس فيه حيران

انتهى يا سعدى عمرك الغالى لكن قصة جنونك لا تنتهى أبداً

***

لا يقر لى قرار بنهار وصلى ، ولا اهنأ براحة فى ليل هجرى

أطيق فصل عنقى ولا أطيق الانفصال عن حبيبى

ملَّ المطرب منى وسأم لأننى لا أقوى على سماعه

يد المسكين حين لا تطال الحبيب فليس بحيلتها إلا تمزيق قميصها

نحن عاجزون مساكين فليس من حاجة لنصب الشباك لنا

تنشب يدك فى دماء عاشقيك فلا حاجة إلى أن تشهر سيفك

وقعت فى مربٍّ لا يفكر فى تربية عبده

قلتُ : أيها البستان الروحانى إن رؤية الثمار ليست كقضمها

فقال لا تتخيل يا سعدى عبثًا فإن التفاحة الفضية ليست للقطف

***

٢ -الخطا اقليم بالصين كان يشتهر بحسن نسائه كما يروى

لا أعرف أحداً فى هذه المدينة لم يقع بأسرك ، وليس من سوق رائجة مثل سوقك

السرو جميل لكن ليس بجمال علوّك ، والشهد حلو ولكن ليس بحلاوة نطقك

من الذى يراك ولا يعشقك إلا إذا كان خالى الوفاض فلا يستطيع شراءك

لم يرك أحد مرة واحدة فى كل عمره إلا وصار يدعو لك ويهواك فى كل عمره

ليس بشراً بل جسداً بلا روح من يقول إنه لا يميل إلى رؤياك

فيا من شهرت سيف جفائك لأعناقنا قد استسلمنا لك فلا نطيق قتالك

الجور مُرٌّ ولكن ماذا أفعل إن لم أعانِه بما أنه لا مهرب من شفتيك الحلوتين اللتين تثمران السكر

لى رأس وسوف أخسرها تحت قدمك وأنا خجلان من عار بضاعتى فهى لا تليق بك

فلا تحرمنى بحق جمالك من رؤياك ، فلست أطيق الحرمان من رؤياك

فإن لم تستطع تجاهل نفسك يا سعدى فارحل نائيــاً ، فليس من صاحب نظر يهتم بأمرك

***

ليس على الأرض من يناظرك وليس فى السماء قمر كوجهك المنير

لا أرتضى بقد السرو وقامته ، لأنه لا يشبه قامتك المحبوبة

لا أعرف واحداً فى كل المدينة يا قوسى الحاجب لم يصده سهمك

لا يستلب أحد قلوب الناس لأنه ليس من قلب إلا بأسرك

إن وجدت من يناظرنى فماذا أفعل وليس لى فى الدنيا من يناظرك

الظاهر أن القلب الذى يشبه الحديد لا يليق بصدرك الذى يشبه الحرير

ذاع اسم سعدى فى أرجاء العالم ذُكِر تولُّه سعدى بالعشق لأن اسمه ليس فى ضميرك

***

لم يعد قلب ليس كرة لصولجانك ، وليس لخصم مهرب من معتركك

لا أعرف متجمعاً لا يفترق فيك حين تجمعت أطراف ضفيرتيك المتفرقة

أنا فيك حيران وفى أوصاف معانيك وفى ذاك البصر الذى لا يحار فيك

أى عيب يوجد فى صورتك البهية ، وأى سحر لا يكون فى غمزتك الفَتَّانة ؟

لا يمكن القول إن ماء الحياة موجود فى الدنيا وإلا كانت فى تجويف ذقنك

نزلت من عند الله آية الرحمة على خلقه وأى آية لطف لم تنزل فى حقك ؟

إن تصبر عنى ويمكنك فراقى ، فبحق وصالك أنا لا أطيق هجرانك

أنَّى لك أن تنوح من شوكة أصابت قدمى ؟ ولماذا تغتم من ألم لم يصب روحك ؟

أنا مصاب بداء بسبب حسرتى من رؤياك ، وعجز الطبيب إذا لم يجد لى دواء وعلاجاً منك

فأين وقعت فى النهاية يا كعبة المقصود وليس بصحرائك حدٌّ فى أى طرف

إن طردتنى فماذا أفعل إن لم أطع أمرك ، وإن دعوتنى فلا أعجب من غاية إحسانك

هيهات أن يفلت سعدى من أسرك بل الويل لمن ينزل بسجنك

فالشعر لا يسعه مثل هذا المجلس إلا إذا كان شعر سعدى فهو الأجدر

ليس من جميل ظريف يشبه حبيبى التركى ، وليس من نسج متداخل يشبه ضفيرتيه الزائدة تغضناً وعقداً وثغره

وأَلَم تَرَوْا فَاهُ (ثغره) وقت الكلام ؟ إن تأملتم إلا وقت الكلام إن تاملتم فلن يشبه فى ضيقه قلبى

تبيد جيشاً بسيف نظرتك السفاكة فاضربه بها فليس به رجل يكافئك قتالاً

وقع ذيل وصاله فى قبضتى بيسر لكن من أسف لم تكن قوة قبضتى من شدة الإحكام لكى احتفظ به ، عجب إنه ليس مثل سعدى عبد لسعد بن أبى بكر الزنكى يساويه لطفاً وإخلاصاً

***

البارحة اضطربت روحى همًّا لفراق طلعتك يا روحى وفاض الطوفان من شآبيب عينى على وجهى من جنون قلبى

وغدا عقلى المسكين موطوء العشق فى لجج أفكاره وفارق النوم ناظرى لاضطراب قلبى المهتاج

قرع فراقك طبول الإغارة على مدينة قلبى ، وضربت شرطة عشقك حصارها على دار عقلى

نقش قلبى اسمك على محراب تسبيح الوجود حتى يتجه المسبحون بوجوههم إلى المحراب حتى السحر ، طفقت عيناى تبحثان وقيل لى لن ترى وجه المحبوب ففاضت عيناى بالدر ، فقد كان فيها الزئبق يتردد . كانت بداية أمرى تلوح غاية فى الحلاوة من السماء ، ولم أتخيل أن هذا الشهد يُضمر سما ناقعا . طريقك هذا يا سعدىٰ وعر سيره فى بحر العشق وفى بدايته أو نهايته لا يطيق السائر صبراً عليه

***

بلبل فكرى البارحة ذاك القاسى واستلب الحبيب قلبى واستحوذ على روحى

أخذت عينى تنثر الدر على ذيل ثوبى كأن لديها كما مليئا بالمرجان

يحترق داخلى من العشق وما دوائى إذا لم أنح وأنتحب ؟

لم أكن أتصور أن النهار سيطلع حتى رأيت السحر فأدركت أن له نهاية

فتح باب حديقة الجنة فهب منه ريح كأنه مفتاح رضوان

رأيت برعمة شدت خناقها بيدها مثلى بسبب نسيم الصبا

فأنا لست الوحيد الذى اختلب العشق لبه ، فلكل وردة بلبل ينشد غزله

ذاع سرى على الملأ وحتَّامَ يمكن ستره بالصبر ؟

لا محيص من إهمال روحك يا سعدى ، لأن القلب لا يسع حبيبين

***

من لم يتيسر له التصبر والقناعة لا فوت له من أن يعقد خصر الخضوع والطاعة

إذا اخترت حبيبا فلماذا تخشى العدو السفاح ؟ قل له انفخ فوق الملامة واقرع طبل الشفاعة

ولا تعترض بكلمة لو جار عليك كل الجور ، فتعذيب الحبيب أفضل من ذل الشفاعة

اصبر مقتنعًا بكل ما تقول فلا يمكن الصبر عليك وتستحيل منك القناعة

لو أتى بنسخة من طلعتك إلى السوق لرسمها النقاش فى دكانه الذى يعرض فيه البضاعة

ولأتى وهو يحمل روحه على كفه لكى يطالع طلعتك ولا يخجل من قلة البضاعة

فاهتبل لحظة من صحبة حبيب ، لأنها إن مضت فلن تأتى بالاقتناص تلك اللحظة والساعة

ليس من الإنصاف أنى أنا المعذب المتألم أغدو فراشته ويكون هو شمع الجماعة

لكن ماذا يمكننى فعله ، لأن القوة لا يمكنها مصارعة دورة الأيام بساعد الشجاعة

دمى قلبى فى الجنون بك واحترقت روحى فى طلبك ، ومع كل هذا فسعدى خجل من قلة البضاعة

***

يا من رؤيتك راحة وضحكتك آفة فزت بقصب السبق عن كافة الحسان فى اللطافة

يا صاحب الطلعة الحريرية الخطائية فى الجمال ويا قطرة غيث الربيع فى النظافة

كل بلد فى الوجود استوليت عليه بظرفك أجلست سلطان خيالك فى الخلافة

أيها السرو المياس مُرَّ بنا من باب الرحمة ، ويا قمراً ينثر الدر انظر إلينا بدافع الرأفة

يقولون لى هاجر حتى يزايل حبك قلبى وأخشى أن يُزيد جنونى بك بعُد المسافة

ألم أقل لك يا عقلى أنك لن تسع العشق ، وهل يمكن ببلاد الترك أن تقام الخلافة ؟

مع قدك لا يكون السرو جميلاً بالنسبة ، ومع وجهك لا يكون القمر بهيًا بالإضافة

من يعده الحبيب سلوى الفؤاد بالقتل لا يجب أن يكون له من الموت أدنى مخافة

يمد الطالب المقصود مائة مائدة للأعداء لعل حبيبًا واحداً يأتى للضيافة

فبما أنك يا سعدى استباك حبه فاستسلم للقضاء ، فالبحر به المرجان والهول والمخافة

***

مَن هذه الدمية الضاحكة التى غادرت كالملاك فغادر القرار قلب المجنون دفعة واحدة ؟

هبَّ النسيم بفوح ورد وجهه على الرياض فتحول ماؤها رياضًا وضاع رونق العطار

كنا نصف جمال وجه يوسف ونحن لم نره ، فلما رأيناه خرست ألسنتنا عن الوصف

لن أعيب وألوم السكارى من بعد فقد زال إنكارى على هذه الطائفة

كان فى فكرى ألا أُسْلم قلبى إلى خيال محبوب ، وحياتك قد زال من فكرى كل هذا الوهم

هذه النملة المطيعة المتعثرة ماذا جنت فى النهاية حتى سارت كالأفعى مضروبة الرأس ؟

أى حاجة للحانات لكى يسكر أحدنا ، والعقل عندما رآك قد زايلته الإفاقة والوعى

رأى المصلى محراب حاجبيك فسلب لبه وعاد كافراً .

الموت آثر عندى من أن يقال وراء ظهرى إننى لم آت صادقًا وعدت مضايقًا

لن تكون رجل ورد بستان الأمل يا سعدى ما لم تذهب وتستطع السير والأشواك في جنبك .

***

كل من رأى راحة القلب زايلت الراحة قلبه ، ولا ينتظر النجاة من وقع بفخه

كان ذكرك يسير وكنا عاشقين مستهامين فلما أسفرت بلغ أمرنا الكمال

القمر لا ينير في النهار فما الذى أنار الدار ؟ والسرو لا ينحو على السقف فمن الذى صعد إلى السقف ؟

أشعل ضياء شمس العشق مشعلة فأحرق بيدر الخواص وصار نهب العوام

لم يطق العارف صبراً على الحبيب الرابط الجأش وهو خلف جدار الصبر فذهب سوء ذكره وضاع طيب سمعته

لو ضممتك لحظة واحدة من سائر عمرى إلى صدرى فما حاصل عمرى إلا هذه اللحظة وما بقى ضائع

وكل من لم ينضجه حب أو يحرقه فراق فارق العالم فجًّا غرًّا حين يغادر الدنيا آخر عمره .

كانت هِمة سعدى ألا يميل إلى العشق ولكن حين باع السكر واشترى العقل أصابه الفشل .

***

يا من كسوة الحسن على قامتك الفارعة لا يرى جمالك إلا النظر الطاهر

إن حزت منزلة مِتُّ على تراب بابك عَلَّك يوما تطأ هذا التراب

أُدْرِكُ أن رأسى سوف يفتدى يوما قدمك ، لهذا تدفعنى يدى وذيلك إلى الهروب إليك

يا من تحار عين العقل فى هيئتك الجذابة ويا من تقصر يد النظر عن ذيل إدراكك

قلت لن أتعلق بثعبان جديلتك فعجزت أمام شفتك الضحَّاكة

يتـوارى القمر حيـاءً والشمس خـجلاً إذا انعكس نور وجهك على الأفلاك

لو عفوت عن الجميع ففضلك على أصحابك ، وإن أحرقت الجميع فحكمك نافذ على أتباعك

حين تسفك دم الناس جميعا فلا تخشى أحداً وحين تعفو عن ذنوبهم أجمعين فلا تخاف أحداً

فاجف كما تحب فلن يغتم سعدى إذا تذكر ذكراك المسعدة

***

هل هذه قامتك أم قيامتك ؟ وهل هذا بَسْمُك أم معجزة وكرامة ؟

كل من شهد وجهك القمرى جعل من صدره درعًا أمام سهم الملامة

كل يوم وليلة ينقضيان من العمر فى غير وجودك تجرى على نفسى آلاف من الندامة

ما عشت عمرى إن بقيت غافلاً عنك وما قضيت باقى عمرى إلا بالغرامة

ليس من سرو ميَّاس فى اعتدال قدك مهما بولغ فى وصفه باستقامة القامة

وعين المسافر إذا وقعت على جمالك تبدل غرم رحلته إلى الإقامة

حار أهل الفرقتين فيك لو أخذوا فى حسبانهم وقت الحساب بالقيامة

كل هذه الشدة والخيبة التى لسعدى إذا أرضتك فهى له السعادة والسلامة .

***

يا من أرواح العقلاء كرة مستديرة لصولجانك لا تخرج إلا لكى تسقط فى ملعبك

يطلع نهارنا جميعاً ويحللك ليلنا من وراء الجبل ولا تطلع الشمس مشرقة إلا من جيب ثوبك

ترقص أرواح المشتاقين فى أجسادهم من السعادة حين تُحرك الرياح فرعاً من بستانك

لا تَمَسُّ حاجة لنقاش من أجل جدران دارك فأنت زينة الإيوان ولست صورة على إيوانك

مع أن قلبك الحجرى لا يحترق من أجلى كأن قلبى حجر فى جُب ذقنك

التضحية بالروح سهلة فى نظرك ، لكنى لا أرى جيفتى جديرة بالتقرب إليك

العذاب باحتراقك أفضل من البعد عن نظرك ، والموت عند قدمك أحب من هجرانك

يا بادية الهجران ما دام عشق الحرم فلن يأبه العشّاق بأشواكك

لن أقوى من بعد على محاذرة الفتنة لأنى سقطت خائراً من قامتك الفتانة

طوف بالآفاق كثيراً مثل ذى القرنين هذا المتعطش الذى يموت على عين ماء حياتك

أحرى بألا يذوق فى هذه الدنيا الموت قط سعدى الذى له حبيب مثلك آثر إليه من روحه .

***

روحى وجسمى يا حبيبى فداء روحك وجسمك ، ولا أعدل بشعرة من رأسك مُلْك العالم كله

لم أسمع بشفة تحدثت أكثر عذوبة من شفتك فأنت بذاتك سكر ورضابك شهد

فاعتن يومًا بنا وصوِّب إلينا سهمًا لعلى أتفرج على يدك وقوسك

إن غيرت رسمك وسترت وجهك فلأرمقن ظرف عينك الرامقة

ليس على السرو وجه مثل قمرك المنير ، وليس على القمر قدٌّ مثل سروك الفارع

أى بلاء هذا وهو أنك تجلٌّ عن الوصف ، فقد أكثرنا القول ولم نشرح شيئا عنك

كل من يعذلنا لعشقنا لك يعذرنا حين يراك عيانا

ظلم أن تستر وجهك البديع ، وماذا تخسر لو ربح المساكين رؤياك ؟

فعد فقد بقى بعينى خيالك ، واجلس فقد ثبت بخاطرى وصفك

لا أضن بقلب أضيعه فيك وبى رمق من حياة وحياتى بعض من حياتك

إن شتمتنى وسببتنى وسمعت فما أسعد سعدى إذا ذكرته على لسانك

***

إذا عزَّ مفارقة ملعبك فلزم احتمال صولجانك كالكرة

وحقك لن أقطع فيك رجائى ، وبحبك لن أنقض فيك عهدى

إن أرضاك هلاكى أو وهبتنى بقائى فكل ما تحكم به وتأمر نافذ

إن وافيت وعدك أيها العيد السعيد الميمون أُوسَم بالبخل إذا لم أفتدك بروحى

ليس للبدر كثير الضياء كالشمس لأنها تشرق من جيبك

لو طلعت الطوبى ، ناهيك عن السرو ، لتوارت خجلاً إذا رأت قامتك الميَّاسة

ما ألقى عارف نظرة على وجهك إلا وأصابته عيناك الفتانتان بالجنون

أنا عبد لعَيَّاريك الطُرَّار والماجنين بك الشطار وليس الزهاد الذين يسترقون النظر إليك

فأقبل ولو أسأت إليَّ كل السوء فلك الحسنى ودعاء الأخيار يحرسك من عين السوء

بحق تراب قدمك لو افتداك سعدى بحياته فإنه يظل مقصراً عن أداء الإحسان

***

تتكسر فى مشيتك وحيداً ، ألا كانت الأجسام فداء روحك فتذهل أحباءك المحبين بك

ألتمس مرآة لترى فيها طلعتك وتحار فى حسنك وبدعك

أتقصد المصطاد أم تريد البستان ؟ لابد من عزم صادق حتى يحول عنائك

فيا شجر الورد المتبختر انظر إلى محبيك حتى تهب نسمة علينا من بستانك

نهب شوقك متاع دار عقلى فأرى علانيتك أيها الناهب من سِرِّك

أحبولة ضفيرتك تأسر صيداً كل لحظة ويشق سنان غمزتك القلوب من حاجبك الذى يشبه القوس

أتدرى علة سهادى ؟ لأنك مَلَكُ الحسن ويحرم النوم على عين حارسك

لا ترقى معرفتنا إلى وصلك ، ولابد من طائر أكثر منا لباقة ليصل عشك

لن ألتمس ماء الحياة من بعدك فدعنى أمت على تراب عتبتك

أنا فتنة الزمان ، ومحبوك بلا شك يحاذرون فتنة زمانك

فإن خَلُص لك حبيب يا سعدى فكن حراً وآمنًا وإن لم يكن لك عداء مع واحد من أبناء زمانك

***

أقبل فقد حان الصلح والحب والعناية بشرط ألا نحكى عما فات وسلف حكاية

كنت مصراً على ألا أدور فى فلك العشق فحمَّ قضاء العشق وأعمى منى عين الدراية

مسكين من يلومنى فلا يدرى العشق بأى حد والحسن بأية غاية

أى فتح أرى من حرصى فاهدنى أنت إليك فعين مسعاى كليلة بدون مصباح الهداية

أحَبٌّ إليَّ أن تُهلك روحى العزيزة على يديك ألف مرة من الذهاب لغيرك طلبًا منه الحماية

لو صحت جناية ارتكبتها فيكفى فراق وجهك حدًّا لهذه الجناية

لا يحق لى مخالفة وجهك بأى وجه وإلى من أشكو مَلِك الولاية ؟

لا تسع أى صورة كل هذه المعانى التى لك ولا يجتمع بأى سورة كل ما لك من آية

لا يستقيم كمال حُسن وجودك بأى وصف إلا إذا حكت عنك المرآة كما هى وبحق الحكاية

انتهى مقالى وتم فكرى ولم يبلغ بعد وصف جمالك فى النهاية

ما بلغ مسمعًا قط كتاب فراق سعدى إلا سرى من شعره ألم فيه سراية

***

تِه مختالاً يا ذا الإقبال السرمدى بحظك الميمون وتختك الممهد

يا مغيث الزمان وناصر أهل الإيمان يا مجتبى الواحد الأحد يا نصير دين أحمد

يا صاحب أمر مُلك سليمان الشاهنشاه العادل الأتابك محمد

من سعد بن أبى بكر حتى سعد بن زنكى أبًا عن جد مشهور وكابراً عن كابر معروف

خضعت له ملوك البحار وسلاطين الأقاليم

كافة المشاهير والقواد أسرى السابق الأيادى ذاك

أيها الملك العاقل ملجأ الرعية خصك الله بتأييده السرمدى

اسمع من سعدى نصيحة مُحَنَّك ، ألا تَفَتَّى حظك وتجدد جاهك
لم تتعود الدنيا منذ أن خُلقت أن تبقى بلا تغير مع دوران الزمان
ومُلك الدنيا لا يظل مؤبداً فلا يحرى أن تعتمد عليه أو تثق به
فصرِّف دولتك وحياتك على نحو أن يظل ذكرك مخلداً بالخير والبر

***

منذ أن وقع نظرى على صورته الجميلة تلك زالت عنى المقدرة على تحمل فراقها
كنت أؤمن بأن العقل لابد أن يحكم كل أمر ، لكنى أنا المسكين خارت قواى لما خلب عشقه عقلى
شهر العقل سيفه في وجوه الناس وما ثبتت قدماى به حتى سقط الترس من يدى
لا يمكن إخفاء النار بباطن المحترق ، ولم ينبس ببنت شفة وفشت حكايتنا
كل من ذكرنا له طرفا من أوصافه الجميلة بلغ به الشوق حتى غاب مثلنا عن وعيه
فاحذر أن تستلب شفتاه الحلوتان قلبك من صدرك فقد اندك الجبل لما تَجلَّى له همه
يعلم أصحاب النظر أن أنفاسه الحرَّى التى كالنار سوف يشتد ضرامها فى بيدرى أكثر من غيرى
أمعنت النظر فى ذلك المنظر المقبول فغاب عن نظرى من أول وهلة وجودى
ليس سعدى نِدًّا لهمومه ولكن كل من يقع يزعم أنه " رستم " بطل الشاهنشاه المشهور

***

لا تسع الدفاتر حديث العشق ، ولا يسع المقال شرح الحبيب

وسماع حسنه الذى يسكر المجانين لا يسعه سمع المفيقين العقلاء

لا يتيسر لك العشق والتستر ، والروع لا تسعه حانة الخمار

توسع حبيبى فى جلسته فى قلبى الضيق إذ لم تسعه زحمة الأغيار

لا أدرى وصفًا يليق بك وعرض الثياب لا يسعه سوق

لن أرضى من بعد بصورة مخلوق قط فلا تسعك صورة معلقة بالجدار

من الذى يخبر العاذل المسكين الليلة أن الكلب لا تسعه زاوية كهف أهل الكهف

حين تزدهر الورود يصحبها الشوك لأنها لا تسع الأشواك فى جانبها

بلغ الحب والشوق بين المحب ومحبوبه حد أن سعى العدو السفاك لا يسعه التفرقة بينهما

أنظر إليك بعينى وقلبى حتى إن عين رأسى لا تسع برق شعلة رؤياك

ليس لسعدى مكان بين محبيك ، والشحاذ لا يسعه البائعون بينهم

***

يعجب أصحابى من صبرى على الاحتراق والتألم ، لكن الاحتراق والتألم اللذين أنت سببهما أحبُّ إلىَّ من الورود والزهور.

إن محبيك الذين اكتوت أفئدتهم بنار حبك لو عاشوا بجهنم لوجدوا نارها بردًا وسلامًا

فأنت المتحكم فينا إن عدلت أو ظلمتنا ، ونحن العبيد لك إن صالحتنا أو حاربتنا

ليس للعقل طاقة مقاومة عشق الحسان ، وهل لسعى المرء أن يجابه القضاء السماوى ؟

إذا كان لا محيص لك من العافية فأمعن النظر فى وجوه الحسان ، وإن عشقت فاطو بساط حسن الذكر والسمعة

إذا لم يكن بك تحمل الرجال فاقعد بالبيت كالنساء وإن توجهت إلى الميدان فلا تفر من وابل السهام

ولا تفهم بكاء الحاضر بمجلس السماع على أنه رعونة وطيش ، لأن أهل القلوب يعلمون أنه لا يتأوه إلا إذا أصيب بالطعنات .

لم يحترق قلب أحد من رفاق المجلس عليَّ فأرى الشمع ينحدر دمعه فوق وجهه الأصفر

لو تفتح ربيع بعد شكاواى من شتاء الفراق فـ (ليس بعد الورد برد)

فقل لمن تذيبه الآلام مثل سعدى لا تنح فإن الآلام تطيب إذا طببها الحبيب

***

أتدرى ما لذة مشاهدة الحبيب الغائب ؟ سحاب يمطر على عطشان فى البيداء

عرفت يا أريج المعرفة من أين فُحت ، فإن رسالة وصل الحبيب قد جَبَرت روحى

عقلى إن لم يرض بجنون عشقى فإن العشق لا يدعنى أنصاع إلى أمر عقلى

عله يترأف هو بنا فيذكرنا ، وإلا فمَن الرسول الذى سيحمل رسالتنا إليه ؟

إن العارفين العشاق يدرون حالى أنا المسكين إن ناح عارف منهم أو انتحب عاشق

السم لى كالترياق من يد الحبيب الحلو طيب عذب على قلبى ، ولا أهنأ بشراب غيره

والقدم التى لا تتعثر يوماً بحجر عشق تقول غمًّا إنها ميتة بلا روح أو باردة بلا قلب

إن المشغول بعشق الحبيب لو كان عاشقاً صادقاً فلا يحق له أن يهرش رأسه فى يوم انهمار السهام

أوقات حياتك يا صاح لا جدوى منها إلا لحظة يأنس فيها الإلف إلى أليفه

أتدرى لماذا يقبع سعدى فى زاوية الخلوة ؟ لأنه لا يستطيع الخروج منها بسبب استيلاء جمال الحسان

***

من الذى يشفع لى عند حبيبى يرجع به ؟ إن عيشى بخلوتى متكدر بدونه

لو أتيح مجال الحديث فى حضرته فلن يؤدى رسالتى إليه غير نسيم الصبا

إن مناطحة الأحباء كمثال العطشان الذى يردم عين ماء الخلود بالطين

من الذى قال لى اقطع قلبك عن حبيبك اللطيف ؟ أكان يثق فى صبرى ؟ إن الشوق لا يسمح لى بتحقيق نصحه

تحرم على من يعجز عن مفارقة كل مخلوق مجالسة معشوقه

لا تصح حقيقة العشق من ذاك المدعى الذى يحك رأسه حين يضرب بالسيف وقت المواجهة

لا تُشمت بى يا حبيبى الأعداء وتجعلهم يجرحون قلب محبك

فهلمَّ حتى أسقط على قدمك ، وإن قتلتنى فمن يسلم روحه إليك لا يموت

من الذى يعرف أن يحكى عن ليل الهجران الآمن يعد النجوم مثل سعدى

***

كل من أحب شيئًا صانه بروحه وقلبه ، وكل من أنت فى محرابه لم يبرح خلوته ومحرابه

سأقع يومًا على تراب خطاك ولو ضاعت حياتى ، لأن من يمت تحت قدمك يسلم روحه بكل دعة وسكون

لست أنا عابد الصور ذاك بل أنا سكران بسبب تمنيك ، أتدرى من الذى أزال وعيى ؟ إنه من ينقش الصور

يقولون لى إنك تضيع عمرك مع الحسان ، لكن من يعدم حبيبًا هو الذى يضيع عمره

كل من يزرع شجرة فى رياض المعنى غرس جذرها فى قلبه وبذر بذرها فى روحه

العشق والتستر لا يستقيمان ، فقل لمن يعجز عن تحمل اللوم أن يكف عن عشقه

لو تحولت عن عهدك ما كنت فتى ولا رجلا ذا مروءة ولا يصدق العاشق إن خاف العذل

أروم روضة يراها سروك السامق يوما فتخرُّ منها الورود على قدمك ويطلع الأرجوان منها على رأسك

أى مشية هذه المتبخترة لك وأى قامة وأى مقال عذب هذا لك ؟ وأى قيامة ؟ فحتى متى ستنشد يا سعدى ؟ إن الطيبات لا آخر لها

***

أنا عبد ذاك المترقرق روحًا الغليظ معاملة لى ، جوابه مرٌّ وكأنه سكر يجرى على لسانه

لو أن حبه اقتادنى إلى جهنم لعددتها النعيم إذا صحبنى فيها حبيبى اللطيف

إن من تهيأ له الاختيار والمحبوب والمشروب فماذا يريد من الحظ وبم يحتظى من العمر وأى قصد له من الدنيا بعد ذاك ؟

للإنسان حياة تتجاوز الطعام والمنام ، فعش حياتك مع حبيبك لأن البهائم لها حياة أيضا

إن لى مع حبيبى حبا يجعلنى أذهل عن نفسى كالبلبل الذى يغفل عن عشه من فرط سعادته بالورد

لست برجل لو تفاديت سيف جفاء المحبوب ، إن الطبلة الخاوية الباطن تصرخ من قرع إصبع لها

إن المحب الذى أدبر عن حبيبه سيظل فى اضطراب حتى البعث ، لأن المحب الصادق يُبعث من قبره ومحبته لا تزال حية به

أهلا بنسيم الربيع فى صباح هبَّ فيه من رياض الفلاح لأنه يشبه رائحة الخلان لا رائحة البستان

إن من نام على صدر حبيبه واستولى عليه نوم الصباح أنَّى له أن يهتم بالمسكين الذى أرقد رأسه على الأعتاب ؟

فاعشق بمفردك مثل سعدى وانعم بالراحة والهدوء ، إنما يصرِّف أمور الملك وحده من له مقصود خفى

***

كل ناظر ليس له منظور ما كان لمصباح دولته نور

وأى صلة لذاك المدعى بالجنة إذا لم يكن به ميل فى الدنيا إلى حورية ؟

وكيف تظهر سعادة بالذكر عند من ليس له شوق خفى إلى المذكور ؟

يخرج من دائرة العارفين ذوى المنظر من لا يهتم بمنظور ومقصود

ولو عجزت عنقاء عن السقوط فى فخ ضفيرة فليس لها قوة تفوق قوة عصفور

ولا يلطف الطبيب ويرحم إلا إذا عاين من قبل شدة الآلام

لكن سعدى بما أنه ذاق العسل لا يصرخ من لدغ زنابير النحل

صاحب المحطات السكرية الذى يفيض ثغره بالشهد والرضا لا يستحوذ على قلبى بل على قلوب العالمين

لا حاجة إلى التفرج بأشجار الرياض بمن كان فى منزله سرو فارع مثله

أى متعة يحسها الكفار من أصنام ميتة ؟ إن المحبوب الجدير بالعبادة هو الذى تجرى فيه الحياة

حاجباه المنحنيان قوسان ، وقدُّه المستقيم سهم ، ولم أرَ أحدًا بمثل هذا السهم والقوسين

عقل هو حين يتحدث وإلا ما ظهر أن له فمًا

وحجة هو حين يعقد خصره وإلا ما عرف أن له خصراً

فيا من نصحتني بعدم متابعة هذا السفاح ، وفِّر نصحك إلى من يملك عنانه بيده

العشق كيٌّ ووسمٌ لا يفارق جبين من اكتوى به إلى أن يموت

ليس بإمكان سفينة تنجيك يا سعدى فليس حبه بحراً له شاطئ

***

من ذاك الذى يزيل الصبر عن قلوبنا فى ذهابه عنا ؟ والأتراك يجيئون من خراسان لينهبوا فارس

إن هبَّ نسيم الربيع من رأسه بشذى على الصحراء تحولت شيراز إلى بلد مسكية كنافخة غزال " الختن "

إننى أقوم بالحراسة الليلة حتى الصباح بدل الحراس لأن عينيه الناعستين أزالتا النعاس عن عينى

أتسربل بالفراء لحظة فى غيبة قوامه ، وأغدو كالقنفذ حين يشرع إبره من جوارحه

كثيراً ما كنت أقول إننى لن أعشق واحداً ، لكن مطالعة الحسان تخرج الاختيار عن يد العقلاء

قد استسلمت بالكلية إليه وأنا ثابت لا أتحول وإن قتلتنى ، ولا يدرى أحد هل سيزيدنى قتلاً أم سلبًا ؟

ليس للتركى حاجة إلى أحبولة لكى يصيد بها قلبا فأنا الذى سقطت طواعية فى الأحبولة لكى يصيدنى

كل من يتولى النصح فى عهد حسنه يجر مجانين عشقه إلى جنون آخر

لا يعرف أحد كيف يصفه ، إنه بحر عذب وحسب ، وكذا سعدى هو جالب الجوهر إلى البحر والتمر إلى هجران وصفه

***

كلما مَرَّ بى ذاك المعشوق الغيار مرت بى مائة قافلة من عالم الأسرار

ومرت أمام المفيقين الواعين كل لحظة ثمالة الخمر والفضلة والشباب والجمال

كلما مَرَّ قُتل أحباؤه وانتظروا أن يمر هذا الحبيب مرة أخرى

قلت أنتحى زاوية كالعقلاء لكنه يمسنى بالجنون حين يمر علىَّ كالملاك

وقلت أوصد علىَّ بابى دون الخلق ، لكن وا كرب قلبى إذا نفذ علىَّ من الجدار

فيا من أبرت سوق حسن جميع الحسان لا فوت لأى مشترٍ من أن يمرَّ بك

فلا تغب لأن عمرك العزيز ضائع إلا تلك اللحظة التى ينظر فيها إليك حبيبك

إن التألم راحة إذا كان التوقع أن يمر الطبيب يومًا لعيادة المريض

أخشى أن يغدو مثلنا ثملا وعاشقا ومجنونا المحتسب إذا مرَّ بحانة خَمَّارنا

لا يستطيع سعدى أن يتجه بمفرده صوب الحبيب ، لأنه ليس من طريق لا يمر به الأغيار

***

ما هذى الفتنة الذى يمر بسهمه وقوسه ؟ وما هذا السهم الذى ينفذ فى درع روحنا ؟

إنه ليس شخصا بل عالم يفيض باللطف والكمال ، فلا تضع عمرك أيها القلب فإن الحياة عابرة

لن يفضل ثانية ذاك الوجه البدرى العلانية إن عرف ماذا يجرى فى السر على الخلق
فيا نادرة دورة الزمان تجلَ فى النهاية تلطُفاً منك علينا زمانا لأن الزمان يمضى
فجمِّل بصورة وجهك أيها القمر قلوبنا بحيث تتجاوز صورة حالنا الشرح والبيان
وحتى تعود ريح الصبا إلى الهبوب على الرياض أرى عمرى يمر كأنه البرق اليمانى
قد أضرمت ناراً بقلب سعدى بحبك تغدو دخانا حين تمر بلسانه

***

هبت الريح وأتت بنشر الحبيب وضوء وجعلت اللوز يزهر
وارتفع رأس غصن الورد بسبب هيجان البلبل مع كل الشوك الذى عليه
وحتى ألثم قدمه المباركة أودعت رسالتى الرسول الذى جاء برسالة حبيبى رسالته هذى التى هى مسك أذفر
لم أسمع قط بأن ريحًا نشرت أريج ورد أطيب منك
ولم يسمع أحد بأن والدة ولدت وليداً بمثل فلقة بدرك
ومسكين من وصل نهاره بنهار آخر فى فراقك
يا سعدى قلبك المنير كالصدفة كل قطرة يشربها يأتى منها بجوهرة
أصدرت حلاوة بنات قريحتك الثورة والضجة من قلوب البلغاء
فحق على كل بليغ فى عهدك أن يئد فى التراب ابنته حية

***

لا يلوك لسانٌ عيبى ، لأن كل من أنظر إليه يتعشقك

أنت بنورك هذا ملاك لا آدمي وليس آدميا من لم ينظر إليك

ولست آدميا لأن الناظر فى شمس جمالك يتحول إلى شمع ولو كان جسده حديديا

مثلك أيها الولد يا من تستريح بك روح أبيك يحق أن تفخر بك أم الحياة

وسعت نصب شباك أقواس حاجبيك حتى بلغت لحمة أذنيك كجيش يهاجم صيده

أى وردة تشبه طلعتك فى أى روضة ؟ وأى سرو يضارع قامتك رفاعة وفراعة ؟

شجر ثمر المقصود أعلى من أن تطاله يد قدرتنا القصيرة

لا يسلم عشق المحبوب النارى الوجه إلا لمن كابد واحترق كالفراشة

فلا تسلمنى إلى الفراق بعد وصالك كالصنج يضربه المطرب بعد أن يلاطفه

لا ينتقض سعدى عهده قط معك ، والقلب الذى انشغل بك بمن دونك سينشغل ؟

***

متى نما هذا الورد الضاحك وكيف تجمل حسنا ؟ وكيف تحول هذا الحصرم الحديث النمو إلى حلوى ؟

وكيف استحال هذا الفرخ الذى انشقت عنه البيضة إلى بلبل عذب الشدو وببغاء قاضم للسكر ؟

ومن الذى علمه هذا اللطف والبلاغة ؟ فقد ذهل الناس يوم أن غدا عالمًا حكيمًا

هذا الغصن القصير الذى أتى به ريح الصبا من فترة قصيرة على حافة الغدير غدا فى غمضة عين سروًا فارعًا عاليا

ودع عالم الطفولة والجاهلية الحيوانية وصار آدمى الطباع وملكى الجبلة وسماوى السيما

قلت لعقلى : من الآن فصاعداً عش بسلامة وهدوء ، قال : احتمت فقد ظهر هذا الفتنة ثانية

هذا المتلألئ الثغر لم يمتلئ كالصدف باللؤلؤ ، ولم تغدُو أبصارنا بحرا بسبب آلامه

إن البرعمة الريَّانة يا سعدى تنبو عن قشرتها فقد عاشت السعادة وضحكت وصارت وردة بهية زهية

***

هياج البلابل يكون وقت السحر والنائم لا يدرى عن الصباح خبرا

وقلوب الوالهين غدت لوابل سهام عشق الحسان درعًا

والعشاق قتلى المعشوقين وكل حى فى معرض الخطر

طلعت مع كل عالم الجمال فمن به العين التى ترى هذه الطلعة ؟

لا أعرف أحداً لم يسلم قلبه إليه من عدم البصر

إن الإنسان الذى لا يشعر بوخز شوكة صغيرة فى قدمه لهو حيوان عجيب

فقل للمحبوب ليعبس وجهك وليكن حديثك حنضلاً فإن سم الشفاه الحلوة سكر

يتفادى العقلاء البلاء ومذهب العاشقين مختلف

لم تعد بسعدى قدم ليسير بها والطائر العاشق مهيض الجناح

***

كم هى طويلة ليالى العاشقين الوالهين فعجل بالقدوم حتى ينبلج الصباح بأول الليل

لو أمكننى السفر هربًا منك فهذا أمر مستغرب فإلى أين تتجه الحمامة وهى بأسر البازى؟

لا أود النظر إلى وجهك من فرط محبتى لك لأن المحب الصادق هو العف الطاهر فى حبه

فانظر أنت إلىَّ نظرة بدافع دلال عنايتك لأن دعاء المتألمين لا يصدر إلا بسبب الحاجة

الكلام الذى لا أطيق إخفاءه عن نفسى مَن الرفيق الذى أذيعه له ويكون محلاً لحفظ السر ؟

أى صلاة لمن أنت بخياله مقيم ؟ فلا تتمثل لى صنماً حين أكون فى الصلاة

لم أكن أحتسب أننى حين اتخذك حبيباً سوف ألهج بحمدك ومدحك وتجفو أنت وتدل علىَّ

فلا تكشف هموم قلبك يا سعدى إذا رأيته ثانية ، لأن ليل الوصال قصير وأحاديث همومك طويلة

إذا خطوت على طريق الوفاء لأحبابك والاستقامة فى عهدهم وخفت البلاء من جراء ذلك جاز لك الانسحاب

***

نظر الناظرين إلى الله ليس طلبا للأهواء ، وسفر المتضرعين إليه ليس خطوا نحو الأخطاء

للعارفين فى كل وقت نظر وللعامة نظر آخر فيحق للأولين النظر والإيجاز للآخرين

عليك أن تكون بنسيم الصباح نباتاً حيًّا ولا يعرف الجماد الموات شيئا عن الصبا

لو رزقتَ السعادة بأن تموت فى القلب فتمسك بحياة لا تفنى أبداً

فانظر إلى من يزيل الظلمة عن وجودك وليس إلى من يعدم والعياذ بالله كل صفاء

أنت بأى مدينة هذى التى لا تسأل فيها عن الحبيب إلا إذا كانت هذه المدينة خلواً من الوفاء

إذا بلوت أهل المعرفة وخالطتهم ولم تقذفهم فأنت كالدف لا يعلم ظاهره قفاه

لو أهرقت حبيبى دمى فلن أشكوك حتى يوم الدين ، فبين الأحبة لا يحدث خصام

ليس ندا محبا بل واهى الميثاق من لم يكن درع البلاء يوم هطول السهام

انظر فى المرآة كم أنت جذاب ، ولكن إذا لاحظت ذاتك فقط فلن ترانا ونظرك لن يكون علينا

فلا تظن أن سعدى يملٍّ من الجفاء ، بل إن الجفاء فى حقه ألا تقتله بريئًا

يحكى نفس ما أحكيه آخرون ولكن لأنهم ليسوا حسنى المعاملة فهم لا يفهمون الأسرار

***

ليس مع تجار القافلة المصرية من السكر ما لك ، وليس فى نقوش أهل الصين ما يفوقك حسنًا

فتنتك ولطفك لا يأتيان من السرو والورد ، وجمالك وبهاؤك ليسا للقمر والشمس

قلت سأغض طرفى عن النظر إلى الحسان تورعًا ، لكن التقوى لا تستطيع لسهام عيونهم دفعًا

نظرنا إلى حسن البدريات خير وكل من يميل إلى البشر لا يفعل الشر

لأن كل آدمى تراه خاليا من سر العشق فهو فى مرتبة الجماد وليس حيًا

ليس لأهل القلوب ممر إلا من أمامك ، ولا محيص من المرور من طريقك بأى تدبير وحيلة

ذهلت عن الخلق وحسبك مدارًا لفكرى ، وحين تحل الحيرة ينعدم السمع والبصر

إن حطمت القفص عن عندليب العشق فلن يأبه بمفارقته لفرط سعادته الباطنية

أنت سكران بنومك الهنىء حتى الصباح ، وعلىَّ تمر الليالى حتى كأن ليس لها سحر قط

صرخات شوق سعدى تبرهن على حالة قلبه إلا البهيمة التى لا تدرى شيئًا عن عالم القلوب

ليس لدعاوى مدعى العشق وإن عظمت أثر ما لم تشب النار وتلتهم بيدره

***

ما دمت لا تعلم بحالي فلن تنظر في أمرى ، صبرنا حتى نهاية الصبر وماذا نفعل غير الصبر؟

أليس فى مدينتكم رسوم الوفاء والرحمة ؟ قالوا لماذا لم تغمض نظرك حتى لا تقع لك المشاغل والأخطار؟

خلّوا عنى أسيادى لأن مهد الإنسان لا يكون درعًا أمام سهام القضاء فلن يغادر هذا الهياج رءوسنا إلا إذا غادرتنا

وأنى للمسكين الأسير أن يذهب وليس أمامه إلا طريقك بما أن ليس على البسيطة خلابًا للقلوب جذابًا مثل وجهك

لم أجد فى فارس مثل ملاحتك وليس فى مصر مثل سكرك ، فإن تحكمت فى روح سعدى فليس من روح تعز عليك

***

ما أحسن أن يكون النظر ولا يكون الكلام حتى لا يسترق المدعى السمع من خلف الجدار

فهو فوق كنز ويجلس فى زاوية مثل النقطة ولا يدور حائرًا كالفرجار

فأوصد حبيبى بابًا بينى وبين الناس حتى لا يعلم أحد قط بأسرارى

أبتغى الخمر والمعشوق ومكانًا وزمانًا بحيث لا يكون إلا هو وأنا ولا يكون الأغيار

فلا تنصحنى يا صاح فأنا مجنون ثمل لا يعقل ويفيق بأى قول

فلا كان لك انشغال بصاحب سيف ولا كان لك اشتغال إلا بذاتك وحياتك

سهل أن تخضب يدك بدمى ، والتضحية بالروح تحت قدميك ليست صعبة

لا يمكن تسميتك بالقمر بوجهك هذا وقولك ، فليس للقمر أسنان وثغر ينثر السكر

وذاك السرو الذى يقال إنه يسمو سموك ليس له قط مثل قامتك ودلالك

قد رجعنا عن توبتنا لأن فى مذهب العشاق لا يستحب من الصوفى إلا أن يكون خَمَّاراً

وكل قدم غاصت فى زاوية فى دار لن تطل رأسها فى السوق طوال عمرها

فلا غرو من العطار الذى يعيش وسط العطور ألا يفكر وقت الربيع فى التريض بالرياض

يعلم كل الناس أن فى نظم سعدى مِسكًا ليس فى محل العطار

يضحى سعدى بروحه من أجلك ولا يهمه هذا فلن يكون المحب محبًّا إلا إذا كان وفيًّا

***

الحرب إن وقعت من الحبيب الذى يؤلم القلوب ليست حربًا ، والمحب إذا لم يتحمل ليس محبا

لو صرخت بأن رأسك وقعت فداء قدم محبوبك فلا تكثر صياحك فلا يُعدُّ ما فعلت كثيراً

ذاك الحمل الذى ينوء به الفلك من الحبيب الخفيف الروح إنْ أثقل به قلوب عشاقه ليس حملاً

لن ترى كنزاً ما لم تتحمل الألم ، ولن يسفر الصباح إلا إذا انقضى الليل

السفر إلى المقصود طويل ، وليل عذاب المشتاق طويل ، فلا يمكن أن يقال له ألا يسهر ليله

سل عينى كى تعرف أن نوم السكران بالليل لا يشبه نوم المريض ونهوضه

إن قطعت يدى بسيفك فهكذا العشق ، فحيثما اقتضت إرادة المعشوق زال الإنكار

لا تسمع منى حب الورد ما دامت قدماى الحافيتان لا تدريان شيئًا عن ألم الشوك

يجتاح الطيور الحبيسة الألم والشوق الذى لا يفهمه الطير الطليق

إن القلب هو مرآة الغيب ولكن بشرط ألا يعلو هذه المرآة صدأ

فيا سعدى إن الحى الذى يثقل رأسه بالنوم لا يستأسره نسيم الأسحار العليل

من لم يكن له بصيرة يوسف الصديق باع النفيس رخيصاً

***

لا نحزن إذا لم تنظر إلينا ، لأن من يفضلونا فى خيلك ليسوا قليلين

أتشرد فى العالم هائماً بسببك ولكن لا أجد فى العالم من يماثلك

عجب إن استقمت واقفًا فى الروضة ، لأن سروك الفارع لا انحناء أو عوِج فيه

ما كان فى الدنيا وجه حزين إذا رأى وجهك ولم يسعد

أدركت من أول يوم أن الميثاق الذى واثقتنى به ليس محكما

لأنى كنت أعلم أن الملاك لا يتوافق قط مع بنى آدم

فلا تقطعن حبيبى قلبى ولا تسمح بذاك فليس لى فى الدنيا مرهم قط

فهلم حتى أهدر روحى الغالية فيك لأن البخل والحب لا يجتمعان

لا أبتغى لحظة من حياة بدونك لأن طيب العيش لا يحلو بغير حبيب

يسألونى من الذى فى نظرك وفكرك يا سعدى؟ فرِّج عن همك بحديثك عن همومك بسبب حبيبك

ولكنى لن أفصح لعدوى حديث حبيبى لأن المدعى لن يكون كاتم أسرارى مطلقًا

***

ليس للفلك كل ما لك من تمكين وليس للشمس والقمر كل ما لك من ضياء

لو مرت الصبا على تراب قدمك فلا عجب إن تضوع ذيلها بالمسك

وليس فى عقد الثريا واحدة مثل درر تاجك الملكى

أدام الله ملك هذه الأسرة ، لأن الدين لن يتطرق إليه خلل ما ظلت باقية

كل من عصى حكمك فلن يفوق مسكينًا عجزاً

إن العدو الذى له قدم الفيل على قلبك اضربه حتى لا يتحول بيدقه وزيراً

فأين مثل هذا الكسرىِّ فى الآفاق ولو كان فمن الذى يفوقه حلاوة ؟

فليمت يا ربى عدوه بموضع لا يزوره فيه صديق له

***

لو قلت إنك سرو فليس للسرو مثل قامتك ، ولو سميت قمراً فليس القمر يدب على الأرض

لو طوفت العالم وطويت الآفاق فلن تجد طلعة فى مثل طرافة طلعته فى المسلمين والكفار

لَعْلٌ وسكر شفتاك وثغرك ؟ لن أتيقن من ذلك ما لم أضمك بشدة إلى صدرى

ينقشون الصور البديعة على الحرير والديباج ، ولكن ليس لحواجب هذه الصور سحره المبين

لو ما دَقَّ ولطف وسط النحلة ما خرج هذا الشهد من فمها

ولو جاز لك أن تهرق دم كل إنسان بالدنيا فلا يجب أن تنقم على حبيبك إن قتلك

ولو فاضت روحك العزيزة تحت قدمه يا قلبى فلا تعز الروح على الأعزاء

ولو اصطفى علينا آخر فقل له اصطف من شئت فلا خيرة لنا عليك ولا مناص

يحرم عشق الحبيب السرو الفارع على الأخضر الذيل المبتدئ الذى لا يحمل روحه على كفه تضحية

لن يشيح سعدى وجهه عنك لأدنى سبب إلا إذا طردته عنك وليس لسبب آخر

***

لحظة السقوط تحت قدمك هى اللحظة الجديرة ، وترك الحياة من أجلك هو الإنجاز الحقيقى

يقبل كثيراً من العجز والمهانة ذاك الدرويش الذى يبتغى شراء عظيم محتشم

ولأن وجودك روحانى أيها الظاهر كالصورة فيحق أن يكون وجودنا أمامك عدماً

لو أشبهتك كافة الأصنام صورة لحقَّ للمسلمين أن يتوجهوا بصلاتهم إلى الأصنام

ومع أنك تقتل أسراك وتخطئ إلا أن جواز قتلهم ضرب من الإكرام

لن يبارح الرقص رأسنا اليوم لأن مطربنا لا يكف عن عزفه هنيهة واحدة

وكل من هام حبًّا فى كافة عمره بوردة أدرك سبب جنون البلبل

لن يفهم أحد آلام جروحك يا سعدى فلا تدعها إلى من لم يشعر بالألم

***

من باع الشهد تزاحم عليه المشترون ، وعليه أن يذب الذباب أو يغطى الشهد

ولا يكون العاشق عاشقًا ولو كان عاشقا فليس صادقًا إذا قبل نصح كل ناصح وعلاج كل معالج

الشمع بوجهك يغلب نوره على الشمس والورد بيدك يبيع الجمال أمام يوسف

يستحيل ربح التجار الراكبين البحر بدون مجابهة الأخطار ، وكل الذى أنت مقصوده يسعى ما دام به رمق

لا يجف ورق عينى فى شتاء فراقك ، والعجب أن الأوراق الطرية تجف فى الشتاء

يضيِّع من ليس له معشوق عمره هباء ، ويبقى فجًّا من لم يجُش فوق النار

لن تظهر رقة ما لم يختف ألم ، ولما رأى سعدى جمال الورد فهم سبب هياج البلبل

***

أخذت النيران تتصاعد فى رأسى البارحة فى فراقك وعيناى تذرفان الدموع حتى ابتلت الأرض

وحتى لا ينتهى عمرى عبثًا وهباء قضيت سائر ليلى فى ذكرك وفكرك الدائم

يهجع الجميع إذا أقبل الليل بينما وقف مشرط تحت جذر كل شعرة برأسى

ليس خمر ذاك الذى أتجرعه بعيدًا عن رؤياك ، بل دماء قلبى تنصب من عينى فى كأسى

حيثما نظـرت تجسـم لى مـن خـيـالك ، وتـراءى أمـام ناظـرى الأبواب والأسوار

حينما كـانت عين المجنون تستسلم للكرى كـان لا يرى إلا ليلى ، وكذب إن قال إن النوم تيسَّر له

أثـوب إلى رشدى وأغيـب عنـه ولا أرى طلعتـك ولا يبـارح خـيالك مخيلتى

وكـان قـلبى الضـيق يحتـرق حـينـا كـالعـود على النـار وكـان الدخـان يتـصاعـد إلى رأسى حينا كالجمرة

فإلى أين ذهب ذاك الصباح الذى كانت تتنفس به ليال أخريات وتتنور به الآفاق

فهل انفصم عقد الثريا الليلة يا سعدى ؟ وإلا فإنها كـانت تطلع كل ليلة فى جيب ثوب الأفق

***

طلع ثـمـلاً من وكـنتـه إلى الرياض فـثـارت فى واحـدة الجلبـة والـضـجـة من الورود والشقائق

رأيت طيـور الروض تشـدو وتنطق حاكـيـة عن هذه البـرعمـة التى ظهـرت من أطراف الخميلة

انعكس الماء من ورد خدَّيه ، وانبعثت النار من سر برعمة الروضة هذا

وارتفع صوت الذى كان يجلس على سجادته وصار مريد همه من حانة الخمار

ولما رأى الزاهـد كـرامـات مـعشـوقـه الفـتـان فـارق خلوته وخـرج عـاقـداً خـصـره بزنار المجوس

وكلما طلع هذا الملاك افترش للنظر إليه الأرض مجانين ووالهون مثلى

قد أفلست منذ أن ظهر من حرم الغيب ديباج جماله فى الأسواق

كان قلبى يطمح إلى أن أنثر روحى عليك فلم يتحقق هذا المطمح ولم يتيسر هذا المطلب

قد أسلم سعدى روضة ذاك الوقت لكى ينهبها الخريف ، لأن أريج الحبيب قد بدأ يفوح من حديقة قلبه

***

ذاك السرو الذى يقال إنه يشبهك يعجز عن أن يسبقك بخطوة واحدة

ليس تعقبك ذنبًا ارتكبناه نحن ، بل قل أنت لغمزاتك ألا تستلب ألباب الناس

فاحذر حين تمر فوق رأس جريح وأنت جاهل كيف يمضى أوقاته

لا يخذلنى الحظ يوم أن تكون ملازمى فى سكنى وجارى لا يعلم عنا شيئًا

وكل من امتلك سرًّ وصلك على الحقيقة قطع يده من كل شىء وكل شخص

أنَّى لك أن تعلم اليوم بأننى حريق النار وغريق الماء؟ سوف تعلم حين أغدو ترابًا تصل به الريح إلى سمعك

الجاهلون باضطراب المشتاق يقولون : أى شىء يشبه نواح البلبل ؟

يمسك الجميع بالورد ولا يستطيعون الشدو إنما البلبل هو الذى لا يستطيع ألا ينشد ويشدو

بكل ساعة ينهض هذه الفتنة المستجدة الظهور فيُجلس خلقًا فى الحيرة والذهول

أتحسر دائمًا لأننى أنثر روحى ومالى كلهما تحت موطئه ولا يلقى إلىَّ بالاً

سوف تموت يا سعدى فى قيده وهو عنك غافل فاصرخ له حتى يقتلك أو ينقذك

***

من يَرْ طلعتك يدرِ حالى ، ومن أشغل لبه بهواك عجز عن الصبر

علَّك تستر وجهك وإن كان مستحيلا أن يراك إنسان ويغض الطرف عنك

كل مخلوق وقع ناظره على جمالك وهب فؤاده وامتدح روحك وأثنى عليك

إن يتولَّ البستانى مثل هذا السرو بعناية فلماذا عين الماء يقرها فى عينيه ؟

كم منِ الليالى أوصلتها بالنهار عينى المترقبة على أمل أن تصير ليلة واحدة وأنا معك نهاراً

أجعل بكثير من الحيل ليلة واحدة فى فراقك نهاراً ، فإذا لم أرك فى ذاك النهار صار ليلاً

تواتيك الهيمنة والجفاء ولكن لا تفرح فإن ركب فارس تخلف راجل

فارفعنى بيد رحمتك من تراب عتبتك لأنك لو رميت بى فلن يساوى أحد شيئا

أى حاجة بقتل العاشق إلى السيف ، حسبك أن تحكى له أحاديث المعشوق فتفيض روحه

رسالة أهل القلوب هى بالنحو الذى أخبر به سعدى ، وليس كل من له أذن يدرى معنى الكلام

***

مجلسنا عاد يشبه اليوم البستان وعيش خلوتنا يشابه التريض بالرياض

تحل الخمر على ساكن الجنة خاصة من يد الساقى الذى يشبه رضوان

بأى شيء تشبه خَطَّك (الخِضْرَ) وشفتيك اللعليتين ، أقول إنهما يشبهان عين ماء الخلود

ما بقيت غضائرك المتفرقة محبوبى فإن أيامى تشبه الغضائر المتفرقة

ماذا يفعل قتيل عشقك إذا لم يبح بهموم قلبه ؟ أتظن أنك تسفك دمه ويبقى ما فعلت خفيا ؟!

كل من لم يلنْ كالشمع أمام شمس وجهك احذر قلبه الجلمود فهو يشبه السندان

يندر ألا يسلم أحد قلبه إلى وصالك ، كما يندر أن يبقى أحد على إسلامه وهو ببلاد الكفر

أى همٍّ يداخلك حين تضحك كالبرق وأنا أبكى منتحبًا حتى أشبه الرعد الممطر ؟

قد ظلمت حيرة سعدى حين طعنتها ، وما رأى أحد طلعة الحبيب وبقى بدون حيرة

إن من لم يأنس بسيماك وسموك حيوان يشبه الإنسان فى قامته

***

المعيبون علىَّ قالوا عنى حكايات أمام الحبيب ، ولسوف أكشف أنا نفسى ما حكوه فى الخفاء

يقولون إن حالى اضطربت من عشقك قبل الآن ، ولو قالوا إننى رابط الجأش فقد خلَطوا فى كلامهم

لم يسدلوا ستار الستر على عيوبى ، ولم يسحبوا ذيل الإخفاء على ذنوبى ، وماذا جناه الدرويش حتى يحكوا عنه لدى السلطان ؟

أى طائر أنا حتى قللوا الحكاية عنه أمام العنقاء وأى نملة أنا حتى قصروا الحديث فيه لدى سليمان ؟

أظهروا عداءهم لى ، لكن إذا قست فعداؤهم محبة لى لأنهم ذكروا آلامى أمام من هو علاجى

ذكروا جنون زليخا أمام يوسف فحكوا حال حيرة آدم إلى رضوان

لا يرون حروقى الخفية وحبى المغطَّى وما حكوا الأ عمًا رأوه من حواسى الظاهرة

وإذا لم يحكوا له عنى فما الحاجة إليهم وعبراتى وشحوب وجهى قد حكيا قصة عشقى من البداية حتى النهاية

يقولون سعدى يحبك من قبل لكنى أحبك من قبل الوقت الذى قالوه لك

للعاشقين الفعل وللعارفين علم الحال وما قيل من أعماق الروح وقرَّ بالقلب

***

أسبغت أشجار الورد زينتها عليها فهاجت البلابل فى مجلس طربها

وطاف السقاة الماجنون فاستلبوا الوعى من شاربى الخمر بالمجلس

شربنا جرعة وخرج الأمر عن يدنا وفقدنا وعينا ، فما الذى خلطوه بالخمر وهم غير واعين ؟

ذهلنا عن أنفسنا بشربة واحدة ، فكيف عَبَّ الآخرون أقداحهم الكثيرة ؟

سرت النار فى الناضجين وأحرقتهم ولا زال الأفجاج على حال بردهم

فاحمل خيمتك إلى الخارج ، لأن فرَاشى الريح بسطوا فى الخميلة الفراش الحريرى

ما الحياة ؟ إنها الموت أمام الحبيب ، وهذه الجماعة الحية إنما هى ميتة القلوب

قد آذى مسلَحو الأشواك منذ أن وجدت الحياة قاطفى الورد

يرى الناس العاشقين قتلى فاسمع حديث العشق من سعدى فقد تولاه الحبيب بعناية

***

أزهرت الأشجار وردها فثملت البلابل وغدت الدنيا شابة وقعد الرفاق للَهو والمتعة

وقرين مجلسنا يستلب دومـًا منا القلوب خاصة إذا وشى وجهه وحلاَه

من كانوا يحطمون الأعواد في رمضان سمعوا نسيم الورد فنقضوا توبتهم .

ركل البساط الأخضر بقدم السرور من كثرة رقص العارفين والعوام

حبيبان يقدران عهد صحبتهما حق التقدير وهى من انفصلا مدة ثم التأم شملهما

لا يغادر أحد المفيقين الخانقاه حتى يسعى لدى كبير الشرطة ويفشى سكر الصوفية

شجرة ورد قائمة فى رحابة خلوتنا تدنو أشجار السرو بالرياض أمام رفاعتها

لو تخاصمت الدنيا كلها من أجل الحبيب فلن أدرى عنهم خبراً أو أهم بالدنيا أحياء

قتيل العشق حاله كمثال راكب البحر الذى تخلى عن أمتعته ونجا بنفسه

سأل أحدهم السرو لماذا لا تثمر ؟ فأجاب إن الأحرار خالو الوفاض

كثير ساروا على طريق العقل يا سعدى لأنهم جهلوا الطريق إلى عالم المجانين

***

ما عداك صور معلقة بالجدران أمام طلعتك يعدمون ما لك من صورة ومعنى

منذ أن رأيت ورد خديك بدت الورود كلها شوكاً لى ، ومنذ أن اتخذتك خليلاً صار كل الناس غرباء عنى

ما يقال إن العمر ليلة قدر واحدة فليست إلا تلك الليلة التى يقضيها المحب مع محبوبه

من أسف أن ذيل المجد الباقى وجيب الأمل الواعد تأخذهما جماعة ثم تسلمهما إلى أخرى

لست أنا وحدى المطعون بيدك الجميلة ، بل إن كثيراً مثلى قتلهم سيف همومك

إنى فى عجب من عينيك التين تصلان الليل بالنهار فى سبات عميق ومدينة بأسرها مسهدة بهمومك

وما أعجب الواقعة وأشد الألم الذين لا يمكن إخفاؤهما ولا يمكن البوح بهما

يعلم الله أنه لم يبق من جسمى أكثر من خيال بل إنه خيال نفسه يجول بالخواطر

ما أحلى شعرك يا سعدى الذى ينظم بدون حد وروض قريحتك كله طيور تنطق السكر

ومنذ أن تفتحت ورود المعنى فى بستان وجدانك عجزت البلابل منك وصار كطير مالك الحزين

***

يحق لهذه الطلعة الميمونة التى يتفاءلون بها أن تهجس فى قلوبهم وتتجسم خياله فى عيونهم

لأنه لا يمكن أن تصادف فى الآفاق مثل طلعته إلا إذا عكسوا جماله فى مراياهم

ما أعجب إلا من طائر قلب يود الفكاك من شرك همومه وحبة خاله يهيمون بها كل هيام

إنه وجود لطيف لا مندوحة من أن يجعلوا من هاماتهم موطئًا له ، وليس ندا يتوقعون وصاله

والغالب أن طائرًا إذا وقع بشبكة ينتقضون ريشه ويعقدون جناحيه حتى لا يفر هاربًا

وعشق ليلى لا يسعه كل مجنون وإنما الذى يتحمل دلالها ودلها وتمنعها

إن حبك حرام لأن عينيك الفتاكتين تسفكان دم العشاق وتبيحه

ما أسعد عهد وصال وما أهنأ آلام قلب يمكن بثها للمعشوق دونما مزاحمة من الأغيار

إنك لا تتألم لحال سعدى يا من ليس بك ألم ، والمعانون فى المعانى يخبرون صورة حال الحبيب

***

السائرون المقيمون لا يتحاشون البلاء وأسرى الحب لا يفرون من الجور
لو قصَّر الآملون أيدى طلبهم عن ذيل المحبوب فمن الذى يتعلقون بذيله؟
أهل المعرفة يتقون النظر إليك إلا إذا أخفيت وجهك وإن كان هذا مستحيلاً
فأعطنى خِرقة الصوفى وهات أقداح الخمر لأن حسن السمعة والسُكر لا يتفقان
فَحُزْ رضاء الحبيب ودع الآخرين ، وماذا يضيرنى منهم ولو أثاروا الفتن الكثيرة ؟
يحق أن يقوم الخلق جميعاً بحربى أنا الذى وقع صلح بينى وبينك أنت المقصود المأمول
لا يطالبك أحد بديتى لأنه يحل للمحبوبين سفك الدماء
طريقنا هو أساس العجز وعتبة الرضا فلا صبر على قتالك

***

تطل الشمس من الجبل وينقر القمر بإصبعه بابى
هو ذاك المقوس الحاجب الذى ترمى سهام نظراته صيداً جديداً كل وقت
لا يمد إلا يده وساعده للدرويش فيصيده حتى لا تظن أنه يضربه بخنجره
هو الياسمينى الفوح الذى يطعن سرو قامته على علو شجر العرعر
فى حبه وجهى وعينى لهما شأن : الأول ينثر الجوهر ، والثانى يسك الذهب
إن عشقت توجَّب أن تكون جبهتك كالمسمار حتى يضرب حبيبك رأسك بالأحجار
من طلعاتهم شهد لا يخافون الذباب إذ يمتصون الرحيق ويضربون بمشارطهم
ليس من شرط قفل باب فى وجه الحبيب ، وإن أوصدت بابك دونه أطل عليك من الباب
فهات يا سعدى قلماً لك من حديد لأن شعرك يضرم النار فى قلمك البوصى

***

يصرخ بلبل مجنون بشدوه فيسقط طائر محلق فى الهوى

لا أرى أحداً خارج دارى وداخلى يهتف (مرحبا !)

بى نار تحرق وجودى حين تهب عليها ريح الصبا

مع أن الغريق لا يرى لبحر الذوق ساحلا لكنه يضرب الموج بيديه وقدميه

الفتنة فوق السقف قائمة حتى يطل واحد من جدار الدار

جروح العارفين تطيب بمرهمه لأنه يضربهم بسيف معرفته

ظلم أن يخضب يده بدمى ، إذ أن ملكا يشتبك فى عراك متسول

عبد أنا إن يقتلنى بلا جريرة ، وراض لو يضربنى بلا خطيئة

أشكر نعمته إن أرسل إلىَّ خلعة أو ضربنى على قفاى

مكروه عند أهل الرأى أن يدلى برأيه من أعلن عشقه

فقل للمحتسب احرق قبضات شاربى الخمر فمطربنا يعزف على أوتاره جيداً

يتصاعد الدخان من النار ويسيل الدم من القتيل وسعدى كذاك يتصاعد منه هذا النفس

***

الأغنياء الذين هم الجار الجنب للفقير من المروءة أن يفكروا فيه بكل وقت

وأنت أيها الغنى فى حسنك لا تدرى خبراً عن عناء الفقراء ، وهل هم متعبون أم جرحى ؟

وماذا يؤلمك بسبب أن واحداً بلغ بقلبه ألمك إلى الحناجر ؟ وأحباؤك مهما قتلت منهم كثيرون

لا تطردنى عنك بسبب اغترابى وغربتى عنك ، فإن الأحباب الأوفياء يؤثرون الغريب على أنفسهم

أنا عبدٌ لهمة المُجَّان والطهّار الذين يعادون أنفسهم بسبب حبهم لحبيبهم

الشفاه الحلوة لها بدون شك أن تجيب أجوبة مرة لأن المسعدات بعسلها مؤلمات بلدغها

لم تر يا سعدى العشاق الخاضعين له ، السيوف على رءوسهم ورءوسهم عانية مطأطئة له

لا يشابهوننى أو يشابهونك نحن المساكين الحريصين القصيرى اليد فقد عفوا عن الدارين وهم فقراء

***

على المحب أن يؤثر ما يفعله حبيبه على مراده هو

احذر من يشكو إلى الغريب الآلام التى يلاقيها من حبيبه

فتحمل أحمال الحبيب ، فمن يملأ حجره بالورد لا مناص له من تحمل الشوك

دار العشق قائمة فى الحانات فكيف يؤثر فيها حسن السمعة ؟

فلا تكن قعيد مدينة هوى النفس ، فإن كلب المدينة لا يصيد إلا العظام

كل ليلة تكون فيها محبًا لحسناء تحول يوم إفاقتك إلى اختمار

على قاضى مدينة العاشقين أن يقتصر على شاهد واحد [١]

إن زاوية سعدى هى قصر السلطان فنادرًا ما يمر عليها مار

***

١ شاهد تعنى فى الفارسية الجميل المحبوب فضلا عن معناها المعروف (المدلى بشهادته) وبالبيت تورية .

من يقع نظره على طلعتك لا ينظر إلى غيرك ولا يرتوى من العشق ولا يخفف من التمتع

من تميس أمامه متبختراً لن يحول وجهه عنك وإن ضربته بسيفك

إنى لأتوق إلى الموت تحت قدمك توقًا لا يبلغه هوسى بالحياة

لا تتذكر محبك لحظة فى كل فترة بينما لا تدعه ذكراك أن ينساك لحظة

لا أدرى من الذى أجاز لك الفتوى بأن تسفح دماء الناس ، فلا تفعل فلا يفعل هذا أحد

إذا لم تهبنى حظًا منك فلا تبخل علىَّ بالنظر فإن بائع السكر لا يُجيز مثل هذا الظلم على الذباب

فنح وانتحب يا سعدى إن عشقت الأحباب ، فليس من بلبل ينوح بمثله فى قفصه

***

الحبيب لا يوفى بعهده معنا ويفارقنا بلا جريرة منا

قتل شمع روحى ذاك العديم الوفاء ليضىء بنوره فى مكان آخر

يغترب عن معارفه ليتعرف على المغتربين عنه

ذاك البديع القاسى بائع الشعير يتظاهر أمامى ببيع القمح

حبيبى سوقى مخادع وماجن ويظهر أنه أزهد منى

فأغيثونى أيها المسلمون فهذا إنسان عديم الوفاء

تحطمت سفينة عمرى بسبب همومه ثم يجفونى أنا المسكين ببعده

ما يفعله بى فى لحظة تفعله آفة نوازل السماء

وسعدى الحلو الحديث يتسول فى طريق عشقه قبلة من شفته

***

كل من يعش بمعزل عنه عاش تحت وطأة الحياة إذا لم يمت

كنت مجمعًا على ألا أسلم قلبى للعشق لكن سروًا فارعًا استلب قلبى

أذوب حبا لقوامه لكن القاسى يعاملنى بفظاظة

يقبع ثلج الشيخوخة على رأسى ولا تزال قريحتى على حالها فتية شابة

لا أحكى للناس عن لواعج فؤادى فتترجمها عبراتى

يطرق الحديد البارد من يصارع قضاء السماء

والعقل لا يغالب العشق فيصطبر بسبب عجزه

عينا سعدى فى أمل مطالعة طلعة الحبيب تنثر الدر مثل ثغره

إن ثورة اندلعت فى رأسى هذى بلا شك لأنه ينظم كل هذا الكلام العذب

***

إن عاداك الناس طُرًّا فكن مع حبيبك ، فهو المرهم إن لدغك الآخرون

يا طلعة يبدو أمامها حسان العالم طلسمًا زال تأثيره خجلاً منك

إن مِسْتَ مُدلاً صباحًا بالبستان رأيت السرو مجتثا من جوانب الغدير

جور الجميل المحيا لدى طائفة مرٌّ علقم فاسمع من المعتقد فيه أنّ علقمه يعد عنده سكرا

إن كنت عارفًا أيها المتقى فأمعن نظرك تر أن المفتونين رَوْعًا هم أناس معينون

فإما أن تسدل على عينيك حجاب التأمل أو تنتبه متأملاً حتى يزاح الحجاب عن فكرك

لا آسف على روحى ولكن قلبى الضعيف الذى هو صندوق أسرارك لا أود أن يحطموه

حسنك نادر فهذا العهد وشعرى أيضًا وعينى عليك والجميع آذانهم علىَّ

تسائلنى : من الذى يرى جمال الحبيب على حقيقته ؟ أجيب : لا يرونه إلا عن طريق عينى سعدى

***

لا تظهر لطفك ودلَّك يا حبيبى فهناك من ينظر ، والغريب والأليف يرمقونك من وراء ظهرك وبين يديك

ليس من أحد لا يسترق النظر إليك ، وأنا على نفس السيرة التى عليها جميع الناس

أهل النظر هم من ينظرون إليك بنظر المحبة ، ومن عداهم عميان

الناس بين مهتم بالدين ومعنى بالدنيا ، والاهتمام الذى يتجاوز الاهتمام بطلعتك عبث

فأعط يا ساقى هذا القدح من الحانة إلى الدرويش ، فمن مات همُّ طيفه هذا القدح الثقيل

العين إن لم تر جمالك فماذا ترى ، واأسفاه على من يمضون حياتهم غافلين

فما هو فكرك ومن الذى تهتم به وحولك فى كل طرف طائفة تنتظرك

من يرقصون حين يرونك يمزقون ثيابهم فى طلبك إن تركتهم ومضيت

لا يمكنك يا سعدى أن تترك حبك بسبب الجفاء ، فلسوف أجلس على بابه ولو دفعونى عن داره

***

هنا سكر وكثير من الذباب ، فعجبًا من أن كل أولئك مجانين

سعينا طويلاً فى طلبك ولم تتساءل من هؤلاء التافهون الذين يطلبوننا

فلماذا تحث خطاك يا حادى القافلة ، رويدك فكثير من المتخلفين المتأخرين فى الجبل والسهل

تشتعل مائة شعلة من فتيلة مصباح ، وكذا فالنور نورك والآخرون يقتبسون منه

وأنا قلبى ولسانى وفيّان لك ولصحبتك ، أما هؤلاء فكلهم غشاشون وأمامك يدهنون القول

ومن لم يهج بليلة بسبب التفكير فيك هم صادقو الأنفاس إذ بدا الصبح الصادق

ومن لا يهوى رؤياك كما نهوى أقسم أنهم بلا عقل وأخِساء

أتعلم أى جور أذوق من يد عازلى فيك ؟ جور أن يشارك الببغاء قفص الحدأة

ليس من حظى أن أقترب إليك فأدعو إليك من بعيد لعلهم يبلغونه إليك

***

لا يحرى بالحسان أن يتوجهن إلى الصحراء ، فكل إنسان سيعرف بذاك ويجدون فى البحث عنهن فى كل طرف

حلال التوجه إلى الصحراء ولكن من الظلم أن يتوجهن بدوننا

فإن أردن الذهاب منفردات إلى مكان فما كان لهن أن يسلبن قلوب الناس

فمن الذى يرضيه من البستانيين أن يصيب الورد جنون بسبب شدو البلابل

تتصاعد صيحات العشق من حسناوات الخطا إن توجّه هؤلاء الجريئات العيون إلى السلب والنهب

ويتعين على كل شجر السرو أن يحنى قامته حين يسير متسفلاً بجوار ذاك السرو الفارع

ما أكثر العقلاء فى ربع العشق يأتون مثلى عقلاء ويرجعون مجانين

لأتخذن إلى السماء سلماً إن صعدت الحسان إلى الثريا

ليس سعدى الذى غاصت قدماه فى هذا الوحل . وحسب ، بل أولئك الذين يسيرون فوق الماء

***

اجتاجتنى فى فصل الربيع رغبة عارمة فى التريض بالصحراء مع رفيقين لا يمكن أن يخلوا دائماً منى

فرأيت أرض شيراز كالديباج الموشى وكل هذه الصورة البديعة التى تطرز بها ذاك الديباج

فارس آمنة تحت ظلال إقبال الأتابك لكنها تضج صخباً بأصوات طيور الخمائل

مرت سكرية ثغرها كالفسدق للتنزه فكيف أصفها ؟ لا يمكن أن أصف كم كان جمالها

يعلم الله أن الشقائق ليست بلطفها والياسمين ليس بطيب نشرها والصنوبر ليس برفاعة قوامها

سحر السامرى يثير الفتن فى لاحظيها ، ونفس عيسى فى شفتيها القاضمتين للسكر

كنت فى حيرة : هل هى صنم أم هلال أم ملك ؟ كانت محبوبة بقوام الصنم وبطلعة القمر وسيما الملاك

نهبت فؤاد سعدى وعالمًا كاملاً فى لحظة كطعام النيروز حين ينهب من سماط الملك

***

غنمت الراحة من الدنيا البارحة حين كان فلقة القمر ذلك فى حضنى

سكرت من عينيها وهمت فيها صبابة حتى أنستنى الدنيا والدين

لا أسميها صهباء عذبة المذاق ، فقد كان السم من كفها شهداً

لم أدر من غاية لطفها وحسنها هل كان ذاك صدرها وكتفيها أم فضة وياسمين

غدوت بكليتى نظراً وسمعاً لمرآها ومقالها اللذين يربيان الأرواح

لا أعرف حين طلع صباح تلك الليلة واحداً يتحقق من أنه كان مفيقاً غافلاً

قد أخطأ المؤذن حين أذن لصلاة الفجر إلا إذا كان مثلى ثملاً ومذهولاً

قالت لى عرف البر والفاجر ما جرى بيننا ولم يعد تحمل ما كان مستوراً

لم ترها إلا فى الرؤيا يا سعدى وألجم لسانك اليوم عما حدث بالبارحة

والخوف من أن الفقير إذا رأى كنزاً ما استطاع أن يصمت من فرط حرصه

***

لا فوت لكل صبوح الوجه من أن تتعلق به العيون حيثما مَرَ

فاعف يا ورد أيضاً عن جرأة البلبل ، فحيثما يكون اللون والطيب يكثر الكلام

تتوق النفس إلى أن تلثم شفتاك شفتيها ، لكن لن يتحقق هذا إلا بعد ألف عام حين يصنع قدر الخمر من ترابها

كانت الصافيات الوجوه كثيرات فى كل مدينة ولكن لم يكن فى مثل طهارة ذيلى وعفاف سجيتى

يا من فزت بقصب السبق على حسان الزمان مسكين من كان كالكرة فى عقفة الصولجان

إذا لم يضر شعره كشعرك أن تنحنى وتتغضن فذرها حتى يتضوع بالمسك صدرك وحضنك

أعتقد أن من لا يتعلق بك ليس بشراً بل صورة من الحجر والنحاس

لا أستطيع أن أغمض عنك عينى مرة ، ومن ضاع قلبه تجده يجد فى طلب الهدى

لا يزفر قلبى الضيق بزفرة كاملة كأن أنفاسه أنين امرئ سقط فى جب

فكن شاكراً يا سعدى واقبل الجفاء ولا تنطق بكلمة فكل شىء من يد الحسان جميل

***

أى سحر مبارك ذاك يا ربى لليلة البارحة ، فقد مرت وانقضت على قتيل الهجران

ذاك الحبيب الذى ننظر فيه نظر المحبة عله ينظر إلينا بعناية

لن أحكى من بعد عن مرارة الهجر ، لأن هذه الثمرة الطالعة من شجر الصبر كانت بطعم السكر

لها وجه لا يمكن تشبيه حسنه بأى شىء ، كأنه النهار انفتح بالنور فى خضم منتصف تلك الليلة

أقول إنه قمرى فلا يرضى بهذا التشبيه أحد لأن روضة على كل فرع من شجرها قمرى

من أول وهلة عرفته بها لم أعرف شيئاً عن نفسى وعن كل من بالعالم

بلغت فى عالم وصفه عالما يفوق فى نظرى كلا الدارين

مقالة (كنت أنا وكان هو) لم يخطها القلم على جبينى ، فلا يمكن القول بوجود غير وجوده

رأيت الصبر ليس درعا قويًا أمام غمزات الحبيب التى شهرها كالسيف
تعجز يا سعدى أن تمعن النظر ثانية فقد سلب فؤادك الذى قُدّر عليه الصبر

***

لا عيب إن جفوتنا وأين يتجه المجنون إن فارق عتبة ليلى ؟
لا أضن بروحى فداء لك ، وكثير من الرءوس تذهب من أجل الحب والوفاء
وليس مستغربًا أن أتسول فى ربعك حبك وقارون لو دخل خيلك صار متسولا
والمجروح بِهمٍ العشق لو وضع السيف فى قفاه فلن يتحول نظره عنك لو فارق موضعك موليا دبره
أرى من الظلم أن تضع قدمك على الأرض لأن قدمك أحرى بها أن تطأ أبصارنا
لا أتوقف فى أى مجتمع يدور فيه القيل والقال إلا فى ذاك المقام الذى يجرى فيه ذكرك
فإن مررت أيها المفيق على سكران فلا تطعن فيه لأن القضاء ينفذ حكمه على رءوس الناس
بقينا كأثر القدم فوق الطين ولا يعد خصما للند القوى من تطيش سهامه
فاصطبر يا عارفًا فى ربع المحبة وظلم الحسان جار على جميع العارفين
لن تبارح يا سعدى هوى الحبيب ، وعليه فيلزم قدمك أن تشاك بشوك الجفاء

***

قلت له لن أشبع منه حتى يفارق قلبى ومن قيدت قدمه صعب عليه النجاة
لابد أن يكون القلب جلمودًا على طريق الوداع حتى يتحمل يوم أن تعقد فيه أحمال الفراق

أُبلل الطريق بعبرات عين حسرتى حتى أحول ترابه طينا أيام القافلة إن جاز لى ذلك

لما فارقت نظرى صورة الحبيب لم أر الطريق ، وكنت كعين ابتعد المصباح من أمامها

قد حطم موج لتلك الأثقال سفن الصبر حتى أننى أعجب من لوح خشب وصل الساحل سليما

كان من السهل عليه قتلى بسيف العتاب ، وقتل صاحب النظر هو أن يفارقه قاتله

ولا غرو من أن تزول قواعد الصبر والتحمل لدى العين التى يمر عليها ذاك القدُّ والشمائل

لا أعرفُ واحداً لم يصر أسيرك فى هذه المدينة إلا ذاك الذى يأتى المدينة ويمضى عنها غافلاً

إن من لم يرض قلبه طول عمره بالخيال والتخيل إذا بلغ طريقك غادره بلا قلب

فأسفر عن طلعتك فإنك تزيل الصبر عن قلب الصوفى ، وارفع حجابك فالوعى يفارق جسد العاقل

إذا لم يعشق سعدى ملك الوجه فأى شيء يضير ملك الوجود ؟ ومن الظلم عليه أن يمضى كل عمره باطلاً

لا يدرك قيمة الوصل إلا من عذبه الهجر ، ويهنأ بالنوم المتخلف عن القافلة حين يصل إلى منزل الإقامة

***

كل من فقد رباطة الجأش لا يخرج للنزهة والنظر ، والرفيق يسافر مع رفيقه ولا يمضى وحيداً

لا تهب ريح راحة الحياة على القلب الجريح ، ولا يتنفس الصبح الصادق حتى تنتهى ليلة وإن طالت

تضيق الأرض بما رحبت على من تعلقت قلوبهم بحبيب ، ومن غاص بالطين لا يفارق موضعه

ولا تزايل قط قلب مجنون العشق أفكاره فى حبيبه عن طريق التفرج على الزهور والخضرة والصحراء

أسافر معك ولو مشيت على أقسى الأشواك حافيًا بدافع حبى لك أسرع ممن يسير فوق بسط الديباج

إن بدت طير التذرج بديعة مختالة فى سيرها بالجنان فإن جمال تبخترها يزول أمام خطوك

إن أنت يا عرش سليمان زايلت موضعك لتنتهى إلينا فلا غرو ألا تسرع النملة فى خطاها إلينا

كيف حال البستانيين بالليل وقت إزعاج البلابل والجلبة والصياح لا يبارح الحدائق فى أيام الورد ؟

قد طوى شعرى كل العالم ولم يبلغ سمعك ، أجل إن شعرى لا يذيع فى مكان تكون مقيماً به

إن أعرض بالنصح البعض عنك فلن يثنينا عنك السيف لأن العاشق لا يثنيه سيف أو مداراة

فاحجب وجهك فأنت معشوق نهاب سلاب وإلا نهبت قلوب سكان هذه المدينة

يستخلصون الجواهر من حلوق التماسيح ، وكل من خشى على حياته لا يمضى إلى البحر

فتحمل يا سعدى الأثقال ولا تنس حبيبك ، وهاك كلف (وامق) وحبه لم يزل بسبب جفاء (عذرا)

***

من له جنينة لا يمضى إلى البستان ، ومن جلس ثابت الجنان لا يذهب مبلبل الخاطر

ومن تعلق بذيله شوكة ما حدثه خاطره بأن يتجه إلى الرياض

السفر إلى القبلة طويل ، ومجاور الحبيب لا يحول وجهه عن قبلة المعانى إلى صحراء الصور

لو أتى بمفاتيح جميع أبواب الجنة فلا تمضى روح العاشق للتفرج على رضوان

ولو أسكرت فكرك رائحة الحقيقة يوماً فلا يتوجه داخلك ماضياً إلى الورد والشقائق والريحان

وكل من أدرك أين يقع منزل المعشوق إذا لم يمشى فوق أسنة الرماح فهو مُدَّعٍ

وصفة العاشق الصادق على الحقيقة هى ألا ينكث ميثاقه وينقض عهد محبته ولو طارت رأسه

ويجب أن يرد الوالى على ناصحه قائلاً : امض عنى يا سيد فدائى ليس له دواء

وصورة العشق لا تُزال من قلبنا باللوم ، والنقش على الحجر لا يزيله الطوفان

لم يكن عقلى يود أن يعاين العشق لكن ليس من تميَار سرَاق قط لا يذهب إلى السجن

فإن قضيت يا سعدى كل لياليك فى شرح همومه فلسوف تنتهى لياليك ولن ينتهى شرحك

***

يتجه سرو فارع إلى الصحراء فانظر مشيته كيف يمضى بجمال وبدع

أى جنة تفوقه إسعاداً وسعادة أنه يهب السرو حيثما اتجه

يسير فى الطريق فيقول الموتى تحت أطباق الثرى إن المسيح هو الذى يسير

ما كان لهذا القاسى أن يمشى ذاهلا بجماله لو علم ماذا يجرى لنا

فقل للعارفين أصحاب القلوب غضوا من أبصاركم فهذا الملكى القوام يسير حتى يستلب الأفئدة

قد استلب أفئدة كل من رآهم بالمدينة من الرجال والنساء ، والآن هو متجه إلى الصحراء

تزول الشمس والفكر والغيرة أمام شمس سروى القامة حيثما يولى

بسطت الحديقة بكثير من البسط حتى إن الإنسان يسير فوق فرش من الحرير

لا يمكن للعقل أن يصارع العشق ويغلبه ، لذا يتجاوز أمر العاشق المسكين حد المداراة

قد أفنيت يا سعدى فؤادك فى فكره وولى لكن روحه أيضًا تسعى على قدميها إليك

***

يا حادى القافلة أبطئ من سيرك لأن راحة فؤادى يسير معك ، وقلبى الذى بصدرى يمضى مع سالب قلبى

أنا العاجز قد هجرنى من لا حيلة لى به ، قد ضاق بى وكأن لدغة فراقه تسرى فى عظامى

قلت سأخفى جروحى الباطنة بالتعاويذ والسحر ، ولم يعد خافيًا أن دمائى هى التى ظهرت تنزف منى

فلا تسرع يا حادى القافلة بقافلتك وضع محملك مكان روحى لعشق هذا السرو المستقيم تفارق جسدى

يسير هو مختالاً وأنا أذوق سم الوحدة فلا تستدل ثانية عليه منى فقد ضاعت الأدلة من وعيى

أتجرع مرارة فراق الحبيب فقد تركنى فى جحيم كأننى مجمر يمتلئ ناراً تتصاعد من وجودى البارد

ومع كل ظلمه هذا ووعوده الواهية تلك فلا أزال أحتفظ بذكراه فى قلبى وتجرى سيرته على لسانى

فعد واسترح على عينى أيها الفتان اللطيف فإن الثورة والصراخ يتصاعدان من أرضى إلى سمائى

لا أرقد بالليل حتى السحر ولا أسمع نصح ناصح وأضرب على غير هدى لأن عنانى خرج عن سيطرتى

قلت سأبكى حتى تغوص أقدام الإبل كالحمير فى الطين ، لكننى لا أستطيع هذا أيضا لأن قلبى يسير مع القافلة

صبرى عن وصال الحبيب أو تحولى عن حبه وإذا لم يكن لى مناص من الصبر فهل هناك غيره بإمكانى ؟

يقصون أحاديث شتى فى مفارقة الروح للبدن ، لكننى رأيت بعينى كيف تفارق روحى بدنى

(يا سعدى إن الصراخ بسببنا لا يليق بك يا عديم الوفاء) لكننى لا أطيق جفوتك فلا أستطيع غير الصراخ

***

ما يتمناه قلبى يتحقق أخيراً ، وما يرغبه عقلى ينتهى فيه عمرى

إذا لم تتفضل بالمجيء إلينا فذهابنا إليك باطل ، ولو تحولت رءوسنا إلى أقدام تسعى إلى طلبك

برق برق من جماله فأحرق محاصيل الناس ولم يعترف بأن دخان قلبى تصاعد من كل هذه النيران

يا شمساً فى نظرك أيضيرك أن تنير بابنا وجدارنا

ولو ألقيت إلينا نظرة ود فحدقتك هى حُقَّهُ كيمياء السحر يتحول بها نحاسنا إلى ذهب

نهب العشق عقل العاقل ولم أسمع أن البازى يصيده الحمام

وإن مررت بمثل صباحة وجهك ثانية لتحول دين التقى إلى مذهب المجان

وكل من غاصت قدماه بالوحل وانتظر لكى يأخذوا بيده فإن قدميه يشتد غوصهما كلما زاد اجتهاده فى الخروج من الوحل

وإذا تجسم فى قلبنا نقش الحبيب حطمنا كل ما يتجسم مماثلاً نقشه

تسقط أشعة شمس العشق على الجميع ، ولكن ليست كل الأحجار من نوع واحد حتى تغدو كلها جواهر

كل من سمع نظم سعدى بسمع القبول صار نظم وعظه فى أذنه أشد وقعَا من الدف

***

يسعدنى الحظ لو توافق رأيك مع رأيى حتى يسمع بذا الحسود فيقع عليه وقع أسنة الرماح

فاسفح دمى واتركه يسيل على طريقى ، فكل عنائى ومشقتى هذى قليل هيِّن عندى

من سلم له التريض بالربيع استوى لديه الورد والشوك من عشق البستان

أيها المفلس ما يهجس بخاطرك هو خيال الكنوز ، وإن سعيت لتحقيقه وقعت فى المهالك

قد أصابت سعدى لوثة من الجنون لما وقع فى أحبولة العشق وإن تخلص منها فحق له أن يكون بارعًا ماهراً

***

من يتجشم نقشه فى مكان آخر يزيد نقشه في عيننا كل يوم زينة وبهاء

أتدرى ما هو العشق ؟ إنه سلطان حيثما ضرب مخيمه تقررت له بلاد ذاك المكان بلا منازع

إن كان شراب جور العشق فى حلوق غيرنا علقما فإننا نأخذه من يد الحبيب ويغدو سكراَ

إن تيسر لك هذا المجد وهو أن تنجى قلبك من حبيبك بأن تضمه إلى صدرك وتنال وصاله فافعل

لم أكن أتخيل قط أن يجن جنونى بالعشق ، لكن الفيل إذا سقط أسيراً صار مسخراً

أعيش كل لحظاتى فى هذه النار التى ترى لحظة بلحظة حتى إن باطنى إن احترق أنار وأضاء

وحتى لا تظن أن خاطرى يسعد بتذكر غيرك فاشهد ظاهرى مع الناس وخاطرى فى مكان آخر

تنهمر عبرات الشوق من مآقى سعدى على يده وخطابه وكتابته ، فلا جرم أن ينضر كلامى حين أنظم الشعر

إن الشعر المقبول يصدر عن باطن محترق ، لأن العود حين يحترق يعطر الدنيا بأريجه

***

ينقضى أسبوع من عمرى ويطول إلى عشرة أيام، ولم يتنفس بستان الصفاء نفَس وفاء

من عاد وجافانى وباعنى رخيصاً لا يمكن لكل العالم أن يشتروه منى

ما لم يكن فى كل العالم أشد منه مرارة إن جرى ذكره على شفتيك العذبتين فهو اللطيف واللذيذ

لو خشيت الشوك فلن أحمل بحجرى الورد ، وإذا كان النجاح فى حلق تمساح فينبغى طلبه واحتيازه

فلا تفارقنى حبيبى فلن يقر لنا قرار بدونك ، ولا تصرم وصلى يا محبوبى فلن أنفصل قط عنك

لا أنشغل عنك بمصلحة لى ، ومحال أن ينظر إلى مصلحته من نظر إليك

سماع الثناء والسباب سهل ، وما الذى يجمل ويحسن من أن يكون بينى وبينك كلام ونقاش ؟

اجتهدت كثيراً فى إخفاء همومى ، وفى النهاية بلغت روحى حلقومى ونفد صبرى

فغيِّر أخيراً أيها المطرب عزفك لحن العشاق هذا ، فإلى متى ستردد أنك هتكت سترى بمخالبك ؟

مات المتعطشون إلى شفتك يا ماء الحياة ، فحتَّام يمكنهم القفز على ساحلك كالسمك ؟

فاسمع شعر سعدى يا من أنت جمالك بذاتك خاصة حين تجعله دُرًّا فى أذنيك

***

ليس عندى آثر من حسن حبيبى ولا أوجب غير ملك الدقيقة التى أقضيها بلا زيادة مع حبيبى

لشفتيه اللعليتين النضرتين حلاوة إذا تحدث لا ترد بأى حديث آخر

ينهمر الدم من عين المحزون حسرة من أنه لن يتفضل بالنظر إليه من طرف عينه

فهلمَ إليَ فذكراك تهجس بخاطرى لحظة بعد لحظة ، مع أن تذكر الماء لا يزيد غير العطش

يحدونى الأمل أن تسفر عن وجهك إلى جماعة إذا لم يتوجب أن تثور فتنة وهياج بإسفارك

إن أزمعت الرحيل فبادر بسفك دمى لأنك إن لم تسفكه سوف يتصفى من عينى

الماء الجارى من عينى وأنا أنتظرك لا يشبه ماء عين الماء الذى يظهر فيها

كل امرئ يتمنى منك أمنية وأنا أخالفهم جميعًا فأنت كلك أمنيتى

إن أذقتنى السم بيدك فأجدر وأولى من أن تعطينى السكر بيد خادمى العابس

أنت مثل الكعبة العزيزة وقعت بمركز الكون ومن أراد وصلك فعليه أن يطوى العالم كله

ما قِست هذا القياس وهو أن قوة ساعد العشق تختطف عنان العقل من يد الحكيم

ألم أقل لك لا تنظر يا سعدى إلى التركيَات فإن لم تترك التركيات فعليك التحمل

فى بيوت هذه المدينة لو أراد أحد ألا يرى الوجوه الجميلة فلا محيص له من أن يطلى وجهه بالطين

***

إن الحظ يلج علينا من الباب إذا ولج منه واحد مثلك ، ووجهك الميمون رؤيته تفتح أبواب العظمة

لا مناص من أن يصبر أبو الفلك العجوز صبراً بليغًا حتى تلد أم الحياة ولداً مثلك

كل هذه اللطافة التى لك تسبى جميع الأفئدة ، وهذه البشاشة التى بك تزيل جميع الهموم

إنى أنفس حسداً على القميص الذى ينام فى حضنك ، وتنشق كبدى من ريح الغالية لأنها تمسح جسدك

قصب السكر مع كل حلاوته إن فتحت شفتيك لمضغ عقلة إصبعه مذهول أمام نطقك العذب

إذا لم أفز بشيء من الدنيا أو الآخرة فإذا فزت بك فقد فزت بكل شيء وما نقص منى شيء قط

عانيت كل قسوة بعد أن أسلمت لك قلبى ، وكل من ناء عن تحمل الحبيب فهو ناكث لعهوده

أرشدت جميع الناس عن تقوس حاجبيك ، ومن ير الهلال يرشد عنه جميع الناس

لوحَلَّ لك سفك دماء كل الناس والعالمين فلا يحل أن يرى وجهك جميع العالمين

لا يمكن أن تجعل العاشق يغض طرفه حتى لا يرى المعشوق ، ولا يمكن عقد ساق البلبل حتى لا يشدو على الورد

النظر إلى الجميل ليس حراماً يا سعدى ، ولكن إن استرقت نظرة إليه استرقَ قلبك

***

ألم أقل إن صيام الدهر لا يدوم وإن الرياضة تنقضى وتنتهى المعاناة

ولا مناص من الراحة بعد التعب ولكن ينبغى أن يتجمل المرء بالصبر

وإلى متى سيخفى العبد عنا وجهه وهذا هو الهلاك يظهر حاجبه

لماذا تقفل أبواب بستانك فى هذا الموسم ، افتح الأبواب حتى تتفتح القلوب مبتهجة

ومر عبداً أن يحرق العود ، وقل لجارية أن تسحق المسك

لأننى أعتقد أن الحبيب السرو المشوق آتٍ هذه اللحظة ليزجى تهانيه

إن اختطف الفرسان الحلقات من الأرض فى تدريباتهم فلا يزال هذا الجرىء اللطيف يختطف القلوب من حلقاتها

إن تحدث الحبيب فى مجلسنا فقل للمغنى أن يغض من صوت غنائه

يحدونى الأمل فى أن تتحقق الرغائب وكما ينتهى الوصال ينتهى أيضاً الفراق

لا أشبع منك ولو قطبت حاجبيك لى ، والجواب المر من الحلو يساوى السكر .
أسبغ على رأسى حبيبى رغم أنف العدو ظلالك لأن الفأر الأعمى لا يحب أن تشرق الشمس

أخرج زمانى المخالف الورد عن يدى ، وأملى أن يخرج أيضاً الشوك عن قدمى

لو بقيت الحياة فنا هذا الهم والحسرة ، وإذا لم يمت البلبل تثمر شجرة الورد

من كثرة أن خطر خيال طلعتك فى ناظرى فكرت فى أن اجتهد لكى لا أستحضر خيالك فى نظرى

ضربنا ألف قرعة باسمك ولم ترجع ولا أدرى من تطله آية الرحمة فى طالعه

لابد أن تذهب يوماً إلى الجبل فيبكى بسببك سعدى حتى يبلغ دمعه وسط الجبل

***

لو عاد حبيبنا المسافر فكأن قافلة السكر عادت من مصر إلى شيراز

فقل له أقدم أيها البازى فإن وجدت قتلى جديراً بك أتيتُ أمامك كحمامة طائرة

وقل للسمعة الطيبة والسيئة والقلب والدين أن تفارقنا فما مقدارها حتى ينظر إليها العاشق المفتدى ؟

كنت أجدُّ طلباً لهذا الحجر بروحى كل عمرى حتى يحطم قفصى فيطير منه طائرى

لو وضعت على قلب الجبل هذا الكى المُحرق للأكباد الذى بروحى لصرخت الأحجار من حرقته

منذ أن طالعتُ طلعتك قلت فى نفسى لا ريب أن كل الدلال والتمنع سوف تبديه مثل هذه الطلعة

محبوبى يتميز عن كل ما يتصوره العقل ويتوهمه الوهم ويقيسه القياس

إنْ عدت ووطأت عينى سعدى وناظريه فلن يغتم إنْ كان المنظور سيلقى الإعزاز

***

لو عاد هذا الناقض عهوده إلى الاستقامة على مواثيقه عادت روحى التى غادرتنى إلى قالبها المشتاق

إن نظر صبحه إلى الآفاق لاستحالت كل ليالى العالم نهاراً لتطالع طلعته

لكل همٍّ فرج لكنى أخشى أن يأتى الترياق قبل أن يقتلنى السم

لم تصدر عنا أى عبودية ونطمع أن تتولد السيادة من سيرتنا هذى وأخلاقنا

لو تجمعت كل صور حسان العالم فإن بهاء وجهك يأتى فى ديباجة أوراق هذه الصور ومقدمتها

لو أحس غيرك بى فهو بخيل ، ولو أحرقتنى بكل إحراق فهذا منك مقبول

السرو الذى تأصلت جذوره وسوقه مكان إقامته لو سايرك لسال حياؤه من سوقه خجلاً منك

وإن هبت علىَّ بدونك ريح الصبا مرهماً لقلبى الجريح فهى نار مضرمة فى المحروقين

إذا لم يُزهق فراقك روحى فسوف أضحى بها لوصالك ، فأنت إذن الفائز بالرهن فى الحالتين

كل من عجز ياسعدى عن التضحية بروحه فليس الرجل الذى يدخل فى دائرة العشاق

***

لا يبلغ أملى إلى أن يسع وصفه بيانى ولو سطرت مائة كتاب فوصفه يربو عنها

يا من أنت روحى العزيزة فارقت أعضائى عد إلى جسمك وإلا سقط إعياء وعجزاً

اللوم الذى جرى علىَّ والمصاعب التى ألمت بى لو قصصت باباً منها كل مرة لصارت قصة طويلة

أنَّى للمشتاق إلى حضرتك أن يعبأ بالكلام والشرح . إن البلبل لا يتحدث إلا حين يكون الورد بالبستان

أى جدوى من ماء الفرات بعد أن فارقت العطشان روحه؟ أتظهر ليلى بعد أن توارى المجنون ؟

أحبك أيها الورد فأنا أسكر من شعرك المسكى كأن أريج حبيبى الرءوم قد فاح

قلت لنسيم الصباح تنح عن طريقه لأن الصبا الناثرة للعنبر تهب من الناحية التى هو بها

الذنب ذنبك إذا انتحب من نفد صبره ، ألم تعلم أنك إذا أضرمت النار تصاعد الدخان ؟

قد أخطأت جهلاً منى بقولى إن عذرا حائرة ظالمة وكان على وامق ألا يجهر بشكواه منها

للقلم خاصية وهى أنك تشق رأسه حتى صدره ثم تأمره ثانية فيجرى على مفرق رأسه

لا مندوحة للرياض والجنان من قبول جور رياح الخريف بسبب عشقها لنسائم الربيع

لو سال الدم من قلبك يا سعدى بسبب الحبيب فليس من شرط الحب أن يخرج من قلبك إلى فمك

***

من الذى مرَّ حتى تهب علينا رائحة العبير ؟ وماذا يجرى حتى يأتى هذا المحبوب المعشوق ؟

يدلى يعقوب بأوصاف يوسف المفقود لعل بشيراً يأتي من مصر إلى كنعان

ضعت ولا يدرى عديمو النظر أن عين السوء والحسد تصيب المبصر

يتكسر الحبيب فى مشيته ، ويقول عقلى مخاطبًا طبعى أمعِن النظر فهذا عديم النظير يسعى آتيًا

وجمال الكعبة يحفزنى ويثير حماسى حتى إننى أجد الأشواك تحت قدمى حريراً

لست منشغلا بك يا من طلعتك فردوس بالحد الذى أنسى فيه ذاتى

أعجز عن غضِّ نظرى عن رؤيتك ولو رأيت سهماً مقبلا علىَّ ليصيبنى

أردية المعانى الكثيرة التى أحيكها على قامتك تأتى أقصر منك

أتى الحبيب يرمى إلى قتلى ، واعتقد المدعى أنه لم يأت إلا لكى يظهر رحمة بأسيره

بلغ نواح سعدى كل حى بالدنيا ، ولن يصرخ صارخ إلا إذا أضرمت النار به

***

انظروا ثغر ذاك المعشوق العيَّار الذى يفيض عذوبة ، وانظروا الدرر بوسط اللعل المثمر للسكر

واشهدوا بستان عارضة متريض القلوب قد غصَّ بالنرجس والبنفسج وزهر الرمان

يستلب بنظرة واحدة ألف قلب منا ، فانظروا هذا الذى هو عزة السوق ورونقه

اشهدوا السنبل المغروس فوق الورد السورى ، وانظروا العنبر المنثور حول مزرعة الياسمين

بهاء وجه الحبيب اليوم قد زاد جمالاً كثيراً فانظروا كيف سار حالى هذا العام بأسوأ من العام الماضى

لو ندر قيام الفتن فى عهد الملك العادل فانظروا عينه السكرى وفتنته السفاكة

اسمعوا كلامه مع أننى أعلم أنه لا يحادث أحداً بدافع الكِبر والعزة فانظروا كيف يمشى ويسير

لحظة أن أرسل غضائره المشعثة انظروا كم من القلوب ذلت لطرته الطرارة

درج دُر عقيقتى ذاك الولد هو الكنز فانظروا الأفعى المتحلقة بأعلى هذا الكنز[١]

استولت عيناه على مدينة بسيف غمزاتها السفاحة القاتلة بلا جريرة فاشهدوا ضعف المطعونين

باطن سعدى معبد نار بسبب حرقة عشقه ، فانظروا فى أشعاره الحرقة التى بقلبه

قال لى بالأمس ياسعدى إننى أتهكم من قولك أننى ملكك ، فانظروا دلاله الكذاب ثانية

***

آن الأوان لكى تنسخ رائحة البستان ماء الورد الذى للعطار

أزال من رءوس النيام نومهم سهر بلابل السحر

قد اعتزلنا بصومعة الزهد فمن الذى يحمل السجادة إلى الخمَّار ؟

نخلص ولا نرائى حتى لا تغدو خرقتنا الساترة زنار كفر

فانهض يا من نامت عيناك السكرى وأيقظت ألف فتنة

١ الدر هو أسنان الحبيب وعقيقتاه شفتاه وأفعاه هى ضفيرته ودرج الدرر ثغره .

إذا استلب معشوق قلبًا فكأنه استلب قلوب الخلق جميعًا

إما أن تُطيب خواطرنا أو تجعل خواطرنا لا تهجس بك

ليس من طريق إليه ولا نظر إلى وجهه ، والمعشوق ملول ونحن أسرى

ليس من أفضل من جروحك إنْ أصبت المجروح وليس أخف من أحمالك إن تثقلت بالأحمال

قد قررت أن أنزف دمًا ولا أتحول عن حبيبى

لو أتيت لى بالدنيا والآخرة قائلاً خذ هاتين واتركنا فلن أبيع يوسفنا وسأقول لك احتفظ بدراهمك المعدودة

***

يستوى أن ينام العاشق على الشوك أو الحرير إذا عجز عن ضم الحبيب إلى صدره

لو صبر غيرى على رؤيا حبيبه فلن أستطيع أن أقف ساكنًا فوق النار

النار موجودة والدخان يتصاعد منها حتى السقف وعينى عين ماء يقذف ماءها الموج إلى الساحل

إذا كنت فارغًا منا فنحن بك مستظهرون ، وإذا كنت فى غِنى عنا فنحن بك آملون

يا من أنت منشغل بمحبة رفاق غارك إن مهمومًا يقف على وصيدك ككلب أصحاب الغار

أحتمل كل هذه الأحمال وأمشى على قدمى ، والجمل الثمل يسير بنشاط محملاً بالأثقال من فرط حماسته

ألقينا درع الحرب وطأطأنا برأس الاستسلام ، وأنت الحاكم إن قتلتنى أو أمَّنتنى

إن ضربت بسيف الجفاء فضربك راحة ، وإن قطبت وجهك فمرُّك حلوى هنيئة

فإن أثَّر فيك ياسعدى حرقة العشق فيحق للعبد أن يفخر بكىٍّ سيده له

***

الخلوة بلا مُدَّع والسفرة بلا انتظار هما دولة أو عظمة راعى الروح وصحبة الطيب المعشر

آخر العهد هو الليل وأوله الصبح أيها النديم ، فلابد لك من صباح ثان فانهض من رقادك

لا يستبعد من الناس أن يتصوروا أن النهار أشرق إن أطللت بطلعتك بالليل كالشمس

فأوقد المشاعل وامنع المشاغل حتى تفارق رأسى مشاق النوم والخمار

قم واغتنم حركة رياح الربيع وشدو الطائر المُغرِّد وضوع الشقائق الجميل

أوراق الأشجار الخضراء لدى أرباب الفهم كل ورقة منها دفتر يعرفون بها الله

آن الربيع فقم لكى نتريض ولا تثق بالأيام وأن الربيع القادم سوف يأتى عليك

الوعد الذى واثقته بالليل أذكِّرك به بالنهار ، فقد تجاوز الليل الحساب وخرج النهار عن الإحصاء

مضى عهد الشباب وابيض الشعر الأسود وبرق البرق اليمانى ولم يتخلف عن الفارس غير الغبار

امْحُ دفتر فكرك وقل مقالة سعدى واملأ حجرك بالجوهر وانثره على رءوس أهل المجلس

***

مَن الحىُّ فى رأى العاقل غير من يموت على ربع حبيبه ؟

إن العاشق المجنون السكران لا يفيده نصح العاقل

الرأس التى تقدمها ليقطعها حبيبك خير من أن تقطع بها الديار متجولا

فيا من استلبت فؤادى وأحرقت روحى وانصرم عمرى فى فكر الهيام بك

إن شراب السم ليس مراً من يدك ، وإن جبل أُحد لو أثقلت به كاهلى ليس حملاً

الذى أسره حبك لا ينجو ، والغارق بعشقك لا يرى ساحل الخلاص

الآلام الخبيئة بقلبى المحزون أحرقتنى فلا جرم أن يظهر عشقى علانية

لا تتخيل سكينة تقر بقلبى ولا تتوقع مناماً لجفونى

أفصح بشكواك إن شكوت منا وإذا كان الذنب ذنبك فغرمْنا نحن

إذا لم تعذر الواقف على قدميه فلن يسكن الغبار ما لم تجلس أنت

ما فائدة الحياة وما نفع المال ، أنا مُدَّع إذا لم أنثرها فداء لك

فلا تبتئس ياسعدى إذا جرحت ، فيكفيك فخراً أنك مكتو بكىٍّ سيدك

***

تحمُّل الجفاء من الحبيب شرط ، ومع الخمر خمار والورد شوك

أنا معتقد بأن كل ما تنطقه حلو من شفتيك اللتين تمطران سكراً

لا يمكننى أن أذهب إلى غيرك ، فلا ملجأ منك إلا إليك

لا أعيبك إن ضحكت علىَّ حين أبكى منتحباً من إيلامك لى

فلا شك فى أن البستان يضحك وقتما يبكى سحاب الربيع

أنت ماضٍ بسيرك ولا تدرى بأن بعقبك القلوب والأبصار

إنْ أنا مِتُّ عندك مرة فلست بحاجة قط إلى تمريض ولا أشعر بألم

ولا أشعر إلا بحسرة أننى حى أُرزق حتى أموت ثانية عندك

قلت أعتزل ناحية كأنى حجر وأولى قلبى نحو الجدار ، وأعلم أن هذا لن يتيسر لى لأنك تجعل الحجر ينطق

لن يبارح سعدى عتبتك بسبب إيلامك له فإلى أين يتجه ، ومن الذى سيأسره غيرك بقيده ؟

***

إن المحب هو المصطبر على جفوة حبيبه وهو الذى يترك رضاءه فى سبيل رضاء الحبيب عليه

يرى العاشق الصادق أخطاءه هو ويغض الطرف عن أخطاء حبيبه ولو وضعوا السيف على عنقه

إذا لم يجد الحبيب حيلة لإزهاق روحنا قتلنا نحن أنفسنا من أجله

سمعت أن محبين اعتزلوا إلى الصحراء لنفاد صبرهم على لوم الناس وجفاء أحبائهم ، لكنى لا أذهب إلا إلى ربع الحبيب ولا أسجد إلا على موضع قدمه

قلت هواء الرياض عليل فى أيام الورد ونحن لا نبارح هوى الحبيب

البستان الذى لا يشهد فيه الحبيب هو مجلى الجهد والعناء ولو غرست مائة شجرة ورد بدل الحبيب

ياريح إنْ ذهبتِ إلى رياض الروحانيين فأبلغى دعاء المحب لحبيبه القديم وقولى له منا :

لا نتحدث مع أحد عن آلام عشقك ، وإنما يذكر للحبيب كل ما يجرى للمحب

كل واحد يحتظى بالعيش مع جماعته لكن سعدى مختلٍ بزاويته ، ومن يعرف الحبيب ينكر جميع الخلق

***

يصل إلى الفلك النور من وجهك الذى يشبه الشمس (قل هو الله أحد) أبعد الله عنك عين السوء

لا يمكن أن نجد بشرياً مثلك فى الآفاق ، بل لا تماثلك حور فى الفردوس

حين ترى الحور وجهك الفردوسى يوم القيامة سوف تعترف بقصورها إنْ أنصفت

لا يتحول ليلنا إلى نهار إلا حين تخرج من مقام الليل المظلم كالصباح من الدياجير

فإذا لم يكن مستغربا أن يميل الأحياء إليك فإن الموتى يستقرون فى قبورهم بعشقك

من لم يكن به نظر إلى مثلك أنت المنظور البهى فلا يقال له إلا بهيمة تحيا بلا شعور

لا تبطل خرز العيون سحر عيونك ، والسكران لا يظل مستوراً مهما بالغوا فى ستره

بسبب هذه الحلاوة التى بك لا عجب من أن تجلب يداك عسلاً ويعقم النحل

ما يجرى بى فى غيبتك حبيبى لا يمكن حكايته إلا فى حضورك

أنا وأنت اليوم من يشار إليهما بالبنان من النساء والرجال ،أنا بعذوبة شعرى وأنت بشهرة حسنك

يصعب علىَّ أنهم ينظرون بملء أبصارهم ، فهل تشعر ياسعدى بالغيرة ؟ لا عجب فسعدى غيور

***

لا تطيق الفراشة صبراً وهى بعيدة عن الشمعة فتطير لها ولو أحرقها نورها

كل إنسان أسير إنسان آخر يتملقه إلا أصحاب النظر فيأسرهم عشق حبيبهم المنظور

حين يُحشر الناس ويقام الحساب وتُعرض الكتب سنُبعث بذكر الحبيب وسيُبعث بقية الخلق بنفخة الصور

وما دمت مقيما بالجنة فلن ينظر أحد إلى الحور ونثمل بشراب عشقك الصافى ولا نتعطش إلى السلسبيل والكافور

أخشى أن تضرم شرار آهات المشتاق النار فى الحجاب المستور

وأنا على علم وكذا المتألم المسهد ماذا يقصد الليل الطويل ذو الديجور ؟

ماذا يفيد هلاكنا فى النهاية ؟ وماذا سيأتى للعنقاء ؟ ومن قتل عصفور ؟

لا تقترب منى بصورتك ولا تفارق بصر فؤادى

إن رُمْت ياسعدى العسل فالواجب أن تحتمل لدغات النحل

***

من الذى يتوجه إلى المصطاد وقلوب المحبين مقيدة بسلاسلك

إنه لشقيق لساحرِىْ بابل المخلَدين وجارٌ لفاتنات كشمير

وهو الجنة التى سمعت عنها أن العجوز عندما يراها يغدو شاباً

لا يخبر السهام من سقط مصاباً بها بسبب عشقه قوس يديه وساعديه

يا قاسياً فى جفائك واهياً فى عهودك مضيت عنا ومضى علينا التقدير بما أمضى

يلوم قصار النظر ويحذرون بلا جدوى من العشق

يخرج مع روحى من جسدى دماء حبى التى استوعبتها عروقى مع لبن الرضاع

لو طلب حبيب العشاق روحى فلا يجوز منعه ولا تأخيره

من توجَّب عليه أن يحقق مراد الحبيب فقل له اترك أنت مرادك

ما دمت ياسعدى أسير العشق فما تدبير أمرك ؟ إنه تدبير التدبير

***

حقيق أن نهرب من الجميع لكن لا نهرب منك فأنت بلا نظير
والمشرب العذب لا يكون بدون زحام ، وضيافة الكرام لا تكون بدون فقير
أذاك عرق من جسمك أم ماء ورد ؟ وذاك نفس من ثغرك أم عبير ؟

***

قـد بذلت فيك جسدى وعقلى وروحى وأوقفت عليك قلبى وعينى وضميرى
ما القلب وما الروح اللذان أحيا بهما ؟ قل هبهما لى محبى أجب سمعاً وطاعة
إن راحة روحى تكمن فى قبضة سيفك ، وإن مرهم قلبى يتكون من جعبة سهامك
من الذى أفصح له عن آلامى الخبيئة وليس يخبر بآلامى إلا الخبير
يعيبون علىَّ ما الذى تراه فيه ويعجبك ؟ إن الأعمى لا يدرى ما يراه البصير
ولماذا لا تتعقب صاحب الشرك الغزالة المسكينة المغلولة العنق ؟
كل من افتتن فؤداه مثلى كثيراً ما ينظم الشعر المؤثر
أتدرى ما سبب جمال أنَّات سعدى ونواحه ؟ إن الفوح الطيب ينتشر حين يحترق العود

***

مفتون أنا بضفيرتيك وقوامك أيها البدر المنير ، أقامتك هذى أم قيامة ؟ أعنبر ضفيرتاك هاتان أم عبير ؟
تُهت فى طريق الجنون فأرشدنى أيها المرشد ، وتهاوى جسدى فخذ بيدى أيها المُعين
إن طردتنى عنك طرد الكلاب من المساجد فأنا مرتهن لأمرك ارتهان المريد لكلام شيخه

سنان صراخي ينفذ من الفلك الأطلس عن طريق مجرى قلبي كل ساعة كالإبرة حين تنفذ من الحرير

ماذا أفعل وأنا أطيق فراق قلبي ولا أطيق فراق محبوبي ؟ وماذا أفعل ويمكنني أن أهرب من روحي ، ولا أهرب من حبيبي

لا أستطيع بدونك شراب السلسبيل في الجنة ، وأرتضي وأنت معي بالزمهرير في النار

إن يطر طائر وصلك في هواء خطي فما أسعد تلك الساعة إذا أطير بأربعة أجنحة كالسهم المريش

لأطيِّبنَّ لساني بذكرك ما حييت ، ولأنقشنَّ صورتك في وجداني ما بقيت

إذا لم يمطر مطر العناية على غيث الفضل لأجهرن ببكائي حتى يصل السماء كاليهود في عيد الفطير

أنا في فتنة عظمى فتجاوز برحمتك عن سهوي ، وأنا مفزع عاجز فاعف عن تقصيري في طاعتك

آهات سعدي المتألمة إن تجاوزت عنان السماء لن تؤثر فيك أيها الكافر المدعي الإسلام

***

نحن غرباء بهذه المدينة فقراء بهذا البلد أسرى أحبولتك ومقيدون بفخاخك

أبواب الآفاق مفتوحة لكنها علينا موصدة لأن سلسلة من ضفائرك تعقد قدم قلبي

أعجز عن الامتناع عن النظر إليك كل عمري فلا تمنعني نظرك يا مليك الحسان

مع أن في حشمك وخيلك كثير أفضل منا لكن لا نعرف لك نداً في كل العالم

جال بخاطري أن أفتديك يوماً بروحي لكن انتهيت إلى أن روحي متاع حقير

هذا الحديث الذي أفضي به من فرط آلامي ، ولا يفوح المسك إلا وسط النار

ولو قلت لك إننى بخير ورباطة جأش فيخبر بما أضمره من سر شحوب وجهى

لن أرفع عن قوسى حاجبيك عينى ولو خيطوا جفونى بالسهام

فما أعجب إلا من أولئك الذين ينصحونى ، خلٍّ عنى سيدى فلا يؤثر نصح فى العاشق

إن الجسد الرائع ياسعدى خُلق من أجل النظر إليه ، فإذا لم تنظره فما فائدة عين البصير ؟

***

أيها المتميز عن الخلق بخلقك إن عيون خلقٍ مثبتة على حسن خِلقتك

يحق لمن به كل هذا اللطف أن يتحمل محبوه كل هذا الدلال منه

يا من لعشق شجرك السامى جفل طائر روحى فى تحليقه إليك

عدم النظر من أوصد بابه على وجه كوجهك

أجترع النبيذ لو كان من يدك ولا أصلى إذا خالفتك الصلاة

إن بكيت كالشمع فأنا معذور ، ولا يقول أحد لك ألا تدعنى فوق النار

لا أتفوه بحديث وأنا ملتهب بنار العشق ما لم تتفوه به عبرات عينى الغمازة

الماء والنار متناقضان ، ولم نسمع بأن العشق والصبر يتلاءمان

وكل من يروم رؤيا الحبيب فليعلم أن للحب حقيقة ومجازاَ

وشرط على المشتاق أن يتحمل طى الوهاد والنجاد

العاشق ياسعدى يحيا إن مات على عتبة الضراعة للحبيب

***

المتقلب بداخل رداء الدلال كيف يخبر حال الليالى الطوال ؟

لن يشهد العاشق نهاية لعشقه ما لم يبدأه هو أولاً

جهدت ألا أسلم قلبى لأحد ، لكن ما العمل مع هاتين العينين المفتوحتين ؟

فاحذر بلاء سهام النظر ، إنها إن مرقت من قوسها لا تعود إليه

ألم يخيطوا عينى الصقر لكى يخفوا عنهما تبختر التذارج ؟

المحتسب يقتفى آثار الماجنين ويغفل عن الصوفية عاشقى الحسان

الورع الذى ذاق خمر العشق خالط معاقريها فى الحانات

ومن تعرَّف إلى الورد قل له اذهب وارض بجفاء الأشواك

لابد أن تلقى بدرعك مستسلما يا من تهوى رامى السهام

كرم أن تلقى من حبيبك إن كان إهانة أو إعزازًا

فيد المجنون متشبثة برداء ليلى ، ووجه محمود ممرغ بتراب قدم إياز (١)

كل متاع ينشأ من أصل كالسكر من مصر وسعدى من شيراز

***

أيمن الليالى وأسعد الأيام حين أتى الحسن الطالع لاستقبالى

فقل لقارع الطبل أن يقرعها بالبشارة مرتين فكانت بارحتى ليلة العقد ويومى الآن هو النوروز

أهو قمر أم ملك أم آدمى ؟ أهو ملاك أم الشمس المنيرة للعالم ؟

---

(١) يقصد به محمودا الغزنوى السلطان الغزنوى الشهير الذى يقال إنه كلف دانفا بغلامه (إياز) كلف المجنون بليلى .

ألم تدر بأن الضدين يجتمعان في شخص واحد ؟ قد أحسنت على رغم سوء فهم المتعلم منك

لى مع الحبيب أيها العدو اتصال فإذا لم يعجبك هذا فخيط عينيك

أدرى أننى لم أسترح بسبب آلام فراقك فى ليالىَّ من صرخاتى التى تفتت الأكباد

إذا لم تكن تلك الليالى الموحشة ما أدرك سعدى قدر النهار

***

هذه الرياح التى تتخل المسك تربط على قلبى ، وروحى فقم أيها النديم فقد آنت نوبة السحر

استدع الجميل وأضئ الشمع وضع الخمر واسحق العنبر واحرق العود وانثر الورد

ولو وافاك حبيبك فلا تنطق البتة ، فما أحلى العروس الحسناء الوجه ولو بدون جهاز

ولو تكرم السحاب اليوم بغيثه فقل بالغد للعطشان الذى مات من عطشه انبعث حيًا

إنى متشبث بالوفاء لك وعهدك حتى إننى أقطع يدى عن ذيلك بحد السيف

إن ضربت بسيفك فهذا جسمى درع لضربك ، ولا يحترز من عدوه غير العيار المدعى

حين أُبعث حيًّا بالآخرة ، أستريح من يوم الحساب ، إن رأيتك

أتوجه بصلاتى إليك حيثما تتجه ، فوجهى إليك ووجوه غيرى إلى القبلة بالحجاز

إن سعدى خائر القوى لأسر فخ عشقك له ، ومن قيدته بأصفادك لا يتيسر له النجاء

***

أيها الساقى الفضى البدن لماذا تنام ؟ استيقظ وصب ماء السعادة على نار الهم والغم

واطبع قبلة على ثغر الكأس ثم أدر الشراب المختلط بالشهد

فسحاب الربيع ونسيم فصل الاعتدال ينشران الدُّرَر وينخلان العنبر اجتهدنا ألا يتلوث ذيل التقى الورع بالحانات

فأعملت اليد العليا للعشق قوتها ولم يعد للمعرفة مجال لمجابهتها

قلت : لماذا لم تقطع طريق الهروب على العشق أيها العقل القوى ؟ فقال : لو تحول القط أسداً فلن يصرع النمر

والحسان يخربون منازل الزهد ، والمطربون يقطعون الطريق إلى الحجاز

ويُحيل فى الخلق التوبة مراراً ذاك المحبوب الحلو اللسان المثير للفتن

إن سنحت لك الفرصة ياسعدى فتعلق بضفيرتى حبيبك

واترك أعداءك على حالهم حتى يبعثوا أحياء يوم القيامة

***

هبَّ نسيم الربيع فَنُحْ أيها البلبل العذب الأنفاس واشدُ بشجنك إن كنت حبيسا مثلى فى سجنك

يحب الناس الظرفاء والقبحاء ويعشقون كل يوم واحداً ونحن لنا حبيب واحد وحسب

فأبلغ ياحادى القافلة ذاك المقدَّم المحمول الراكب : نم هنيئًا على بعيرك حتى يدق الجرس للاستراحة

إن حلو البضاعة مهما يطارد الذباب ويذبه بدرته يئوب الذباب ثانية إليه وهو ممسك بدرته

وما جدوى نصح العقلاء وقد اشتد علىَ قيدى ، ولو وثبت هذه المرة من قفصى فسوف أظل مسهداً من بعد ذاك

إن خُيرت بين أن أضم الحبيب إلى صدرى أو يدق عدوى بسيفه عنقى فقد ارتهنت بمن لا أنشغل عنه بغيره

وإن أجالس أحداً لحظة عساى أنشغل به عن حبيبى أصِرْ كالصبح الذى لا تطلع شمسه وتنحبس أنفاسى بقلبى

أنا المفلس بين قافلة فاقصد غيرى من تريد ، ومهما يأخذ العسس منى فلن يتركوا المطرب فى حضنى

وإنْ أردت النصح فقله وإن رُمتَ القيد فضعه ، فإن مَن جُنَّ جنونه لن يخضع برأسه إلا حينما يترك المجنون رأسه

لقد أذعت ياسلوى الفؤاد صرخات سعدى فى جنبات العالم ، وكثيراً ما جعلته يصرخ فكن صريخه مرة واحدة

***

لعلَّ الديك لن يؤذن الليلة فى السحر ، فإن العشاق لم يكتفوا حتى الآن من العناق والتقبيل

نهدا الحبيب فى ثنيات ضفيرتيه المجدلتين ككرة العاج فى ثنية صولجان الأبنوس

احذر أن ينام حبيبك الفاتن ليلة ، وابق ساهراً حتى لا يضيع عمرك هباء

وحتى لا تسمع أذان الصبح من المسجد الجامع أو قرع الطبول من قصر الأتابك فلا ترفع ثغرك عن ثغره الذى يشبه عين الديك بسبب أذان الديك العابث فهذا بله وعته

***

بادر بعونك ، فمن الواجب أن تصبر على معالجة جراحه أملاً في شفائه

من الذى يرشدنا إلى مخيم الوصال ؟ أخبرينا يا ريح الصبا عن ساحته

أهرق من عينى عبرات مطر كالنجوم وجه يحار الصباح من صباحته

كلما قلت سوف يشفى قلبى المطعون نثر هو عليه ملحًا من ملاحته

وما يتراءى أشد قبحًا في عين المحبوب لا ترى عين المحب فيه قبحًا

والمسكين الذى يتخيل صورة وجهك لا تتخيل راحته بدون رؤيتك

مع عينيك النصف ناعسة أبرم دائمًا بعيون النرجس وكثرة وقاحته

غنجه ودلاله وشفتاه الضاحكتان وطلعته البهية ، مع كل هذا كيف لا يطمع إنسان في سماحته ؟

سعدى الذى دَقَّ وجوَّد فى وصف جميع الحسان وقف عاجزاَ لسان فصاحته فى وصفك

***

من يريد هلاكى وأود سلامته كل ما يبديه من تمنع جميل لن يلومه عليه أحد

الحديقة التى تختص بفرجة الناس وتريضهم لا تعطيهم ثمارًا ، لكن تفاح شجر قامته يقوم بالغرضين معًا لكل من به نظر

لا أداوى قلبى لأن مَن مرض بالعشق لم يرجعه أى دواء إلى الشفاء ومن لم يفتد حبيبه بدنياه وآخرته وماله ونفسه

فقل لا تهتم بالحسان حتى لا تحل عليك الندامة

لا أقاتل ولو فصل يدى بسيفه ، بل لن أطالبه يوم القيامة بدمى ، فلعلى أراه ثانية يومها ، فما يجنيه من آثام أتحمل أنا غرامتها

كل من هوى وتابع رغبة قلبه لا تتوقع يا سعدى سلامته

***

يخجل سرو البستان من قامته الممشوقة ، ولا تصيد ثنايا شعره التى تشبه الأحبولة غير العقل

لما رأت الصبا شجرة قوامه اضطربت وتهاوت ، ولم ينْمُ فى الخميلة سرو إذا لم يجتث من أصله أصلاً

لو نافسته الشمس فهذا من ضروب الهراء العابث ، وكيف يجرؤ الهلال على أن يكون حدوة لجواده ؟

ضاع وجودى العاجز بالحد الذى لا يمكن علاجه بالنصح أو حتى بقيده له

لو قررت سلفًا أن أحول قلبى عن الحبيب ما سمعت من أعدائى كلامهم البذىء

فيا من أنت ملك الحسن هب عبيدك نظرة واحذر دعاء الفقير وكف ضراعته

فمن ذا الذى يقدر حديث سعدى فيه الحلو السكرى وألف ببغاء هى ذباب أمام سكره ؟

كل من أحب حبيبا رقيق القلب قل له بأن يحتفظ قلبه المحب بهذا الحبيب

كذب عاشق الورد إذا لم يتحمل الشوك ، فيا من تبتغى لى الخير زد عنى فى النار ولا تنصحنى بتركه

ألا ليت كان ألف روح بقلبى لافتديت بها جميعًا ، وصادق العشق لو غضب من اللوم على حبه لا تعده محبًّا

ولا يبلغ أحد سكينة فؤادنا ما لم تبلغ روحه حلقة فى البداية

ودار الحبيب القاسى هى التى يطل كل من هب ودب من سورها عليه

إن دماءنا لا تساوى إلا ما يقدره الحبيب لها من مقدار

إن خاطبك سعدى من عمق روحه فاترك روحك وحُزْ قلبه

***

من قسا عليه حبيبه توجَّب عليه احتماله ، ولا أطيق السير حينما أنظر إلى تكسُّره فى مشيته

وإنى لأثمل من نطقه حتى لا أدرى إجابة على خطابه ، وقتيل سهام العشق يحيا حتى يمر حبيبه ثانية على مرقده

وإن أراد أن ينطق بكلام أشد مرارة فقل له : انطقه بشفتيك الناثرتين للسكر

كان عشقى مستوراً فلم أطق كتمانه فأمطت اللثام عن أسراره

ما أسعدنى إن أدركت خدمته ، لكن أى خدمة أقدمها وتفى مقداره ؟

أخشى على الناس التياثهم جنوناً من تردده كالملاك عليهم ، فليت هذا السلطان ما خرج حتى لا يرى المتسولين فى سوقه

إن عدم رؤية الحبيب ياسعدى أفضل من أن تراه وسط الأغيار العاذلين

***

لم ير أحد عذوبته ولطفه ودلاله فى غيره ، ولن يرى أحد من لا يود أن يراه ثانية

إن مطربنا يحوى من الألم ما يجعله يطرب فى نواحه ، وشدو طائر العشق عذب اللحن رخيم الصوت

هجس بقلبى مراراً أن أُخفى هموم العشق ، وقدح الماء لا يمكنها أن تخفى أسرارها

والطائر الطيار ولو شاخ فى قفصه فلن ينسى طبعه الطيران

فما فعلنا حتى إن شفتى الحبيب الحلوتين لم تعودا تنتفخان بكلام وعينيه لم تعودا تتدلَّلان ؟

إن سببتنى دعوت لك ، والعبد يؤدى فروض الطاعة ولو لم يجد إعزازًا له

لم يبق بغريق بحر إيلامك أكثر من رمق فأدركه بسفينة النجاة

إن دماء سعدى أحقر من أن تلوث بها يدك ، وليس للجرادة ذاك القدر الذى يجعل الصقر يصيدها

***

حينما أشرق بدر وجهه من مطلع جيبه عوَّذته من العين الحاسدة بالفاتحة ونفثت بها حوله

ماذا سيفعل بى انقلاب الزمان بسبب هذين : يده فى عنقى ، ودمى فى عنقه ؟

من يجهل من الذى قتل الزاهد قل له انظرا أنامل الجميل ولون أظافره

لو قالت الخميلة إن الشقائق بى تحاكى لون وجهه فلابد من إخراج لسان سوسنه من قفاه

لا أجرؤ أن أسميه بالقمر والثريا والسرو والشمس ، فلطف الروح فى جسده مع أن جسده ملفوف بقميصه

جذب كمه من قبضة المساكين الأسرى مثلى ، فكيف يمكنه السير وكل هذه الأيادى والقلوب تتبعه ؟

جعلت نصيبى مناصبة أعدائه العداء فإننى أُعادى فى كل موضع من العالم من يعاديه

لو غدا جسدى شعرة بيد جور الزمان لكان هذا أيسر علىَّ من أن تصاب شعرة من جسده بأذى

أى طلعة طلعته ؟ قد حرت فيها وصفًا . إنها صباح يشرق من المشرق حين يطلل من نافذته

إن عددوا أسماء المفيقين يا حبى بعد هذا ورأيت فيها اسمى فخط بقلمك ماحيا له

لا تليق بسعدى هذه الخرقة التى للأتقياء الزاهدين ، فأعطنى أيها الساقى الكأس واخلع عنى هذه الكسوة

***

لا تتركه الأيام فى حضنى حتى أنتصف منه لنفسى بتقبيل ثغره ، أقع فى الفخ الذى يصيد به إليه ألباب الناس بأن أحتويه فى ذاتى

لكنى أعجز عن جذب غضائره بيدى لكثرة القلوب التى سقطت فى ثناياتها . قامة هذا الفتان التى حيكت اللطافة كالثوب بطولها أنا عبد لها

أضاع ضوعك ولونك ياسروى القد فضى القوام رونق نسرين الرياض ونرجسه ، فاخط بالرياض النضر مرة حتى تدوس أرجوانها وياسمينها

ما أجمل التريض بالربيع خاصة فى شيراز إذ يقتلع قلب المسافر عن وطنه . وجمال يوسف الورد صار

عزيز مصر الرياض وفاح الصبا بريح قميصه

فلا غروا أن يبكى السحاب ويفتر ثغر البارعم ضحكا وسخرية بروضها يسبب غيره الروض منك

لو عبرت على مقبرة وأنت تميس مختالا فلا عجب إن صرخ ميتها فى كفنه ، فلم تبق الأيام مفتونا فى أيام الملك سوى سعدى الذى فتنه جمالك وافتتن الناس بشعره

***

احذر ثغره الضحاك ونار لعلية ونضارة أسنانه تلك . المرضع التى ربت هذا المعشوق لم يكن لبن ثديها غير الشهد والعسل

لو رأى البستانى تكسره فى مشيته لاقتلع السرو من بستانه ، ولو دخل هذا الحور الجنة لصار جميع الحور خدماً وحشماً له

وليس من جب بطريق المسلمين إلا جب تجويف ذقنه ، فحتّام تظل متعطشاً لماء الخلود مثلى من عين ماء شفتيه ؟

يحق لوجهه أن يهدى بنوره الحائرين المشاهدين له ، فأين ياحادى القافلة جمال الكعبة ، فقد متنا فى صحرائه ؟

ما أكثر من يثب ويسقط على الأرض كالكرة من ثنايا طرقه التى تشبه الصولجان . فلا جرم أن ينهزم العقل والصبر اللذان عجزا من مباراته

ولن نستطيع من بعد أن نصبر على فراقك فهذا فوق طاقتنا ، فأى حزن يعانيه سعدى من اللوم والميت لا يخشى المبضع ؟

***

أخطأت بالاستماع إلى أراجيف الأعداء حتى نسيت عهدك مع أحبائك

من قال لك اكشف عن طلعتك التى تزين المدن ؟ اسدل حجابك عليها إن أظهرتها ثانية

ولا يدرى هذا القاسى أننى أجوش كالمرجل النحاسى ، ولا أرى خلاصاً من يد فكرك إلا أن أقع سكران مذهولا

أسمع فى الظاهر نصح الناس ، ويقول العشق لى فى الباطن لا تسمعهم إلا الساقى الذى يروينى والمطرب الذى يشنف أذنى بلحنه

فهات كأسى وخذ كسوتى عوضاً وأعطنى نقلا وبع من أجله خرقتى فلن أفيق حتى تخرج أنت سعيداً ، فإن خرجت أنا عن وعيى لا يسعك العالم من جمالك ولم أسع بحضنى قط كنزاً

ينصحنى العقلاء :لا تصرخ كالطبل عبثًا ياسعدى . لكن الطبل لم يظل صامتا ، ظل يضرب بالعكاز

***

رحلت ولم ترحل من ذكراى ، وتأتى وأخرج أنا عن وعيى ، وقوس حاجبيك سحر ممتد دائمًا حتى أذنيك

فدع قدمك لألثمهما إذا عجزت يدى عن ضمك إلى صدرى فالجور عدل واللدغ منك عسل ، تعطل العندليب عن شدوه بالربيع بسببك

هموم قلبى التى كنت أداريها بالليل هتكت ريح السحر سترها ، وذاك السيل الذى بلغ البارحة خصرى سوف يتجاوز الليلة كاهلى

تتحدث المدينة فى سحرك إلا المتحيرين فيك الصامتين فاقعد إذا قامت ألف فتنة من حلقات العارفين المذهولين

ومحال أن تسكن قِدر صدرى عن غليانها بسبب النار التى أضرمتها ، والبلبل الذى وقع فى يد جميل مثلك ينسى رفاق روضته

فامض سيدى واشتر بما تملك أحباءك ولا تبعهم بخسًا ، فإن تاب أحد من عشقك فلا تطلب ذاك منى ولا تسمع نصحًا

يقال لى : فسعدى يأمر الناس بالنصح والبر وينسى نفسه

***

لو صرخ أحد من العشق فلا يستغرب الغليان ممن وقف فوق النار وذاك القميص الذى تمزق من الاشتياق استر ذيل عفوه بذنوبك

يهب نسيم الصبا بنشر الورد فلا يظل البلبل المستهام صامتًا ، ولو أنشد المطرب لحنًا فى العشق ما عاد السامعون إلى وعيهم

ولو أعطى الساقى خمراً من قدح العشق لأزاح بائع الخمر الخرقة الصوفية ، فهات هذا السم لأن جوارحى تصرخ فىَّ بحب الشرب

لا يسألك من لم يهنأ بنوم فى بارحته كيف طول الليل فظلم من مات بغير عشق ، فاسع إلى العشق ما ظلت نفسك حيه وأنفاسك تتردد

فمن الذى لا تنحنى رأسه إلى قدم الأحبة والحمل الثقيل على كاهله وسعدى ولو يصير ترابًا فلسوف يظل بكاؤه الأليم مسموعًا لأن كل من له قلب يتنفس من أنفاسه يهدر ويصرخ حتى القيامة

***

كل إنسان له بفكره هوس ولديه مهمة وأنا العاطل مرتهن وحسب بهوى قلبى

ولم أكن أتصور قط أن تكون معى ، فلماذا وافيتنى ؟ كنت لقمة تنوء بها حوصلتى وحاصلتى

فأنت معى وصياح العذلاء تلاحقنى ، وأنا المأسور بك ليس لى أمامى طريق إلا الصحراء

يظل كىُّ الفراق يحرق كبدى إلا إذا مسحت بيدك كالمرهم فوق جراح فؤادى

لا أصدق الحظ فى أنك سوف تحل ضيفًا بى ، وهل سرداقات السلطان يسعها فضاء الفقير ؟

لن آخذ مرهما من أحد لطعنة سيف همومك فأنا طست ذهنى مفتت لا تقبل أجزاؤه الالتئام

ولا يمكن مخاطبة العاشقين بالتراجع عن حبهم ، ولا يمكن مساءلة الكافرين بترك معتقدهم

أنا اليوم حاضر وأنت والمطرب والساقى والحسود ، فقل لنفسك أن تتعلق بباب حجرتى كالستارة

لا أخشى أنا ذاتى من كيد عدوى ، لكن العقرب لخبث طبيعتها تلدغ ، إذا لم تجد شيئا ، الحجر

بلغت سكينة فؤادك ياسعدى فاشرب الخمر ولا تغتم من شنعة البعيد والقريب

فيا من قلت لا تُسلم قلبك إلى هواك و لا ترتهن بالحب أنا كما أنا فخل عنى وفكر أنت فى مصلحتك

***

لم أشهد ليلة فى حياتى لم يشهد بها طائر قلبى على ورد خديك فما الداعى إلى وجود البلابل والحدائق ؟

إن فرغت منى أو لم تفرغ فأنا بوجهك عن كل العالم فارغ

لا أمل فى النجاء من ألم عشقك ، ولا يمكن أن يهرب العبيد الموسومون على جباههم بعلامة الرق

وأى نَصب واهتمام لك بنعيق الغراب وكل البلابل يصدحون لك بالحب ؟

ودليل سعدى على إشراق وجهك وجود وجهك نفسه ، ولا يمكن رؤية السراج إلا بنوره

***

هات ياساقى هذه الصهباء وتنغم أى مطرب على أنغام الصبح فلم أر من الزهد فتحاً وفلاحاً إلا إذا حطمت الحجر بالزجاج

دمى قلبى ولم ألق نجاحاً إلا إذا اجتمع حسن الذكر بسوء السمعة على اتفاق ، وما إن أتى العشق حتى رحل العقل كالريح من صدرى ألف فرسخ

فإلى متى أيها الزاهد المتسربل بالخرقة تخاصم العاشق المضنى ؟ قد طوف العاشق الدارين والزاهد قابع لا يزال حسيراً

خرقت خرقتى من عشقك علّى أتشبث يوماً بوصلك ، فاعشق كل أيامك ياسعدى حتى تكون بلون واحد فى كلا الدارين

***

لو عاد إلىَّ محبوبى الفضى القد القاسى لانتشل الورد من شوكى واستخرج الشوك من قدمى وأخرج من الطين قدمى

هل تبغين ياريح السحر النهار من هذه الليلة ؟ افتحى متاعك عن مخيم من ذاك الشمس

لو فتح قبضة يريد القتل تقدم ألف صيد له تستعجل أن يهرق دماءها

الجمع المجالس لى يخالف عقلى ودينى ، يأخذون بتلابيبى قائلين افصل يدك عن ذيله

فلماذا يعيب العاقل على العاشق ، والنائم على الساحل لا يدرى حال الغريق بالبحر ؟

ولو لوث يديه الرقيقتين بدمى فلربما عافت يده وقبضته وما ارتضيت بقتلى

لو كان عاقلا لأدراك أن المجنون لا يطيق صبراً أن ينيخ بعيره إلا فى منزل ليلى

تتولد من العقلاء أفكار تمزق الناس فإن شئت الراحة والسكينة فاتخذ العشق أيها العاقل

وما دامت لدىَّ قدمان تسعيان فهما طالبتان وصالك ، فدع العقل حتى يعترف بنفسه بأفضلية الجنون العابث

ترى عجائب النقوش خلاف النقوش الرومية والصينية ، لكن لو جالست الحبيب غفلت عن الدنيا والآخرة

ولا مناص لك من حديث فى هذه المعانى لا يوشيه غير سعدى بنظمه ، فكل ما يخرج من الروح يستقر لا محالة بالقلب

***

عين الله ترعاك يا بديع الشمائل فأنت حبيبى وشمع الجمع وشاه القبائل

تذهب متجلياً ثم تعود ولم أر السرو بصفتك هذى يتماثل

لكل صفة دليل معرفة وطلعك على قدرة الله دلائل

فلا تقرأ قصة ليلى وغصة المجنون ، فإن عهدك نسخ ذكر الأوائل

اسمك تسير به الركبان وسمع به العارفون فرقص الاثنان :السامع والقائل

أى ساتر بين العاشق والمعشوق وسد الإسكندر ليس بمانع أو حائل

فقل لكل المدينة أن تشاهد وتنظرنى وأنا قد تعلقت يداى معتنقاً الحبيب كالحمائل

انتهت النوبة والعمر ولم يسكن شوقك ، وما حبك عنى بزائل

إن طردتنى فلن يشفع لى أحد ، وأنا أعرف الطريق إليك وليس لى غير ذلك من وسائل

من الذى لم أفض له بحكاية هموم عشقك ؟ قلت كل ما عندى ولم تنحل المشاكل

سعدى ليس بعد هذا عاقلا ولا مفيقاً ، فإن العشق قد فارق فنون الفضائل

***

لا تظن الواله يقبل النصح وليس بى أذن الاستماع لمن يقول

لم أسلك طريق العشق ما كان بى عقل ، لكن قلبى اتجه إلى مكان تحير فيه العقول

فأنصفنى بما أن قلبى لا ينقلب ، فكيف أنا إلى وصلك مشتاق وأنت ملول ؟

لا يبارح فكرى لحظة أنك لا تهجس بخاطر ولكن مفترق الأمر كثيراً بين الأفكار والوصول

سأقبِّل يوماً رأسك وأقع على قدمك ، وهل تحتاج الفراشة إلى إذن بالدخول ؟

انظر العصفور يتوق إلى صحبة الشاهين المسكين فى هلال جسده عجول

(نفسى تزول عاقبة الأمر فى الهوى يا منيتى وذكرك فى النفس لا يزول)

لا عزيز علينا من كل العالم إلا أنت ، ويستوى أن تلقى بضاعتنا المزجاة منك الرفض أو القبول

أيها الرسول الشهير الذى تحمل الأخبار إلى الحبيب : ليتنى كنت أنا بدلا منك الرسول

تقلبات الزمان وتجارب الحياة شيبا شعرى ، ولا يفارق رأسى نفس هذا الفضول

فإن وقعت ياسعدى بالأسر فتحمل أحمال الهم ولا تنعقد يد النشال عاطلة إلا إذا كان حمولا

***

أنا واقف وبخدمتك مشغول سواء إن حازت خدمتى لك القبول أو غير القبول

فلا يدى تتعلق بك ، ولا قدمى تنجو منك ، وليس بى احتمال فراقك ولا اختيار الوصول

لم يكن شرك عشقك كافياً فجاءت ضفيرتك المفتولة ثم نظرت أيضاً فى محبك المقتول

أنا لست مثلك قد تراجعت عن عهدى معك ، وحق محبتى إننى لن يحدث منى عن عشقك عدول

لن ألومك مع أنك محب لا تفى ، فألف روح غالية فداء طبعك الملول

أنا قابل اللوم بسبب جرمى أنا لأن عشقك حمل ثقيل وكنت أنا الظلوم الجهول

إذا كان ما يجرى لى بسبب فراقك فإننى أتلو على التمام (الحديث يطول)

عاجز أنا عن المتابة بسبب عبارتى فما أكتبه من كلام معسول

أين أنا من نصح الناصح العابث ولا يبلغ الحكيم رئاسة (بهلول)

لا يمكن تعلم طريق العشق بالكلام إلا لمن كان العشق فى طبيعته هو المجبول

فناد بتلطف أسير قيد همك لأنك تطرده بقهر فلن يكون لسواك المغلول

ليست قوة ساعد سعدى بل يد مقدرة الهزبر يسقط منها درعها بضربة من سيف غمزه المسلول

***

كنت جالساً مشغول الفكر فى حالى وباب دارى موصداً عن الخروج والدخول

وسهرت الليل كله وعيناى معلقتان بعتبة الأمانى أن بالصباح سيدق باب حجرتى المأمول

الخمار برأسه ويده بدماء المفيقين مخضبة ونرجسه السكر بالفتنة مكحول

استغرق تصور المعشوق خيالى حتى لم يعد يتصور بعده معقول

وآل حديث العقل أيام سلطنة العشق إلى أن قال الحكم عليه حكم العامل المعزول

لا أشكو منك بل أشكرك كما ينبغى ، إذ إن الملك تفضل على دار الفقير بالنزول

كما أشكرك لأن العاشق الأكول سينتبه إلى ذاك السماط الذى أعده المضيف وما عليه من مأكول

وحق حبك إن ضربة سيف من يدك توافق طبعى كضرب الغناء بالأصول

أى نسبة لى بالعشق وللحبيب بالمعشوقية ؟قل نسبة القاتل والمقتول

فاسمعنى :يجب أن تحكى أنت بثغرك العذب ضنًّا برسالتك عن أن يبلِّغها رسول

لا يسع باطن سعدى غيرك فما أجمل من أنه بك عن العالم مشغول

***

حبيبى عليك ما لا يحصى من الثناء من رأسك إلى قدمك ، فأنت صنعة الله الذى أوجد الوجود من العدم

لم أر الشمس تعلو السرو المشوق ، فلا يسع بيان وصفك ولا يمكن لقلم ذكرك

قلت إنك كالطاووس كل جراحة فيك أجمل من الأخرى ، لكننى الآن أراك حلواً كقصب السكر من جذرك إلى رأسك

ومهما أرى من جفائك فلدىَّ أمل فى وفائك وعيناك تقولان (لا) وحاجباك يقولان (نعم)

فافتح فى النهاية علينا بنظرة ثم أبدأ عتابك وتدلل كما تريد الملوك على الخدم

بما أنك استلبت قلبى فلا تستلب دينى ولا الفهم منى أنا المسكين ولا تنتقم من محبيك أخذاً بالقول(لا تقتلوا صيد الحرم) [1]

الشوك والورد بالبستان معاً وكل ما يفعله جميل . وسهل عند العاشقين تحمل ظلم المعشوقين

. (١) ورد مثل هذا فى قوله تعالى (لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم) المائدة الآية ٩٥

رحل عنى وروحى ترقى إلى أن تمزق رداءها عليها والسلطان الذى يهنأ بالنوم أنَى له أن يهتم بما أعانيه

كان يضربنى بسيف جفائه ، وكان يذهب وهو يقول من ورائى سعدى كان يبكى منا والرجال لا يبكون من الألم

***

حين حلت نوبة حط بلبل السحر فوق سقف الدار صعدت السقف من دار توبتى وحيداً

وأنظر أمامى راية الشمس حين تزيل بالأفق علم جيش الظلام

وطلع بياض النهار من الديباج الأسود لكى يجلس فضى قوام عارى البدن

وغدا قلبى رهينا وروحى أسيرة الحب حين دخل من بابى ذاك الفتان راحة القلب

وكانت رأسى لا تزال سكرى بطيب أنفاسه التى لا يحملها عبير العنبر والورد إلى الشام

لن أفزع من بعد من الليل الحالك لأن كل ليلة مقدر عليها أن تنتهى بنهار

لم أفهم جيداً هل ما بكمه أرجوان وورد أم ساعد ويد ورديان

فى كأسه ماء إن قسته ما ميزت بين الماء والكأس

فهات ياساقى بحور الشرق والغرب ، لأن من يداوم على شرب الخمر يتأخر سكره

أنا لست ذاك الذى يميز بين الحلال والحرام ، فالخمر معك حلال والماء بغيرك حرام

ليس بأى مدينة هذا السكر الذى فيك والذى يجبر الببغاوات مثل سعدى على التنغم والترنم

ولا يدع هذا النظم الذى يشبه الدرع المحكم أن يشهر عدوه سيف تعنته من غمده

***

لا يفترق الكلام الصادر من الثغر العذب لذى القدر الحلو سواء كان دعاء أو سباباً

قرين الحبيب الذى لا يزال واعياً بذاته لم يشرب كل شراب الحب الصرف

إن مللت أو لمت حبى فلا يأبه أسير العشق من الملل والملام فلست ذاك الذى أتجنب حبيبى بسبب جوره ، لأن الطائر الواقع بالفخ لا يطير إلى ساعد من يدعوه

أوشك العاقل أن يلتاث جنوناً فى خمسة أيام

لا نخشى أحداً وأنت معنا وقرين الخاص لا يخشى لوم العوام ، ولم أنم ليلة بكاملها حتى يقول أصدقائى لى لائمين (عجباً للمحب كيف ينام) ؟

أتأتى إلى حضنى وجوارى ؟ أنا لا أطمح إلى هذا ، فلا تتوهمك الأوهام لحسن صفاتك

لا فوت من أن تحترق أوراقى هذه يوماً لأن الأقلام تعجز عن تحمل نار سعدى

***

الشمع على وشك الانطفاء فاجلس يا غلام لأن رؤية وجهك تظهر النهار بكل وضوحه فى الصباح

رحل مطرب المحبين ونام ساقى السكارى وجميلنا متيقظ فمجلسنا قائم على الدوام

يدلل بلبل البستان على الصباح فانبعث صياح الديكة من باب الديوان على الأسقف

قد انشغلنا بك ، ودارى وما بها يعجبك منها حرام على كل العالم خلاك

أطلق سراحى إن أردت أو أحكم اعتقالى ، فمثلك أيها الصياد لا يهرب أحد من قيده

كان الفكر فى البداية مدار أمرى حتى لا تسوء سمعتى والآن فرغت من الحجر حين حطم كأسى

إن أصابك ياسعدى من جرائه الفضح والعار فماذا حدث ؟! ليس المرء حقيقيا بالعشق إذا اهتم بالفضح والعار

***

لم ير أحد القمر بهذه الحلاوة فى الكلام والطلاوة فى الغنج ، فهو قمر الشهر المبارك بطلوع السرو وقامة القيامة

يخر السرو هداً إذا تحركت من موضعك ، ويتهاوى القمر بدراً إذا أشرقت على السقوف

استسلمت عيناى فانغلقا ما دام قلبى ملكك ، وكل ما يحل لك حرام على غيرك

سمعى وقلبى معلقان بالباب ليعرفا الخبر ، وعين أملى على الطريق لترى من يأتى برسالة

الحفل لا ينير قط بلا شمع ، والمجلس لا ينتظم مطلقاً بدون حبيب

فادخل علىَّ بدون أن يعرف أحد ليلة واحدة من كل عمرى حتى يكون لليل الفقير صباح فى المساء

أتنقل بأعبائك وأنا أسعد من العالم سواء لم تهتم بى أو لم تحترمنى

الرأى للسيد فهو الحاكم النافذ الأمر ، فإن قتلنا فنحن عبيده وإن أكرمنا فنحن غلمانه

فيا من تعتب على العارف والمجنون إن حبيبنا الجميل حاضر وإن كنت لا تدرى من يكون

فتعال لتسلم علىَّ مع كافة قسوتى وجورى وخذ منى أنا الواله روحى جواباً على سلامك

إن كنت ياسعدى طالباً فاسلك الطريق ، وتحمل أعباءه حتى تبلغ روحك حلقك أو قلبك حنجرتك

***

عيناى تترقبان الطريق وأذناى تنتظران رسالة وأنت مستريح والأيام تمضى عبثًا

لا تسأل ليلة أو نهارًا كيف يطوى محبوك ليلهم إلى سحرهم ويمضون نهارهم إلى مسائهم

أزلت من قلبى حب كل صنم ، فما شأنى بالأصنام أنا الذى أتجه إلى القبلة ؟

التماسى هو قضاء لحظة معك بمرام قلبى ، وما أكثر الأنفاس التى شهقتها وزفرتها ولم ينجح مرامى

ليس بمكنتى دولة الوصل ولا احتمال الفراق ولا التجول عن مقامك ولا البقاء عندك

أى عدو أنت فقدماى لا تطاوعانى من عشق يدك وسيفك على الهروب منك

لا يلومنى كل من له معرفة ، والعشق يستلب الزمام من يد العقل

حين أحادثك وأسمع كلامك لا تفهم أذنى . ولا يستفهم عقلى ، ولو عقد الزمان لنطق فتات عظامى عشقًا لك

أى قلب لم يحترق على نار هموم سعدى ؟ لو سار شعرى فى العالم ما بقى من بعد فجًا

***

لم أخن عهدك بحق تراب قدميك العزيزتين ، وانفصلت عنى ولم أتصل بأى أحد قط

فإلى أين أذهب حتى أموت على اعتاب الأمانى إذا لم تصل يدى إلى ذيل وصلك ؟

ظللت مذهولا من صباح يوم وداعك ، ولن أقعد فى غيبتك حتى تقوم القيامة

بلاء عشقك لم يدع زاهداً فى (زهدان) وأنا واحد مثلهم لا أدرى كيف أقمت الصلاة

صليت ولم أدر من ذهاب وعيى كيف أقمت الصلاة وأنا أتخيلك

لا تجيز الشريعة صلاة السكران ، فمن يقبل صلاتى وأنا سكران بالليل والنهار ؟

لوت يد تخيلك ذيلى ، فما ضر لو وصلت يدى إلى ذيلك ؟

أين أنا من تمنى وصلك ؟ ومع أنك ماء الحياة لكنى سعيت إلى موتى بظلفى

لو هجس بخاطرى خلافك لحظة من عمرى فقد أخطأت وأسأت وكنت جاهلا

فاقتلنى بكل قوتك ، فليس سعدى من يدعى أنه موجود مع وجودك

***

أنا بنفسى ثمل أيها الساقى من فرط شوقى الذى بى فاغننى عن وجودى أنت بجرعة أخرى

طء بقدمك كل قصار النظر ، فإن الرفاق سكروا بالخمر وأنا سكرت بالتأمل

فبحق الحب والوفاء الذى بينى وبينك إننى لم أتحول عن حبك ولم ارتبط بغيرك

سكن حبك بقلبى قبل أن تختمر طينتى فجئت بحبك من هناك ولم أرهن به نفسى

أنا عبدك على الحقيقة ، لكن مع وجودك لا يمكن القول إننى موجود

كان الاعتزال عادتى دائماً حتى ظهرت فلم أقعد عن طلبك

أنت ملول ولا أطيق أنا الوحدة ، وجفوتنى ولم أنقض عهد وفائك

لم أقل لك ياسعدى ألا تتابع قلبك فلن أعود إذن وسوف أتخلص قفزاً إذا عدت .

قلبى متوجه إليك وعيناى تنظران إلى موضع آخر ، لا يعرف الرقيب أننى أنظر إليك

سوف أخرج يوماً من ستار الشرف هذا وسأعبد أى صنم أراه يشبهك

والحمد لله على أن قلبى قد صاده همٌّ واحدٌ ، لأن تفصص الآلام المتفرقة قد نجوت منه

نسيت عهدنا الذى عاهدتنى به ألا أحب غيرك فنقضته أنت وأنا ما زلت مستقيماً عليه

والله لا أشعر بطعن العدو ما دامت السعادة بداخلى تنبض بحُب حبيبى

كنت أبتغي هدية لائقة بحضرتك ، وروحي حقيرة جداً فلا أدرى ما الذى أرسله لك هدية

لما عرفت أنك لا تفكر في سعدى ضحكت على حظى وبكيت على نفسى

***

لما أتيت كفانى من أحادث نفسى ، وبما أنك واقف فمن الأدب أن أخرً ساقطًا

إن دخلت باب البستان بكل لطفك هذا فإن الورد يستحى قائلا : ما الفائدة من تفتحى ؟

وحين ينتهي بالورد أن يأتي مستقر البلبل علم الناس كلهم هموم قلبى التى كنت أخفيها ؟

وعلى أمل أن تخطو بقدمك موضعًا كنست بعينى كل موضع بشيراز

سيهب عبير الورد بعد عدة أيام أخر ، وسوف يقتلنى فراق وليفى بأشد من قتل البلبل ألف مرة

أسمعت كيف كان (فرهاد) يثقب الأحجار ؟ لكنه ليس مثلى حين ثقبت بدمعى حجر عتبتك

لا أعجب من سهادى بالليل الطويل بسبب خيالك أيها الظالم ، بل العجب أن أخذنى النوم

ألف كسعدى أو ما يزيد من عبيدك محللة دماؤهم لك

فقل لهم أن يهرقوها لك وقل لهم إننى لم أقل لك ذلك

***

منذ أن رأيت خالك وأنا فى خوف من أن أقع فى شباكك بسبب تلك الحبة

لم يستلب لُبًّا قط وجه أو شعرة لكنى الآن همت مفتونا بوجهك حتى صرت كالشعرة

وليس من ريب من أن هذه الواقعة التى ترهن مفردا مثلى أعلم أنها تجعلنى مثنى لآلام تسببها طلعته الآسرة

إن اصفرار لونى يحكى هموم قلبى لأقاربى ، وهكذا فشا ما كنت أواريه عن الغرباء عنى

وقبل أن ينتهى أمرى إلى الجنون فقد كنت أصد ما كان العقل يعظنى به

كل من يرى وجهك هذا يولى دبره هاربًا منه إذا علم كيف كنت أنام منه على جنبى

فقد كانت رأسى تشتعل نارًا من حرق فراقه ، وعينى تذرف من العبرات ما أثقب به الأرض

والعجب من أننى مع كل المشقات التى أعانيها من أشواكه لم أشتم منه رائحة صباح إلا وتفتحت مثل الأزهار

كنت قبل التفكير فيك دارًا مضرمة بالنار فلما ظهرت زدتنى سعيرًا وانتهى أمرى بك وغُيِّبت عن سائر العالم

إن سعدى ليس بالذى يرقى شعره إلى وصفك ، فقلت ما بوسعى وجاء على لسانى

***

قد بالغت كثيرًا فى بذل جهودى لكيلا أرتهن بالعشق ، لكن خيال طلعتك يشاغلنى كل لحظة

لم أود أن أتحدث عن عشقى ، فليس من حاجة للكلام فقد أعفانى منه عبراتى الحمراء ووجهى الأصفر

صادفت شجرة ورد فلم أر فيَّ متسعًا للصبر ، ولم أقطف وردة واحدة وأصبت بألف شوكة

فقل للزمان ألا يطوى بساط عمرى حتى أقفل كتاب حكاياتى عن بهاء طلعته

وكل من ينصحنى بالصبر ينفث عبثًا فى حديدى البارد

أقسم بعينيك أننى منذ غبتَ عن عينى لم أنظر بعين العشق والحب إلى أحد قط

ألم أكن أحصى الأيام فى انتظار جمالك لأننى كنت أحصى أيام هجرك من بين أيام عمرى

أى عداوة لم تسلكها معى كما هى عادتك لكن حبك أننى لم أتفوه إلى حبيب بشكوى منك

كنت جافلا من أحبولتك كالوحش فى البداية لكنى اليوم مستأنس مُرَوَّض حتى إننى لا أتحول عنها بالسيف

فمن أبلغك بأن سعدى ليس رجل عشقك ؟ صح كلامك أننى لست رجلا لو خُنت عهدك .

***

حين دخلت على الباب خرجتُ أنا من وعيى كأننى انتقلت من الدنيا إلى الآخرة

أتنصت على خبر يأتى عن حبيبى فلما جاء المخبر لم أدر عن نفسى خبراً

كنت كالندى الساقط قبل طلوع الشمس ففاضت روحى من حبى وعَات حتى نجم (عَيّوق)

قلت أراه حتى يسكن ما بى من آلام الاشتياق فرأيته فزدت شوقا

لم أقو على التقدم للقاء الحبيب ، فكنت أسير على قدمى خطوات وعلى رأسى خطوات أخرى

صرت من فوق شعرى حتى أخمص قدمى سمعًا وبصراً حتى أرى اختياله وأسمع مقاله

كيف أحوِّل نظرى عنه ومن أول نظرة له صار نظرى متبصراً متقد الرؤية

لا أتبرم من عدم وفائك لى فى أى يوم وزمان إذا جلست رابط الجأش وغدوت راضيًا

لم يأبه بصيدى لأننى نفسى قد أسرتنى أنشوطة عينيه

يسألوننى ما الذى حَوَّل احمرار وجه سعدى اصفراراً ؟ إن إكسير العشق سال على نُحاسى فصرت ذهبًا

***

قد تصفدت قدماى بأصفاد حبك كأنى غزال تغلل بأغلالك ، فأبكى حينًا من آلامى التى لا علاج لها وأضحك حينًا على حالى المضطرب

لم يبق لى من عشق عقل ولا سمع يفيدانى فى تحقيق نصح العاقلين ، وضاق علىَّ مجال الصبر تمامًا حتى أذعت على الصحراء حديث عشقى

لست مجنونًا حتى أفصل نفسى عن حبيبى ، فلا تعظنى سيدى إن كنت عاقلا ، فمعاذ الله أن أنقطع عن طلعته ولم يرسم مثلها نقاش قط

كم من الأرواح والأشباح بليت من آلامك فلست أنا وحدى أسيرك وعاجزك

إن بعدت عنى فكم أنا مسكين وبائس ، وإن عدت فكم أنا سعيد الحظ ولو ناديتنى وأنا ميت بقبرى لسكنت روحى الحسيرة

رأسى فداء قدمك إن أرحتنى أو أتعبتنى ، ولو سرك آلام سعدى لارتضى هذا الظلم منك على نفسه .

***

لستَ الذى أستطيع مقاومتك ، ومع هذا اشتبكت معك وبلوت شجاعتى معك فوجدتك استلبت قلوب الخاصة والعامة فأبديت عن صرامتى

فإذا برمحى الذى كنت أحتفظ به الحلاق قد رمى بى فى حلقة القتال فغذوت وكان الناس يشيرون إلىَّ بالبنان اطحن هواء وامضغ ماء ولا أنكر على الناس هذه المرة خلفا وسيرة سمعتها فى حقى.

قلت أرفع عقيرتى بالصراخ منك لكن أى فائدة من صراخ لا تسمعه أنت فلا ترمنى من نظرك فأنت أول من فتحت عليه عينى .

ولو افتديت قدمك برأسى فلا مناص من موتى عاجلا أو آجلا ، لكننى اليوم من فرط محبتك طرت إلى الفلك كأننى نار ودخان

وحين أبعث حيا فسوف أزل مشتاقا إليك كما كان حالى بالماضى

***

آه كم كنت مشتاقًا مبلبل الفكر ، ولما فارقت صدرى غدوت صورة بلا حياة

لا أنساك ولا ينى لسانى عن ذكرك ، وقد حرت فى التفكر فى أوصافك

إذا لم أكن أبيت فى بادية الأشواك فلا أهنأ بمنام ليلة بدونك فى جنبات الرياض

كان أمل وصالك يحيينى لحظة بعد لحظة وإلا هلكت بالهجران بعيداً عن نظرك

بعنايتك تغدو نار محنتك علىَّ كالخليل روضًا وشقائق وريحانًا

أظل أنتظر طوال الليل الطائر الشادى بالأسحار لعل أنفاس الصباح تأتى بعطرك إلىَّ ولو للحظة واحدة

إن سعدى يظل يردد كل يوم بسبب جور فراقك مقالته :نقضت عهدك وأنا لا أزال على عهدك مقيماً

انقضت أربعة عشر يوماً ولم أر بدر الليلة الرابعة عشرة ، وقد بلغت روحى حلقى لأننى لم أبلغ حضرته

رفيقى نقض عهد مودتى ولم أفعل مثله ، واجتث خليلى جذور المحبة ولم أقم بفعل ما فعل

قد شمَتَ بى أعدائى يا حبيبى أنا الذى لم أسمع فيك نصح أحبائى

بعتنى رخيصاً خلاف شرط المحبة ، وأنا الذى اشتريتك بقلبى وروحى مع كل عيوبك

قسماً بتراب قدمك إننى منذ أن اتخذتك حبيبًا وأنا أجفل من أصدقائى المجازيين كالأعداء

وأقسم بطلعتك أننى منذ أن رحلت عنى ما رأيت وجهاً حتى أوصدت دونه بابى

أراك وأود أن أكون تراب قدميك وترانى وتمر كالريح حتى إننى لا أراك

لم ترنى الناس وأنا أعجل فى أثرك ، ويعيرنى الناس قائلين : لماذا لم تسرع إليه سائرًا على رأسك ؟

السكر حلو ولكنك تجهل حلاوته وأنا الذى ذقت طعم الصبر أو – لم أعرف حلاوته ؟!

أزعم أننى صادق فى مودتك لأنى لم أوثر عليك حبيبًا من كل العالمين

فنح يامطرب الجلسة واحك كلام سعدى وهات شراب الأنس فلست من يحتسى الخمر

***

لم أر مثلك خلاب ألباب ، ولم أشهد ورقة ورد تضارعك نضارة

لا يمكن أن يوجد فى الدنيا إنسى مثلك ، ولم أر ملاكًا يشبهك

ولم أر فى صنعة السامرى مثل فتنتك وسحرك

ولم أشهد بقمر السماء إمكانية مشابهة طلعتك

ولم أصادف فى دكان بائع جواهر ياقوتًا يشبه شفتك التى تنثر السكر

ولم أر قط نظماً بالشعر الدرى يماثل الدر المصطفى بفكى ثغرك

فمن الذى يشترى القمر وقد رأيت القمر مراراً ولم أر المشترى

ولم أر مثلك هاتكًا لستار أسرار الورعين

رأيت كافة أبطال العالم لكنى لم أر مثلك بطلا ، كما لم أر مثل تألم سعدى من هموم عشق الحسان لأننى التقيت كافة صوفية العالم ولم أشهد مثلك قلندر مجذوباً

***

لو وُضعت كالعود على النار فلن آبه إن قضيت ليلة فى حضن حبيبى الحلو

لا أخشى الهلاك إذا طلبه منى فأين سهم البلاء ؟ قل له انطلق فإنه له درع

فأوصد أيها السماء باب الشروق لحظة دوران الشمس فأنا مع قمرى هذه الليلة السعيدة

لا أدرى هل هذه ليلة القدر أم نهارها الذى تظهر به النجوم ؟ وهل أنت ماثل أمام ناظرى أم خيال فى عينى ؟

ما أطيب هواء الروضة والرقود فى البستان إذا لم يكن يبلبل فكرى بلبل السحر

بعينى هاتين اللتين أراك بهما هذه الليلة لن أراك بالغد ثانية ، فيا شدة حزنى

يرتاح العطشان الروح بوجود الفرات ، وقد تجاوزنى الفرات وزدت عطشاً

حين كنت لا أراك كنت غائباً عن الوعى بسبب الشوق إليك ، والآن وأنا أجالسك غائب الوعى بسبب السعادة بك ، فتحدَّث فلا يوجد غريب فى مجلسنا غير الشمع وسوف أقطع لسانه الآن

لن يكون بيننا حائل غير هذا القميص ، وإذا غدا بيننا حجاباً فسوف أمزقه حتى ذيله

فلا تقل إن سعدى لن ينجو بروحه من هذه الآلام التى لحقته ، لكن قُل إلى أين أفر بروحى إذا فررت بها من آلامك

***

أشهد ليلى الطويل آملا بطلوع الصباح فلعل نسيم الأسحار يهب بشذى منك

عجب من أن شجرة محبتك لا تهبنى ثمراً مع كل هذا المطر الذى أمطره عليها من فرط شوقى

لا أستطيع فراق عتبة طاعتك إذا لم تسمح لى بدخول منزل قربك

قتلتنى بسيف هجرك وعدت فهلمَّ وأحيينى ثانية حياة الخلود

ما أكثر الأيام التى أوصلتها بلياليها فى أمل أننى سأصل ليلة بنهارها مع وجودك العزيز

أى جرم جرى منى حتى لا تحادثنى ؟وماذا فعلت ، حتى يحق لى هجرك ؟

ما زلت أدعو مع كل نقضك لعهودك معى ، وما زلت أجد فى طلبك مع كل قسوتك

هل سأكتفى من الحكاية عن عشقك ؟ هيهات إلا إذا عقد الأجل لسانى وكلامى

لم تنته بعد قصة هجرك وحكاية فراقك ولم ينته دفترهما

لو قضيت عمرك ياسعدى فى سرد أحداثها فلا أظن أن حديث عشقك سوف يبلغ نهايته

لا أتحدث بحديث الحبيب إلا فى حضرة الحبيب فهو المطلع بالكامل على أسرارى

***

ليس عندى مغيث إلى الحبيب ولا أطيق الانتظار ، وكل جور يصدر منك أعده من تقلبات الزمان

أدّخر آلامك فى قلبى لو كان عندى قلب واحد أو ألف . قلب المُعَنَّى كالشعرة الرفيعة التى من ضفيرتك عندى تذكار منك

وأستصغر آلام الزمان لأننى عانيت آلامك ، وحين أغرق فى عبرتى بسببك فلدىَّ ألم فى شفتك وحضنك

سلبت قلبى وأرهقت جسمى فعندى حساب كبير معك أو تسب سعدى ؟ إننى معنى بشفتيك شغوف

***

أرتكب كثيراً من الآثام لأن النظر محرم ، لكننى ماذا أفعل وأنا عاجز عن كف النظر إليك

لا محيص من تحمل ظلم إنسان لا أستطيع الفرار من طعنه ، ولا مجال للتأوه منه

ولا راحة إن أقمت ولا صبر إن رحلت ولا مقام لى عنده ولا هروب لى منه

لا يترحم علىَّ بنظرة منه لى إذا أقام ، ولا ملجأ لى إلا إليه إن هربت

حسبى ما رأيت من قبول العامة وصلاح حسن السمعة ، وإذا ضحيت برأسى فهل يضيرنى فقد قلنسوتى ؟

جسمى فداؤك وروحى طوعك ورهن إشارتك وما هو أفضل لى من التسول على بابك مادمت قد تخذتك ملكاً لى ؟

إذا كان الصلاح فى قدومك إلينا بكل جلالك وعظمتك فليس من المروءة أن أعطل نظرى وأبطله

أى ليلة يارب ليلتى هذى إذا أشرق نجم بها أزال مابى من عشق الشمس وحب للقمر ؟

لا تلم المتألمين بسبب بكائهم من ليل الهجر ، فصباحى المنير هذا يتولَّد من الليل الحالك

لا يحتسب سعدى رؤية الوجه الجميل ذنبًا ، وقد أحسنت بى الظن لأننى أرتكب إثم النظر إليك

***

إن عاينت فلقة قمرك أيها المعشوق فإننى فى الحقيقة أنظر آثار لطف الله

أتصفح آثارك كل وقت فى كل الطرق لعلى أرى من وجهك أثرًا

أنت تنظر بجفاء إلى حالى أنا المسكين ، وأنا أنظر بوفاء إلى تراب كف قدمك

أنت شمس وأنا ذرة مسكينة ضعيفة ، فأين أنت ؟ وأنا الحائر كيف أنظر إليك ؟

غضائرك بحر الظلمات وشفتاك ماء الحياة ، وأنظر مخطئا فى سواد غضائرك

فلا أرى الكافر العين وجهك التركى ثانية لو نظرت ثنايا غضائرك مخطئا [1]

طريق عشقك طويل يسلكه سعدى وينظر خلفه من فرط حسرته

***

لن أحرم فؤادى بالله ولو متّ منك فانصرف عنى أيها الطبيب لأن دائى منه لا يقبل من غيره علاجًا

---

(١) توريات بالبيت فى : الكافر العين أو الهندى العين والتركى الوجه وهو أبيض ، والثنايا هى (چين) أو الصين والمخطئ (بخطا) وتعنى بلاد الخطا على حدود الصين .

كنت أخالط كل عمرى القرناء والحِسان ، وقمتَ عنا لكن نقشك استقر فى وجدانى

فلا تعظنى أيها الحكيم فلن يؤثر فىَّ وعظك ، فإن هربت من نفسى فلن أهرب من حبيبى

فارقنى أيها الدرع فقد انغرست الرياح بروحى ، ودعنى أر من سيضربنى بسهامه

لا سعادة أشعر بها بوجود الأصدقاء ولا راحة من التريض بالرياض فاذهبوا أيها الرفاق فى سفركم فأنا أسير

لو نظرت إلى حركاتك منعكسة من الماء لقلت بلسانك إنك عديم النظير فى حسنك

فاهنأ بمنامك وديعًا وبسرورك وتلذذك فأنا لم أبت ليلتى البارحة ولا أموت من صراخى

ألا يتكرم الأغنياء على الفقراء العاجزين ؟ انظر أيها الغنى إلىَّ نظرة أنا المفتقر إلى رؤياك

إن تحرقنى كالعود فجسدى فداء روحك ، وعيش الناس يطيب بروائح عبيرى

ألم تقل إن سعدى لن يفلت بروحه من يدى ؟ إننى لا أموت على مسار الرجال إذا قتلتنى

***

لومت من حبك تشبثت بقيامتك ، ولو تفاديت الدنيا والآخرة فلن أتفادى صحبة الحبيب

لا أقبل علاجًا آخر غيرك يا مرهم جراح المتألمين ، ومن ليس له غيرك أحد فى الدارين هو أنا الفقير

ماذا تبغى أيها المحتسب من الشباب ؟ أنا الشيخ لا أتوب عن ذنبى ألثم يومًا قوس حاجبيه وقل أن يضربونى بسهامهم

أموت تحت قدم لطفك يا نسيم الربيع العنبرى الأريج ، فإن مررت بأرض شيراز أبلغه أننى أسير بالأرض الفلانية

لا أنام لأن جنبى بدون الحبيب لا يرضى بالحرير من البساط لأنك رحلت يامؤنس عمر سعدى ولم ترحل من وجدانى

***

لا تشغلنى مصالحى عنك وأنا كالفراشة أحترق وأنا أطير ، إن استطعت كسب قلبى فافعل اليوم وإلا فسوف تبحث كثيراً عنى ولن تجدنى

لم أكن أعتقد أن النظرة المختصرة سوف تروى غليلى ، أو أننى هذا المتعطش الذى يبل نهر جيحون غلته

إننى مثل الصبح مددت رأس الاستسلام والطاعة فاضرب علىَّ بأى لحن تريد واجعلنى أترنم

لو ألقيت بى فى كل نار وأخرجتنى فسوف أظل لو انصهرت نفس الذهب الخالص الذى أنا مركب منه

لو يرضيك أن ترمينى بالحجر فلن أخالفك كعهدى دائماً معك من البداية

يدى قصيرة عن الطاعة اللائقة بك فماذا أفعل ؟ وليت رأسى بالشىء الذى أضحى بها فداء قدم الحبيب

أنا مرتاد الحانات وعاشق ومجنون وسكران ، فبماذا بعد ذلك سيرمينى الهمزة اللمزة ؟

بحت للطبيب عما بقلبى الواله بك ومفاده أن عينى مغلقة ببابك وفكرى بك مشغول

فقال إنك تعانى آلام العشق حسبما تشكو ياسعدى ولا أدرى كيف أداويك

***

لا أنظر إليك خوف الرقباء حتى لا يرجفوا لى أننى أنظر إليك

أتمنى أن أكون صيداً لحبيب من وسط هذا العالم لا يشركنى فى حبه رفاق حسودون

تجاوز تحملى آلام فراقك الخبيئة وإلا ما ارتقت من قلبى صياحاً على لسانى

أسرتنى كالحمامة بوهق ضفيرتك وحظيت عينى عن الخلق كالصقر

إنك تستلب قلوب المساكين بإشارة من بنانك فأخف يدك لأننى لا أقوى على مقاومة قبضتك

فأدر أيها المطرب الحانك علينا فلم يبق أحد بسبب لحنك الذى عزفت لا يعرف أسرارى المكتومة

لا ينوح فى عهدى هذا أحد من جراء آلام حبيبه مثلى إذ إن أنفاسى تتردد فى الآفاق منطلقه من شيراز

أكثروا من القول لى بأن أفيق إلى نفسى لحظة فقلت لهم لا يليق من المحب أن ينشغل بذاته عن محبوبه

***

ما أعجب من حالى إذا احترق بعشقى حتى إننى أحرق العالم بشغله منى لأننى أشتعل كالشمع أمام طلعة الحبيب البهية كل لحظة

احترقت مع أننى لا أجرؤ على البوح بأننى أحترق من عشق فلان فترحم علىَّ فأنا أطوف سيراً على رأسى ، وأشفق بى فإننى أحترق بروحى

المحبون معك فى نعيمك وإكرامك ، وأنا المذنب أحترق هيامًا فيك فلا تنح ياسعدى ولو أنح فلا يدرى أحد أننى أحترق فى ستر عن الناس

***

أنا أدنى من أن اشتريك ، بل ظلم أن أحبك وأن تحبنى إلا أنك بما تظللنى بظل لطفك فلست بالدرجة التى أساويك فيها

لا أربط نفسى بك لأننى لا أرتضى نفسى بأن تكون وردى وأكون أنا شوكك ، ولم أفكر قط أن وهقك سوف يأسرنى

ولا أتوقع أننى سأرتهن بقيدك

لا أدرى قط من العالم ما هو الألم والفرح إلا أن تكون أنت سعادتى ومَن تسرّى عن همومى

ولا يمكننى خوف الرقباء أن أمر إلا حين أتظلل بظلال أمنك وإغاثتك ، ولو عاقبك الله لذنوبك فادع له بأن أتحمل أنا أوزارك

لم لا يعشق الناس شعرى يا قبلة الحسن وأنا عاشق لرؤياك

ما جدارتى حتى أدعوك وأعرفك إلا أن تهبنى نفسك جدارة حبى لك

ومع أننى متيقن من أننى لن أبلغ وصالك لكنى أتراجع ، وسوف أموت وأنا أطلبك

إننى مصرٌّ على الوفاء لك لا فى هذه الدنيا وحسب ولكن فى الآخرة أيضًا

ألا فليصر سعدى ترابًا لو أرضاك هذا ، فلا يحق أن تكون فخارى وأكون أنا عارك

***

أتمناك ولو فى اللحظات الأخيرة من عمرى ، بل أضحى روحى أملاً فى أن أكون ترابًا فى حبك

وحين أُبعث حيًا صباح القيامة أبعث وأنا أهتف باسمك وأجدّ فى البحث عنك

لا أنظر إلا إليك ، ولا أكون عبدًا حين يتجمع حسان الدارين

ولو رقدت ألف سنة فى مرقدة العدم أنهض من رقودى فى النهاية بشمى عبق شعرك

لا أسمع حديث الروضة ولا أشتم ورد الجنة ولا أطلب جمال الحور بل أسرع تعجلا تجاهك

لا أذوق خمر الجنةِ من يد ساقى رضوان ، وأى حاجة لى بالخمر وأنا سكران من وجهك ؟

يسيرٌ علىَّ طىُّ ألف بيداء وإن خالفت سعدى هذا هام فى وجهك

***

أتغصص آلام الزمان أو أعاني فراق الحبيب ، وأى طاقة لدىَ حتى أتحمل أعباء الحبيب ؟

ليست من قدرة أستطيعها لكى أتنحى عنه جانباً ، وليست من قدرة عندى حتى أضمه بالحيلة الى صدرى

ولا يد للصبر أقيدها بحكم العقل ، ولا قدم للعقل أجرها تحت ذيل الاستقرار

ليست الرجولة فى إذاعة جفاء الحبيب إنما أداريه إذا لم أتحمله كرجل

إذا كان يمكنك تحمل جفوة العدو بالصبر فلماذا لا تصبر على تحمل جفاء الحبيب ؟

إن من يشرب الخمر من يد الساقى فى كأس الوصل الصافى لا مندوحة له من معاناة صداع الخمار

إن تيسرت وردة مثل خدك فى الخميلة فإن عين سعدى أدنى مقداراً من أن تكون متحملة لشوكك

***

بالغت جهد الطاقة فى إخفاء سر عشقى فلم تيسر لى إلا أن أغلى وأحوش وأنا فوق النار

كان فى فكرى فى البداية ألا أسلم قلبى لأحد فرأيت شمائلك فلم يعد بى صبر ولا عقل

كلما سمعت حكاية من ثغرك بسمعى وروحى أضحت نصائح الناس حكايات لا تعدو أذنى

لست مقراً بأن أغمض عينى عن وجهك ، ألا تستر وجهك وتخمد فتنتك

الأفضل لى أنا الحافل الفؤاد ألا أدخل مجلس سماعك فبدل أن أدخله يدعوننى أحملك على كتفى

فهلمَّ إلى مصاحبتى اليوم وتعال إلى حضنى الليلة فعينى لم يغمض لها جفن البارحة فى انتظارك

بعتنى رخيصاً وأنا لا أزال مصراً على ألا أبيع شعرة من بدنك لقاء العالم كله

أحكى عن جروحى لمن أصابته الجروح ، لأن السليم المعافى يمل حين أتوجع وأصرخ

فلا تقل لى اترك يا سعدى طريق العشق ، وما فائدة الكلام إذا كنت لا أسمع النصح ؟

التوجه إلى طريق البادية أفضل من الجلوس عاطلاً إذا لم أجد مرادى فقد حاولت جهد طاقتى

أنا سعيد الحظ اليوم لأنى نظرت إلى جمالك والحمد لله رب السماء أن نجمى قد فارق موضع شقائى

هل أنا فى منام حين يتراءى لى أو أن خيالى يتدلل ويعبث لأن هذا الحظ لم أصادفه فى أى يوم ولم يتضح هذا الورد لى فى أى عام

رأيت اليوم ما تمناه قلبى وهو ألا أشعر أبداً بقلق واضطراب ، وحين أشرق وجهك بالبشاشة انقلب حالى إلى البهجة والسرور

وماذا أنتظر بعد من الأيام وقد استحال هلالى بدراً ، فعد يامن أزال شوقى إلى طلعته ما بى من سأم وملل

قد تأذيت من فراقك حتى إن قلبى لم يتصور وصالك ، ومن فرط التعطش الذى عانيت لا ينزل الماء الزلال من حلقى

عدت عاجزاً بسبب عدم رؤيتك بعد أن أعيتنى الحيل والحلول فأنا ببابك من جورك وأبكى منك عليك

إذا وافقك حبيبك ياسعدى سهل عليك جفاء العالم

***

أنظر إليك لكى أسحرك وأحسدك لكن والحمد لله بعين الحظ السعيد

لم أكن أتخيل قط أننى ساقع فى حبك ولا أصدق أنى جالس معك كما أنا الآن

فأقم خيمتك عندى وقل للعدو والصديق انظروا هذا اللطف العظيم الذى يظهره الحبيب رغم أنف العدو لمحبه

وقل لعالم المدينة ألا يعظنى فلن أسمع وعظه ، وأبلغ شيخ الحى ألا يحشنى على التوبة فسوف أنقضها

لو طعنتنى بخنجرك حتى أدع طلبه فاعلم أننى سوف أصرخ ما بقى بجسمى رمق صرْخات الشوق إليه

ليس هذا نصحًا منك حين تقول لى تب عن هموم حبيبك ، إنما أشد ما تكون القسوة أن أنفصل عن حبيبى

لو نقضت عهدك مرة طوال حياتى فقد صح أن تتهمنى بأن كل ما ألومك من ذكر حبك إنما هو كذب بواح

كنت قبلك سليما معافى فى بدنى وقلبى وعلمى ، أضرم عشقك النار فىَّ وأتى على كل ما أمتلك

وإن اجتمعت مدينة بأسرها تقصدنى وأجمعت عل منعى منك لشهرت السيف لهم واستسلمت لك

فحتّام تضغط أنت وزمانى علىّ ولا مناص لى من التعلق بذيل حبك

أنت المتحكم فىَّ لوحققت أو لم تحقق مرادى ، ولن أخالفك رأيًا ما دامت بى أنفاس تتردد

إن سعدى يتجرع كلَّ هذا المر ، ومع هذا فهو ماض فى سيره وينزف بين زيادة دمه لأنك كما أنت وهو على حاله

***

لو شهر سيفه ليضرب به محبيه فأنا أول من يُقتل لأننى أزعم حبه

فقل للصفصاف إذا لم تحفل بأن تكون لك رأس فَأَقْبِل واقْبَلْ رأسى لكى أرميها تحت قدمك

يستحيل أن أقفل عينى عن طلعة الحبيب والأولى لذلك أن أقفل أذنى عن سماع النصح

كوالى عن أى صحبة الأحباء نار سوف تلتهم محصولى دونما عناء

أنا الطائر الأريب قد سقطت فى قيده سقطة لم أعد بها أتذكر عشى

والآلام بقلبى لو تحولت دموعا بعينى لأحاطت بكمى وانهمرت حتى ذيلى

وإن أشق قميصى عن جسدى الخائر سوف تحار فى أمرما تحت القميص هل هو خيال أم هو جسدى ؟

فشرطٌ احتمال جفاء الأعداء المتكرر إذا لم يطاوعنى قلبى فى الانفصام عن حبيبى

وهل يفترق الأمر لوكنت سليماً من الداء وأنا المسكين أقاسى الهموم وأصرخ متألمًا

لا يحتلك عرش (جمشيد) بليل طويل وأنا دار بهذا الأمر لأننى ملقى بى فى الجب مثل (بيجن) [1]

يقولون لى : تُب ياسعدى عن عشقك وانصرف عنه ، لكن إن قدرت على المصاعب فلن أقوى على التوبة منه

***

حبيبى الذى أحب وخليلى الذى أعرف وله ثغر شهد قاص عن شفتى وأسنانى

ليت حظى يسعدنى بأن أجالس هذا الفرع الفارع للصنوبر وأنثر الورد على رأسه

فيا من طلعته المبهجة للقلوب هى مجموعة الحسد أنى للموقر الرزين أن يدرى مجال المتبلبل الفكر ؟

---

(١) فى البيت تضمين لعرش جمشيد ، وهو ملك أسطورى يساوى سليمان وعرشه المذكور بالقرآن كما يشابه بيجن فى قصة يوسف .

أدركنى فلم يبق منى غير رسمٍ ، وإذا تذكرتك زال من الوجود هذا الرسم أيضا

لا أحتظى بوصلك ولا أنوح من هجرك وأنا عبدك المطيع لكل ما تحكم به

يا من تفوق ليلى حسنا أخشى أن يجعلنى عشقك كالمجنون أهيم فى الجبال والسهول

لو عرض عداتى علىَ البسيطة لكى أتحول عنك فإن حولت عنك وجهى أمل طلعتك فلن أحول وجهى عنك

فى قيدك أنا حبيس وفى يدك أنا مغلوب ومن سعادتك مذهول وفى وصفك حيران

يدى على قلبى من همك وقدمى فى الوحل من ألمك ، ومع كل هذا فأنا صابر وعاجز عن رؤيتك

فى خفية أبكى والطريق فى هذه الدنيا أن العشاق لا ينامون بسبب آهاتى غير المعلنة

أترى كيف تشتعل النار الزاكية فى المحروق ؟أنت أزكى ضرامًا من النار وأنا أشد احتراقا من المحروق

يقولون لا تضحى بروحك يا سعدى بسبب جنونك هذا ، ولو فارقتنى روحى فأنا حى بحبيبى

***

لو تمكنت يومًا من الانتصاف منك لكل ما فعلته بى فى الماضى فى ليلة واحدة

إنى أبلغ من حبك درجة ألا أطيق صبرًا عن رؤياك وإن أمكنك الصبر عنى إذا وقع الفراق

يحادثنى قلبى مرات كثيرة بأن أغض طرفى عن فتنتك ، ثم تتراءى لى قامتك الفتانة فلا أستطيع عنها حولا

واجب عليك أن تقف بمواجهة السرو فى البستان ولو قال البستانى إننى لن أزرع من بعد السرو

رحل رفاقي مسافرين كل واحد إلى جهة قاصية ما عداى أنا الذى أعاقتنى عن السفر أشواكك

سقطت في بحر لا أعرف له قائما وضارعت إنسانا لا أجد له علاجا

يؤلمنى الفراق ألما ممضا لكن لا محيص لى من الصبر لأننى لو فررت من قسوتك فأنا واهى الميثاق

لا تسلنى كيف كانت البارحة فى الظلمة والوحدة ؟ لماذا تسألنى عن ليل الهجر وأنا حائر فى نهار الوصل ؟

أئن بصوت خفيض فى الليل لعل آلامى تظل مكتومة ، لكن صوتى الخفيض وصل سمع كل مخلوق

لحظة خلوة الحبيب تفضل مائة عام من المتعة ، وأنا لا أبتغى الحرية إذا كنت أشارك يوسف سجنه

أنا ذاك الطائر البليغ الذى تسرى الصورة فى ترابه وما زال لحنى ينتشر بالمعانى من بستانى

***

يا مرهم جرحى ومؤنس روحى لا تنهك قواى بكثرة فراقك ، يا راحة باطنى المجروح ، يا ثبات فكرى الشارد

يقولون لى : خل عن حبه حتى يخلى هو عن خناقك ، ومن يدعونى إلى الجنة وأنت غائب عنها يقودنى إلى السجن

وما أعجب إلا من أننى لا أطوى طريقاً إليك ولا أستطيع أن أطوى طريقاً يبعدنى عنك

فاقبلنى عبداً لك وانظر فى اليوم التالى ترنى سلطانًا ، فيا شجر ورد بستان الروح شغلتنى بك عن البستان

من يوم أن طالعت سرو قامتك نسيت سرو البساتين ، وحين تحدث درك المصطفين سقط المرجان من عينى

يقولون اصطبر عنه يا سعدى ، لكنى أتثقل بأعبائه فلا أطيق صبراً عنه فليت كانت روحى بكمى حتى أنثرها على رأس مؤنس قلبى

***

لن أكف عن نثر الفضة من أجلك ما كانت الفضة معى ، ولن أكف عن المطالبة بلثم ثغرك ما دمت تقبل أن تُلثم

ولو قادونى إلى السجن بالغد نظير ساعة معك اليوم بالبستان لرضيت فدع الدنيا حتى تنتهى بأجلى لأن ليس

منها مطلب إلا حبك

ما أعرض أطراف شجر الورد بهذه الحديقة جندا لو يمنعنى البستانى عنها

لم أكن أعلم أن عنقاء ستسقط لحسن حظى الميمون فى عشى ، علمتنا العشق فى ديارنا فهلم لكى أقرأ أمامك شرحه

يفيض قلبى بأحاديث عن حبك لكن لسانى ينعقد أمامك فلا أفصح حتى يعلم العدو والحبيب أننى لا أعرف السكر

فلا تقل إن سعدى قد تخلى عن سراحه ، لأنك إن كنت قاسياً فأنا رحيم ، ولو فكرت يا سرو فضى البدن فى أن تطردنى عنك فلن أتحول عنك

إنى هائم حبا فى خيالك مادمت حياً ، ولو متّ سأبلغك سلاماتى

***

كلنا عيون وأنت النور أيها المعشوق ، ألا خذل الله عنك عيون السوء أيها المعشوق

لا تستر طلعتك فهى جنة ولا يرى أحد حوراً مثلك أيها المعشوق

أخطأت حين دعوتك حوراً ، أسأت أدبى وقصرت فيك أيها المعشوق

فلا تؤاخذنى تكرماً منك لأننى غبت عن وعيى بسبب سعادتى بحضرتك أيها المعشوق

لأن محياك يرمى بالناس من فوق الأرض على الفتنة و الهياج أيها المعشوق

ويحق لك أن تفخر وتدل وتتباهى ففيك كل ما يأسر القلوب ويستبى الأفئدة

نبت سرو أو شجرة ورد ففرغت قامتك الوردية حتى لا أمكث صبوراً أيها المعشوق

وكل هذا الطوفان يسيل من رأسى ماراً بكبد كالتنور أيها المعشوق

لن يشبع سعيد من ماء حياتك الذى تذوقه على كر الأيام أيها المعشوق

***

لا يتأتى من مقدرتى أن أقر لحظة بدونك ، ولا أروم إلا وجهك أنظر فيه من كل الوجوه

أدركت من أول يوم أننى وقعت فى حلو عذب ، وعلىَّ أن أفرط فى روحى العزيزة مثل (فرهاد)

أحبك على خلاف دين كل الناس ولو طعنوا فى عقلى أو ارتابوا فى دينى

ولو علوتنى بسيفك فسألقى درعى أمامك لأننى بلا سيف قتيل ساعديك الفضيين

فأشرق ياصباح المشتاقين لو قارب طلوع النهار ، فقد ملَّ كوكبى الثريا من طول هذه الليلة الأكثر طولاً

منحت فى البداية الحياة ثم صفعنى الفناء ويحدونى الأمل الآن فى رحمتك فأنا مسكين

وأنتظرُ من قلب كالشمع أن يتطلف بروحى لأننى لا أرى من يحترق أمام فراشى غيره أحداً

وأنت لا تنطبق كالورد شفتاك حين تضحك فإنك تجيز لبلبل مثلي يشبه مالك الحزين أن يحط عليك

يعض رقيبي يده أسفا من أن سعدى لا يطبق جفنيه لكي ينام فلا تخشى أيها البستاني على الورد فأنا أراه ولا أقطفه

***

لا أطيق أن أقيم بمقام لست فيه ولا يمكن أن أوثر عليك أحداً

فإن مررت عليَّ يوما فسل عن حالي فأنا مسكين أزيد عجزاً كلما انقضى الزمان

أنا من أهل جهنم لو عشت بدونك ، لأن الجنة لا يسكنها حزين ومتألم

لا أدري ماذا أقول لك وأنت عيني وبلا وجودك الشريف لا أرى شيئا من الدنيا

حين لا ترى طلعة الحبيب فالأولى بك لا ترى الدنيا فلا تضع شمع الفراق أمام سريري

لا فوت لي من أن أستقيم على عهد وفائك حتى النهاية ولو عانيت الكثير من جفائك

ولست أنا الهاون حتى أبكي من دق الحبيب ، بل ضعني كالآنية فوق النار

فدوري على رأسي يا طاحونة دوران الزمان بكل جفاء يمكنك فأنا حجرك السفلي

أتيتك كالبلبل لكي أشدو المدح عليك وأنت كالورد فأخرست لسان ثنائي عليك كالشقائق

لم يقتلني النمر بمخالبة الحمراء وأنت تقتلني بقبضتك الموشاة باللون الأحمر

احترق دمي داخل قلبي الضيق كسرة الغزال المسكي فانتشر شذى رائحتي المسكية في كل الآفاق

فهات فنونك يا سعدى ولا تفخر بها فلا يحتاج السكر إلى أن يقول إنه حلو

***

لن أغادر موضعى هذا ملاما لأنى مرتهن بأملٍ هنا وأخشى أن ألتاث بالجنون من كثرة نصحى ووعظى

قد ضاعت أذناى وقلبى من ألحان السماع فلم أعد أسمع النصح فليقل الجميع إلى الريح أن تذرو محصول عمرى فإن الدارين بدونك لا تساويان حبتى شعير

فلا تعيبونى وتلومونى رفاقى فأنا أحصد ما زرعت وأنا العاجز عنقى بأحبولته فماذا أفعل إن لم أسر فى ركابه .

قال سعدى سوف ترانى فى منامك وأنا محب خائن لو اكتحل رمشى بمنام.

***

لا تقص علىَّ عجائب الصين أو الروم فقلبى معلق بواحد فى موطنى هذا ، ولحظة أن أتذكره أنسى الوجود والعدم

وحظنا من الدنيا هو تجرع الهموم ، ولا يجدر أن تنال غير رزقك المقسوم ، والرطب وإن حلا فيدى تقصر عن النخل ، والزلال وإن سرى فأنا عطشان محروم

لا أعرف فى المدينة زاهداً معصوماً بسبب هذا الجميل الذى نفكر فيه ولم يبق منظور أمام وجهه فى وجود طلعته

ولم يعد أى مشموم أمام فوح أريجه

لا أبتغى الحياة بدونه ولا معه لأن من الظلم أن ينظم فى سلك نظمى

فغضوا يارفاقى عيونكم التى لا ترى غير الظاهر لأننى أضمر سراً مكتوماً ، ولو رأى كل العالم صورته فلن يفهم منهم واحد المعنى وراءها

إننى أحترق حرقة لا يراها الأفجاج ، والمعافى السليم لا يعرف أحوال المحموم

فإن تعطفت علىَّ أو استبسلت روحى فيلزمنى طاعتك وأنا عبدك المأمور الملتزم

ولا يحق لسعدى أن يفلت بروحه من حبه فهو المسافر المتعطش وليس أمامه غير الجلأب المسموم

وإذا لم يكن بمكنة الحديد أن يقاوم النار فلا مناص من أن تجعل جبهتك شمعًا

***

أنا بك مشغول ورفيق سفر معك ولا أبتغى منك غير عفوك وكرمك ، ويعلم الغرباء جميعًا أننى معروف ببلاطك

وأخشى يا ثمرة الشجر العالى ألا تسقط فى يدى القصيرة وإن سفرت بذاتى فى وجودك فذلك لأنهم نبهونى إلى وجودك

إن يطلبوا منك ما يليق بهم من عقل وقيمة فأنا لا أطلب سواك ، وكيف لا أتفاصح وأنا بلبل بستان حسنك ؟

يقتلونى لكى أترك عشقك ويضربوننى لأن بيدق الملك هو أنت ، ولن أتحول عن لونك الذى هو صبغة الله وإن مزقتنى إربًا إربًا

لا تسر يا سعدى خلف حبيبك لكن ما العمل وهو يقودنى وراءه مكرهًا ولا خيار لى فى الميل عن جانبه ، وقل للقهر

ما حجر الجذب أننى القشة التى تجذبها

***

أوصدنا باب خلوتنا فى وجوه الناس ، وتراجعنا عن الجميع ، وجلسنا معك ، وانقطعنا عن كل من انقطع عن الحبيب ،

ونكثنا عهدنا مع من لم يواثق حبيبنا

والعقلاء بعيدون عن هذه المعاملة فيحق لهم أن يعيرونا بالسكْر والثمالة

صرنا بهيكل الملاك ونجونا من حسد الدنيا حين ذابت أجسادنا حزنًا بسبب مالكنا

كنا شاكرى نعمته بكل طريقة ونحن ندعو لدولته بكل مقام نكون به

نحن أعزاء فى كل الأنظار وأذلاء عندك ، وذوو مرتبة عالية فى كل العالم ووضعاء أمامك

فتجل يامعشوق العارفين بمرآك حتى نراك ولا نعبد ذواتنا وقد بقينا نرقبك حتى لا تزول

قلوبنا ولم نتخلص من أحبولتك رغم كل شطارتنا وحيلتنا

نحن واقفون وأرواحنا على أكفِّنا حتى تأذن لنا بأن ننشرها تحت قدمك

إن الحب يا سعدى هو الذى يبقى بلا تغيرُ ، والوفاء بالعهد يعنى أن يظل معقودًا على حالته الأولى

***

أيها السرو الممشوق الفارع العالم بصورة الحال والذى تفوق حسنًا عن كل من بالعالم نحن لسنا سيئين أيضًا

قلت لم ير قط بلبل فى لون وردىٍّ ، أجل أحسنت المقال ولكنا لسنا سيئين أيضًا

فإلى متى تقول نحن وليس غيرنا فأقصر الكلام أيها الجميل وحسبك فالتباهى والعجب لا يحسنان منك ولسنا سيئين أيضًا

يا جميل كل مجلس وراحة روح كل إنس لو كثر محبوك فلسنا سيئين أيضًا

قلت ليس يماثلنى آدمىٌّ على وجه البسيطة فأنت روح الرجولة ولطفها فلسنا سيئين أيضًا

إذا كنت الروضة العاطرة والبلبل الصداح والجميل الرائق فى الدنيا ، فلسنا سيئين أيضًا

ماذا جرى لأن هذا السرو لا يتحدث معنا فقل لا تبالغ فى عدم وفائك ، فلسنا سيئين أيضًا

إن أنت أسطورة الحسن والدرة اليتمية فلماذا أنت غريب عنا ولسنا سيئين أيضًا

يا من كَيُّك وحرقك في قلوبنا حمام ، تخدعنا وتماطلنا فإن كان روضك يفيض بالجمال فلسنا سيئين أيضًا

خلِّص فكرك من الغرور وأنصف ألمى منك ياروضة الخوخ والسفرجل فلسنا سيئين أيضًا

قلت رأيتنا ولن تسأل عن حالنا ، إذًا فلماذا أنت غاضب منا ؟ ولسنا سيئين أيضا

فرددت أنت قائلاً : لم يتشكل من الماء والطين في عالم الطين من هو أفضل منى فيا واهي الحب وقاسي القلب

لسنا سيئين أيضًا

لو آثر يا سعدى هذا القرين الجميل عنا جليسا فقل فضِّل عنا من تشاء فلسنا سيئين أيضًا

***

الحمد لله على أننا لم توافقنا المنية ورأينا طلعة العزيز وبلغنا حضرته ، وكم أكثرنا من الدعاء وتنفسنا أنفاس الإخلاص في تردد رايته المنصورة حتى سمعنا ثانية قرع طبول البشارة وصلصلة أجراس الإبل

أشرق كبدر التمام ذاك المحيَّا الذى كنا نترقبه منذ أن كان في طور الهلال

والشكر لسكر العافية في حلق الحلاوة حتى قلنا اليوم إننا ما ذقنا الشهد حتى تجرعنا الحنظل ، ولم نستو تحت ظلال إيوان السلامة إلا بعد أن قطعنا حبال المشقة وبواديها .

آن الأوان أن نعض شفتي المقصود وولت الأوقات التى كنا نعض فيها على يد الحسرة

في تلك الأيام أضرمت يد الفلك نيران التفريق في محصولنا حتى كنا نقفز كحبات القمح

الحمد لله أن آب نسيم الربيع العليل ونجونا من جور الشتاء والعدو والذى كان يأبى أن يأتى مثل هذا اليوم المبشر

مزقنا جلده بالعصا كأننا نقرع الطبول

من الأدب يا سعدى أن نقول فى حضرة الشمس إننا لم نر أبدا ليلاً حالكًا

***

طفنا أعماراً وراء المقصود بكل جهدنا والحبيب بمنزلنا ونحن نطوف حول العالم مغتربين ،

ومن درنا فى طلبه جميع الأماكن كان سرادق قدره خارجًا عن المكان

تجلىّ بطلعته كالبلبل الشادى من أول الليل حتى الصباح واختفينا أمامه مثل الخفاش وقد سبق القول منا يجب النظر إلى الحسان لكنهم استلبوا أفئدتنا فأجبرنا على النظر إليهم .

كانوا يصفون يوسف وهم لم يروه فلما حل بينهم زال وجودنا ورسومنا

وقد سبق لنا الانزواء بالخلوة حتى لا نشرب الخمر ، لكن أيها الساقي أعطنا خمركَ فقد تراجعنا عن موقفنا حتى تأتى كل المدينة ونرى أننا كنا شيوخًا شيبًا وعدنا شبابا ثانية .

فقل يا سعدى لجيش الحسان أن يأتى لصيد قلبنا فقد صرنا صيداً لفلان الحبيب

***

دعنا نمر أمام طلعتك ونسترق النظر فى شمائلك الطيبة فنحن نقاسى الشوق فى فراقك والجور عند النظر إليك والجور أهون عندنا من تحمل مقاساة الشوق إليك .

إن لم تتطلع إلينا بطاعتك فالأمر لك وإن عدت لنا لفرشنا وجوهنا بساطا لقدميك فلنا معك سر لو خاصمنا الخلق لفصلنا عنه ما انفصلنا ولو انفصلت أعناقنا .

قلت من يعشقوننى أكثر من التراب ،لسنا أكثر من التراب بل أقل منه ونحن معك ولسنا معك وهذا ما يستغرب منك ونحن فى حلقة وكالحلقة على بابك

فلا نشم شذى حب ولا نفكر فى أن ننمى فينا حب غيرك ويشكون للأصدقاء من أعدائهم فإن كان الصديق عدوا فإلى من نشكو ؟

لا يمكننا أن نسرع فى عقب غيره لأنه هو الذى يجرنا وراءه بأنشوطته ، فمن أنت يا سعدى ؟ قد وقع فى حلقة أنشوطته كثيرون ونحن أمامهم صيد أعجف .

***

عقدنا العهود بألا نمضى إلى الصحراء بدون الحبيب وألا نبتغى فرجة غير متنزه وجهه والبستان موطن السرور والروضة وهى مقام الحبور إذا لم يكونا مهيئين فلن نهنأ بسرور أو حبور.

غيرى جميعهم يضمون إلى صدورهم أحباءهم ، ونحن لأننا مدعوون إلى مأدبة خاصة لا نذهب إلى المآدب العامة لنغير عليها .

ولا يمكن التحول إلا إلى نظر الحبيب العزيز وإذا لم يتحمل إزعاجنا فلن نتحول عنه أيضا لأنه إن طردنا بإذلال عن بابه فلسوف نجلس بأمل لقياه ولن نتوجه إلى باب غير بابه ، بل لو فرق الحبيب جسدنا أشلاء ظالما ما تركناه إلى العدو.

فقل له أن يطأ بقدمه رءوسنا وعيوننا كما يطأ البساط ولن نتحول عن بابه ولو اندرس أثره من بساطه

فلا تشح بوجهك عنّا مغلظا جافيًا فلن نتخلى عن النظر إليك إلا إذا أزهقت روحنا لأن شرط الوفاء لحبيبك يا سعدى ليس كما فعل المجنون حين تحول عن ليلاه مجنونا فلن نتحول عن الحبيب بالجنون

***

هـل ذاك وجـهـه يارب أو ورق اليـاسـمين ؟ وهل هذا قـدُّه أم سـرو الرياض ؟ هل رأى أحد على الياسمين شعراً مجعداً ينشر المسك وهل صادف واحد فى الرياض سرواً فضى القوام ؟

دار عقلى كالفراشة ولـم يجد مثلك شـمعًا فى ألف مجلس فـأنا فى غاية الشـوق فواعدنى وفى منتهى الجرح فاسحب منى نصلك

أواه ، أى شىء يفـوق الآخر عـذوبـة وحلاوة أضـحكك أو تبـخـتـرك أو حـديثك أو شـفـتك ؟ إن أردت رأسى فـهنـاك روحى ورأسى وإن رمت رأس مـالى فـهـاك مـالى وجسدى

الأمر أمرك إن أكرمتنى أو دفعتنى عنك وأنا عبدك وهذه رأسى وسيفك وكفنى

إن أردت الصعق فأزل حجابك ، وإن طلبت الفتنة فأمط لثامك ، ومن أنا حتى يسع ربع عشقك حديثى وحديث غيرى؟

يا من غدت الدور دوراً للشفاء بسبب وصلك والبيوت بيوت تطيب العيون قميص يوسف وردك وتنمو منك نطفة قطر الندى فى رحم الأرض شاهد الورد وطفل الياسمين

هل أنت فـيح الريحان أو طيب الجنة أو تراب شيراز أو رياح الجنة ؟ مُرَ حتى يذهل السـرو وانظر حـتى يعـمـى ناظرا النسـرين وخَـرِّب بلاط الزاهدين وحطِّم صـوامع الصوفية

الحِسـان تطفر من وجوههم النضارة فقل للسـاقى هات خمرك والعشـاق سكارى فقل للِمطرب اعزف ألحانك

تواريت عن الخلق كالصوفى فى خلوته واشتهرت فى المدينة كالراقص علـى الحبال فـقـل للاحتشام لا تسترنا بردائك وقـل للعافية لا تسدلى علينا حجابك

لما رأت السـماء بعيونـها المائة طلعتك أخذت تبحث عن مائة لسـان لكى تثنى على بهـائك ، ولسـوف أسـمع السـبـاب من الخاص والعـام وأتجـرع مـرارة اللوم من الرجـال والنسـاء فارقص يا سعدى لو أنت عاشق وصفق يا عاشق لو أنت مفلس

***

لا يسع الوصف والبيان حلاوة ثغرك هذا المتباعد عن شفتى المتنائى عن أسنانى ، ولا يمكن أن تسمى عارضه الجميل بدوران القمر ولا فراعة قوامه بسرو الرياض ،فإن جاءنا فى استقامة السرو لكنه فى الحق تفوق على السرو بقوامه الفضى البضّ

لم يكن جسم بحسنه ولطافته كأنه كله روح داخل قميص رؤاك ، أهو خال على صفحة حبيبه الناصع أو نقطة من طيب الغالية فوق ياسمين ؟ إنك برمتك قيامة قامت فى دنيا هذا العالم ، وظهر من عينيك أنك باب من الفتنة لا ينسد

قلت سوف أستخلص قلبى من حلقة غضيرتك ، وأخشى ألا أستخلصه لأنها تمتلئ بالثنايا والتضفيرات.

وكل من يتمنى وصلك لقاء روحه صعب عليه وصلك لأن روحه ثمن حقيرٍ ، والرجل الذى يعرض عنك خوفًا من سيف جفائك لا تعده فى درب الوفاء رجلاً بل ادعه امرأة ، فإن صرخ مضنى فؤاد على ناصية ربعه فلا يمكن لومه لأن الحبيب لا يأتلف بمحب له ، وأرى أن كل خطيئة وجرم يرتكبه صاحب وجه حسنٌ .

إن سعدى يحمل رأس الجنون بك لا رأسه هو . وكل رداء يلبسه العيار المغامر إنما هو كفن له

***

أيها الطفل النضر الجمال حار فى وصف شمائلك الفصيح ، صبرنا على كل شيء وشخص وعجزنا عنك صبرا

أرأيت كم أنت غير مستقيم في الوفاء بعهدك يا قاسى القوس واهى الميثاق ، وساقا فراقك متزلزلتان ولا يتحقق فيك أملى

لم أسمع قط أن السرو يفعل ما تفعل من اختيال وجولان ، ومن يصدق أن إنسانا تشرق الشمس من جيب ردائه ؟

لا يشفى مرض فراقك إلا بعد أن ينفج بثورة على الأذقان ؟ ومن السعيد الذى تلاعبه بكرة السعادة والمجد ؟

أخشى أن تخور قوى الإسكندر فى النهاية عجزاً عن بلوغ ماء الخلود ، كان قلبى أولاً فسقط فى يد سلأب القلوب وها هى روحى فداء طلعة الحبيب

لا يشكو العاقل من المرض ما دام يوجد أمل الشفاء ، ولا يستخرج الكنز بلا إيذاء الثعبان ، ولا يتنفس الورد بلا وخز الشوك

ولو احترق سعدى فى النظر إليك فهل يضير القمر احتراق الكتان ؟ وإن أحرقت الفراشة نفسها على الشمع فهل يلزم الشمع دفع ديتها ؟

***

قم فالشتاء يولى دبره وافتح باب روضتك وضع اللارنج والبنفسج على الطبق ودع المنقل فى دار السهر وقل

وانشد الألحان لكى تموت الأحزان من أمام الإيوان إنهض فنسيم الصباح الربيع ينثر الورد فى الرياض

وتأبى البلابل المشتاقة الصمت فى موسم الورد ولا يمكن إخفاء قرع الطبول إذا غطيت بالأكلمة وكذلك العشق

ومثلهما أريج الورد فى صباح الربيع وشدو العنادل وما أكثر الأردية التى تحرقت وما أعظم البيوت التى تحولت هشيماً والمحلات

رأس حبيبنا على صدرنا ورءوس أعدائنا على السندان وعين المحب التى ترمق وجه الحبيب لا يغمض جفناه بسبب هطول السهام عليها .

فإن أصابت يا سعدى يدك جنى الثمار فمن السهل عليك أن تتحمل جفاء البستانى

***

ما أسعد وأهنأ أوقات الأحبة على شذى الصباح وشدو العنادل وما أحلى الساعة التى يجالس فيها المحب حبيبه

وتهدأ ثورة الرقباء العاذلين حَسَداهما فى رداء كالفسدق فى قِشْرة وفرجت رأساهما من فتحة واحدة

ويكفى الأعداء عقابا أن يروا الأحبة ينظرون وجه أحبتهم .

الوقت هو الوقت الذى يحتظيه المرء من عمره بالدنيا فلا تكن أيها العقل من المحرومين من هذه الحظوة ، وإن تيقنت من عجزك عن رعى الأغنام فاتركها إلى الذئاب

أنا أوثر الماجنين والسكارى على الزهاد والوعاظ فدع البر والفاجر يقول فى حقى ما يريد

لشفاه الحلوات خصلة هى استلابها ألباب العقلاء ذوى الألباب ، ولما جلست مع الفتيان الأوباش محوت كل ما أنشدت على الأدباء فمن الذى يدرى دواء مرض سعدى فقد ملَّ مرضه كل الأطباء

***

ما أحلى ريح العشق من أنفاس المتضرعين ,قلوبهم تدمى من الانتظار وأفواههم تضحك بالأمل

ربما خضَّب بالسحر عينيه كل عمره ولا يخلص من سحر العيون غير الورعين

أباحت عيناه النظر وعطلت دفع ديات ألف قتيل واستلبتا قلوب العارفين وسكينة العقلاء الحصفاء

تثور الجلبة فى ربع الحسان كل يوم من المعربدين والسكارى وشاربى الخمر والماجنين فإن تحاشيت وهقك فإلى أين المفر والخلاص قيد فى غير وجودك والحياة بدونك سجن .

إذا أنا لم أرق لك فلا تسلمنى إلى عدوى فلن أتحول عنك بسبب جفاء الأعداء فتعال لحظة واجلس وانطق كلمة واسمعنى

فبضع كلمات من ثغرك الضَّحاك يقمن القيامة ، ولو شهد أرباب المنطق العذب لعضوا أيديهم كما تعض أنيابهم قصب السكر .

إن كل الحسان مشتبكون بعشقه يا سعدى ولو فض الاشتباك بين الذئاب والأغنام

***

دعنا نبكى كالسحاب فى فصل الربيع فإن الأحجار هى التى لا تبكى يوم وداع الأعزاء ، وكل من ذاق شربة الفرقة يوماً عرف قسوة انقطاع الأمل فى الآملين .

واحكوا لحادى القافلة عن أحوال عبراتى حتى لا يعقد أحمال الإبل فى أيام المطر فقد تركونا وعيوننا ينهمر فيها دموع الحسرة بالبكاء عن عيون المذنبين يوم القيامة

فى صباح المسهدين المؤرقين قد فاضت روحى تحملا من طول تأخرك كمغرب الصائمين

كم حكيت عن حوادث عشقك ولم أشك من هموم قلبى إلا جزءاً واحداً من ألف

قد تمكن مستقراً حبك بقلب سعدى طوال عمره ولا يمكن أن يخرجه غير الزمان

فإلى متى سأحكى لك عن حالى وحسبك هذا الشرح ، ولا يمكن قص ما بقى منه إلا على المواسين المعزين

***

عيناك السكرى الخمريتان تزيل السلوى والسكينة من قلوب العاقلين وناظراك الناعسان ينهبان العقل من قبضة الواعين

فرويدك ورفقك بنا ياسيدى واقبل نصيحتى ، فمن مَرًّ فوق رأسه السيل لا يخاف من المطر

ولو شهد المفيقون ساقى السكارى لتابوا عن توبتهم مثلى على يد الخمارين

وإذا أدخلونى الجنة مع الصالحين يوم القيامة ولم يكن حبيبى معى لفضلت أن يدخلونى النار مع الفجار

أى عبق وأريج هذا الذى أزال منى عقلى وصبرى ووعيى ، لا أدرى هل هو من جنة الفردوس أم دكان العطار

أنت حبيس الجب الكنعانى مع أولئك القصار النظر فهلم إلى مصر حتى يظهر المشترون اللائقون ليوسفك

فيا رياح السحر أبلغى قمر مجلسنا بأنه حر طليق وخلق من هموم طلعته أسرى أرقَّاء

ذاك العيار فتنة المدينة إن سأل عن أحوالى يومًا فقل له ألا ينام ليلة خوفًا من نهب العيارين له

لو عبرت يومًا بنا فألق بنظرة إلينا ولا أظن أن الشر هو جزاء الأخيار

يقول الناس تحول عن حبه يا سعدى لأنه يجافيك ، ولن أعرض عنه حتى أموت على ربع الموفين بعهدهم

***

تنبئ الريح عن البستان بحسن نشرها وفوحها ، وتنفس الصباح وأشرق النهار فقم وأطفئ السراج

إن أولهت وأسكرت كل الناس مثلى فتجلَّ إلى للصالحين وأذق الزاهدين خمرك

تخطئ جماعة سماع الموسيقى وتجرم العشق فانشد ترجعيك العذب حتى يبارحنا الأشرار

فخذ الخرق وأعطنا الخمر وأذقنا الصهباء وأزل بها همومنا والعاقل يجهل لذة عشق السكارى

إن دخان المحترقين بالعشق يتصاعد إلى السقف ، ولا يؤثر هذا الكلام فيمن بردت نارهم

ينبغى أن ترقص الرقص الحلال على سنة أهل المعرفة فارقص على الدنيا وصفق على الآخرة

أتحمل تقطيع السيف كاتمًا وأتأوه تأوهات خفية ، وأى أذن تسمع أنأت الصامتين المكبوتة ؟

تكثر من نصحى بألا أقتفى أثر الحِسان فإذا لم أقتف أثرهم فمن الذى سيجتذبنى شوقًا إليهم دون اختيار منى

قد شبت وخارت قواى قبل الميعاد لكن شعرى الأبيض يظهر سواد عينى مقبولاً

ينشر ريح الجنة فيأسرنا بعذابه ويجرى ماء الحياة فيجذب أجسامنا إليه

نسيم الربيع وعبق الورد متفقان يا سعدى ، ومن الظلم أن تبقى على صمتك وأنت بلبل فصيح

***

إلى أى مكان آخر يتجه هذا السرو الميَّاس ؟ وكم من القلوب لأصحاب المنظر لم يسترقها هذا السرو ؟

إنما الرجل هو الذى يحترق سائر وجوده كالشمع ، وإنما النار لا تصيب الأفجاج الأغرار

تسيل الدماء من مآقى أسارى وهقه ولا يبدر منهم اعتراض أو تساؤل

فقل للناس إننى عاشق وثمل وليست الحانات دار انتظام أو نظام

وماذا أفعل إذا لم أضع رأسى تحت قدمى عاذله ، إن من يحتاج الملك لابد أن يقبل أيدى غلمانه

قلب سعدى يخفق بصدره كالحمامة بسبب تردد هذا القطا المتبختر المختال أمامه

(يا صاح متى يرجع نومى وقرارى إنى وعلى العاشق هذان جرمان)[1]

***

النائم على صدر حبيبه لا يدرى طوال الليل على عين الحارس اليقظان

تسخر من عقلى حين أبكى من آلامه والشدائد والمصاعب إنما تحل بالعقلاء

وأى فائدة من لوم المسلوب الفؤاد ، يجب لوم من استلب الفؤاد

فأسفر وتَجلَّ لنا يا جميل المحيا يا بديع التبختر حتى يتشبث بأذيالك الأبرار

لا أعترف بهجر محبتهم المستقرة بذاتى فدعهم حتى يغمرونى بجفائهم

إن روح العاشق المنيرة لا تشكو من حلوكة الليل ، وتعلم أن ليل الساهرين سيشرق يوماً

فلا تصدق أننى سأقبض يدى عن ذيلك ، إن السيف لا يفصم علاقة الأحباب

لن أرفع ناظرى عن محياك ولو قتلنى الرقيب ، والمشتاق إلى الورد يتحمل قسوة البستانى

قد أسلمت اختيارى للعشق إسلام زمام البعير ليد راعيه

أنَّى لبائع السكر المصرى أن يدرى حال الذباب ؟ إن حبيبى قد نفض يده من شوق الناس إليه

لعلهم ينثرون السكر المصرى على رأس سعدى حتى لا يدور كالذباب حول ذوى الأفواه العذبة

***

---

(١) شعر عربى مصحف بيد النساخ ويقصد به إن النوم والقرار محرم عليه وعلى كل عاشق مثله .

نعجز عن مصارعة العشق ومغالبته لأنه من القوة بحيث يدق أعناقنا فإن دعوتنى إليك أو دفعتنى عنك فلك الخيار ، ولك أن تقتلنى أو ترفق بى وإن علوتنى بسيفك أو وجهت إلىّ سهامك فيحق لك هذا ولا حيلة لنا إلا الاستسلام إليك .

والسفينة بعرض الماء لا يخرج حالها عن أمرين أيها الحكيم : إما أن تعود عائمة أولا تعود أساساً

ولو كان العشق هو مذهبك فما هى سنة العاشقين ؟ إنها تتمثل فى إخلاء قلوبهم وهى مجلاة من كل من عداه

لا تدانيك الشمس إشراقًا ولا يضارعك السرو رفاعة وعلواً ، وكل من رأى مثل طلعتك مزق رداءه كسعدى

وموجب الجنون هو معرفة المجنون بلاءه

إما أن أحترق كالشمع أو يقتلونى بالصباح ولا تزيد حيلتى عن شيئين : الاحتراق أو التضحية بالروح

قد التقينا بدرع الاستسلام لأن فى قتال الحبيب يمكن الإصابة بالطعنات ولا يمكن استلال سيف الدفاع

***

إلى متى يتوجب علىّ إغماض طرفى متصبراً ، ولم يعد لبيدرنا من حيلة إلا الاحتراق

لو سُمِّى النظر الصادق جرمًا وذنبا فليس حاصلنا غير تجميع الذنوب

كم مزقنا من أردية بالليل وقد بلغ بنا الشوق مبلغه فى مجلس السماع ، وحين يشرق الصباح نخيط رقاعها

لن يؤثر المتألم بعشقك الزهد ، وحيلته هى التراب والاحتراق كالشمع والاكتفاء بطلعتك عن الشمس

وما هى بلاغتى وعذوبة منطقى أمام حلاوة ثغرك ؟ إنها كإشعال مشعلة فى مواجهة الشمس

سمع الحاسد منطق سعدى ووقف مشدوها ولم يعد بحيلته إلا الصمت أو تعلم الفصاحة

***

لو تصور أحد أننى سأمازحك فانيًا فيك ما كان من الظلم إهراق وجودى تحت قدميك

لا أفكر بذاتك بل فى إبداعات قدرتك ، فمن بإمكانه أن يتصور صورتك

فمن الذى يضع مرهمًا على قلب العاشق المجروح الذى لا تسنح له فرصة التريث أو مجال الهروب

فليس داعى الشوق الذهاب والإياب وليست قاعدة الحب التعلق والانفصال

العبرات الجارية ونار الآهات المحرقة أمامك إنما هما حثو التراب على مفرق شعرى

وكل من هو كالشمع فى نظر المحبوب الجميل بالليل لا يخشى أن تقطع عنقه بالنهار ويعلق بجسده

إن دَيْدَنك هو مخاطبة محبيك بالكلام المرِّ فاحتال سعدى وخلط خطابه لك بالشهد

***

ما كان عليك أن ترتبط بالحب من البداية بما أنك كنت تضمر نقض العهود .

وأسأت فعلاً حين فصمت بسيف الهجر حبل الإنعام والمراعاة لمحبك ، فلا يجدر بك أن تطلب وفاء بالعهد ثانية من الملائكيات الوجوه المهزارات

فإن تيسر لى الاعتزال بخلوة ثانية فلن أتوانى عن أن أتوارى بها وأختلى ، لكن الصبر على الوحدة مستحيل ولا يمكن إيصاد الباب فى وجه الحبيب

أقول لك إننى أبكى بكاءً مرًّا من إيلامك لى ، ثم أعود فأقول إننى أضحك علي بكائى هذا لأنه لا يمكننى أن أنجو من أمرك لو أطلقت أنت سراحى أو دعوتنى عبداً لك ، ولن أقبض يدى عن ذيلك لو عاديتنى أو واددتنى ، وإن قست على هذا يا سعدى فلا منجى من أسره إلا حين تفيض روحك وتلقى حتفك

***

ما ينقض الحب ويناقضه ترك محبيه وما كان لك أن تتجلى بوجهك ثم تعيد حجبه

يهزل الشحاذ حين يحيى الملك لأنه لا يمكن أن يعيش معه ولا يمكن ألا يدعى حبه

يجتاحنى ألف مرض أقول عليَّ أن أخفيها لكن الشفتين لا تنطبقان كالبرعمة حين تود التفتح

لا يتأتى منى أن أنتصف منك لنفسى ، ولهذا فإنك تبيح ظلمى والنقمة عليَّ

من قال إنك تشبه فى سموك وعلوك سرو البستان ؟هات سرواً من أى روضة يمكنها أن تختال مثل اختيالك

أحبك إلى درجة أننى لا أود وصالك لأن كمال الحب هو ألا تنال مرادك من محبوبك

كان مراد (خسرو) من (شيرين) هو احتضانها والامتزاج بها لكن الحب العف كان فعل فرهاد ونقب أحجار جبل (بيستون) .

إزجاء النصح للحائر العاشق سهل ، ولكن من الذى تنصحه ويعمل بنصحك ؟

كنت أشكو من قبل إلى المقربين والمواسين من فرط النوم واليوم أشكو لهم من فرط السهاد

إن أنت تحاشيت طعن السيف فلست عالى الهمة يا سعدى ، وما لم يضرك اللدغ فلن تنعم بالشهد

***

سهل التفريط فى الحياة وترك الأحباء وإن نطقت حبيبى بأمرٍ كلام فهو سكر من فمك

قد تبنا عن وصف سرو البستان لما رأينا سموك ، وقد حار وهمى فيك حتى جهل ذكر وصفك

أنا رهن أحبولتك فلا يمكن النجاء منك بطلب الأمان ، وكنت أضع فيك دفتراً فترددت فى قراءة ما به لأنك أشد حلاوة من (شيرين) الحلوة التى يحكى عنها فى الأساطير

وتبلغ بالبلابل الجرأة على الشكوى إلى الورد من ظلم البستانى لكنى لا أتفوه بشكوى إلى حبيبى اللطيف من جفاء الرقيب وما يراه المحب من هودج حبيبه لا يصح أن يُفضى به إلى حادى الإبل فمن الظلم إفهام الترجمان أسرار حب المحب لحبيبه

وهذه الحكاية التى يحكيها سعدى يودون حكايتها فى العالم كثيراً

***

لا يصدر الببغاء بحديث أعذب من حديثك لأن كلامك يخرج من فيك يصحبه الشهد

إذا لم أقل لك إنك عالم العذوبة فهات أنت دليلاً ينفى قولى وكان من الواجب الثناء على كلامك لكن الكلام لا يسعه الحديث عنك

لم ينبت فى أى روضة سرو يماثلك فأنت لوزىّ العين فسدقى الفم سكرى المنطق ، وهل سبق أن سمعت عن سرو يفوح مسكًا أو وصل مسمعك كلام صادر من فم القمر ؟

ليس من الإنصاف الحديث عنك بمحضرك فأعاهدك على ألا أذكر عنك قولاً آخر

عيناك الفتانتان تسحران من ينظر إليهما ، فكيف أحادثك وأنت تنظر إلىَّ فإن سنحت لك يا ريح فرصة الكلام فأبلغى مسمع هذا الملك هذا القدر من كلامى

لا يحرى وصف يليق بحسنك ولا يوثق الوصف ممن تبلبل فكره وتشتت حاله منك

يتقطر الدر بدل الشعر من منطق سعدى فاكتب كلامه بالفضة إذا لم تكتب بالذهب

كلما رأى أهل الفضل طرىَّ الكلام طليَّة فى سفينتك عدوه مسكينًا غريقًا

***

ما أجمل عناق الحبيبين ومجالستهما وذوق كل منهما حلاوة معرفة الآخر ، أيأسف على قضاء العمر العزيز حين نجد الأعزاء

وإن أكثر جفاءه ذو القامة السروية فلابد من قبول عذره إن سعى بنفسه آتيًا لك

كيف أشكرك يا نسيم الوصال المسكى النشر وهذا بستان عمرى يود الذبول

كان فراق طلعتك يقتل نفسى كل يوم لكن النظر إلى شخصك اليوم يُربى روحى ويزكيها

إن من يجهل قيمة أيام وصلك عليه أن يعانى قضاء أيام فى فراقك

ولو طارت رأسك بلا جريرة ليطأها حبيبك فلا يجب أن تمن عليه بهذه التضحية

سُقتنى بسوطك لتلهب به ظهرى أنا الواله بك ، وماذا عساى أفعل وعنقى مغلل بأغلالك ؟

العاشقون الصابرون ليس لهم كمال الشوق والثلج ذاته لا يقوى على النار

إن كنت إنسانًا يا سعدى فمت بالعشق لأن مذهب الحياة هو هذا الموت عشقًا

***

إلى متى لا يمكن أن نرى فيك أيها الحبيب أثرًا لوصالك لنا وقلبى لا يطيق هجران رؤيتك ؟

إن ظل ديدنك بهذا النحو وأنت فى مثواك فلسوف يُمضُ قلبى بمعاناته كثيرًا من جفائك

وإلى متى سيظل عقلى ذاهلاً بعشقك والواله المستهام مبهوتًا وقلبه بلا انتظام وقرار ؟

يمكننى أن أجعل قلبى ترابًا تحت قدمك ولكنه لا يمكن أن يُعد حبة تراب على جانب نعليك

تتراءى لى فى منامى كل ليلة غضائرك السوداء ، فماذا يصيبنى من نوم تفاريق وأضغاث أحلام ؟

من قصر النظر أن نأتى الرياض ونرى السرو المتبختر فى وجود طلعتك السنية ورفاعة قوامك

لو أرشدت الخضر إلى تجويف ذقنك ما احتاج إلى رؤية نبع الخلود

وكل قلب محترق سقط فى ثنايا ضفائرك لا يمكن أن ترى كرة فى عقفة الصولجان أفضل منه

وما شاهدته من نرجسيك المخمورين يغنينى عن رؤية الورد والشقائق والريحان

فلا تذهب نفسك حسرات عبثا يا سعدى أتدرى لماذا ؟ لأن صلاح أمرك هو أن تضحى بروحك وترى حبيبك

***

تفضل بنظرة علينا فى النهاية وداوِ بحبك آلامى قد أكثرت من نقض عهودك معى فاغلظ وأوف مرة إلينا

أنت فى خاطرى كل يوم فاذكرنى أيضًا يومًا واترك قاعدة مخالفتك وتخل عن طبع معاندتك لى.

وانهض وغلِّق الأبواب واجلس وافتح قباءك المعقود ومُنَّ بحبك يومًا على من كنت ترضى هلاكه

فإذا استأنس بك وتعلق بحبك فَأَبْلُهُ أو اختبره ثانية بفراقك فإن كان لا محيص لك يا سعدى من الحبيب فأسلم له أمرك وارض بالقضاء

افتح لسيفه حين يهوى به صدرك درعا وادع له حين يسلبك ، ولا تجمل الشكوى من الحبيب وقل للجميل اقس عليَّ كما تحب

***

إذا كانت عيناك على حبيب فلا تكن أذناك مع عدو ولا تتدرع بغير درع الرضاء أمام سهام القضاء

ومن لم يحرق قلبه بالنار حرق الفراش قل له لا تطف حول حبيبك الناريً

المرور بربع الأحباء ذوى الحلاوة والطلاوة يحق له التورع والتعفف فإما أن تترك قلبك به أو لا تفتح عينيك على نوافذه

فمن الذى يدلل على ضلالنا وغينا ؟ قل له انظر هذا الحيَّ الذى زين المدينة ولا تَعِب علينا

ما دامت أنفاسى تجرى فذكره يجرى على لساننا ، وإنما الفظ الغليظ القلب من قال إننا نترك هذا الحبيب البضّ البدن

إن المحبين لا يحولون أنظارهم عن محبة أحبتهم قط ، فلا تقس على محبيك حاشا لله

الموت فى ربع الحبيب أشهى من الحياة ، فلا تقبض يد حبه عن ذيلك ما دمت حيًا

إن الجميل مرآة كل من هو قبيح الخِلقة فقل له ألا يطيل النظر فى هذه المرآة المنيرة الصافية

إياك يا سعدى أن تصارع ذا الساعد الفضى أو تثنى الحديد ولو كان ساعدا حديديا

***

يا من محياك حياة قلبى وعيناك سراج منزلى إن حبك ماء اختلط به ترابى فأهلاً بك ومرحبا سعدت بك يا حظى السعيد المقبل

الورود مقبلة علىَ وأنت معى وبدونك لا أحتظى بنفع ، وأراك فى مواجهتى فى كلٍ موضع كأنك جالس أمامى بالليل والنهار فقلت لعل ما بقلبى من همومك يبقى خافيـا

يا لشدة أسفى على حياتى من بعدك إذ بطلت إن حفلى ومحفلى هو ذكرك فى كل مقال ومقام

لو قطع مفاصلى بسيف فى يده البضة وتقطر دمى فلا تقتصوا منه فإن قاتلى فى حلٍ من دمى

***

أذقنه هذا أم سفرجلة أم تفاحة فضية ؟ وهل تلك شفته أم سكر أم حياة عذبة ؟

هو صنمى لأن تقوس حاجبيه يحكى دور أصنام الصين

هطلت عيناى الثريا منذ أن رأيت قرطه ، واسودت فى ناظرى الدنيا منذ أن نظرت طلعته

أشتهى المنام لكن كيف تهجع رأسى على فراشى فى غير وجود الحبيب ؟ فمن رأى مثل طلعته قد تخلقت من الماء والطين "تعالى خالق الإنسان من طين"

ليس الجفاء بالعاشقين بدافع الجفاء بل غرور الحِسان ، ولن أتخلى بسبب هذا الجفاء عن حبى لو قابلته بحب أو كره

فأى حاجة للسيف أيها البديع ، إن يدك البديعه هى قاتلى والقتل بيد الأحبة انتقال جليل جدير من الدنيا فاقتلنى حتى لا يقول من يستحقروننى إن الشاهين لا يقيم لصيد الجرادة وزناً

سعدى دينه وديدنه النظر فى الحسان فلا جاء ذاك اليوم الذى يتحول فيه عن دينه

***

هبت عليَّ بالصباح من المشرق ريح الربيع من يمينى فشده عقلى وذهل وعيى من صنع رب العالمين فسلكت فى الصباح مع الشباب طريق الصحراء فقال صبى لى أنت شيخ فاقعد مع العقلاء فقلت له ألا ترى أيها الغافل الجبل مع شدة وقاره يمتلئ حجره كالأطفال بالأرجوان والياسمين ؟

أخفى يده بكمه عن الربيع والأوراق والأغصان وستر الفكاهة عن الشمس وأخفى القمر فى كمه

يشعث الريح الورد يفرقه فى كل صباح ولعل تموج سطح الماء بفعل هذا التشعيث والتفريق

خرج الربيع من البراعم بقميص واحد ونثر الصفصاف مسكًا لكى يجعل منه رداءً للشتاء القادم

فهذا النسيم هل هو تراب شيراز أو مسك الختن أو أن محبوبى قد بعثر ضفائره العنبرية

انظر إليه فى الصباح وهو ينفض النوم الهنيء عن عينيه إذا لم تكن رأيت سحر بابل فى معارض رسوم الصين

إن كنت تحفظ ذكره برأسك كسعدى فطأطئ رأسك كالرجال أمامه فلا يمكن عشق مثل هذا المعشوق إلا بمثل هذا النحو

***

إذا ضرمت سهامه صيد بيداء عشقه ما استطاعت قدمه أن تخرج من أسره فانفذ سنانك بصدرى أو ارمنى بسهامك فأنا جليل القدر بعظمتك إن صدتنى

قلت سأولى وجهى شطر العالم بسبب إيلام عشقك فوجدت حسنك المتولى على العالم قد شغل باحات العالم كلها

استسلمنا له مع كل ما قمنا به من تدبير وتعلقت عيوننا بجدار الصبر وترقبت أبصارنا حكم القدر

لا حيلة للمغلوب إلا إلقاء درعه خاضعًا إذا عجز عن الهروب من طلقات سهامه

لا ألم يعانيه قتيل العشق لأن الناس تحيا بأرواحهم ونحن نحيا بتأثيره

قد استاء من فرط تعجلنا له ، قد أوشكنا على الموت من فرط تأخره علينا

نظرت فى كل العالم ورجعت ولم أجد وجه أحد يدانى بهاء وجهه

فمن أين لك هديرك وصخبك يا سعدى العذب الشعر ؟ إن الحبيب لنا آية وشعرنا كله تفسير لهذه الآية

اندلعت نار من إحراق العشق بقلب داود حتى وصل عزف مزاميره إلى عنان السماء

***

كل من سار وليس معه إلا نفسه ضل الطريق إليه ، لأن بصيرتنا لا تطيق حُسن طلعته

لا يفوح طيب من حدائق البنفسج والياسمين يا ريح الصبا فاصنعى عطر الغالية من طرته المسكية

كل امرئ يتمنى ما يوازى مقداره ولا تتمنى همتنا غيره ، وأنا طوع قيده وهو طوع مراده وإذا لم يمش على طبعى فأنا سائر على طبعه هو

ولكى أدفع ألسنة الأعداء فإننى أوجه بصرى إلى واحد غيره وقلبى إليه هو فلا يعلم سرى أعدائى

هو قابض على ذيلى حتى القيامة وعمرى قد ضاع فى تفكرى فى كلامه

فإن تعثرت قدماك بحجر يا سعدى فلا تتبرم فقد اشترطت عليه من البداية بألا تتحول عن مقامه

***

ما أحلى تبختر ذاك السرو الظريف البديع ، وما أجمل نظرة ذاك الغزلانى العين

أرأيت سروًا قد عقد خاصرته أو بدرًا تتوج بتاج ؟ الورد أمامه عبث أمام الورد والقمر أمام وجهه نجم أمام القمر

يسير كالسلطان تتبعه آلاف من القلوب كما يتابع الجيش إثر السلطان فيقل لى احذره وتنح عن طريقه فقلت وأين المفر ؟ ليس لى غيره ملجأ

ومن أول وهلة رأيت فيها غمازة ذقنه سقط قلبى من يدى بها وأنا لا آسف على قلب ضاع منى فروحى الأثيرة على كفى فخذها

فيا عينىَّ كلتيهما حين تطأ بقدمك التراب طء عينىَّ فهما أفضل من التراب

ظلم أن يصدر جواب مر من فمك العذب أو يحوى صدرك الأبيض قلبك الأسود

اكتوى المساكين بنار حبك فآهٍ منك أيها القاسى كم أنت فظ آه !

عاشت مدينة فى مضيق الشوق بسبب حديثك وغدت الليالى عليهم أيامًا وأنت فى نوم هنىء حتى الضحى

قلت أشكوك إلى الرفاق والأصدقاء لعلك ترفع يد ظلمك عنى أنا البرىء فألزمتنى همتى بالحفاظ على السرو ، قالت لى إن المحب لا يحق له إلا الاستغاثة بمحبوبه يا سعدى

***

الأجدر بك ألا تصارع بساعد عاجز ، والأفضل لك ألا تلاعب المقتدر المعربد فما دمت أسلمت له قلبك وتسلمت حبه فلا حيلة لك إن خاصمك والأفضل لك أن تصالحه وتسايره.

لا تغتم إلا بهموم حبيبك حتى يفرج عنك همومك والأفضل لك ألا تنشغل بمنفعتك عنه.

لا يتحمل درع الصبر سهام الفراق ، والأفضل لك ألا تبدأ مقاتلة قوس حاجبيه ، والأفضل للعبد أن يستسلم لا أن يرفع رأسه مستنكفا خط أمر صاحب الأمر فإن ضربت عليَّ كالصبح فلن أرفع رأسى أمامك والأفضل لى أن أتذلل إلى مثل هذا الحبيب الوفى

وإذا لم يكن من الموت بديار رفيقى العزيز فالأفضل لى أن أسقط صريع سهامك

قد انعقد مجلسنا ثانية بالبستان والمطرب الرخيم الصوت أفضل من البلبل فى ترجيعه فاسمع نواح المطرب ودع البلبل فلن يفضل سعدى الشيرازى إنشاداً ونظماً

***

يا غائباً عنى مستقراً بقلبى حسنك متجل وأنت مستقر بكل أستارك أفهمك العوام وامتصصت دماء الخواص ونحن جميعا صيدك أوقعتنا فى شباكك

بم يفيدنى غيرك حتى أنفصل عن حبك ؟ فأنت طاعن قلبى ومرهم طعناتى المؤلمة

هل أغتم إن حطمت قلبى بجرحك وألمك وأنا أسمع أنك فى كل لحظة كسير قلب محطم فؤاد ؟

***

معشوق ثمل لطيف وساذج أمسك بكأس خمر عقد خاصرته فى مجلس حفل الشاربين وخلع عباءته

سقطت الأرض طاعة له ، ووقفت السماء انقياداً له ، وسجدت الشمس والقمر له لما رأيا بهاء وجهه إذ ترجلت الشمس فى رحاب حسنه وهو مليك السماء

ما أبدعه ، فهو حور عظيم سقط من نافذة الجنة بلعل[1] كالعقيق المحشو جواهر وضفائر مثناة كالقوس وتولد أطفال زنوج من القمر فى روضة بستان وجهه ولا يبلغ سعدى هذا الحبيب قط لأنه غرٌّ ويعد حيَ

***

تتعالى من المشرق الشمعة الممتدة لسانها إلى السماء فعجل يا ساقى الصبوح بالغبوق واسرق عقلى لحظة فإلى متى ستختار العلم والحكمة ؟ وأزل وعيى زمناً فإلى متى سيغتم مهموم الزمان ؟

واجعل من مفرق رأسى مجنًا ودرعًا إن أمطر حجر الفتنة وانصب روحى هدفًا إن فوَق بسهام طعانه

إن أعطيت الخمر لقاء روحك فخذها لأن العالم يرى أن تراب الحانة أفضل من ماء الحياة

ضع على كفى ذاك القدح ففيه ماء الحياة ومذاقه نار ولونه حبات الرمان

أنَى للصوفى أن يدور حول الخمر الصافية والعنقاء لا تسع العصفور فى عشها

لا يخشى الماجنون من صولة القيامة والحصان الخشبى لا يضيره السيف والسوط

ذو الفضل لا يحتج على عديم الفضل فلا حجة على الصوفى ، وخلوة سعدى واتجاهه إلى الصحراء

***

أيها الحبيب الجافى القاطع للعلائق إنك لم تفِ بعهدى وفائى بعهدك مع أنى فى سكناك معروف ومن محياك محروم لكن لم يأكل الذئب الضارى يوسف

---

(١) اللعل نوع من الياقوت ويقصد به شفتى المحبوب .

لم نر منك شيئًا ولاكت ألسنة المدينة سيرتنا ، ولم تبلغ حكاية المجنون سمع ليلى ، وإن رأيتك أيها الأثير الحلو الشفة الوردى القوام فى منامى فلا أحصِّل من منامك غير الحسرة والندم

أكثرنا من السعى عبثًا إلى طلبك كالطفل يجرى فى عقب العصفور الطائر ولم تصد طير قلب العقلاء إلا بالقوس المستدير لحاجبيك المعقودين

تكسرك فى مشيتك ماذا يشبه ؟ إنه اختيال الطاووس ، وغمزاتك ؟ إنها غمزات الغزال الجافل الهارب

إن تجاوزت شيراز فليس أمامى طريق لأنك أحطتنى بشباكك ولا يمكن مقاومة يدك البلورية

فذهبت وأنا أدعو بك وأسمع شتمك لى فلا رأت عينا سعدى وجهك ثانية لو رأيته نظر إلى غيرك

***

تضيع قيمة الورد إن دخلتَ الروض ، ويتضاحك الماء العذب مثلك وينطق ، ولا يختال الطاووس أو يظهر جماله إن أتيت مختالاً

ألم أنصحك مرارًا يا قلبى بألا تفتح ناظريك حتى لا تقع أسيرًا له ؟ القمر ليس بجمالك فلعلك أنت الشمس ، والقلب لا يقسو قسوتك فلعلك حجر صوان

إن أتيت مائة مرة فى فكر قتيل عشقك لترصدت عيناه عودتك ,وضعت مَجنًى مستسلمًا لسهامك ولن أخاصمك إن أتيتنى محاربًا

لم يبق أحد لم يتوله برؤيتك إذا أطل ظريف جميل مثلك بطلعته من وراء حجابه ، فلا تطرى يا ريح ثانية حديث الفل والسنبل إن أشرق بسنبل جديلته وورد طلعته

أُحبُ ألا يحبك أحد سواى ، لكن من أسف أنك تخطر فى خواطر الكثيرين غيرى

إن بنات أنفاسك يا سعدى تستلب كثيراً من الأفئدة بسبب معانيها وصورها التى تنمقها بها

***

إلى متى تجعلنى أنتظرك ألم يحن الوقت لكى تسفر لى عن وجهك ؟ لسوف ترانى أنتظرك ما دمت حياً

فاغضب ولأقولن ثانية لك لماذا لم تأتِ ؟

عمرى أقصر من أن تماطل وتكثر من وعودك ، فمتى أسعد بك وقد انقضى شبابى فى انتظار وفائك بعهدك ؟

لم تبلغ وصلك ولا يبلغ مسكين قط حد الصبر عنك وأُودع على أول طريقك كل ليلة عينا تودِّع نظرها .

يصير نهارى ليلاً وليلى نهاراً حين تحتجب وحين تسفر ، وقد ظهر وجه سعدى بسبب تخيله خيالك البارحة صفرة الذهب ونتف الفضة

***

أى باب تدخل منه عائداً بجمالك وبهائك هو باب الرحمة فتحته على الناس

فلا فائدة من اللوم فلا يميز البرتقالة من يده من تخرج عليه بجمال يوسف من خبائك بادياً

حين يُحلِّى الحسان وجوههم بالحلى والوشى فأنت يا فضى القوام من الجمال بحيث تحلى الحُلى والوشى

إذا رأى البلبل وجه الورد انطلق لسانه ، أما أنا فقد خرس لسانى حيرة عن النطق لما رأيت وجهك

لا يمكن أن تتوارى عن الناس بحسنك هذا فأنت ظاهر كالشمس من الزجاج وكالحور من الثياب

أنت يا حبيبى صاحب منصب ولا تأبه بالمساكن ، وأنت هنىء بالنوم ولا ترحم عيون السهارى

افترض أنك سرو حرٌّ ألم تخلق من ماء مهين ؟ فلا تتأب علينا بما أنك علمت أنك منا

إذا لم تدع لى فَأَعِزَنى بسبِّك فكل مُرٍّ ينطق به ثغرك العذب عذب

ظننت بسبب عطشى أن البحر يبلغ خاصرتى ، فلما هويت إلى القاع علمت إذ ذاك أنك البحر

إن نفضت يدك منا أو عبست فى وجهنا فلك ما تريد ، لكن الذبابة لن تبارح دكان بائع الحلوى

إنك تثير القيامة يا سعدى بكلامك العذب هذا ، ومن المسلَّم به أن الببغاء فى أيامك متوقف عن الشدو

***

أى وجه هذا تزيل رؤيته صبرى منى ؟ إن الصورة تشهد على جمال أخلاق صاحبها

أجبنى حبيبى بكل ما شئت من قسوة ، فإن تَمررت إجابتك أزلت مرارتها بحلاوتك

سوف أعد غير الصابر من الآن صادقًا فى حبك لأننى لا أرى صبراً عنك فى نفسى

ولن أنحُ باللائمة من اليوم على الوالهين والمساكين لأن العاقل الرزين إذا رأى وجهك هام أو استهام

أنت ماثل بقلبى مثول الروح بالبدن والدم بالعروق ، ولا أنساك لحظة حتى أقول إنك تخطر فى خاطرى

من رام ليلة هانئة يسهرها حتى الصباح مع حبيبه فلا مناص من أن تكون من كثرة لياليه نهارًا لكن يقضيها فى ظلمة ووحدة

فهات أيها الساقى الظريف كأسك وانشد أيها المطرب اللدن العود لحنك فقد دخل الصوفى مجلس السماع وجعل الإثنينية وحدة

إن حديثك يا سعدى واضح حده ونهايته فأقصر لسانك لأن حبيبك لا يُحَدُّ جماله بحد

***

أخبارك زادت جروح الفراق إيلامًا ، وأنت تظهر للعطشانين كخيال الماء الصافى

أى هدية أتيت بها لترسلها إلى أحبائك ؟ وأى هدية أجمل من أن تأتى إليهم بنفسك ؟

رحلت واستبسلت فؤادى وأودعتم بدالهم وأنت فى خيالى ليلى ونهارى ولا أدرى أين أنت

قلت فى نفسى بما أننى أحببتك فلا عجب من أن ينقض الحسان وعودهم

قسوت وجفوتنى وأستطيع أن أقابل جفاءك بجفاء وأنت لا تستحق أن يجفوك أحد

فماذا يفعل العاجزون إذا لم يتحملوا ؟ فاظلم كما تشاء فأنت الملك

بُحتُ لنسيم الصباح بالكلام الذى أحتفظ به لك ، ولا أعرف أحدًا غيرك فأسمعه منه فأنت معرفتى

قد تجاوزت حدود النصح ياصاح فخل عنى أيها الفقيه ولا تظهر لنا زهدك وورعك

ويا من قلت إننى لا أتأمل جمال الحسان فتأمله إذا كنت مثل سعدى تختبر نظرك

إن فتحت عينيك على الجنة وقت الصباح فلن تشعر بسعادة نظرك إلى حبيبك

***

لم أدرك من البداية أنك قاس ناقض للعهود ، وعدم عقد العهود أفضل من عقدها ثم نقضها

يعيب عليَّ رفاقى لماذا أحبك ، ويجب أن أسألك أولاً لماذا أنت بهذا الحُسْن والجمال ؟

يا من قلت ليلا تتعقب حِسان عهدك أين نحن الآن فى خضم بحرك وأين بفكرك أنت

ليس ذاك خالاً وذقنًا وغضائر مُستَشْزرات إلى العُلا استلبت قلوب أهل النظر ، بل سر من أسرار الله

فأسفر بوجهك فلن يرى الغريب الرقباء نفسه وجهك فأنت من العظمة بحيث لا تظهر فى مرآة ضئيلة

لا أستطيع دق بابك خوف الرقباء ، ولكنى أستطيع أن آتى حبك متسولاً

يسهل عليَّ أن أتحمل سخريتهم بأننى فقير وأعشق وتهكمهم ولومهم ولكنى لا أستطيع تحمل فراقك

خرجت المدينة بكاملها إلى الصحراء نهاراً وللسماع والتنزه على ساحل الغدير لأنه لم يعد قلب لم تستلبه خطفاً

كنت قلت حين تأتى سوف أنشر لك همومى ، فماذا أقول وهمومى تفارق قلبى حين تأتى ؟

لا بد من إخراج الشمع من دارى هذى وإطفائه حتى لا يقول جارى إنك معى بدارى

ليس سعدى بالذى يتهرب من أسرك لأنه أدرك أنه أسعد حالاً فى أسرك من أن ينطلق منه حراً

ويقول بعضهم اذهب واعشق حبيباً آخر ، وأنا لا أحب اثنين خاصة فى أيام الأتابك سعد [1]

***

انطلق كل إنسان إلى الصحراء للتنزه ولم يبرح خاطرى فكرك حبيبى

من انشغل بذاته عنك إما أنه أعمى البصيرة أو يجهل الطريق إليك إلا المجنون بعشقك فقد بلغ نظره ما لا يمكن أن يبلغه فكر مفكر

الأمل منك أزال كل أمل من قلبى والجنون بك أزال كل جنون من رأسى ، لا يتراءى السرو جميلاً إلى نظر عقل من نظر إلى قامتك الجميلة

يسألنى الرفاق لماذا تتعب رأسك بالعشق فقلت رأسى قد هامت حبًّا فى قدم حبيب

لا أطلب منك الأمان بأن تعفو عن قتلى حتى أرى أنك راضٍ عنى كل الرضا ولو للحظة

فارس فى راحة من المصائب منذ أن وجدت وأخشى أن تثور بها الفتن بسبب حسنك

لن أمد يدى إلا إلى ضفائرك لو أتيح لها يوماً الإغارة على شعرك

يقولون تمنَّ على حبيبك يا سعدى وأنا لن أتمنى من حبيبى إلا حبيبى

***

كلنا فى ترقب أن تطلع ، وكلنا آذان صاغية إلى ما تأمر ، فأنت بالصورة التى لا يتصور أن نتحمل بها فراق وجهك

أقتل نفسى بسببك حتى لا تلوث يدك بدمى ، وكنت قد قلت إن الجماعة المجنونة بك ستراك يوم القيامة ، لكن وجهك الخلاب نفسه هو القيامة التى تبعثها

---

١ - سعد بن زنكى ممدوح الشاعر والمنسوب إليه .

نحن المتفرجين قصيرو الأيدى عن شجرك العالى السامى فرءوسنا على عتبة طاعتك خاضعة إن طردتنا أو دعوتنا

اطلب منى روحى شكراً لو أنصفت وظهرت علينا ، وليس للعقل أن يغالب صلابة عشقك أنت الذى لا تدرى حالنا ، لأنك لم تعان ليل الهجر ونهار الوحدة

هذا الحديث يغدو بوضح النهار أمامك لو سهرت ليلة مثل سعدى

***

من الذى يشبهك حتى أقول لك إنك مثله ؟ قد فقت فى الجمال كل من بدا إلى النظار

إنك لطيف جوهرك وروحك ، غريب قامتك وشكلك ، نظيف رداؤك وجسمك ، بديع صورتك وطبعك

ألف عين كالفراش على جمالك عاشقة ، وأنا عبد للمحفل الذى تكون شمع مجلسه

لم يشهد ماء وتراب لطافتك فأنت ماء الخلود وتراب عطر الغالية

أى اهتمام لك بآلامنا وأنت لم تذق الألم ، وأنَّى لك أن تدرى حال العطشان وأنت على ساحل الغدير ؟

لا أدرى أى نسيم أنت هل ريح صبا روضة الرضوان ؟ولا أعرف أى أريج أنت هل أنت نسيم وعد الأحباء ؟

إن أشهق نفس عشق من قلب واحد فلا تعجب لأن النار تندلع فىَّ داخل كل أضلاعى

فلا تذكر إلى أحد بأن قدمى عثرت بحجر العشق حتى لا يعيرنى قائلاً لماذا لم أسر على مفرقى فى طلبى له

لا يحب القلب حبيبين ولا يسع الفؤاد عشقين ، فإن كنت على وفاق معه فافْنَ عن ذاتك تماماً

فصب الآن ماء الحياة فى حلقى المتعطش ، ولا تنتظر حتى أموت وتغسلنى بماء عينيك

أى طلب يتحقق لك يا سعدى باختيارك أنت ؟ إذا لم يحقق هو مرادك فمن أنت حتى تطلب تحقيقه ؟

***

يا من حسن الحظ باب من دفتر أخلاقك الحلاوة حرف من كتاب شمائلك

إن غزال المسك يخور عجزاً من شذاك لو انفتحت ثنية من ثنايا غضائرك

منعت النوم على عيون أصحاب النظر إذا خشيت أن يروا خيالك فى نومهم

يجرى الدم من القلوب كما يجرى من المحروق المنثور عليه الملح بسبب الضحكة السكرية لفمك المليح

وحتى يعذر زليخا منكر العشق أزل يا يوسفى الجمال نقاباً عن وجهك

لا تُجدى معى الجنة والفردوس فى غير وجودك ، لأن ليس من شراب غيرك سوف يَشفى غليلى

والمنشغل بك لو زُجَّ به فى جهنم فلن يؤلمه عذاب منها حين يتذكرك

فادعنى مرة تكرماً منك إليك عبداً حتى تسمع من كل جذر شعرة برأسى (لبيك)

فلا تنظر إلىَّ حتى لا يطمع الآخرون ، ولا يمكن للمرء أن يكتسب ثوابا فى مرأى المتسولين

ينساب ماء شعرى من قريحتى كالنار على مثال نار وجهك الذى يتقطر منه ماء

كل المحبين مع عشاقهم وأنا الذى أعانى البحث عنك ، وكل محب احتظى بليلاه وسعدى فى بلواه

***

لم تعقد عهداً حتى تنقضه ، وأقعدتنى على النار الموقدة ولم تقعد

أسست بناء الحب ولم تلبث أن تقوض وعقدتنى بأحابيلك ونجوت أنت من الأحابيل

حطمت قلبى ورحلت مخالفاً شروط المودة ، أما وقد حطمت الزجاج فتريث فى مشيتك

إن لمَ يكن مصباح مثلك فى أى منزل لكن أحداً لم يقفل بابه وقفلت أنت بابك

إن تعذبنى بالحرقة وآلام هجرك فأنا لا أقوى على الصبر ، فاسفك دمى وتخلص منى

فأقبل علىَّ فقد دسنا على رأس وجودنا وكبريائنا ورعونتنا وعلوت بقدمك رأس وجودنا

فإن غمزت بطرف عينيك غمزة إلى أسراك فبادر بمداواة آلامى لأنك طعنتنى بلا جريرة منى

فحق لمن رآك أن يقول قد رأيت الجنة بالصدق والحق

لو عبدك أحد فلن ألومه ، انظر أنت بنفسك فى المرآة تعبد نفسك

لا تعب إن ناح سعدى إذا تذكر حبيبه ، لأن العشق يوجب الشوق والخمر تسبب الاختمار

***

ملأ صاحِ قدحى من دواء الثمالة ذاك حتى يصفو رأس الصوفى من علة الوجود

العاقل مفكر يتدبر صلاحه أما أنت فادخل مذهب العشق وتطهر من أفعال العقلاء

يا فتنة قد ثارت لتوها من عالم القدرة لا تغب عن ناظرى فقد تمكنت من الاستقرار بقلبى

أزلت راحة فؤادى ولويت ذراع صبرى وحطمت قبضة تحملى

لم تغمض عيناى من فرط الوجد والهيام ، ولا يمكن أن أقول لك أهجع ليلة السكر بك

أنت مجنون بجمالك ، ولو أحبك العالمون طراً فلسوف تفصم قلبك عن كل من أسلمك قلبه

مدحت وأمدح كثيراً جمال محياك ، لكنك أسفرت عن وجهك وأقفلت باب حديثك

لو أن الخمر دنَّهَ والمطرب من حيه فلسوف ننقض بحق توبتنا عنه

إن الغرض من حُقَّة الجسم يا سعدى أن ترى فيها آية الحق ، ومائة صنعة إلهية بجسدك ولم تتجاوز مرة جسمك

قد نقش الرسام كل هذه الصور حتى تتمعن فى نقشه وتعبد الرسام

***

أتذكر أنك فكرت فى قتالى ؟ الرأى رأيك إن شئت قاتلتنى وإن شئت سالمتنى

قد أسأت كثيراً يا حبيبى الودود حين نقضت عهدك ، لكن الأسوأ أنك أسأت فعلا وأسأت ظنا بنا

لم تكن من عوائدك معاداة محبيك غير هذه المرة التى اعتبرت فيها محبيك أعداءك

لم يخطر بخاطرى ساعة أن أسيء فى حبى إليك مع أننى علمت أنك أفرغت خاطرك منى تماماً

إن أظفارك الملونة تشهد بأنك غمست أصابعك فى دماء محبيك

لم تنظر عيناى إلى مخلوق قط حتى إن عدت لأنك نصبت من خيالك حارساً على

فافعل بنا ما تشاء فلن نغالبك صراعاً ، والسجود برأسى أولى على الموضع الذى ترفع فيه حسامك

يثمر فرع لسانى بكل لحظة ثمرة نضرة ، وقد نمت البساتين من البذرة التى بذرتها بقلبى

جعل سعدى بينه وبين الدنيا والآخرة جداراً منذ أن نقشت على جدار فكره رسمك

***

يا ناقض العهد صددت عنا مرة واحدة لماذا فعلت بنا هذا يا ناكث الوعد قاسي القلب

يمكنك أن تخطئ ما شئت ياسلطان العشق إلا أن تحسر ظل لطفك عن المتسول إليك دفعة واحدة

أسلفت القول إنك سوف تشاطرني شراب الوصل ولم أتجرع حتى رفعت عليَّ سيف جفائك

أفرغت بالي من حب الناس من أجلك أنت ، فلما صرت لك خالصًا خلصت خاطرك مني

لا جرم أنك رأيت الياقوت فأغضيت عن الشبه ، وأعجبك الدر فنبذت الكهرمان

أوقدت شموعك فحططت سراجك من نظرك ، وسعى الورد إلى يدك فصددت عن العشب

إن الحبيب يهجر محبه لخطأ أو جرم وقع منه ، وأنت أخطات حين هجرتني بلا خطأ أو جرم

مضت بك السنون الطويلة يا سعدي وأنت تخطو بقدم الصبر ولم أرك مرة تخطيت محجة الوفاء

***

لم أرك وفيت بما قلت ، وفتحت طريق وصلك فأتيت أنا ورحلت أنت

لما أوفيت بعهدك مرة استلبت قلبي صافيًا ، ولما أسلمت لك نفسي سلكت معي طريق الجور

لم تصافح يد العهد حتى تخطو إليَّ بقدم الوصل ، وقد عانيت منك خلاف كل ما قلت

قد سعيت بكل حيلة أن أساويك قوة فوجدتك أكثر بطولة من أن تقع بأسري

ليس من العدل أن تلوِّح بخيال وصلك ثم تخفيه ، فلماذا لم تخفه من البداية على عاشقك المسكين ؟

إنك لا تقدر صحبة محبيك وأحبائك حق قدرها إلا إذا نمت ليلة بكيٍّ العشق مثل سعدى

***

يا من أنت من الجنة جزء ومن الرحمة آية ارعنا بحق الله مرة فى عمرك

قلت إن لألم عشقى نهاية ، وكل صباح يجعل له من جديد بداية

ذاعت حكايتى على ألسنة الناس وليس من فرصة لكى أحكى لك شيئا منها

ومع أننى تحملت غاية ما يمكن أن يكون للصبر فى هجرك لكنى وجدت أن العشق لا تظهر له غاية

لا يطاع أمر العشق والعقل فى موضع واحد ، وتثور الفتن فى ولاية يكون فيها ملكان

أنت مميز عن أبناء عهدك فى جمالك وراية وسط الجبين المنصور ولا أعيب على صاحب الأمر والنهى إن قتل عبده بلا جريرة

وحيثما أطال العشق يد تطاوله ظهر عجز العقل ، ولسوف أفر إلى غوث لطفك حين يلتاذ كل واحد بحماية

حرت فيك فإلى من أشكوك ؟ لن أشكو منك إلا إليك فإلى متى سيظل حديث عشقك يا سعدى حافيا وجروحه تسرى بين أضلعى

***

إذا لم يكن العاشق سكيرا خَمّيراً فكيف يلج خلوته جميل شاهد ؟ فأين المحتسب لكى يرى وجه الحبيب محرابًا لى وأنا عابد فيه

وإن لقيت ماء الحياة فلا آبه لو مات حاسدى ، وما بقلوبنا من حرقة العشق لا يجب التفوه به إلى كل بارد

غيرى يحبون الكثيرين ولكنِ المحب الصادق لا يعرف إلا واحداً فلا يرد على قلبى فى ليالى خلوتى وارد يفوقك روحًا ومعنى

فاشغل منزلاً لك بمحله الفقراء حتى لا يبقى فى محلتك زاهد ، وإن كان لك قلب وليس لك محبوب فما الفرق إذن بين الناطق والجامد ؟

إن أردت قائمًا على خدمتك فأنا هو ، وإذا لم تردنى فأنا بالحسرة قاعد فإن قتلك الزمان يا سعدى فقل له اقتلنى على يد ساعد فضى بَض

***

يا نسيم الصباح المتهادى بجمال وسعادة قد ربطت على قلبى حين أديت عنى رسالت الحبيب

أمررت على البستان أم كنت داخل الجنة حتى عدت سعيدا هانئًا ؟ ما أسعدك يا نسيم حظًا

لم يسبق لى أن رأيت هذا الباب الذى فتحته اليوم علىَ من البستان ما دمت قائمًا بدارى هذى

إذا كان المحبوبون والحِسان يذهبون ويأتون مثل الورد فأنت كالسرو الثابت أمامى

حين يتراءى حُسنك فى الزمان تتولد كثير من الفتن فممن ولدت أيها الفتنة ؟

كنتَ أولاً سراجًا ثم صِرت بالتدريج شمعًا فاستسهلت أمرك لكنك أحرقت بيدرى

أود أن تخرج ذات صباح إلى الصحراء حتى ينشر البستان ورد الصباح

الحبيب الذى تآلف حبيبا يتذكره كل حين ، أما أنت ففى ذكراى كل لحظة

إن مُتَ فى همومى بك فما أسعد أيامك ، فالحِسان دائماً لهم من يغتمون بهم ومن يسعدون

الموضع الذى يحترق يقبل احتراقه الدواء لكن احتراق سعدى من نظراتك التى نظرته بأول مرة

***

أرأيت أنك لم تف بعهدك ورحلت عنى وخالفت مودتى ، لم تأبه بعجزى ولم ترأف بذلتى

وأنا راضٍ بك بكل جورك وأنت تؤذينى بلا ذنب لأنك أوجدت فى العالم رسمًا بدعًا هو التجافى عن محبيك وتصيد أخطائهم

أتحمل تمنعك ودلالك لأنك رقيق القوام ، وأطيق أعباءك لأنك منعم مدلٌ وكيف تشعر بجراحى وهى تسيل دمًا أنت الفارغ من أى ألم ؟

قلت لن أهرق ماء وجهى أكثر من هذا على تراب بابك لأنك أهرقت دمى ، لكن عشقك خلق فىَ ولا تفارق الصفرة قط الزعفران

فماذا تفعل أيها المسكين وأنت فى ضآلتك ذرة أمام شمسه ؟ إن الموت فى ميدان الوغى أفضل من الهروب بجبن

لن يستسلم سعدى بسبب جفائك ، فإن الورد مع العليق والنقاء مع الأوشاب

***

لا تسلنى هل تذكرتك وأنت لا يمكن أن تنسى فما أجمل طلعتك وأسوأ عهدك فإن مدينة قد أوسعتها همًّا ولم تهتم بأحد فيها

فلماذا نصالحك يا أيها المعشوق المستهزئ بنا وأنت فى قتال دائم معنا ؟

ينصحنى ذوو الكلام البارد أن أتحول عن همومك بدون وجه مصفر ولا يدرون أن حرارة المريض بعشقك لا تفتر بالبرودة

ولكن ليس من حيلة مع الرقباء فهم شوك وأنت ورد ، وإن جالست الحِسان طويت بساط حُسنْ السمعة

فلا تقل لى ثانية يا نسيم شذى الورد إنك جننتنى مثل البلبل ، ولماذا لا تجنى روح سعدى غير ألمك وأنت الألم ودواء الألم معا ؟

***

لا تحير القلب الذى جعلته ألعوبة همك وقد جعلته ركلة الظلم بقدم هجرانك

قلت لن أجور على المجانين وجرت ، وقلت لن أجفو العاشقين وجفوت

شتمتنى وأنا راضٍ بما فعلت ، عفا عنك الله إن مدحتنى وسميتنى كلبًا وأنا سعيد بما فعلت جزاك الله أنك أكرمتنى

ما ألطف ما قلت إلا أنه سبق اللسان ، وما أحسن ما نطقت إلا أنه سهو القلم

وأنا الأولى بعنايتك لأننى تأدبت بجفائك فانثر الورد على رأسى فقد شوكت قدمى بالشوك

اغتنم يا قلبى السعادة إن واتتك يومًا فكم من أثقال الآلام تحملت ، أفالم يلحُ نهار لليل سعدى وهمومه وقد جعلته مظلمًا وضعيفًا مثل السراج وقت طلوع النهار ؟

***

ماذا حلَّ بقلبك حتى صرمت حبك ؟ ماذا جرى حتى أسقطت من نظرك محبك القديم ؟

قد جاوزت الفرقة بيننا حدها ياحبيبى ، أفلم يأن الأوان لكى تواصلنى ؟

لو سنحت لى الفرصة فلأموتن أمامك وإلا وقفت أتمنى الموت بأول رَبْعك

فافتح علىَّ يا حبيبى المتلطف بابًا لو أقفلته فلن يفتحه من بعدك أحد أبداً

لن أرضى عنك بديلاً ولو تجمع علىَّ الحِسان من كل أنحاء العالم وقد قلت ألف مرة إننى لن أنظر على أى وجه جميل ولكنك تغض النظر عنى

فكفاك النظر إلى نفسك فى المرآة لأننى لا أظن أن من بين العالمين فى العالم من يشبهك

ولو أعجب الخلق طُرًّا بشِعر سعدى فلا جدوى منه إذا لم يكن يرضيك

أى طاعة أستطيعها من سعى لى وجهاد إلا أن يتغمدنى الله برحمته

***

قلت لأجعلن قلبى حديداً صلداً ولا أسلمه إلى أى معشوق ، بيد أن من نظرت عيناه إلى ثغرك ما سمعت أذنه نصح ناصح

خاصة أنا الذى تعلق قلبه من الأزل بك واختلط وأقسم بقلبك وليس من بعد تسمى هذا قسماً مغلظا أننى لن أترك حبك

فأمط اللثام عن طلعتك لحظة حتى يستريح من فاضت به الآمال فيك أنت الذى لن تشيخ أم دهره إذا أنجبت ولداً مثلك

جروح فرهاد لها أن تطيب لو أن العذبة (شيرين) رشت عليها ملحًا فليتنى كنت ترابًا فى طريقك أملاً فى أن تُلقى علىَّ ظلك ، وماذا يفعل العبد غير أن يطيع من أعماقه سيده ؟ فيا سعدى قد مضى عهد حُسنْ السمعة وحان عهد العشق

***

حبيبى آن الأوان لكى يتعلق قلبك بحبنا ، ونحن لم يعد لدينا تحمل على تحقيق هذه الأمنية

غريب من طلعتك المقبول أن تستر طلعتك عن محبيك وبديع من خلقك الموزون أن تقفل بابك على خِلانك

أنت راضٍ ومصطبر ، وكيف يخطر إليك أننا نشبهك فى رضاك واصطبارك ؟

قلت أيها الحبيب غير الوفى إنك لن تفترق عنا قط لكن قلبك أضمر أنك أيضا لن تتعلق بنا

أنعم بالراحة والرحمة لنظرٍ أنت منظوره ، ونعم العطاء والدولة لأبٍ أنت ابنه

يسهل قتل الصيد إن أحكم الأسر تقييده ، لكنى حين غرست جذر المحبة استأصلت أنت شجر الوصل

قد تظاهرت مراراً بأنك حافظ للعهد والميثاق فأدركت الآن أنك ناقض للعهد والوعد

وكان لى قبلك اطمئنان فى خلوتى واجتماعى فتخللت الجمع وفرقت فجأة المتجمعين

إن ضحيت بروحى تحت قدميك فسوف أظل أعتذر إليك بأن ما فعلت من حب لك لا يجدر برضائك

فاجلس عابسًا مقطبا واغلظ فى قولك لى فكل هذا ليس مُرًّا علىَّ وأى حلاوة وعذوبة فيما تنطق به حتى ألقيت بالثورة والهياج بباطنى ؟

لا تصح الشكوى يا سعدى إلا أمام الحبيب المقرب لأنه حين ينوح كالرعد تضحك له أنت كالبرق

***

أيها البرق إن مررت بجانب سقفه حيث لا تجرؤ الريح على بلوغه فاحمل أخباره إلىّ

ويا أيها الطير لو طرت إلى ربع مسكن ذاك المعشوق فطر محلقًا موصلاً رسالة المحبين له

ولو سألك هذا يشبه المشترى فى خصاله فأجبه إننى المشترى له بروحه

قل له إن العطشى بالبادية قد أوشكو على الموت وأنت أين ترقد ؟ عجبًا لنومك الهانئ الوديع

يا فلقة القمر الحاضر الغائب الذى لا يعبر يوم حتى يعبر خيالك بقلبى مائة مرة

أتدرى ما الذى يجرى علينا بسببك ؟ تعال أنت بنفسك وانظر ماذا يجرى

فعد لأننا احترقنا من الصبر والفراق أيها الغائب عن النظر الحاضر بالروح

وإما أن تسلمنا قلبك بما أن قلوبنا بيدك أو تزيل حبك من قلوبنا

إذا كنت تهتك الأستار وأنت داخل أستارك فماذا ستفعل بنا حين تخرج من أستارك ؟

من أنت يا سعدى حتى تدعى الحب ؟ ليس لك إلا أن تدعى العبودية وتقر بالانقياد

***

يا من تمر على محبيك حتى تستلب قلبًا فى كل غمزة منك ، لك أن تُجهز تمامًا على المتألم أو تنظر برحمة إلى قتيلك

نحن بذواتنا من ربع العاشقين ولسنا عابرين متفرجين ولا أرى شيئًا قط حين تشرق فى نظرى شمس وجهك

وقد سبق منى القول ألا أعشق أحدًا وأحذر العشق والسكر وأجذب الحلقة على حلقى حتى لا يدخل حلقة معشوق ملائكى

لكن هذا الملكى مالك العبيد يتراءى بجماله ويتجلى بحسنه فهل سمعت أن البلبل يصبر حين يضحك له برعم السحر ؟

العقل يقف حاجبًا على عتبة العشق ويبكى بسبب تهتك أسراره وأستاره وسوف تعرف يا بنى هَمَّ العشق إن ذقته

ولكن شيئًا فى الدنيا ما لم تجرّبه

إن اشتريت لحظة تقضيها مع حبيبك بالدنيا والآخرة فما تكلفت شيئا

أقلمٌ هذا الذى بيد سعدى أم ألف كُمٍّ تمتلئ بالدرر الدرارى ، وهذا السكر من أى البلاد يُجْلب ؟

إنك لست قلمًا من بوص بل قصب سكر

***

حبيبى يفرح بالجور بى ويبدى قوته ويستعمل شدته معى وأنَّى احتمل أثقال خصم لا يليق الانتصاف من جوره ؟

والعقل عاجز فى حبس العشق كمسلم فى قبضة كافر ، وقلتُ مرارًا أبكى أمام الناس فلربما يترأف بحالى

وأعود فأقول أنَّى للملك أن يحزن لو مات عبد من عبيده ؟ فيا من تطمع منى فى صبرى وتعقلى إنك تحمل نحيلاً حملاً ثقيلاً

ونحن مدركون بما يفتدى به الأعزاء إن فكرت فى أن نفتديك

وعيناى اللتان تعودتا رؤية الحبيب من الظلم أن تقعا على واحد من بعده

حِرت فيك كلك إذ لا تبلغ زينة ووشى مبلغ حسنك ، وليس بمكنة سعدى إلا أن يقول شعره هذا وليس مع كل شحاذ جوهرة

تقوض منازل أصحاب النظر الأكياس وتهتك أستار الزهاد ، فإذا لم تحجب وجهك الملكى فسوف تبطل توبة الصرفية

من أنت ؟ لا أدرى هل أنت إنسى أم ملكى أم جنى ؟ إن كان المال يضر فرؤية ذاك المشترى ربح .

انقل نسخة من وجهة إلى النقاش حتى يتوب عن النقش ، ولا حاجة بك للسيف وعيناك تتريتان تهاجم وتستلب القلوب

إن تحملت صورتك فى المرآة فلا تظهر صورتك لنا ولا تنظر إلينا ولو أدرك (خسرو) عهدك لأسلم فؤاده إليك لأنك أعذب من شيرين .

وإن أوصدت بابى على الناس فلن أوصده عليك لأنك ماثل فى خاطرى ، ولو تقتل سعدى فى فراقك فلسوف يحيا حين تمر بقبره .

***

أتعلم ما قاله هذا البلبل السحرى ؟ أى إنسان أنت وأنت عن العشق غافل ؟ إن الإبل تطرب وتسعد حين تسمع شعر العرب فإن لم يكن لك ذوق فأنت معوج الطبع .

لن أتغافل عنك بنظرى إلى نفسى ، والمبصر لا يسلم قياده إلى الأعمى ، ومن كثرة تجلى حسنك إلى ناظرى يا حبيبى أراك بعينى ماثلاً فى كل شىء أراه .

ولن أرى من بعدك رفاعة سرو الخمائل وسموه ، ولن أمتدح جمال سير القطا الدرى فلن يختال القطا مثلك ولن يتبختر السرو ولن يبلغ الطاووس جمال تجليك .

أنظر فيك كلما مررت بى وأنت الذى لا تنظر إلى أحد اختيالاً بحسن قامتك ، ومن كثرة افتتانى باختيالك لا أعجب أن تفتتن بنفسك أكثر منا مائة مرة .

فانظر إلى حالنا تكرماً منك حين يتصادف سيرك على ترابنا ثانية ولن يتحول سعدى عن حبك بسبب جورك وجفائك ، فأنا تراب قدميك ولو شربت دمى

***

أعرف لماذا تزيح كمك عن جمالك ، والسعادة أن الجنى هو الذى يستتر عن الإنسى

محبوك وعشاقك ينتظر ، ونك عن اليمن والشمال وكِبرك يأبى عليك أن تنظر خلفك وأمامك

جئتك لأنظر إليك ثم أعيد النظر إلى ذاتى والنظر لا يملُّك لفرط لطف منظرك .

وغاية أمانى المرء ومجده أن يبلغ خدمتك ويقف عبداً وسط عبيدك وقد عقد خصره بالإذعان إليك

إن رمت القتل أطعت مرامك وإن أردت الأسر عقدت يدى بأصفادك فأنت الحاكم المسود وذو اليد المطلقة فى كل ما تفعل ، ومن القاضى الذى يحكم عليك وأنت الخصم والقاضى معًا ؟

لو سار المرء على رأسه يطلبك فإلى أين يصل إذا لم تصبه عناية منك وهو عبدك ؟

كنت أظن أننى حين لن أراك فسوف أنسى حبك لكنك ترحل عنى وتغيب وأنت فى تصورى

إن الاشقين يسلمون أرواحهم ثم يحيون فى لحظة فاقتلنى إنْ شئت ثم مُرَ من بعد على قبرى

لو هلك يا سعدى عمرك مع حبيبك فأى ضرر وحزن لو يقتل الملك مملوكه ؟

***

ينطلق وجهك أيها المعشوق فتذهب عن الخلق صبرهم وتتوارى خلف أستارك فتنتهك أستار صبرهم ، أدعوك حور الجنان وأقول عنك بدر التمام ولم ير إنسى مثل ملكيا فى حبك .

منحت المرآة وجهك وإلا ما جرأت على أن تثبت قائمة أمام نظراتك

وإن أنقل صورة عينيك وحاجبيك إلى النقاش فلأقولن له ارسم صورة القوس المشترى ، وظلم منك ألا تظلنا وأنت شجرة السحر فى الربيع النضر والمزهر .

أغض الطرف عن العالمين من جَرَّاء حبك ، وأقفل وصيدى عن العوام لأنك داخل دارى .

ولست أنا مُخيراً فى أن أحول نظرى عنك إلى نفسى ، وإنما أنت المُخَير بين أن تنظر أو لا تنظر إلىَّ

لا يؤثر فىَّ نصح الحكيم ومن الذى يزيل عن الصوفى القلندرى جنونه ؟

إن العشق ودوام العافية أمران مختلفان يا سعدى ، وكل من لم يجازف بالسفر لا يجرؤ على المقاومة

***

أسرو بستان أنت أو قمر أو جنى أو ملك أو دفتر رسَّام ؟ تختال وتأتى من السحر ما يعجز عنه السامرى

وكل من مررت مرة فى نظره عبرت مائة مرة فى خاطره ، وتروح وروح قلبى فى إثرك وتعدو وتزكى روحى بغدوك

وإن ولجت جمعًا أيها الجميل كالشمع لجمعت حولك كثيراً من الفراشات ، فحتَّام تحجُّبك وأنت حين تستتر تمزق سترنا ؟

فاطلع فى الناس يومًا فى النهاية حتى يراك من كل يرى المالئك وإن الشمس تسقط من برجها إلى أدنى سيرها حين تراك بهذا الحُسن

روحى وخاطرى معك ليلى ونهارى ونقشك على قلبى كالاسم على الخاتم ، وسوف يحترق سعدى من لهيبه من فرط أن جرت فىَّ حلاوتك

***

لم يخرج أحد بجمالك من مسكن قط ولم تلد أم مثلك والشمس تنكسف إن تجليت بوجهك قائلة لا توجد شمسان فى بلد واحد

وأنا الزعيم بأنه لم يتجل لنا فى ناظرى العالم كافة ما يفوقك حسناً

ولم أخطُ قط طريق حانات العشق واليوم أملى فيك فى أن تهبنى كأس خمر

وإما أنه لا يوجد من يماثل حسن طلعتك فى الدنيا أو يوجد لكنى لا آبه بأحد سواك لكنى لم أسمع بعد أن رأيت وجهك وعينيك ورداً على سرو قامتك ولوزاً بأن سرواً يثمر لوزاً .

وجهك هذا الذى إن أسفرت عنه فى طلعة النهار المنير نقابك لإضاءه كالنجم وسط الليل الحالك ، فلا تلازمنى سيرى حتى لا يحسدنى الناس فإنهم يحسدون المفلس لو رأوا بيده جوهرة .

لن أنقص من حب حبيبى شعرة ولو اجتزوا كل شعرة برأسى بمشرط فعلك تطأ يوما عينى سعدى حتى يفتدى برأسه كل خطوة على طريقك

***

لو أفتديك برأسى لهانت وما غلبت ، فاصبر يا من تقصد هلاكى حتى أنظر فيك نظرة

لا يحرم النظر إليك وإنما يحرم النظر إلى عينك ، وإنى لأودُ أن أصير تراب خطوك لعلك تطأ رأسى .

لا أحير فى جمالك لأن عقلى لا يتجاوز قدره ، ولكن حيرتى فى صفائك التى بلا شبيه التى خلقها الكمال فى بشرى

لو ترددت على الدُور لأزلت الطاقة عن الرجال والنساء والحق مع الرقيب الذى لا يهادن إذا وقف كالدرع أمام خصمه لأن من الظم أن يمسك أعمى بمرآة بمثل ضيائك .

آهات سعدى التى تشق قلب الجبل لا تؤثر فى قلبك الجلمود وكنت أظن الصخر صلداً كل عمرى حتى رأيت ما يفوقه صلادة .

***

هل رسمت ريشة رسام صورتك أم لاح فى فى بلد مثل طلعتك ؟ أنت سروى الاختيال صنوبرى القامة بدرى الطلعة ملائكى المنظر ؟

يروح ولا يروح نظر محبه عنه إلى شخص غيره ، فالآلاف من العقول تعلقت بركابه لأنه ملك يسير وراءه جيشه

عارضه روضة وثغره برعمة بل جنة يتوسطها غدير الكوثر فتلطف أيها البدر ولا بد من جمال الخُلق لجمال الخلْق

فى كل ركن تجد قدمًا مغروسة فى الوحل بسبب فرقتك وفى كل منزل تجد يدين معقودتين على رأس من جرَّائك

فأظل هامتى كالعنقاء حتى أعدو فى إقبالك نجمًا سعيدًا ، وهل ينقص سيادة السيد أن يسأل عن عبده ؟

وكان صلاحى أن أجأر بالشكوى لو كان القاضى شخصًا غير خصمى ، لكن يا سعدى إن الدواء المُر من يد حبيبك أفضل من الحلاوة من يد غيره

وإن كان التراب يبقى ويتخلف عن الناس فى الدنيا فإن الرماد هو الذى يتخلف عن العاشقين

***

فى كل مرة تمر أمام ناظرى أيها القمر تزداد جمالاً عن سابقتها ويحق لى القول إننى رأيت من الحِسان وذوى الجمال كثيرين ولكن ليسوا فى مثل لطفك وحسنك .

كان بإمكانى كل عمرى أن أعقد خصرى بحزام محبوب لكنى ضننت بخصرى أن يعقد إلا بحبك .

الناس تخجل حياءَ أمامك بما يحق لملكى مثلك أن يتخفَّى ، وقد أحنيت رأسى ليضربها سيف اختيارك لأنى على علم بأنك سوف تزكى روحى إن قتلت بدنى.

لا يتراءى فى مرآة أحد ما يماثل صورتك البديعة غير صورتك فتلطف بحالى أيها المدعى وأسعدنى برؤياك فقد أورثتنى الضيم والعناء ووقع صيدك وانغرست قدم المسافر فيك فى الوحل ولم يخطر ببالك أن تمر لترى من سقط من أجلك

لم يبق بسعدى صبره الذى كان عدته وعتاده ، لا تقس فقد خلا وفاضه

***

كيف حال البستان يا أنسام الربيع وقد صاحت البلابل بصرخات التشتت والقلاقل

فانظر إلى مرضاك يا كنز الترياق ، المرهم بيدك وتتركنا جرحى أمامك ؟

فإما أن تغادر خلوتك أو تسقط برقعك وإلا فأزل الثورة من الدنيا بتجليك البهيج

كل عرقة ينضحها وجهك اللطيف بكل ساعة كأنها برعمة يأتى بها مطر الربيع النضير

أعُودٌ تحت ذيلك أم ورد بكمك أو مسك بجيبك ؟ أظهر لنا ما عندك

ليس للورد نسبة إلى وجهك الخلاب وإن بين الورود ورد بين الأشواك

يتعاورنى وهق ضفائرك وقوس حاجبيك فيجذبنى هذا بقوته ويقتلنى ذاك بنقمته

وإن فككت قيودك فلن يهرب منها صيدك ، فإن التقيد بأسر الحِسان أفضل من النجاة منه

قد أوفيت فى بدايتك بقدر ما استلبت من أفئدة ، ولما أحكمت حبى لك وهنت أنت فى حبك لى

ولا بد لنا من عمر آخر بعد فراقك لأننا أهدرنا عمرنا الأول فى تمنيك

وأخشى أن تبطل عبادة الصوفى إذا صاحبه خيالك لأنك تنقش صورتك فى محرابه

لكل داء دواء يستطب به إلا سعدى علاج دائه رضاء حبيبه

***

لا يخبر الحياة من لا يحب ، ولا يسمى القلب قلبا ما لم يقع أسير محبوب

وسوف أفتدى رؤيتك ليوم واحد بروحى حتى لا ترى عيناى غيرك

يعلم الله أننى لن أنجو بروحى بسبب همك أنت الذى تقتل بصورة أسوأ منى كثيرين أفضل منى

حلَّ هَمُّ العشق وجلت بقية الهموم ، ولا بد من إبرة لإخراج الشوك من قدمى

الخمر حرام لكنك بنرجسيتك الثملتين لا تسمح أن يفارقك مضيف واعٍ

تروح عنى سعيداً وضاحكًا ولا تنظر إلى أن فى طرف حولك ينظر إليك حزين ملتاع

ألديك خبر عن أن خلقًا لا خبر لهم عن أنفسهم بسببك ، ولا يدرى حال العاجز من لم يعجز مرة

قد يشبه السرو الحرو استقامتك لكنه لا يمكن له أن يختال فى سيره مثلك

ويبدو أن عينك تروم إثارة الجنون فينا ولن تخلد إلى الكرى اللذيذ إلا بعد أن تؤذينا

فلن ترى يا سعدى حبيبك ولن تبلغ وصاله إلا إذا استهنت بنفسك

***

عيناك السكرتان محت رسوم الإفاقة والوعى وإلا ما رأيت فتنة فى مستيقظٍ فى منامه

أنَّى للزمان أن يضارعك فى الغدر ، وأنّى للسماء أن تدانيك فى عدم الوفاء ؟

علَّمك معلمك كل الدلال والاجتذاب ولم يوصِك بالحب واللطف

أنت كالوردة الجميلة لكن فى صحبة الأراذل وأنت كالذهب الغالى لكن بيد الأجانب

كم أنت لطيف وعـذب فى صيـد القلوب ، ولكم أنت نشط ومـاهر فى إرهاق الأبدان

استلبت قلبى وأعطيك روحى عن طيب نفسى وراحة الدرويش فى تخففه من تعلقاته

ولو تصادف دورك على قتيل عشقك فانبسْ إليه بحرف حتى تبعث الحياة فى جسده

وإن أحببت أن تثير قلوب الناس فأثر ضفيرتيك لأن بكل ثنية بها قلباً معقوداً

وإن سقطت الأصنام من الكعبة فإن أصنام الترك العديدة لا تزال منصوبة فى قِبلة طلعتك

ثغرك الذى يفيض بالسكر يمثل به النقطة لأن وجهك القمرى هو قوس أو شمسة من القوسين

وعذارك الأخضر حول نقطتك الحمراء كأنها نصف دائرة خضراء كالزنجار مرسومة

أخط لك ألف رسالة متتالية لو أجبت عنها إجابة مرة لأمطرت عند قراءتها سكراً

قد فزت بقصب السبق بجمالك على الناس ولطفك وفاز سعدى بجمال شعره

***

قضينا عمراً ننظر عبق حبيب ولم ينفتح علينا من انتظارنا هذا أى باب ولم يحصل مرادنا من دولة وصاله ، وتحمل قلبنا أعباء من محنة فراقه

بكل لحظة يثقل هم فرقته قلبى بعبء ، وبكل نفس تغرس يد هجره بفؤادى شوكة

يا من غدائرك وهق وحاجباك قوسان وقامتك سرو ووجهك ربيع ألهم أن لا تعبأ بحال سعدى وآلامه بعد أن دَمَتْ عيناه عبرات فى انتظارك

فأدرك عاشقيك وزدهم صفاء واسمع منى هذا المطلب فهو منى تذكار

***

لن أعرض عنك ولو آذيتنى فجميل تحمل الأعزاء وقبول إذلالهم، وقد أُحِلَّ لك كل سلاح تريد به إهراق دمه إلا سلاح كرهك

أنت بقلبى أحلى وأعذ م أن أجلس عابسًا من مُرِّ كلامك ، ويستوى أن تمر حتى أو تسبَّنى فقل ما شئت فإنه ثغرك وشفتاك العذاب تمطر شهبا

وإن رُمْتَ الصيد فلن يهرب منك الوحش لأن الأسر بقيدك راحة ويطيب لقلب المريض بالعشق المرض إن جاء حبيبه من أجل عيادته ولو أعطيتنى سمًا لجرعته كالعسل بشرط ألا تعطيه لى عن طريق العاذل

تذهب عنى وعيناى وقلبى متعلقون بك ، ولكن ما الفائدة وأنت لا تراعي جانبى ، ولو قدَّم الزمان إليك هموم عشق كما قدم لى فلن تقيم لكل هموم العالم وزنـا .

فَسَلْ عيون المتألمين عن طول الليل لأنك تستسهل كل ما هو عندك سهل

إن حكايتى وحكاية المجنون متشابهتان فلم نبلغ وصل الحبيب ومتنا ونحن نطلبه

فَنُح يا سعدى إذ انعدمت حيلة الوصال وليس حيلة العاجزين غير النواح

***

ألم تقل إننى سوف أوفى العهد وقلت لك لن تستطيع الوفاء بعهدك وميثاقك ووعدك وحبك ومودتك ؟

إن طعنة سيف الأجل أهون من وخز إبرة فراقك ، وقتلك لى أيسر من أن تزكنى بجرح هين

وأنَّى لسليم البدن أن يدرى بحال المعنَّى القلب ؟ أنت مغلَّل بأحبولتك فكيف تدرى لى وأنت مُعْتلٍ لجوادك ؟

ليس لأحد مثل طلعتك فهل أنت حور من الجنة ؟ ولا ينتشر مثل فوحك فهل أنت غزالى المسك ؟

ماذا يشبه عرقك وهو فوق وجهك المنقوش ؟ إنه قطرة غيث ربيع على ورقة ورد

سمعت ببغاوات ولم أجد أشهى من نطقك ، فليس ثغر وشفتان وأسنان هذه التى فيك بل فيها شهد وسكر .

فيا أيها العاشق قد قلت لن أنظر إلى الحِسان ، فما فائدة قلبك إذا لم تسلمه إلى حبيب ؟

وإننى أتمنى أن أقضى ليلة ويومًا معك أو أن تصل الليل بالنهار مثلى وتصل النهار بالليل

لو أمهلنى العمر لأمسكت بذيل السؤدد والنجاح لأن الورد يطلع من بين الشوك والصبح من وسط الظلام .

وليس من طبع سعدى أن يتبرم من طبعك ، فكل ما تقول جميل عنده وكل ما تمطره سكر

***

وما كان السرو بالعلو والسمو الذى لك ، وما كان القمر بصفاء وجهك الجميل ، وإذا لم يضئ الشمع ليل المحروقى الأكباد لأضاءته غرتك الغرَّاء

وحور الجنان إذ يستلبن قلوب الناس لا يستلبن قلبى لأنه بحوزتك وما أكثر السرو المستقيم والورد الضاحك

لكنها ليست بمثل طلعتك وقامتك

وواضح أن قبضتنا لا تقوى مهما قويت على مقاومة ساعدك الفضى القوى .
بل سحر شعرى الذى سارت به الركبان فى الآفاق أنَّى له أن يضارع يدك البيضاء ؟

وأمثالك لا يعيرهم أن يحادثونا وليس للذباب من محط غير كل هذه الحلوى التى لك ، وإن يتجه واحد إلى الصحراء أو آخر إلى البساتين فلا وجهة لى إلا حيثما تكون

لن تستريح يا سعدى ولن تدخر جهداً حتى يتحقق ما يجول فى رأسك المجنون

وما لم يكن الميل من طرف المحبوب إلى الوصال فلن يفيد حرصك عليه وتمنيك له

***

إن ادعيت الحسن فعندك شهود لأن بك جمال سرو البساتين وكمال قمر السماء

لا أفتح باب أحد يلج خاطرى فهلم أنت وادخل روحى فهى مستقرك

أملكٌ أنت أم قمر ؟ لا أدرى كنية أدعوك بها ؟ وبأى جنس من الخلق أقول إنه يشبهك ؟

ولا أستطيع أن أشكوك إلى أحد ، لأن القول والقوة والجمال والشوكة كلها ملكك

ورد بستان وجهك كالشقائق لكن ماذا أفعل بحمرة وجهك وقلبك أسود ؟

أى خطأ صدر منى حتى خالفت عهدى ؟ اللهم إلا أننى ضعيف وأنت ذو مكنة

ليس من كمال الحسن أن يجتمع فيك سوء الطبع وحسن الطلعة فلا تأت شراً فيحبك الخلق جميعاً

إن جفوت وتجبرت على من يدعوك لدولتك ، فما فائدة لطفك إذا لم يكن لهم نصيب منه ؟

قلت سوف أختطف ألف قلب ببادرة لطيفة ، وليس من اللطف أن ترعى قلباً واحداً .

وأيم الحق لو تشتت فؤادك مثل سعدى فلن تهجع لحظة واحدة فى كل لياليك مثله وسوف يركبك القلق

***

أى مسلك لك هذا حين تميت فيَّ الأمل لتستلب الوعى من قلبى وتزيل عقلى من جسدى

أى قيمة للرياض ومزارع الشقائق حين تنفض كمك ؟ قل للبستانى تعال لو كنت تحمل ورداً بحجرك

يكون الليل والنهار حين تشرق بطلعتك كالشمس أو حين تقفل روزنة أو نافذة وجهك

وشعرك المتدلى حتى خاصرتك كسنابل الحب ، فحذار ألا تخفى سنابلك تلك وغلا أحرقت بيادر القلوب

انتهبت فؤادى بشطارتك فجأة من يدى ، والشاطر الغيار غيرك يدور ساهراً بالليل وأنت تقضى نهارك المنير مطمئنا

إن رغبت عنى وصدفت بلا جريرة وسبب لعلى أرغب عنك وأصدف فقد أخطأ ظنك .

كيف لا يتصاعد الدخان من المحصول الذى تضرم فيه النار ، وكيف لا يسيل الدم من الموضع الذى تغرس فيه إبرك ؟

طريق العداء لا المحبة أن تهدر كرامة محبيك أمام أعدائهم .

فلا تَعبِ على مسكين لأنه يتعثر خلفك فهذا لا يتعبك إلا لأنك تجره بأغلال عنقه .

إن أنشدت يا سعدى شعرك العذب أمام ثغره ورضابه كنت كحامل الدر إلى البحر والذهب إلى المنجم

***

تحكَم كيفا شئت فأنت المعشوق ، والأسر بيد الحسان عظمة وجلال فقد تعلمت التضحية بروحى فى ربعك متمنياً وجهك ولكنك سفاك للدم لا مهرب منك .

الملك لك والأمر وما حيلة المملوك إن أحرقته بريئا أو أخذته بلا جريرة ؟

وأنا إذا لم أصف وجهك وشعرك فإن مراسك سوف تشير إليك قائلة إنك بلا نظير

ومن لم يشهد الورد فى البستان وقف مشدوها أمام الأرجوان والخزامى .

قلت لعلك تغيب عني عندما ترحل ، ولست أنت بالذى تغيب عنى لأنك ماثل فى ضميرى .

فيا نسيم الصباح خذ رسالة وصل الحبيب واذهب فأنت طيب العبق وتنفس فأنت زكى النشر .

لا يمكن أن نراه من فرط حسنه ونحن لا نظهر من فرط حقارتنا ولو خالط الحبيب الشباب والماجنين فقد تبنا عن الشيخوخة والزهد فغض طرفك يا سعدى أو ارتد خرقتك فلا يجتمع المجون ولباس الفقر.

***

إن أزحت غلالة المسك من وجهك لأمطر العاشقون رءوسهم على قدميك ولو رفضت أنت السرو والقضِّى القوام فانظر مبلغ سكرهم وتضحيتهم بأرواحهم .

وأنت بقدِّك هذا ورفاعة قوامك ووجهك البهى كيف تأبه بالسرو والشقائق والبقس والورد ؟

أى روضة بها ورد مثل خديك ؟ وأى سرو يطاول قامتك علوا ؟ ولو نظرت إلى حسنك وخالك وجمال عارضيك فلن تنظر إلى قدك وامتشاق قوامك .

وأنا عبد لريح الصبا غلام لها لأنها تتلاعب بغلالة شعرك الجعدى

فقل لمطرب الخلان أن همهم بألحانك ونُحْ لها يا بلبل السكارى فأنت عذب الأنغام

من قال إنك تنتهب مائة قلب بغمزة منك واحدة ؟ إنك ترمى ألف صيد بحجة واحدة منك

قد صار كل شعراء شيراز غلمان لى لأجل لطف لفظى العذب السكرى

***

قد أحببت كثيرين ولم أصادف منهم من يشبهك ولم يلح شمع مثلك فى أى مجلس

ولم يتعود حظى على أنك تتذكرنى ، وقلما تقع النقود فى يد مفلس

كيف يصفك واصف وأنت أشرف صحبة وألطف صورة وأنظف ذيل ؟

فأبلغ خادمة القصر أن تغلق أبوابه حتى لا يهتدى إلى مكان وجودنا موسوس

لا يتجه قلبى إلى البستان يوم وصال الحبيب ولا ينظر إلى وردة أو إلى جمال نرجسه

إن طردتنى عنك فإلى أين أذهب ؟ قد استسلمت إلى قضائى وحجر جفاء الحبيب لا تؤلم كثيراً

ولا يجدى أن أحكى قصتى إلى الناس فإن المهندس يعجز عن حل مشكلة آلام العشق .

كل هذا الشوك يعانى وخزاته سعدى ويتحمل ولا يغادر مكاناً وجد فيه أنسه

***

لو شددت قوسك ألقينا بدروعنا مسلِّمين لك فقل إن سعدت يا قلبى هذا فلا تُفرط من سعادتك

لأننى عبدك إن قتلتنى أو أكرمتنى ونحن بك مستأنسون وأنت ما الذى يوحشك ؟

قلت إن لم تقو وتثبت أمام آلام العشق فاهرب منها ، وكيف أهرب وأنت آسرى بأحبولتك ؟

أغمضنا أعيننا حتى لا نرى الجحيم ثم عاودنا النظر لأنك شديد الشبه بأهل الجنة

غاية جمالك أن لك قبضة وسيفًا ويدًا ، ويحسدنى الناس حين تمتن عليَّ بالقتل .

لا يدرى الخصم سبب صراخنا وليس من حيلة لمجروح العشق سوى الصمت ، فإلى متى يمكنك أيها السليم رمى

النار بالماء وماء تدينك يزيله لون وجهك النارى ؟

لا يهنأ الإنسان والعاقل بالعيش بسبب فكرهما فأعطنا يا ساقى المجلس القدح الذى يزيل الفكر

ولا تعب يا سعدى على السكران بخمر العشق فإنك ستسقط سكران أيضًا لو ذقت شيئا من هذه الخمر

***

لا يموت قلب قط أنت حياته ، وسعيد الحظ من كنت معه فى كلا الدارين ، والغم والهم لا يفارقان مطلقًا هذه الدائرة لأنك بوسطها . أنت نقطتها على الحقيقة .

وتعجز ريح الصبا عن تحريك أوراق البستان الذى أنت فيه السرو الممشوق ، ويترقب الناس بقلق من الذى سيقع

عليه نظرك العظيم الإسعاد حين تنظر إليه لحظة .

مات المتعطشون إلى شفتيك يا عين الحياة ، والأشد عطشًا منهم هو من تقترب إلى شفتيه

لو أمكن أن يبدأ دوران من جديد فسوف تظل أنت نادرة دوران زمانه

ولا يستطيع وهم شاعر أن يسع وصفك ولو استطاع وصفك فذلك لأنك أنت لسانه

وإذا لم يحتمل أحد فراقك فهل تكون راحة روحه وهو يعانى كل هذه الآلام بسببك ؟

فيا من لا يمكنك العيش بلا حبيب الأحرى بك أن تحتمل أعباء حبه الثقيلة ، وسعدى حين تقوم القيامة ينتظر أن تكون منظوره الخافى

***

إذا لم تستر شعرك ووجهك فإنك تسعى إلى هتك أستار أصحاب القلوب

لم أر طوال عمرى مثل قوامك وقدك وانقباب عودك فهل أنت سرو أم جسم شمس أو بدن ؟

أنا عبد قرطك الفضى والملوك أنفسهم غلمان لك متفادون فعرج على خلوة الأصفياء والزهاد وانظر مبلغ سكرهم وفنائهم بسببك .

أنت فى ذاكرتى عزيزى طوال عمرى على الدوام ولا أنساك حتى أتذكرك وقد وافقت طبعى وكنت قلبى حتى أظن أنك بحضنى .

ما أسعد من يحادثونك وأنا لا أجرؤ على القول ولا أطيق الصمت وهل يستأهل صحبتك الرقيب الرذيل وأخلاقه كلها دس السم وأنت ترياق وشهد برمتك ؟

لم تر حرق صدور السكارى أيها المفيق ، وأنَّى لك أن تغلى وتفور وليس بك نار ؟

ومن أين يدرى من ليس بصدره قلب لوعة العشق ، وكيف يتذوق الألحان من ليس به سمع ؟

فلا تبع وعاء الحبيب لقاء الدنيا والآخرة يا سعدى وأنت الخاسر إن بعت يوسف بأى ثمن

***

احتجب يا قمر الدار حتى لا يلتاث عقلى، وقد أعمت أعاجيب تخليك عين التعقل والرزانة منى

بأى شرف أجتمع بك وما فىَ شجاعة أهرب منك ؟ أملى معاشرتك والاستيحاش والتغرب عن غيرك .

فأزل سترك الليلة كالشمع حتى نحرق جميعًا كالفراشة ، وإما أن يرحل الخيال عنك يا سعدى أو يشركك الحبيب سكناك

***

كفانى تحليقًا فى الهناء فلم يعد بى جناح أو ريش ، وإلى أين أرحل منك وأنت لا تعطينى مجالاً ؟

ليس أمامى مهرب ولا طريق للتعرف بك ، وهل يهتم بأمر عاجز من يستطيع الفكاك والتحايل ؟

مضى عمرى كله فى فراقك وهذا أمر يسير لو احتمل أن أتصل بك يوم القيامة .

ما أجمل الصبر كل العمر وقت الفراق على أمل أن ينال الصابر يومًا وصال حبيبه

لا يفيد الشكوى من هموم الزمان إليك ما لم تنم ليلة واحدة طوال سنتك

ولا غرو من أنك لا تحزن لحال المتألمين لأنك لم تذق آلامهم طوال عمرك

فخاطبنى أنا بكلامك لأننى أسير عشقك إلى حد أننى فانٍ عن نفسى بسبب انشغالى بك .

لماذا أنت قاعد ؟ أظهر سرو قامتك أيها القيامة وأنت على خلاف سرو البستان لأنه ليس باعتدالك

والليلة ليست ليلة السماع التى يلقى فيها الدف الخلاص بالدق عليه والعود النجاة بتعريك أذنه

لا تظهر ثانية للسماء شمس طلعتك لأن قمرها انكشف حياء منك فقد صار هلالاً .

يناسبك خطك المسكى الرائحة وخالك كأن قلم القدرة أثار الغبار فيك وتقطر منه خالك

لا تقل أنت أيضا يا سعدى إن النظر إثم إنما الإثم هو حجب النظر عن مثل جماله

***

أنت لى حبيب عزيز وخلٌ محترم وبكل ما تحكم به على وجودى حكم

أزاح الله عنك الهم وأبعد الضرَّ والألم ، فأنت مؤنس قلبى وسكينة روحى ومفرج كربى

اقسُ عليَّ واغلظ ما استطعت ، فهل عليَّ تحمل جفائك فأنت السابق فى كرمك .

لا أدرى ما الأجمل : رأسك أم قدماك ؟ لا سبب للتمييز بينهما لأنك جميل من مفرقك حتى قدميك

لو أصبت قلبى الجريح بألف ألم فأنت لا تزال مرهما لجروح وعلاج الآلام .

حيثما مررت تعلقت بك أنظار الكفار والمسلمين فأنت القبلة كما أنت الصنم

لا يجدر أن ينظر جمالك كل ناظر إلا إذا تعوذت باسم الله ورقيت نفسك لدفع الحسد

لا أدعوك وردة علت السرو الفارع بل أنت الشمس المنيرة للعالم بأعلى علم

من الذى يدركك وأنت مسكى الأريج وأسود العين كأنك الغزال المسكى الجافل من البشر

إن وهق سعدى لو أمسك بالأسد الطارئ فلا يصيبك وهق لأنك غزال الحرم

***

من أنت وما اسمك حتى إنك تتكسر بمثل هذا الدلال ؟ حلال عليك دماء العاشقين فما أجملك من سفاك

وخوفى الدائم من أننى حين أحترق كالفراشة تعدو أنت كالشمع ينظر إليك الجميع وتوقع بى الظلم

تثير الفتن وتهرق الدماء سفكا ومع هذا ينظر فيك الناس فما أجمل حركاتك وما أروع كلماتك

لعل كلامًا ذاع عن هيئتك العذبة حتى قال قصب السكر لك قد عُقد خصرى طاعة لك وتسليماً .

إن الكافر لو رأى قامتك التى تشبه الصنم الحجرى لاستنكف عن السجود إلى الأصنام الرخامية .

فاقعد لحظة أيها الفتنة فقد قامت القيامة ويندر أن تخمد فتنة ما دمت أنت واقفًا قائمًا

ما أعجب هؤلاء الناس الذين يشيرون بإصبعهم إلى وجهك الذى يشبه الهلال الجديد وأنت بذاتك بدر التم والتمام

لم يولد إنسان يظلم ويجور فى عهد إقبال (الأتابك) وأنت بمثل عنادك وتمردك وقتلك المساكين فمن أى خيل أنت .

أنت آفة المجالس وميدان هلاك النساء والرجال وفتنة البيوت والأسواق وبلاء الأبواب والجدران

أضعت فى أمرك قلبى ودينى مع كل معرفتى وأنا فى الحقيقة الطائر الذكى الشاطر وأنت اليوم فخه وشبكته

لا أطيق أحجار الملامة من كل غافل وأنت حالٌ بصدر سعدى كالسراج بعد الكأس

***

لماذا لا يضيق قلب الحمامة المسكينة ولها رفاق يصيحون بها لدفعها إلى الوقوع فى الشباك ؟

انقضت البارحة ككل ليلة علينا ونحن نتعلق بالسلامة ، وينقضى اليوم وكل يوم ونحن نتمنى السلام

أريج الورد والسنبل وترجيع البلبل طيب وجميل ، ومن أسف أن كل هذا لا يدوم

فلا تطلب منى الصبر على الفراق فهو حجر وقلبى المعنىً كأس أمامه

لا يصطبر قلب المسكين فى أى مقام ، ومن تعود صحبة الحبيب هجر مقامه

تحرم الحياة مع المشتاق فى غير وجود الحبيب فأطفئ القنديل حتى نمكث فى الظلام

لسوف أظل ساهراً مسهداً حتى يتنفس الصباح حين تبلغ قلبى رسالة من حبيبى

لا فائدة من مبارحتنا مكان إقامتك إلا إذا تكرم لطفك بالخطو إلينا خطوة

لم يبق أثر من تلك العين التى رأيتها وقد بلغت روحى حلقومى تحسراً على فوات مطلوبى

إن سعدى لا يذيع على الأغيار حديثاً عن حبيبه ، ولا يروى مجرب قصصه على فج غر

***

العاقل ذو النظر لا يأسره حسن السمعة ، والخواص لا يخبرون شيئاً من كلام العامة

يا نقطة سوداء بأعلى خطه الأخضر ما أجملك من حبة ولكنك وسط فخ وشرك

الحور لا يهبطن من الجنة فمن أى مكان جئت ؟ والقمر لا يمشى على الأرض فمن أنت يا بدرى الطلعة ؟

لن يرى أحد سرو البستان يتمايل مختالا إذا عاين هذا السرو دلالك وتكسرك ولو نظر بدر التمام يوما فى شمس وجهك لأقر بنقصانه .

ولن يجيز الطوطى قضم السكر ثانية لو رأى فسدقك حين تتكلم

فى الحسن بلا نظير وفى اللطف بلا نهاية وفى حبك بلا ثبات وفى عهدك بلا دوام

الإمارة فى خدمتك أليق من كل إمارة ، والعبودية فى حضرتك أجل من الملوكية

تركت العمل وأمنت العزلة ولا يقلق المعدم الحقير من ارتكاب الحرام

فى الآخرة سيحترق بكىِّ النار كل فج غرٌّ لأنه فى الدنيا لم يتحمل نار عشقه

إن خيالى يشرد إلى مكان مختلف فى كل لحظة ، فماذا سيجرى علىَّ من هذا المنقطع اللجام ؟

إذا تركت يا سعدى الوجود نجوت من الخلق وهل يضير الشاة سلخها بعد ذبحها ؟

***

أنا مطمئن الخاطر لأنك فى خاطرى ولو توجتنى أو ضربتنى بسيفك

يا من حارت عين العقل فى أوصاف طلعتك كالخفاش لا يرى شيئا فى النور . إنك تجرح مدينة بأسرها بسيف غمزتك السفاكة ولعل شفتيك ثم ترش الملح على جروحها .

نحن نقطف سنابل من بيدر أصحاب الغطمة والشوكة فانظر إلينا مرة يا صاحب البيدر

افرض أنك ستفصل قلبك القاسى عن حبى ، فكيف تستطيع أن تفصل الحب من قلبى ؟

الأمر أمرك إن قتلت البرىء ولكن لا يجدر بك أن تنقض عهد الوفاء لحبك

إن العشق لا يزول بحكم أننا أعفَّاء النظر وأنت طاهر الذيل .

فلا تظن أننى سوف أخالف حبك ولو اجتمع الناس جميعاً على معاداتى .

إن أردت ألا تسلم قلبك أى معشوق فأعم بصبرك ، ولا بد لسنان العشق من درع حديدى صلد

فقل للمدعى إننا بأنفسنا محطمون متداعون ، ولا حاجة إلى أن تضرعنا بقبضتك .

فإن عجزت يا سعدى عن بلوغ الرئاسة فلا مناص لك من الخضوع إلى صولة الأقوياء

***

لماذا أسلمتك قلبى وأنت تحطم قلبى ؟ وماذا فعلت لك حتى لم تعد تنظر إلىَّ ؟

قلبى وروحى بك مشغولان وأنظر حواليك حتى لا يعرف الرقباء أنك منظورى .

غيرك إذا بعدوا عن نظرى بعدوا عن قلبى وأنت قد غصت فى قلبى كالروح فى البدن .

أنت العنقاء وأنا المضنى المسكين شحاذ أمامك ، لكننى أعدو ملكا إن ألقيت بظل منك علىَّ

آتى إليك للسلام كالعبد وأؤدى فروض طاعتك فإن لم تجبنى فيحق لك أن تتكبر وتتمنع

والمرء يرضى بأن يسقط تحت قدمك كالكرة حتى تضربه بالصولجان بساعدك الفضى .

السكران الذى يزول عقله بالخمر هو الظلوم الجهول والأولى السكر بالعشق والفناء به

إن اختلت ومِسْت بنعتك وصفتك هذه فى الروضة ورآك راعى الروض لقال إنك سرو الرياض

أغلب الظن أننى لن يمكننى أن أجتنى ثمرة من فرع أملك ، ويقينى أنك سوف تقتلعنى من جذورى

يؤكل طعام الدرويش بمساعدة السكر والدهن فأسبغ يا سعدى على شعرك السكر والدهن .

***

يا سروِ حديقة المعانى أنت الروح ولطيفة الحياة ، الموت على قدميك أشهى من الحياة بعيداً عنك .

عيناك سحر الأولين وأنت فتنة آخر الزمان لماذا لا يشيع اسمك وأنت متغلغل فى الأجساد ؟

من طرقت بابه من سفرك فى غِنى عن هدية من يد المسافر ، لأهبن روحى من يبشر بقدومك

ولا يمكن دفع الهموم عن القلب إلا بأمل السعادة فإن نظرت طلعتك حرت بنفسك فى خَلْقك

إن صالحتنى فهذا لطف منك خاصة فى موسم الربيع والحب وسعدى يؤثر الخط الأخضر الدائر حول الخد الأرجوانى فانظر إلىّ أنا الشيخ لا أزال أذكر عهد الشباب

***

الجمع الذى أنت وسطه يغادره التشتت والاضطراب أيها الذات الشريفة والشخص الروحانى يا راحة الفؤاد ومرهم الروح

سعيد من اتصل بك وتلك الحلقة التى أنت بداخلها على مائدتك هذا السكر الذى ترى أن من العبث أن تذب الذباب عنه .

حيثما تمر بحسنك هذا ما شك أحد فى أنك سرو البستان ، وكل من رأى راحة يدك وساعدك ولم يخضع بحبك أسرته بجلالك

لم أر جسما قط كجسمك وقِسْ على هذا روحك فطء عينى فأنت سيدى وتقَبلْى مُرةْ فأنت سلطانى

لن أعرض عن أمر قلمك ولو أدرتنى على رأسى كالعلم ، وهذا الغبار على وجهى الذى ترى وذاك الألم الذى بقلبى وتعلمه إنما هما دخان يتصاعد من قلب سعدى فقد ظهر أنك نار خافية .

ينطق فترقص روحى ، إنه سماع روحانى يتهادى جميلاً فى انتشاره

***

إن الحياة لا تحلو بدون حبيب ، وقد تصاعد إلى رأسى دخان من نارى الخافية

وشيراز وإن كانت مفتوحة على مصراعيها أمام القوافل لكن المجال مقفول علينا بأواصر المحبة

والبعير الذى يفقد السيطرة على نفسه لا مناص له من أن ينوء بحمل الأثقال .

شربت دماء ألف (وامق) بسرقة قلوبهم واستلبت ألفاً مثل (عذرا) ينهب أفئدتهم

تبهت مسلوبة الوعى الصورة المنقوشة الصينية إذا رأت صورتك التى تمتلئ بالمعانى

يا من ثارت غوغاء عاشقيك أمام باب دارك كالقافلة على مورد الماء الزلال .

أنت خالٍ منا وعشقك يبدو ألعوبة ولن تفهم اضطرابنا إلا إذا احترق بيدرك

كنت أقول لك إننى أضنّ بروح لى ثانية هى أنت الجوهر الذى يفضل الروح

أنت سرو فى السماع ، بدر فى الحديث ، صبح فى الجوار ، شمع فى وسط المحفل

لم تكن بحالتك هذى فى البداية ثم صرت حقيقة ، وكنت خطوة النفس بالأمس وغدوت قوة الروح اليوم

المدينة لك وأنت ملكها فَمُر بما تحب وإن شئت أكرمت من لا يعلم أو طردت من لا يذنب .

جبهة أمل سعدى ساجدة عل تراب عتبتك وليس له من بعدك أحد يا غاية الأمانى .

***

لا أعلم فى الحقيقة أحداً تشبهه لأن الدنيا وكل ما بها صور وأنت لها الروح

يسعى العاشقون على أقدامهم إلى أسرك لأن كل من تأسره تنقذه من ذاته

فلا تسلنى كيف أنت إنك بالصفات التى تحب ولا تسألنى ما اسمك فلك من الألقاب ما تشاء

تستحوذ على قلب الإنسان من أول نظرة له إليك حتى إنه لا يقوى على النظر إليك النظرة الثانية

أسبغت على وجهك سترك فسقطت من الاشتياق إلى جمالك الأسرار الخفية من خلف أستارها

جلسنا على نارك فتصاعد دخان شوقك ولم تجلس ساعة حتى تطفئ ما بنا من ضرام

وحين تتراءى أمام خاطرى خيال صورتك الجميلة لا أدرى ماذا أقول من اختلاف المعانى

لا أقترف إثماً إن نظرت فى وجه الشباب لأنه لا يعرف قيمة عهد الشباب غير الشيوخ

أنت الذى لم تنفتح عيناه من المنام والخمار ، كيف تدرى رياضتى وهى السهاد من المساء حتى السحر ؟

أجهلُ ياريح الصبا الطريق إلى ربع الحبيب ، فاذهبى أنت بالسلامة وأبلغيه منى السلام

لا يشيح سعدى بوجهه عن شباكك ومادمت أمسكت بأسيرك فاقتله بالنحو الذى يرضيك

***

لا أسمى ذاك الوجود الروحانى ماء وطينًا ولا يكون الجمال الإنسانى بمثل هذا الكمال

إن كنت كسائر الخلق من ماء وطين فأنت طين الجنة خُمِّرت بماء الخلود

نظرت إلى كلٍ من تميز بجماله فى سائر الدنيا لأقول له إنه يشبهك فوجدت أنك تفوقه حسنًا وبهاءً

وكل مخلوق أراه إنما هو تركيب من الروح والجسد وأنت من فرقك إلى قدمك روح

لو نظرت إلى صورتك فى المرآة لسلبت لبك وصرت مثلى وحرت فى العلاج من ذاتك

والقلب الذى يتعلق بغضائرك أنَّى له أن يتجمع وهو أمام تشعث شعرك ؟

يحق لك أن تكرمنى أو تجفونى لأنى أقررت أمامك بعبوديتى إليك

ولكن لا تفعل خلاف ما قاله الحكماء بل افعل ما يليق بك وليس كل ما تقدر عليه

لا تطمع فى أننى سوف أتخلى عن ذيلك مهما نقضت علىَّ أكمام الملل منى

ماذا يضيرنى لو أفتدى روحك بروحى ؟ ولا فوت لعيد الأضحى من التضحية له بالقرابين

وروح سعدى المنيرة وهى شمع مجلسك لا تغنى شيئا إذا أنت لم تحرقها

***

ليس من عادة الأحباب ولا من شرط المحبة أن تنفض يدك وتخلى فكرك من محبيك المخلصين

كيف يحنق قلبى عليك وهو لا يتوهم أنك تجيب بالجواب المرِّ بثغرك الشهدى هذا

فتعال لحظة واجلس وتحدث واسمع ، فالناس متعطشون إليك وهم على مورد ماء الحياة

لا أفصح عن همومى إلى أحد ، فإن لونى ووجهى يحكيان عنها وانظر إلى وجهى تدرك سرائرى

لا تعجب إن صدر عنى صرخات الاحتراق ، بل تعجب إذا لم أحترق وقد أقعدتنى فوق نارك

ذهب جميع الحسان صورة بقلوب العارفين وقرار الزاهدين وذهبت أنت بصورتك ومعانيك بهما

لم أخالف عهدك حين تحدثت فى كل ضرب ما عدا سيرتك فكلهم ألسنة تتحدث وأنت منى روح بداخلى

ظلم إن اشتروك بالدنيا وثمن البخس إن ابتاعوك بالآخرة .

إن رأيت نظيرى واستبدلت بديلى فلن أجد عوضًا عنك فأنت لا تشبه أحدًا

لا غرو إن وصفت كمال حسنك بمائة لسان ، فلا أزال خجلاً من ارتجاج قولى أمام ذِكرك

فلا تنصحنى يا صاح فقد وقع نظرى عليه وأنت جاهل بخبيئة نفسى ولا تدرى ماذا يجرى بداخلى

ولا تطلق يا عدوى سهامك عليَّ فلن أموت بها . فقط بلغنى أخباره أعطك روحى فداء بشارتك .

ما قدر ليلى أمام حبيبى وإن أهرقت دم المجنون؟ لو رأيت بدرى هذا ما سمعت قصة ليلى

دمى قلب سعدى المتألم من محبتك فأنت لا تبلغه وصالك ولا تخلصه بقتلك

***

كل واحد له جسد وقوام وجمال وشباب لكن ليس له لطافتك فلعلك سرو فارع ممشوق

أرجعت البصر بين نظر وغمض لكى أرى من يشبهك فوجدتهم أسماء وأنت جسم وكلهم أجسام وأنت روح

لعلك تختمر بسترك فلا يرى طلعتك أحد لأنك إن أزحت سترك هتكت أستار خلق من الناس

وأنت لا تدرى علة ذهل الناظر إليك إلا إذا وجدت من يشبهك ونظرته وذهلت له

تنفذ نصل سهمك من درع روحى ، ولم أقل لك إننى سميك الجلد حتى تستعمل معى هذه السهام الحادة

أنت فى الحقيقة على نحو ما توصف به من جمال ولكن عيبك أنك لا تحبنا على نحو ما نريد

لم يبق غير رمق فى أسير أحزانك فاقتل كثرة المحزونين بك حتى تخلصهم

لا أقوى على تحمل أنك تجالس قوماً كل لحظة وتجلسنى أنا فوق نارك

إن يمت أحد ثم يبعث حيًا فلا عجب له ، لأنك تطرده عن بابك ثم تدعوه إليك ثانية

فإن لم يبلغ يا سعدى قدمك نهاية الطريق فاقض فى طلبه أيامك حتى نهاية عمرك

***

يا أسعد صباح من تنظر إليه ، وما أهنأ نهار من تمرُّ عليه والحر من تعلق ركابك والبلد البعيد ما سافرت إليه

لن يشترى مشتر من بعد سكر النبات بشيء لو تبسمت أمامه تبسمًا كالسكر

نبلغ أقصى المنى أيها الشمس النيرة وظل العنقاء إن نظرت إلينا

لن أقلل من حبك والوفاء لك مهما أكثرت من جفائك وصدك لى

ومكنتى أن أرمى عنقى تحت قدمك لو عبأت بهذه التضحية الحقيرة ولسوف أصل الليل بالنهار فى ذكراك طوال عمرى أنت النائم ملء جفنيك لا تسمع آهات السحر

أتعلم أن وجهى متوجه إلى وجهك دون العالمين كلهم فحذار أن توجه وجهك إلى وجه آخر دونى

قلت سوف أنظر إلى حالك إن عاجلاً أو آجلاً ، أجل سوف تنظر حين تمر على قبرى

وشرط يا سعدى أن تجعل من نفسك درعًا أما سهام اللوم فى ميدان عشق المحبوب

والأفضل لك أيها العاقل أن تجعل من عقلك مجنا تحاذر به سهام غمزات الحسان

تفتح عين رضاك ورحمتك إلى الجميع ، وحين يسعدنا الحظ بنظرك تتدلل علينا وتتمنع بكل تمنعك

العشق حقيقة إن حملته على المجاز فأنت لم تَبلُ صورة حال الوالهين

اعرض عيوب (إياز) معشوق (محمود) على (محمود) يا من تنصحنى بأن أتخلى عن حبه

يمر السرو المستقيم الفارع أمام صلاتى ويقول لى (إننى قبلة أهل القلوب وأنت تسهو فى صلاتك)

قلت له يحدونى الأمل بالأمس ، إننى أدعو بدوام مجدك فقال ادع أنت لنفسك حين تتضرع وتدعو

تدعو سعدى إليك مقربًا منك ثم تطرده بجفاء ، فإذا لم تمد مائدتك فلماذا تفتح بابك

***

وصفت يوما ذقنه بأنها سفرجلة فضية فقال : لو كان بك نظر لرأيت أفضل مما وصفت

إن وصفتك بأنك شمس دور فقد أسأت الأدب لأنك فلك القمر والشمس وجنة الورد والنسرين

لا حاجة لطلعتك البهية إلى أن ترسم فأنت بدر ملائكى القوام جميل ومُوشَّى مرقشٌ

الأحرى بهم ألا يسألونى وأنا على فراش مرض هجرانك ، وهل يُسأل من احترق بيدره عن علة حزنه ؟

فاقعد فقد تصاعدت صرخاتنا فى أيامك ، وما أكثر الفتن التى تثور حيثما تقعد

لو دعوتنى عبدك لنلت السلطنة ولو صدفت عنى لنالتنى المسكنة

لا يجرؤ على أن يعيب أحد من ترضى عنه ولا يقدر امرؤ على دفع من تؤثره

سوف يقتلنى عشق شفتيك العذبتين و(فرهاد) قتلته تلك الجميلة بعذوبتها

***

الليل والجميل والشمع والخمر والحلوى اغتنم مثل هذه الليلة حين ترى أحباءك ، على شريطة أن أقف كالعبد فى خدمتك وتجلس أنت كالسلطان

قد جرى بيننا وبينكم عهد فى الأزل ، وتمضى ألف سنة ولا تزال أنت عندنا كما كنت فى بدايتك

إذا لم يتيسر لى الصبر عنك فماذ أفعل ؟ ذهبتُ مغاضبًا وعدتُ مسكينًا وذلك مرجعه إلى أننى لم أتحصل على حبيب مثلك وأنت تؤثر عليَّ ألفًا يفضلوننى

فاقنع أيها الفقير بلون الربيع وشذاه لأن صاحب البستان لا يسمح لك بقطف التفاح والورد

لا يفترق الأمر لدىَّ إن قطبت حاجبيك فقلت ما شئت من كلام فظ فهو عندى عذب شهى

إن صلابة العشق تلوى رقاب الأسود بلجامها وتشدها كأنها إبل فى أنوفها الخزام

من حسن حظ سعدى أنه مقيد بهمومك ، وما أسعد حظ الحمامة التى تغدو صيد الشاهين

لا صبر لى عن رؤية طلعته أيها المسلمون (لكم دينكم ولى دينى)

***

أود أن أسقط تحت قدميه كالكرة ولو يضربنى بصولجانه فلا تقل له شيئا وقل للطوفان عُمّ على رأس العاشق

وقل للأسنة انبتى طالعة فى طريق المشتاقين

أطعه وإن أحرقك ولا تطلب العلاج إن أمرضك ، فقناة عين المتألمين بالعشق لو فرغ ماؤها جرت فيها الدماء

فاهنأ يا مجلس الروحانيين ، من الذى يحب خمرى هذا فقد سكرت أنا من رائحته ؟

كل من خط رسالة جنون سعدى قل له أن يمحو دفتر التقوى والزهد وكل من لم يشتم شذى العشق قل له

أن يأتى شيراز ويشم ترابى

***

أذاك ورد أم ياسمين أم قمر أم وجهه ؟ أذاك ليل أم شب أم مسك أم شذاه ؟

أعرف أن شفتك ياقوت وجسمك فضة ولا أعلم أن قلبك هو القاسى أم وجهك

لا أعتقد أن فى بستان الفردوس ينمو مثلك سرو على ضفة الغدير

كم أنت عذب الشفاه فيصبح المقال يعجز عن وصفك

تتصاعد منا صيحات طلب الغوث والنجدة عندما شممنا رائحة فمن أين لك يا ريح هذه الرائحة ؟

ألا أيها التركى المضرج اللون الساقى امْحُ العقل منى بخمرك كم أنت فتنة للمدن أيها المعشوق المستبد وكم أنت مزين للحفل وزينته يا ورق الورد الوحشى

إذا سقطت فى ميدان العشق أيها القلب فلا فوت لك من أن تلف كالكرة حائراً

إن كنت عاشقًا أيها القلب فاحترق وارض ، وإن كنت طالبًا أيها الجسد فاستفسر واستعلم

ضحِّ بروحك فى هذا الطريق أو أمضِ عنا وأحْنِ هامتك على هذا الباب أو اطلب غيرنا

يلومنى ذوو الفكر السقيم : إلى متى ستحتمل حبيبك السيئ الطباع ، ومحال أن يترك سعدى حبيبه فلا تلومونى يا عُداتى

***

مرحبًا أيها النسيم العنبرى الشذى قصَّ علينا خبرا عن هذا المغاضب الحبيب الواهى العهد القاسى القوس ذى

الوجه الودود والطبع اللدود ؛ وأبلغه إن رمت هلاكى ثانية فاقتلنى بريئًا ولا تتلمس ذريعة .

أخشى أن ينقطع العطشان عن ورود الماء إذا لم تعد المياه إلى مجاريها وقد رأينا الصبر أمام الشوق دهنًا أمام النار وجردلاً أمام الحجر

وكل من انشغل فكراً بحبيب قل له أن يتخلى تماماً عن مصالحه وما دام الصولجان المعقوف قد أسرك فلا مناص لك من تحمل الضرب كالكرة ، والملوك هم الكنوز والخيل والحشم والعارفون لهم السماع وصرخات العشق .

ثورة العشق تهتف بك يا سعدى أن تنشد شعرك بقريحة ذات حلاوة وطلاوة ولا يجدر شعرى لكل من هب ودب

والعود لا يفوح عطره إلا وسط النار

***

حان الوقت لكى يتجمل شاطئ الجدول الأخضر وينضر ، وإن عَرجت على الصحراء فاطلب السرو اليافع المرتفع

وإن تيسر لك الاختلاء براحة قلبك فهو الذى ينثر الورد فى دارك فقل للخضرة ألا تنبت .

يا نسيم ربع الحبيب ما هذه الريح المسعدة السعيدة ، ومن أين أقبلت حتى تجددت روحى بروحك ؟

المطربون ينشدون ألحانهم والسكارى يسمعون الحِسان فى نشوى والوالهون فى صراخ

ما يجرى علىَّ هو من بلاء العشق يا رفيقى فَخَلِّ عنى إن لم تعترف بحبيبى الجميل

ويا كليل السير فى طريق الوصل الوعر لا يجدر بك أن تعود فاجتهد فى طلبك ما دام لك قدمان

إن شهدت نواحى ونحيبى لن تميز ما يسيل أمامك هل هو عبرات عينى أم ماء الجدول

قالوا للكرة أيتها المسكينة لا تدورى حائرة ، وأى حيلة للكرة العاجز ؟ قولوا هذا للصولجان

ويا من قلت لى صفٍّ قلبك من حبيبك الشفيق لن أصفى قلبى من حبه وارفع أنت يدك عنى

لا يجدر يا سعدى أن يقيم العاشق فى الخنقاه ، لأن الحبيب صقر منطلق والزهاد متقوقعون

***

أيها السرو الفضى تنطلق إلى الصحراء إنك ناقض عهدك إذ تنطلق بدوننا ، ولم يمش أحد بمثل اختيالك وجمالك ، أهذى صفتك على الحقيقة أم أنت تصطنعها ؟

الجان يتسترون عن الإنس وأنت الجنى الطلعة تمشى جهاراً ؟ إن تفرجت فانظر فى ذاتك فهل ستتفرج على أجمل منك وأبهى

هل ستكرم عبدك أم تقتله ؟ وهل ستجالسه لحظة أم ستغادره؟ فكرى وباطنى معك لكنى أخاف أن ترحل عنى بسبب جلبة المتزاحمين عليك

لن ينجو منك محبٌّ بحياته قط فقد استوليت على المدينة وتتجه الآن إلى الصحراء وإن أحببت أن تدوس عينيَّ بقدميك وضعتهما على طريقك لتطأهما

رضينا منك بشتمك لنا وأنت مللت من دعائنا لك ومع أن السكينة تزايل قولبنا بذهابك لكن سِر

فأنت بديع جميل فى سيرك وعينا سعدى وقلبه رفقة سيرك حتى لا تظن أنك تسير وحيداً

***

إن وهبتنى الحياة أو أردت هلاكى سجدت إلى حكمك فأنت السلطان وأنا مذنب ولو انقدت إليك طائعاً ألف مرة ، وأنت برىء ولو أهدرت بلا حق دم ألف إنسان

ولا أستطيع أن أشكوك إلى أحد فكلهم إلى جانبك يوافقونك مع كل ما تفعل ، وأنت أشبه بالشمس بكمالك وحُسن طلعتك فيعجز النظر عن رؤيتك كما أنت على حقيقتك

ومع أننى تُبت طول عمرى لم أتب عن المناهى لأن النظر إلى وجه الحبيب منهى عنه

وأيم الحق لو قتلتنى بحسرتى منك حتى أعرض عنك فلن أرفض وكيف يهرب منك إنسان وأنت له المهرب ؟

أنا ياحبيبى الذى لا تغمض عينه وهى تترقب طلعتك ، والمسكين مثلى لا يهنأ بمنام فى لياليه بينما تنام الطيور والأسماك

ولو قتلنى ليلى الطويل وأنا أتمناك فلا عجب أن أحيا بنسيم الصباح .

وإن اجتهدت فى إخفاء هموم عشقى عن خِلاَّنى شهد بها كلامى المتحسر الحزين

(الخضر) كريشة سعدى كل يوم فى سياحة ، ولا غرو من أنه ماء الحياة الخالد ليطلع من وسط السواد

رابعـًا : البدائع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد لله رب العـالمين على ما دَرَّ من نعمةٍ عَزَّ اسمه وعلا

الكافل الرزق إحسانا وموهبة إن أحسنوا وإن لم يحسنوا عملا

الجن والإنس والأكوان جمهرة منشئ الورى جيلا من بعدهم جيلا

طوبى لطالبه تعسًا لتاركه بُعداً لمتخذ من دونه بدلا

كم في البرية من آثار قدرته وفي السماء لآيات لمن عقلا

مبينات لمن أضحت له بصرا بنور معرفة الرحمن مكتحلا

أنشأ برحمته من حبةٍ شجرا سوّى بقدرته من نطفةٍ رجلا

مولى تقاصرت الأوهام عاجزة لا يهتدون إلى إدراكه سبلا

ما العالمون بمحصى حق نعمته ولا الملائك في تسبيحهم زَجَلا

سعدى حسبك واقصر عن مبالغة لا تنطقن بدعوى تورث خجلا

جلَّ المهيمن أن تدرك حقائقه من لا له المثل يضرب له مثلا

***

تجاوز الشوق والصبر فى همومك حدهما حبيبى فداو بوصلك قلبنا المجنون

لا يدرى الأطباء العاديون علاج آلام المشتاقين ولا تداوى آلام هموم المجنون الواله غير ليلى

إذا لم تأبه بالمغمومين والمساكين ما توجب عليك أن تتجلى علينا بطلعتك البهية من البداية

فما دمت قد تجليت واستلبت الثبات من العقل والصبر من القلب فعليك علاج غير المصطبرين عليك الآن

لم أكن أفكر فى الهيام بطلعات الحسان قبل صداعى هذه ولكن ما إن رأيتك آثرت طريق الجنون.

مُرادُنا من دنيانا وآخرتنا وصالك وإلا ما كانت للدنيا والدين قيمة فى غير وجودك

بلغ بى الشوق إلى رؤياك يا خالب القلب حد أن قلبى لو زفر بآهة يومًا لأحرقت البحار السبعة

فتعال حتى نهنأ اليوم للحظة بخلوتنا فلا يدرى أحد فى العالمين ماذا سيحدث بالغد

تنطق عذب الحديث يا سعدى على رغم شانئيك ، لكن مريض الاستسقاء أنَّى له أن يعرف طعم الحلوى

***

جاوز شوقنا وصبرنا الحد يا حبيبى ، فإن كان الصبر صفتك فلم تعد بنا طاقة فانظر مرة فى حالنا بعين الإحسان

والشحاذ يجد بغيته على مائدة الملوك

وحين يغضب السلطان على غلمان حضرته يمضى فيهم حكمه ولكن للجفاء حدٌّ وأنا لا أرتضى بحياتى بدونك لأن العيش بلا خلاَّن يفتقد الراحة

إن فاضت روحي وأنا عطشان فما فائدة سقي العشب النابت على قبري بدموع العين ولا يمكن أن أصف حال ضراعتي وحاجتي وسوف أفصل لك القول حين ترجع إليَّ

فعد إليَّ وخذ مني روحي الأثيرة عن طواعية مني ، وهل يمتلك الفقير المعدم مثلي غيرها فأمهل يا ربي عمر أليفي واكتب له السلامة يلقَ محبه ويراه

ليس لملك السلطان ولا لزهد المتـزهد وقع يا أخي في عين الحِسـان فليت سـقط البرقع عن وجه ليلى حتى لا يظل المجنون يدعي الابتلاء

لكن يا سعدي قد جرى القلم بسعادة الإنسان وشقائه فعلِّق كل ما يقع لك على القضاء والقدر .

***

لو أزاح قمري عن وجهه النقاب لأسدل الستار على جمال الشمس كأن عينيه الساحرتين الخادعتين للنسَّاك قد عقدت النوم على عيني بسحرهما

خرج عنان عقلي عن يدي من النظرة الأولى وكيف يدري الصواب من فقد عقله فقلت لعلي أنجو من العشق بالوصل لكن كيف ومريض الاستسقاء لا يشفيه شرب الماء ؟

لا تصح الشكوى من الحبيب الرقيق ولو أسقاك السم الناقع بدل السكر ، والعشق صفة الآدمية فإن لم تذقه شاركت الدواب وشابهتهم بالطعام والمنام

فهات النار واحرق محصول الأحرار ، والملوك لا تجبى خراجاً من محصول محترق

سكرت جماعة بالخمر ولم تحظ بالحبيب المقصود وأنا سكران به حتى إنني لا أريد خمراً

ألم أقل لك يا سعدي لا تسقط في شباك العشق وسهام النظرات تجر بها الجبابرة

***

أنا الطاعن الطائش قد انشغلت بشبابه ومن الجهل أن ينافس الشيخ الشباب وأنا الذى لا أقوى على مغالبة شعره

وقعت فى حب من يمزق سلاسل الحديد

حين يمسك هذا السروى القد الفضى الجسد بقوسه تجتاحنى الرغبة فى أن أكون هدفا لسهامه ، يسعى الصيد بظلفه فى صفده

لو نظر يد هذا الجميل وقوسه الذى لم يشهد امرؤ فى بنى آدم من يفوقه عذوبة فى اللفظ فهل ارتضعت

من ثدى أمك سكراً أم لبنا ؟

لا تطول أيام رواج سوق الشباب كثيرا فاغتنم يا بنى وقته وبع نقداً لا نسيئة

فيا من قلت لى غض طرفك عن وجوه الحسان لكل ما تقول علاج وحل إلا ما مضى به التقدير

قد غبر الزمان على إظهار الزهد وكتمان الكفر ولما أمطنا اللثام عن وجوهنا ظهر كل هذا تزويرا

إن أفنيت روحك يا سعدى تحت قدمى الحبيب حبًا منك فلك أن تعتذر بأنك مقصر بتضحيتك هذه

***

أعطنى يا ساقى قدحًا يسيل منها الياقوت ويروح وما قيمة الياقوت أعطنى ذاك القوت للروح

بادر الشيخ الطاعن فَتَجرع رطلاً ملاً وفى حتى لا يرجف المدعون بضعفه أمام حبيبه الشاب

لن تتحمل أعباء حبيبك ما لم تثمل وتسكر دائمًا ، البعير السكران هو الذى يحمل الأعباء الثقيلة

يا من طلعتك راحة أرواح أحياء الدنيا وحق لهم ألا يروا الدنيا بدون وجهك ، ماذا يمكن قوله فى صورتك ومعناك وقد انعقد لسان حسنك عن تحسينك ؟

النحل يُخزن العسل ويخرج من بطونها لا لسبب إلا أن شهد شفتيك العذبتين داخل بطونها ، بسبب ما تقاعدت عليه من أنك تستلب فؤادى برؤياك أخشى فى النهاية ألا أنجو بروحى منك

فإما أن تضرب قلبى المجروح بسهام هلاكى وإما أن تفيض روحى فتعطينى الأمان والسلوان

وحين تضربنى بسهمك أخبرنى أولاً حتى أقبِّل يدك وقوسك قبل إطلاق سهمك

إن سعدى لا يتألم بسبب فراقك لأن سعادته بوصلك تنسيه آلامه

ولو التأمت جراح قلبى بالدواء فلن يمكنهم إخراجك من موضع الجراح

***

لماذا يتحمل اللطيف الساعد ذاك القوس الغليظ ويكفى لصيد الغزال سهم واحد من غمزاته

تعود وتقف أمام سهمك آلاف ممن صادهم قلبك بسبب أنك مقوس الحاجبين

ولست بحاجة إلى الجوشن والدرع يوم الوغى لأنك تتدرع بتروس شعرك

وحين يرون عينيك التركيتين وضفيرتيك يهجرون ديار الترك وبلاد الهند

والمجوس العابدون للأصنام المرقشة فى بلاد الوثنية لم يروا غيرك أيها المعشوق المرقش الوجه

ولا تضرب أسوار قلعة المتمرد بالمنجنيق بل انصب على سقف قصره وهاق عقائصك

أسرتنى وكنت متوارياً توارى العنقاء كما يأسر البازى طائر الطهيوج

رأيت شفتيك وانحدر اللعل من عينى ونطقت فذهبت بقيمة اللؤلؤ

وأبار بهاء وجهك سوق الجمال والقمر والحور كما أبطلت معجزة موسى طلاسم السحرة

لا يمكن أن تحوز الكنوز بما لا يفيد من تحمل المشاق لأن الحظ تلزمه الفضيلة لا قوة السواعد

يرتضى عشق الوجه الصبيح يا سعدى من يتحمل الطباع القاسية لصاحب هذا الوجه الجميل

***

لا أبالى ، فما فائدة كتاب الوعظ والعلم والرأس المجنون لا يطيق الوعظ ولو استطاع قولك أن يجمع الماء بالنار فلا يمكنه جمع العشق مع الصبر

إن النظر فائدته أن يرى الحبيب فإذا لم يره فأى فائدة منه ؟ ولماذا ينصب العاشقون من لوم العدو والحبيب ؟

إما أن تهتم بحبيبك أو تهتم بفضيحتك

يعلم الجميع أننى أحب من حبيبى خضرة خطه ولست كغيرى من الأحياء التى تحب خضرة الصحراء

ومنذ أن تقيدت بقيد ذاك الحبيب النهاب السلاب جعلت من قلبى وصبرى نهبا وسلبا

فدع السرو يختال ويميس ويتكسر وادعه إلى رؤية مشية حبيبى ذى الدلال والجمال

وإن طردته فلن يفارقك وإن فارقك عاد ، ولا فوت للذباب من دكان الحلوانى

لن يزيد أحد على جمال شعرى وحُسنْ طلعتك وما عندنا هو حد البلاغة والجمال

لم يقرع حراس الليل طبل الصباح هذه الليلة يا سعدى أو لعل ليل الوحدة لا نهار له !

***

لم أر وجهًا بهذا البهاء وهذا الجمال وليس لشعر هذه الفتية والجاذبية

لو أخفى القاسي القلب الفضى البدن وجهه فإن مسكة غمآز لماز لا يمكنه إخفاء أريجه وعبقه

يا متناسق الصورة والمعنى ما دامت عيناى بوجهى فلن أرى أجمل منك وجها ولا أطيب منك طبعا

لو درتُ حائراً من عجزى فلا تلمنى فأنت إن تضرب بصولجانك فالعيب ليس على الكرة

وكل من به أنفاس تزفر وألم يحرق يحب نحيب السكارى وصيحات الوالهين

ونحن نسعى بكل طاقتنا إلى أن نكون محل اللوم فى سوق العشق وإنما التخفى والتوارى صفة الزهاد والمؤثرين للسلامة

لا يحق أن يتصف البستان بالحُسن ثانية بعد أن حَرَى أن تكون صفة العذر منبتًا لسرو مثلك

لو عاد الربيع ألف مرة أيها الوردة الزكية النشر فلن تجد مثلى بلبلاً صداحًا شاديَا

إن عجزت يا سعدى عن لثم يده فحيلتك أن تمسح وجهك بقدمه

***

إن أزحت وسط المدينة عن وجهك النقاب لألجأت ألف مؤمن مخلص إلى التأثم والعقاب

من يجد مجال النظر إلى جمالك الميمون وأنت بصفتك هذه وهى أنك تستلب القلب من وراء الحجاب ؟

لا يخلو باطننا لحظة منك ، وبما أنك استوليت على المدينة فلا تأذن بخرابها

عقدت قلبى بشعرك المعقوص الملتوى ، فإن لويت شعرك أيها السعيد فلا تلو عنا وجهك

تبـدو حكايتنا إلى سـمعك حـقيـرة ، وهل تدرى أيها الوردة الـنضرة الريَّاء بـحال العطشان ؟

وأى حزن يصيب الصبا إن مات القنديل ؟ وأى هَمٍّ يشعر به القمر المنير إذا سقط كتان القنديل ؟

دعوت لك وسهل علىَّ إن رددت علىَّ بالسباب ، ويحلو الحوار مع العذاب الثغور ذوى الرضاب

فأين أنت أيها المتعنت الطاعن ، أنت ناج على البر ونحن ساقطون فى الماء المغرق

وما الداعى إلى لوم أسير البلاء إن استطعت معاونته فأمده بها

ومع أننى يستحيل علىَّ الصبر على فراق وجه الحبيب بيد أننى أتصبر مضطراً صبر السمك على مفارقة الماء

وتعود إلى ادعاء العفة يا سعدى قائلاً لن أسلم قلبى إلى أحد و (كل مدع كذاب)

***

أى فتنة ألقاها فى العالم حُسنك إلى حـد أنه لا يمكن غض النظر لحظة واحدة ؟

بلاء غمزتك القاسية السفاحة كم من الدماء أجرتها من قلوب محبيك المخلصين

قد خاصمت عقلى وعافيتى يوم أن أذاع الزمان حديثك ووصفك

لم تبق حديقة ولا بستان حين نما سرو قامتك وآثار الوالد فى الحديقة والبستان

فودَّنى ولا ترمنى من نظرك ، وحذار من العدو حين يلوك سيرتى أمامك

وحق عينيك إن من اقتلع عينيه عن وجهك وألقاها على قمر السماء لا ينال غير الأسى والأسف

سوف يبلغ الرفاق نفس حكاية سعدى هذه ، وفحواها أن سعدى سار عقب روحه وفقد روحه

***

علمك فلعلمك كل فنون الدلال والاجتذاب ولقنك الجفاء والتمنع والعتاب والظلم

أنا عبد ذاك الثغر الضحاك والعين الفتانة اللذين علَّما الضحاك والسامرى السحر

لماذا أيها المعشوق تذهب للمعلم ، وناقش الأصنام الصينى يأتى على عقائص ضفائرك فتعلم النقش ؟

ولابد أن ألف بلبل شادٍ عاشق تعلم منك نظم الشعر الدرى ، أو قد راح مزدهراً سوق الشمس والقمر لأنهما علَّما المشترى الوصول على دكانك

كانت كل عشيرتى علماء دين فعلمنى معلم عشقك الشعر وعلمنى زمانى الشعر منذ أن رأيت عينيك الثملتين

وعلمتنى السحر

لعْل فمك تعلم الضيق من قلبى ، وتعلم جسدى النحولة من خاصرتك

بلاء عشقك يجتث شأفة الزهد وجذور الورع منى كالصوفى إذا تعلم جنون القلندرية

لا يفكر ثانية فى السياحة ولا يذكر وطنه من تعلم المجاورة فى جوار مقامك

لم أشهد إنسانا بمثل شكلك وقدِّك وطبعك ومشيك اللهم إلا إذا اكتسب الصفات الملائكية

أنشب أظافره فى دماء الناس فظهرت محناة ، ولا أدرى هل ما فعله قتل أم أنه مهارة تعلمها ؟

لسوف أبكى من بعد حتى يمكن للعائم أن يتعلم السباحة فى عبرات سعدى

***

كم من القلوب استلبت أيها الساقى بساقك المثيرة للفتن ؟ وأأسفاه على القبلات الكثيرة التى طبعت على ذقنك

إلى متى تطلق فى الخفاء سهام غمزاتك من كل ناحية ، قد استسلم عقلى ورمى درعه أمام نصالك السفاكة

تخالفنا وتهرب منا وتظهر لنا وتسلبنا ، فيا حزنى من قهرك المتلقف وسُمك المعسول

لو رأت (شيرين) شفتيك الحلوة وهى تتحدث لاستحقت الشكر إن وهبتك ملك (فيروز)

إذا لم تكن طلعتك التى تفتن المدن وعينك التى تثير الفتن لاستراحت فترة من الدنيا من الفتن والثورات

كيف تظل رغبة بامرئ فى الإفاقة والوعى وقد رأى يدك يحتضنها السكارى بك الساهرون حتى السحر

فاشرب يا سعدى زقًا ملأً وافيًا من الخمر الصافية واجرعها بشربة واحدة فلا يسع مجلس السكارى زهدك وتقواك

***

لو خالف مرادى مرادك حبيبى فلن أجر وراء تحقيق مرادى من بعد ولو قبلتنى أو طردتنى عن صدرك فمخالفة رأيك مخالفة فى مذهبنا

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ، والخل الكريم لا يفرق بين العيب والفضل ، ولو تبدلت عنايتك بى فلن يختل حبى لك

ولن تؤلمنى بأى شيء تفعل لأن كل ما يرضاه الحبيب على محبه جائز ، ولو اندلعت الحروب بين قبائل العرب فإن المحبة والصفاء قائمان بين ليلى والمجنون ، وإن شبت ألف عدواة بساعية الواشين فإن المودة ثابتة بين العاشق والمعشوق .

أنا عبد لقامة ذاك الجميل لابس القباء الذى يعدو فى محبة وجهه ألف رداء قباء وأعجز عن السكون والقرار بدونه

لأنى لا أستطيع فكاك روحى منه ولا يبارحنى الإحساس بالشوق له وتذوق الجمال فى النظر إليه لأن الشحاذ لو أعطى العالم يظل شحاذًا

لا أنصب ولا أهتم إن لامونى بعشقك وإن لاموا فلست الملوم وحدى

ومن رأى قوامه الخالب للقلوب ما كان أمامه إلا أن يقول إنه يشبه السرو الفارق المستقيم ، وقد قلت إن النظر إلى وجوه الحسان خطأ

لا ليس خطأ فلا تقل هذا ثانية فقولك هو الخطأ بل إن سعدى ليسعد بشقاء هجر حبيبه لأنه يأمل فى الدواء لو تألمت روحه ، والدرويش يسعد بالبلاء والشقاء فى الدنيا بأشد من سعادته أملاً فى رحمة الآخرة

***

سلسلة شَعر الحبيب هى حلقة شباك البلاء وكل من نجا من هذه الحلقة لا يفهم ما يجرى لنا

لن آسف على النظر إليه ولو مزقونى إربًا ، فالنظرة منه تعدل فدية مائة مثلى ولو زهقت روحنا فى الحب وصل الحبيب فلا ظلم لأن الحبيب أحب إلينا من روحنا

ولا تتطلب دعوى العشاق الدليل الشعرى لها ، فصفرة وجوههم هى الدليل ونحيبهم وعويلهم هو البرهان

وأساس التقى هو قوة الصبر والعقل لكن العقل يأسره العشق والصبر يذله الهوى

إن العاشق الواله قد تقيدت قدمه بعنقه وسجنت روحه فلا جرؤ عل الكلام والتساؤل والاعتراض

مالك ملك الوجود هو الحاكم على المقبول والمرفوض ، وكل ما يفعل ليس ظلمًا بل الظلم أن تعترض على ما يفعل

فاستل سيفك من غمده وصُب سُمَّك فى الكأس فمن قبلنا القبول ومن طرفنا الرضاء

وإن تكرمت عليَّ بلطفك أو آذيتنى بقهرك فحكمك عليَّ نافذ وزجرك لى ماضٍ

ومن نسى عهده بسبب جور عاذله أو جفاء حبيبه فهو مدع بلا وفاء

كل ما يصدر من أخلاق الحبيب يا سعدى جميل فقل كل ما عندك من شتم وسب فهو من ثغرك العذب ثناء ودعاء

***

اصبر يا قلبى فالصبر من شيم الأصفياء ، والاحتمال هو حيلة العشق والوفاء شرط المحبة

مالك الرفض والقبول فى كل ما يفعل ملك إن قتل فهو الحاكم وإن أكرم فهو المتأمر

وإن دعانى لقبوله فلا أزال أدعوه رافعًا يدى الجزع وإن طردنى فلا يزال الأمل فى قبوله

برق البرق اليمانى وهبت ريح الربيع وذهبت طاقة المجنون فأين خيمة ليلى ؟

الغفلة عن أيام العشق خطأ عند المحقق المتحقق فبكِّر فى النهوض فالصباح يأتى أولاً و آخر الدنيا فناء.

صحبة الخل العزيز هى حاصل عهد البقاء ، ورؤية الحبيب لحظة تساوى كلا الدارين

إن أرضاك إيلام قلوب محبيك فلا اعتراض منهم ، وكل ما هو مرادك هو غاية مقصودنا . وكيف يدعى العبد اختيارًا والحكم للسيد وحده وإن وضعت قدمك جعلت عينى اليمنى تحتها

فلا تطردنى عن بابك فليس هذا هو طريق الوفاء وبكل مدينة غرباء وبكل بلد شحاذون

كلى أمل مع كافة ذنوبى ورجاء مع كل خوفى وإن كانت دراهمنا نحاسًا فلطفك ذهب

لماذا تهوى الوصال يا سعدى وأنت عاشق ؟ كل من طلب حبيبًا له أغضى همته عن مصالحه

***

يا من ماء حياتى فى ثغرك وسهم هلاكى الظاهر ينطلق من قوسك إن لم تسدل برقعك على جمالك فإنك مسئول عن كل من يقتل بالمدينة

لن أشبِّه وجهك بالشمس لأنى بهذا أمتدح الشمس لا أعظم شأنك لو أنعمت عليَّ بنظرة من طرف عين حبك

فما أسعدنى وإلا ما لأمر أمرك للناس كل يوم فكر برأسهم فى حيبب وصاحب أو ليس إلا رأس واحدة خاضعة على عتبتك

قد رأيت كثرة من الأشجار المثمرة ولم أفضل مما هى بستانك وإذا لم تصل أيدى محبيك إلى بستانك فليس الذنب ذنبك إنما ما يمنعهم هو حارس بستانك والذنب عليه

ما أكثر الخواطر التى ترد بالقلب وتذهب ولكن النقش الذى لا يزال بقلبى هو نقشك ورسمك ولو عاديتنى حبيبى ألف مرة فلسوف يظل قلبى محبًا مخلصًا لك فتمن يا سعدى من الوصل ما يناسب قدرك، كيف يليق عش غرابك بعنقائنا ؟

***

المتعة تطيب وعلى صفحة الغدير تطيب أكثر وشرب الخمر مع سماع شدو البلابل الصداح يطيب أكثر وهل المنام صباحًا على جانب مزرعة الياسمين متعة ؟ لا ، إن النوم فى حضن الحبيب الياسمينى العبق يطيب أكثر

والنوم من خمار الخمر اللذيذة فى الصباح فوق فراش الشقائق البرية يطيب أكثر

فلا تشح بوجهك عن جمال الحبيب وتنظر إلى الصحراء لأن مواجهة الجليس الوفى بالنظر تطيب أكثر

فـلا تطلب عـزف الصـبح والمطرب الحلو الإنشـاد ، وحـديث خـليلنا الحلو الطبـاع يطيب لنا أكثر

يتماوج الماء ويتثنى بفعل الجنان ، إن تنظر فمقامنا على ناحية ربع الحبيب يطيب لنا أكثر

هل تُقدِّر يا سعدى قدر الحبيب ولم تذق الحبيب ولم تذق جفوته ؟ إن تحصى أمانى القلب بالسعى الحثيث يطيب أكثر

***

يا من فارق قدك السرو المستقيم ظرافة ورفاعة قلبى المتعلق بطلعتك أكثر طربًا

لن آبه ثانية بحرية الأجل السفاحة فأنا أشد جرأة على تحمل غمزاتك السفاكة

كانت كسوة المعنى كل الوقت محكمة مضبوطه علىَّ لكنها على قامتك الجميلة أكثر إحكاما وضبطًا

لو طعن عدوى فى طهارة نظرى فذيل حبيبى والحمد لله أكثر طهارة ونقاءً

منذ أن تفتح ورد وجهك فى بستان لطافتك غدا ستر صبرى أكثر تمزقًا من رداء الورد

طء عينى سعدى بقدمك إذا تبخترت متدللاً فهما أكثر إترابًا من تراب بابك مائة مرة

***

أى وجه هذا الذى بمقدمة القافلة ؟ لعله شمعة بيد حادى القبيلة كأنه فى هودجه سليمان فوق عرشه الطائر مع ريح الصبا

وجمال القمرى القوام فى رفعة كأنه القمر بأعلى السماء وصورته الجنانية فى جوف المحمل كبرج شمسه بوسطه ، ويعجب العقلاء لهذه الطرفة وهى أن شمسًا تظلله المظلة

كالنيلوفر فى الماء والشمس فى السحاب وجهه الملائكى فى نقاب الحرير الأبيض

أسقط عن سرى برقعى مرة واحدة ذاك المتستر فى برقعه

سبقنى البعير فى سيره لأنى أتحمل حملاً أثقل مما يحمل. وما أعجب هذا المقل فى وفائه الواهن فى ميثاقه الفظ القلب القليل الوداد وإن كان هذا هو مبلغ حبك لنا فإننى مقيم على وفائى وعهدى

يا حادى القافلة إنك بآخر الزمان وعهد الوصال بآخر الزمان ووفينا وغدر بنا فاذهب يا سعدى فانتبه فهذا مكافأة ، ألم تفهم أنك فى نهاية مشيتك وقد انتهى وقت مغالبة الشباب ؟

***

يسهل علىَّ آلاف المشاق الحالة بى لأن حبى وإرادتى تفوق هذه المشاق عدداً والسفر لا يطول على قدم طالب الحبيب لأن أشواك صحراء المحبة ورود ورياحين

إن جُرْت علىَّ فليس جوراً بل تأديبًا منك وإن كويتنى فليس كواءً بل علاجًا

لا كرامة واعتبار لى إن رمت سفك دم قلبى ولن أخالفك لأننى أفعل ما تأمر به

يعجب الأكياس الفطناء لعقلى إذ أسلمتك قلبى بعد روحى ,وإن أُبعدت عن جوارك فلا عجب إذا لم يقر لى قرار لأننى مكتوٍ بحرق هجرانك .

وإنى لأتعجب من ضفيرتك المعنبرة المفتولة التى تنام بحضنك لماذا لا تتشعث وتتبعثر ؟

والجماعة التى لا تدرك المتعة الروحية والفرق بين الأنعام والإنسان يظنون أن سعدى ينظر فى حديقة العشق إلى تفاح الأذقان ورمان النهود فالأولى بى الصمت عليهم لأن الجهل عند العقلاء ليس عذراً (وما أبرئ نفسى ولا أزكيها) فكل ما يصدر من البشر ممكن وجائز

***

لعل نسيم السحر هو أريح ضفيرتي حبيبي وراحة قلبي المضني المضطرب ، ولا تأخذ عين حظي سِنة أو نوم طول عمري لو أراه في منامي أنه بحضن لو نظرته يقصد إهلاكي فلن أضن بروحي على حبيبي فهذا ليس ديدني ، والحقيقة أن روحي العزيزة ليست جديرة به ولكنها اللائقة بإمكاني وقدرتي ولا خيرة لي في هذا التعامل لكن رضا الحبيب مقدم على اختياري .

ولو تألم قلبي بألف هم من جفائه فلا أزال عبده لأنه هو من يواسي همومي وداخل خلوتي لا يسع غيره فامض عني فكل من لم يكن لي خليلاً كان عليَّ حِملا ثقيلاً .

لا يتوجه قلبي إلى مزارع شقائق أو بساتين لأن ذكرى الحبيب هي شقائقي وبستاني ، وإن خالف مرادك مرادي فلن يفترق الأمر وأطعت مرادك لأنك حبيبي

***

ماذا أصنع وأنا أكن له كل حب وهو يكن لي كل كره؟ هذا هو حظي ونصيبي

لعل قدرك هذا يا نفسي حتى لا تغالبي ثانية ساعده الفضي ، ومن يدرك مصلحته يقدر لقدمه قبل الخطو موضعها

بيد أن العقلاء وحلقة العشق كالطفل الجاهل والأفعى الرقشاء السامة

والمتألم من الفراق لا يضع رأسه إلا ليلة أن يكون القبر وسادته فلا تبكوا على هلاكي فهذه ليست هي المرة الأولى ، ولا مناص من تحمل الكثير من الجور لأن الحب يفوق عدد الجور أضعافا .

ولو أجبتني بكل ما لديك من فظاظة مُرَّة ففي اعتقادي أنها حلوة عذبة

الرجل الذي يصطاد الأسود بأحبولته إذا أمسكه وهقه فهو عاجز مسكين فاستسلم يا سعدي للفناء وليس من حيلة غيره مع الأشداء السواعد .

***

لو سمع أحد بأن السرو قد تهادى فما هو غير ذاك الصنوبرى الجيد والعنق

ليس بالطول الذى تعرفه لأن الطويل فى نظر الناس هو القصير النظر

هيهات أن تهنأ عينى بالرقود فى عهدك ومن شغل العشق رأسه تجافت عن الوسائد

أخلد الجميع إلى الراحة وتجاوز الليل منتصفه ومن عاداه الكرى هما عينى والثريا

ولو افترضت أنا نفسى أن النظر فى وجه الحسان كفر فلن أترك النظر إليك فهو لى دين

ووقت الانطلاق حين يتجه الناس إلى الصحراء خاصة الآن وقد حل البيع وشهر الاعتدال

فالرياض اليوم هى الجنة وأنت فيها تروح وتغدو حتى تقول الناس إنك حور العين

وكل ما ذكرته من أوصاف كماله - على تفصيله - كأنه ليس شيئا فكماله أضعاف أضعاف ما ذكرت

ما فعلته مخالبك البضة بقلب سعدى لا تفعله مخالب الشاهين بالحمامة

***

خلّى المحبوب من هو لطف الله والظلم والعدل والرفض والقبول بيد اختياره

ليس لبرح العشق فى الحقيقة ساحل ولو كان له فأحضان الحبيب عند أهل الحقيقة ساحله

لم يكن فى عهد ليلى كل هؤلاء المجانين الذين ظهروا فى عهده ، ولم تثر الفتن كما ثارت فى عصره

ولم يعد صاحب القلب فى فصل الربيع هذا إلا وعشق ورده وجرح بشوكه

أتدرى ما التراب الذى أحسده ؟ إنه التراب السعيد الذى يمر عليه بقدميه

لا تصدق أن عقلى يتخيل صورته ، بل إن صورته المزدانة هى التى تذهب بعقلى

لو نظر غيرى إلى المناظر البهيجة فنظرنا إلى قدرة خالقه الذى صوره

ويكفينى رضاً بأن أموت على جوره وإثباطه والفقر والهلاك فليس الحب من شأنه

ومن لم يصبر على رضاء الحبيب لا حظ له ، والعبد يفعل ما يراه سيده

***

تختبئ الشمس تحت ظلال شعره الذى يشبه المساء فطوبى لعبد قوامه الصنوبرى المختال

تلك قامته ، لا بل فى الحقيقة قيامة لأن بعثى وقيامتى فى قيامه

يطيب الموت لقلبى إذا كان ماء الحياة من شفته الياقوتية اللون

أهواء الربيع هو الذى يرسل أنفاسه علىَّ أم نسيم الصباح أو رياح الجنة تهب أم رسالته ؟

يدلُّ على قلبى ويتباهى بأنه هو الطائر الذكى الشاطر لأنه سقط فى ثنايا جديلته التى كالشباك

بقيت بلا حيلة كل أيامى فى فخاخه وسقطت فى الغربة كما كان يرغب

قلبى يدمى من الفكر بصدرى كل لحظة وهو يتساءل إن كان سعدى عبده فعبد من هو نفسه ؟

***

هو من قلبى كالكرة فى عقفة صولجانه ، ومن موقف الأحرار على رأس ميدانه

وليس من طريق إلى ربعه القصىِّ حتى يخلصوا أقدامهم من السلسلة المتجمعة المحكمة لشعره المتفرق المبعثر

كم ينصحنى الأغرار بالصبر وليس لمرضى أيها الحكيم الصبر دواء بل إنه هو الدواء

إن أنعم عليَّ أنا المسكين بنظرة أو إذا لم ينعم فهو الحاكم وأنا طوع أمره

وإن جفانى بلا جريرة منى فهذا ما عودنى عليه حظى وإن أكرمنى بصفة فهذا غاية إحسانه

لا آمل إلى الرياض ولا آنس بالسرو والسرو اللائق هو قوامه المياس المختال

***

كيف يستطيع الهدوء من غاب قلبه ؟ أو كيف يمكنه الهروب من كان حبيس سجنه ؟

الغافل يعيب علينا حيرة العشاق ولا يحتظى بالحبور من لم يَحرْ فيه .

لم ير أحد كمثلك فى روضة الزمان وردة خاصة إذا كان بلبل بستانه طائراً مثلى

لو ضرب كل الطير ذوو الأقواس الصلبة بسهامهم فالظلم أن يضرب بلبل ينشد مترنما بحكاياته

فامضِ ياسعدى وتحمل الآلام إن كنت طالبا وكعبتك هى رؤية حبيبك وصبرك هو الصحراء أمامك

***

لنا مهرب من كل شىء ولا مهرب من الحبيب فلا تقطع حبك عن حبيبك ولو طلب ذاك كل العالمين

إن قلبك عبد وحقير عنده فاشكره فهذا فضل كبير من الحبيب

ولو أعطيت كل ما فى الدنيا بدل حبيبك فلا ترض به فإنما هو متاع يدنو عن الحبيب ويحقر

والدنيا وكل ما فيها بالقياس إلى نعيم الجنة ليست نعيماً يحولنى أنا الفقير عن الحبيب

إذا لم يقبلك فاشكره وحسب ولو هلكت على داره فهذه مِنة من الحبيب اقبلها

وأنا الذى فتحت عينيَّ على وجه الحبيب لا يحل أن أغمضهما عنه ولو رشق بهما سهم

ولو تصور لى الهروب من عشقه فإلى أين أولى وليس لى مهرب منه إلا إليه

ويمكن افتداء الأسرى الأعداء بكل سبيل ولا يحق افتداء أسير الحبيب

ومن الذى سيتخلل وجدانى من كل العالمين وأنا حتى الآن لم أفرغ وجدانى من الحبيب

وأنت بلا نظير ولو كان لك مثيل فلست أنا بالذى أرضى بك أو أعدل بك حبيبا وأتخذ من دونك نظيراً فحافظ على رضا حبيبك واصبر ياسعدى فليس من الحب النواح والصراخ من الحبيب .

***

قلت عَلَّنى أرى خيال خلى فى منامى ولا يقع نظرى على الصباح الأعلى جمال الحبيب

رأى الناس هلال العيد وعندنا العيد يظهر مع حاجبى الحبيب الشبيهين بالهلال

لم يعد لدينا اهتمام بالسرو الفارع بعد محبة قامة الحبيب المعتدلة

فنيت عن ذاتى لأن العاشق الصادق لا ينتبه إلى ذاته لانشغاله بالحبيب

فلا تطف أيها الكرى ثانية حول عينى سعدى فإما أن تحل رؤية الحبيب محل النوم أو خياله

***

من أين هذا المطرب الذى جرى اسم حبيبى عليَّ لسانه حتى أبذل روحى وجسدى فداء رسالة الحبيب ؟

يحيا قلبى بأمل وفاء الحبيب وترقص روحى لسماع كلام الحبيب

كل من سقط ثملاً بالمحبة من كأس الحبيب لن يفيق حتى نفخ الصور ولو أسافر إلى ديار من يعهد هذا فلن أحمل معى هدية غير سلام الحبيب

مريض العشق لا يشفى إلا بريح الحبيب ، ومن قدر موته لا يسلم روحه إلا باسم الحبيب

كنت وقتًا أمير مملكتى والآن فأنا عبد الحبيب عن طواعية منى وحب

لو انشغل حبيبى عنى بحب آخر فليس عندى من يقوم مقام الحبيب

إذا عجزت عن الخطو فوق سقف الحبيب فلا مناص لك أن تطأطئ برأسك تحت سقف الحبيب

من الذى يذكر اسم الفقير أمام الملك ؟ هيهات أن يجتمع افتقارى واحتشام الحبيب

لو رغب المحبوب فى قتل سعدى فلا خوف عليه فحسبه حياةً أن يموت بناءً علىَ رغبة الحبيب

***

أيها الرسول الميمون الخطوة الذى تصف الحبيب لا تحدثنا إلا حديث الحبيب ذا الوقع والتأثير

ما أجمل سماع وصف ثغر الحبيب أو ثغر من سمع من ثغر الحبيب

فأين راية قافلتك إيها الحبيب المُعْلَم حتى نسجد علىَ قدم حادى قافلة الحبيب

إذا افتدى أهل الزمان أحبتهم بالمال فنحن نفتدى بالمهج قدم مبلِّغ رسالة الحبيب

واحسرتا وألما إذا فرج عنانى عن يدى ويدى لا تصل إلى الأخذ بعنان الحبيب

قد أفرط بى ألم عشق حبيبى حتى ترحَّم علىَّ كل من رآنى إلا قلب حبيبى القاسى

إن قتل الحبيب محبة أو صنعة عليَّ عينه فالتسليم من المحب والحكم للحبيب

ولو سقط كم الحبيب فى يدى فلسوف يظل كمه عليَّ رأسى ما بقيت حيًا

لا يخرج أحد من الدنيا بدون حسرة إلا شهيد العشق يخرج بسهم من قوس الحبيب

لم يخطر فى قلب سعدى من بعدك خاطر ، ومن الذى يأخذ مكان الحبيب بالغًا ما بلغ ؟

***

قد فاض الفراق بيننا عن حده أيها الحبيب فهلم وأقبل فأنا عبدك تعال أيها الحبيب

لو خاصمنى كل العالمين بسببك فلن تقصر يدى عن ثوبك إلا بسيف الموت أيها الحبيب

افتدى رأسى ما يعقب من ملام لى فما خوفى لو تحدث عداتى فى سيرتى من وراء ظهرى أيها الحبيب فتكسر فى مشيتك وإن اختلت خربت الدنيا وإن كنت عطشا فهناك دم الجريح فأهلا أيها الحبيب

قد كويتنى بحرقتك حد أنه إذا وافانى الأجل سوف يطالبونك بفديتى شرعا أيها الحبيب

فأوف بعهدك واترك جفونى لى بحق أننى وفى مخلص لك أيها الحبيب

إن رجعت لى بعد موتى بألف عام لصحت من قبرى لك مرحبا أيها الحبيب

ركبت أكتافى همومك فأهرق الدم من مقلتى فلا تنتقض أساسى حتى أسس بنائه أيها الحبيب

إن جئت تشرب دمى فأقدم وأهلا بك وإن جئت لتستلب قلبى فتعال أيها الحبيب

فصالحنى أنا المضنى العاجز ياخليلى وهبنى فأنا مسكين معدم أيها الحبيب

ما فائدة حديث سعدى ؟ ألم تسمعه ؟ ولا يمكن حكاية ماجرى لى إلى الأعداء أيها الحبيب

***

أنت غاية مقصودى من الدنيا حبيبى وفداؤك ألف روح غالية حبيبى

قــد أنس طـائر قلبى بقيدك حتى إنه لم يعد يذكر عهد حريته بعشه حبيبى

إذا لم تفتح لى بابك فإلى من أذهب ؟وبكل صدق لن أموت إلا علىَّ أعتابك حبيبى

حملت قلبى المكسور وروحى علىَّ كف يدى فقل هاتهما أقل لك خذهما حبيبى

يبلى جسمى وتذرو الرياح ترابى ولا يزال حبك فى عظامى حبيبى

فلا تجفنى لأن العظماء ينفرون خفافا وثقالا ولو وعرت طريقهم حبيبى

يحق لك أن تعب دمى بلطف فلا تطردنى عن نظرك بقهر حبيبى

يناسب شفتيك اللعلتين الحديث اللائق والجواب أثر بديع من ذلك الثغر حبيبى

يتوجب لى رضاؤك لا حياتى وإن رمت قتلى فخلصنى حبيبى

من قال إن سعدى يفر من أذى العشق ؟ إنه بحق حبى لك يخطئ ظنا حبيبى

إن فـاضت روحى أو أوشكت برمَـا بسـبب عـداتى فلن أتوب عن حـبك ، أنا علىَّ عهدى قائم حبيبى

***

ماء حياتى هو تراب ربع الحبيب ولو فاضت الداران بالسعادة فيكفينى حزنى لوجه الحبيب

لا ولولة فى المدينة إلا من عقـائص جـديلة الحـبيـب ، ولا فتنة فى الآفـاق إلا بـسـبب تقوس حـاجب الحـبيب . ما دواء المشتـاق ؟ هو السم من يد الحـبيب . ومـا هـو مـرهم العشاق ؟ ضربة من ساعد المعشوق

لو قبلنى حبيبى لشعره الهندى لسوف أظل عبداً له بأذنه الحلقة الهندية حتى الحشر

إن تفـرق ترابى فى الدنيـا فلن تسـتطيع الريح الهـبـوب بحـفنة من ترابى مـوجـودة بربع الحبيب

ولو هاجم الأجل ليل هجرانى فلسوف أضرب يوم القيامة خيمتى أمام الحبيب

كل غزلية لى رسالة تصور هيامى به ، ما فائدة تدبيج الرسائل إذا لم تصل الحبيب ؟

فلا تزعم متباهياً ياسعدى بأن شعرك سحر وغمزة الحبيب الساحرة لا ينقصها سحر

***

عمَت السعادة المتسولين فى ربع الحبيب فجلسوا علىً تراب طريقه وهم يأملون رؤية الحبيب

فقلت انتحو جانبا ولكن قلبى لن يهدأ بسبب تضارب الأفكار فيه بشأن الحبيب

لا يتيسر لى الصبر علىً فراق الحبيب فهل تعرف رجلاً تحمَّل طباع الحبيب

ولا حيلة لدى كل من أسلم قلبه لأحزان وجه حبيبه فقد اختلطت أموره كشعر الحبيب

تراودنى فكرة الذهاب إلى البستان بأول الربيع حتى أجلس بجوار شجرة ورد تتوضع بأريج الحبيب . ويوم القيامة حين يتجول رفات الميت إلى بشر سوى فلا تبحثى ياريح عن رفاتى إلا فى ربع الحبيب . إن سعدى لا يسرج سراجه ليلة الفراق لأنه يخشى أن يفتح ناظريه إلا علىً وجه الحبيب

***

هلم هلم فلى معك قصة احكها لى ولو حدث فيها ذنب أو وقع خطأ

أيجوز أن تسترق القلوب هكذا بدون أن تحاسب ، لا تفعل لأن لمظلمة الناس عقاباً

ولا ينقصنى قدر الأثرياء إن رأوا وقتا أن فى ربعهم شحاذاً

مضت الأيام الكثيرة وفق ما يتمنى الأعداء والغرباء ولم أسمع من الأحباء أنهم يودون مؤالفتى

ولم يبق أحد لم يعطف عليَّ آلامى ولم يقل أحد إنه يوجد دواء لآلامى

إن آلمتنى ألف مرة فسوف أبقى عليَّ نفس صفائى معك وقد احترق دماغى بآلام مض الجنون ولا يزال الجهل يصور لى أن لى رقية أو علاجًا .

لم نبلغ مراد القلب وأوشكت روحى أن تفيض ولو فاضت فلا يزال لى رجاء فيك

وبحق حياة حبيبى إن سعدى لا يعتقد أن له مكانًا فى الدنيا آخر غير ربع حبيبه

***

كل ما يوجد بطلعتك جميل وكل ما يظهر فى عينيك لطيف وبهى وقد أمعنت النظر فى أشجار السرو فلم أجد بقامة إحداها ما بقامتك من اجتذاب واختلاب .

يا من لا يشبهك فى شدوك بلبل لا يمكن أن يوصف بعدك ببغاء بجمال النغم والترجيع

لا تدرى ولا يدرى الورد الضاحك خبراً عن انشغال بلبل جنونى ، قد صدقت حين قلت سوف تلقى الفرح بالصبر والصبر طيب لمن يستطيعه فهل سمعت قط أن أحداً يصبر عليَّ حبيبه . إن القلب المصطبر هو الذى لا يحب .

وما درى ولا يدرى خبراً عن العشق كل العمر من عرف التشنيع والفضح

ومن يأتنس بك لا يكون وحيداً فاعلم ذلك حتى لا تقول إننى أطيق الوحدة وكل العيون نظارة إلى وجهك ولكن لا يمكن أن تسمى كل ناظر مبصراً

وقد قلت من قبل إن الجميع مخادعون محتالون ، ومن أسف أن سعدى ليس مثلهم ولكنه مثلهم ما دمت حكمت بهذا .

***

أنعم بالرفيق المتصف بالقامة الفارعة مثلك وعليه من الله النعمة والآلاء بادية

وكل من أدرك لحظة معك طوال عمره ما تمنى بعد ذلك أمنية

وكل من عرف عقلك ثم اهتم بذاته لحظة مُراء متملق ، وليس عاشقًا من أحب كل ساعة واحداً ، وليس عارفا كل من انشغل خاطره كل يوم بأمر

فدعني ودع ذكراك وركن وحدتي ، ومن اختلى وأنت بذاكرته ما كان وحيداً

لا يمكن الاصطبار عنك باختياري ويمكن بالاضطرار ولو وجدت صبراً

انظر في وجهك كل صباح هو صباح جديد وليلة فراقك كل مساء ليلة ليلاء

ألا خلص ياربي كل أسير الأمن أسره وهق جماله .

انظر ذاك الحكيم الذي كان يعترض عليَّ الجنون حين فقد لبه استولى عليه الجنون والوله

ولكن ما يعتذر به لقدمي سعدي حين غاصتا في هذه اللجة أنهما لم تكونا الأوليين اللتين غاصتا

كل مكان عندي خارج المدينة صحراء كان أو بستانا مكان بهيج ما قارنني فيه حبيبي

وإني لأعجب من الرجل الذي رأى طلعتك ثم عاودته الرغبة في كل عمره بالفرجة عليَّ البساتين

فلا تأمل في الوصل ولا تتخيل صورة الحبيب إذا اهتممت بذاتك عن ذكرى الحبيب

إذا استولى حبيس العشق عليَّ ولاية قلبك فودعه لأن سيصير نهبًا له بكل صباح

وإنني لأتمتع بالريح إذ حملت عبقك ولو عابوني بأنني مجنون يطوى الريح

وحيثما أتجه أضع يدي عليَّ رأسي حسرة بسبب عشقك وبرجلي شوكة مكسورة

لا تبلغ ألف سروة قامتك بالمعنى ولو كان السرو بالصورة غاليا ساميا

ومن قال إنني سأسلم من الرقيب حلوى ، أعطني بيدك أنت سمًّا فهو عندي الحلوى

إن العشق الذى تخلل رأسى ليس لى علىَّ وجه الخصوص من دون الناس لأن كل رأس ترى رهينة الجنون

كيف يحل لك لوم سعدى وأنت علىً البر وهو فى خضم البحر

***

مرض العشق ليس بالمرض الذى يعالجه طبيب ولا يستغرب من المريض بالعشق أن ينتحب ويولول

ويعرف العقلاء أن مجانين العشق لا يأبهون بقول الناصح ووعظ الأديب

ومن لم يشرب خمر العشق وألم الثمالة فليس له من حظ من حياته بالدنيا

وليس أطيب أريجـًا من عشق الحبيب في المسك والعدو والعنبر وغيرها من العطور

وان يُستعجب قفز الصيد هاربا من الشباك لكن لا عجب إذا قضى نحبه وهو مقيد بالشباك .

وإن اطلع حبيبى بما جرى علىَ من عنابر فلا اهتمام عندى بجفاء عدوى وجور رقيبى

بكت عين عدوى لما سمع حكايتى وأشفق علىَّ الغريب وما أوفى لى القريب

يطعن في ضحك الورد من يجهل انشغال العندليب فإلى من تشكو يا سعدى من حبيبك فاصبر علىَ حبيبك إذا كنت لا تصبر علىً فراقه .

***

ليس من جميل فى مثل حسن حبيبى التركى وليس من حلقة مدورة مثل ضفيرته التى تمتلئ بالثنايا

مع انك لا ترى فاه إلا حين ينطق لكن لو تأملته فلن تراه بمثل ضيق قلبى

تهزم جيش بسيف غمزاتك السفاكة فاضرب كيفما شئت فليس به بطل واحد فى وجودك

أمسكت بذيل وصله قابضا عليها بشدة لكن من أسف لم يكن حظى فى حدة إمساكى وشدته

وإنى أسير الهوينى ولا أستبق ولا عجب لأنه ليس عبد لسعد أبى بكر الزنكى يماثل سعدى

***

هو الكسرى من كان الحبيب فى صحبته جميلا عذباً ، وسكن الجنة من شاركه النوم ، هو الحور العين . والحلال والجد قد يمكنان صاحبهما من الراحة والدعة لكن التوسد بوسادة مع الحبيب هو كمال الدعة . يحكى الجميع عن أصنام الصين وصنم المعشوق فى كل ضفرة من جديلته تغضّن وتثنٍ

إن فتح قرطه الفضى بأذنه لقال الجميع إن وجهه قمر وقرطه هو الثريا

إن أنا لم أحبه فكل الناس تحب وأى (ليلى) ليس لها (مجنون) ؟

يا صافى الشعر تكرم علينا بنظرة أنت الذى فى جذر كل شعرة فيك قلب مسكين

لمن تنفتح عينى الإ علىَ مرآك ولو كرهنى كل مخلوق بسبب حبك

ومن سماك قمر الترك والسرو المستقيم لم يدرك بعد رفاعة قوامك وامتشاق قدك

فادعُنى عبدك أكن ملكا والذباب الذى تذبه أنت صقر وشاهين

قد ذاعت شهرة اسم سعدى فى كل الأرجاء بعشقه الحسان وليس فى هذا عيب لأن معناه ان بوطننا من يقدر العشق .

الكافر وكفره والمسلم وصلاته وأنا والعشق وكل تراه له دين .

***

كان خيال وجهك يجول بنظرى البارحة فذهل وجودى المُعَنَّى عن ذاته بسبب عشقك

وأخذت عنقاء جسدى تدور كالطائر المذبوح علىً الأرض بعد هبوطها من عش سعادتها البعيد .

وتأوه قلبى الضعيف آهاته الدامية حتى إنه كان يدور وسط دماء كبدى

وتصاعدت صرخاتى من آلام العشق حتى أخذت الزهرة تشاركنى النواح

فرش التراب يترطب من عبراتى حتى صحت أذن الفلك من عويلى

وإذا جعلت من روحى درعا أمام سنان هجرك فتش عليها قلبى كم أصابه من سهام عشقك

فاصطبر ياسعدى واعقد أملك فى يومٍ تلقاه فيه ، فقد كان هذا اليوم يتراءى فى نظرى منذ أيامى الأولى

***

من رأى قلباً كان يدور حول الخطر ويبكى كالشمع ويلف كالفراشة ؟ قد اكتنفته آلاف الأحزان من يمينه وشماله ولا يزال يبحث جاهدا عن أحزان أخرى .

وما دام رأسه قد طرب بثورة شراب العشق فإنه يظل يدور ويلف كالثمل الدائم السكر يطلب الثورة والهياج .

كان يتشبب كالمجانين جميعا بالعشق وكان ينحرف كالبلهاء جميعاً عن طريق العقل

وكان يعيش بسبب خطه بلا رسم ومذهب وقدم ورأس ، وكان يدور من جراء العشق بلا قلب ولا راحة ولا نوم ولا طعام

وقد اكثرت من نصحه ووعظه بأن يغير مسلكه وألا يجرى وراء العبث لكنه يزداد طلبا

فلا تنصحوه بأى نصح بدا لكم لأنه يتحول إلى الأسوأ بقول الناصحين

***

ظل العشق مستقراً بقلبى وضاع خلى فأنجدونى رفاقى فقد خرج أمرى عن سيطرتى

يا عجبى إن بلغت مأمول قلبى ، لكن متى أبلغه وقد انفرط عقد زمانى من يدى ؟

كنت أتمتع بالحظ والعقل والعافية والمال ومن أسف أن هذه الأربعة ضاعت بسبب همومى منه

وبقى العشق والجنون والهوس برأسى وضاع الصبر والدعة والاستقرار

ولو سقطت عاجزاً فقل لى ادخل فإن الآلاف ممن هم أفضل منى قد ضاعوا

كنت أخشى علىَّ حياتى وإن خلت هذا سيعب دمى وإلا ضاع قلبى مرارا وتكرارا

وما الفائدة من إعداد الدواء المزيل للجنون وقد خرج زمام اختيارى عن يدى ؟

العشق سهل ياسعدى مع وجود المحبوب فتعشق الآن فقد ضاع منى حبيبى .

***

سلك قلبى من جراء إيلامك طريقه إلى الصحراء ، ولن أخلى رأسى من آلامك ولو هجرت وصلى

خالك المسكى لماذا تشعث خطوطا منى ، اللهم إلا إذا أصيب وجهك بلوثة من دخان قلبى ؟

ولما أحاطت شعلة شوقك البارحة بوجودى ألقت بظلالها بقلبى فاستولت علىَّ ما بقى من وجودى

وخار أمام أنفاس أوقات سحرى الباردة كل قنديل استخلصته الأرض من قلب الصهباء

واستغاثتى بالله أنا المحرق الفؤاد منك أنت القاسى القلب لم يؤثر فيك حين انفجر الصوان دما

قلبنا المهتاج هو عالم أفكارنا العالم الذى اضطرب من شوقك فعَمته الثورة والغوغاء

اختطف ألمك صبرى بأفضل اختطاف واستولت حسرتك علىَّ روحى بأبهى استيلاء

يتقى قلب سعدى البلايا من الأيام ، ولا أدرى كيف استولت غضائرك علىَّ حبى ؟

***

حين امتشقت عينك سيف السفاكة تمكنتِ من عقول الناس ووعيهم دفعة واحدة

وتعالت الصرخات من صدر عاشقك من حرقة آلامك ، وتحول المؤمن إلى الكفر بسبب عشقك

وخرَّب عشقك أساس العقل تمامًا واقتلع جورك باب الأمل بالكلية

وهاجت الخانقاه وماجت لما سمعت وصف وجهك وسلك صوفيتها طريقهم إلى الحانات

ويقول كل من أشاوره بشأن ظلم هذا الجميل : عليك أن تستخلص فؤادك من هذا العشق

لكنى يمكننى استخلاص قلبى من العقل والحياة ولا أستطيع أن استخلص عينى من مشاهدة حبيبى

قد ابتلع سعدى دماء كبده حسرة متخفيا مرارًا لكن هذه المرة أماط اللثام عن سر أسراره

***

لك الله ما أبهاك وما أعذب شفتيك وأسنانك كل من ضاع يوسف قلبه قل له انظر ما يختبئ بجُبّ ذقنى غمازته

ولا تثور الفتن فى فارس إلا إذا أطلت عيناك الفتانتان والسرو إن غدا وراح ما بلغ دقيقة من جمال اختيالك

ليلك هو نهار عاشقيك لأنك شمس بأ علىً مهجع ليلك ، وإلى متى أيها البستان الروحى سنشكو من أذى راعى بستانك ؟

نحن البلابل فدعنا لحظة ننوح فى رياضك وإنى لأحبك أضعاف أضعاف جفوتك بى وجورك

بلونا قوة ساعد صبرنا معك فظهر زجاجه أمام سندانك ، ونحن علىً عهدك قائمون إن وفيت أو خنت

فبشرنى بسعادة وصلك ولو أَمْضَضْتنى بألم هجرانك ،فيا سعدى إنك حى عارف ولو زهقت روحك فى طلبه

***

إن طلبت روحى افتديتك بها وسهل الجواب علىً امتحانك ، وأقسم بحياتك لن أبيع شعرة منك لقاء كل ما بالدنيا

ومع أنك لا تحب أحداً فليس من أحد لا يحبك وبسبب ما لديك من سر أيها الظالم كم من الرءوس طارت علىً أعتابك

وما أكثر الفتن التى اندلعت علىً الأرض بسبب وجهك قمر السماء وهيهات أن أبلغك بجهدى وعنانك قد سبق الريح

لا يمر زمانى بلا ذكراك حتى تعاودنى ذكراك بين الفينة والأخرى ويظلمك قصار النظر ، تشبيهك بسرو البستان

وحاجباك أيها الملائكى هل هى بحاجة للقوس من أجل الاصطياد ؟ كان جسم سعدى الضعيف نقش أخذ لخاصرتك

ما دخل ثغرك دائرة الوهم لولا أنه وسيلة الكلام ، ولا يزيد عن شعرى هذا حلاوة إلا فمك الذى ينثر السكر

***

سجدنا برأس التسليم إلى حكمك ورأيك ننتظر ماذا يدبره عقلك الذى يزين الدنيا

يعجز غيرك أن يحل محلك حيثما نزلت وخيمت ، ولا يمكن الشبع من ناظريك المعليين للحب كالمستسقى من العين العذبة الزلال

هيامى بك برأسى كل عمرى ولن ينقضى إلا بفصل عنقى ولست بقيمة التراب الذى تدوسه لأنه يقبِّل قدمك دائما

ويلومنى رفاقى بأنى كنت غراً حتى انغرست بوحلك قدمى التى كانت تطوى الدنيا ، لكن ما فائدة العين بالرأس والروح والجسد إذا لم يتأمل صاحبهما صورتك التى تريح الأرواح ؟

وليس من أحد لم يتعلق بحبك ولا يمكن أن نرى نظيرك غلا فى مرآتك وقد حل يوم تولى الناس إلى الصحراء فانهض حتى يخجل السرو من علو قامتك .

وقد رأيت البارحة فى رؤياى أن حبيبى كان يقول ياسعدى لا تسمع قول أعدائك وأنت عاشق رؤيتى الصادق حين لا تهتم بالدنيا والآخرة وطالبك من لا يتحول عنك ولو واجه الأخطار ولا يتوجب أن يغير فكره فيك ولو فرق بالسيف إربا

***

لا تنثر شعرك ولا تبعثره فيكفى إثارة حسن وجهك للدنيا وإن عبرت فى خيال الناس كالملاك لا بتعثت الصرخات من ولد آدم

حار قلبي بك صديقي فأدركني ولا تقعده عاجزاً فمثل هذا يقل سقوطه ، يقتل سيف نظرك في وجهك جاهداً من هو مثلي سقط بلا حراك بسهام بلائك .

فلا تحطم قلبي لأنه مستودع سرك الخفي ، وأخشى أن يسقط سرك في قبضة من لا يكتمه ، وقد آن الأوان فإن أتيت وقبلت شفتي لتضاعف بحثي وطلبي لك كل لحظة

فاصبر يا سعدى عليَّ هذا الجرح المؤلم لعل مرهما يتفق أن يظهر لك

***

ليست هذه هي الليلة التي نسع فيها أحدا مثلك إلا إذا وسع الفضاء ذرة من تراب قدمك فضع عنك تاج الدلال والتمنع وفك حزامك فلم أر سرواً مثلك يسعه القباء ولا تسلني حكاية الهجران ليلة الوصل فإن خلوة الرضا لا تسع عتاب أحد .

فلا تنثر السكر لي وترش الورد في مجلسنا وهل يتسع المقام للشكر بين خسرو وشيرين ؟

وإن حل هياج الشوق ما قر العمل ، ولا تسع مملكة واحدة ملكين ، ولم يبق برأس سعدى بعد عزف أعواد الأناشيد مجال يتسع لنصح الزاهدين .

***

من الذي يتحول عن حبيبه ودياره ؟ لا يفعل ذلك إلا إذا تغير الزمان وضيق القلب الذي يبرم الورد لا يلام إن أشاح عن الشوك

ومن أعيته الحيل في قتاله عدواً لا محيص له من أن يعود ذليلا ، وطائر قلبي متعطش إلى ماء سيف الأجل حتى إنه يتشحط مراراً نصف مذبوح بدمه ، وما حيلة المرء وهو تحت أحجار الحوادث إلا أن ينسحب كالأفعى متكوراً ؟

ما بقي قلبي فما هذا الدم الذي يدور كل ساعة في عيني الممطرين بالياقوت ؟

ولو قلَّ سعدى من دياره مفرغا فلا تظن أنه سوف يتحول عن حبيبه الروحاني

***

كل من شاركك شراب الخمر عربد ، وكل من طالع طلعتك هام جدا ، وإن أهرقت السم فى حلقى أشربه ملتذا معك كأنه سكر

رحم الله أبًا ربى ولداً منعمًا جميلاً مثلك ، ولا تجدر الأرض لخطاك ولابد للخدود أن تنبسط لقدميك .

أردت ان أكون ترابا لقدمك فنصحنى عقلى قائلا لا تكن ترابا فى طريق حبيبك حتى لا تغبر ذيل ثوبه .

التهب العداة فى مخالفتك وما بردت نارنا فى محبتك ، ورجل العشق إن أزاح وجهه عن مصب سهام البلاء لا تسمه رجلا ، وكل من ناء بحمل الفشل قل له اذهب ولا تدر حول العشق ، فإذا لم توهب ياسعدى شرب الوصل الصافى فحسبك ثمالى مجلس الآلام .

***

لا يصرم قلبه من حبيبه إلا من زاد قلبه عن الجلمود صلابة ومن قال إننى أعرف حقيقة العشق قد كذب ولو عرف حقيقة نفسه ، ويحرم علىَّ من ينظر إلى الدارين أن ينظر إلى حبيب بصفاء باطنه .

سوف يكون هلاكنا فى بيداء العشق فمن الرجل الذى سيرافقنا السفر إليها ، وإن شهر سيفه ليصارع أسداً فليس عاشقا لأنه يخشى الأخطار ، ولو تصورت الفردوس للعارف فلا يحق له أن يرفع ناظريه عن حبيبه .

ورأسى من ضمن ذلك المتاع الذى يلقى به تحت قدمى الحبيب ولا أدرى ماذا يجول برأسه ؟

يا خسارة القدم التى يطأ بها المعشوق التراب ، لماذا لم يطأ بها رأسى وعينى ؟

ويعيب العامة علىَّ بأننى عاشق طوال عمرى وأى عيب فى هذا وليس لسعدى فضل غيرعشقه

يحرم النظر إلى وجهك من نظر إلى واحد فى كل العالمين غيرك .

***

لعل نسيم السحر يحمل عبق الحبيب فهو الذى يريح قلبى المفعم بالأمل ، سقطت الشقائق والورود تحت جذع السرو وذلك لأنه يتصف بشمائل قدِّ حبيبى .

لا تسلنى عن أمارات طريق السلامة لأن طريق العشق يتحكم فى زمام خاطرى الذى لا خيار له

أيها الورد والربيع النضِر أنتما بهذه الصفة لأن عارضكما به طراوة وردى وأريج ربيعى

هيهات أن تتوسد رأسى وسادة العافية لما فيها من هوس اجتاح رأسى الذليلة المغبرة

أمضيت عمرى عبثًا فى التفكير فيه وهو منى فارغ بعمرى غير آبهٍ

خرت عاجزاً يا ربِّ بسبب آلام قلبى ، وأى ذليل فِى همته علق به غبارى ؟

قد عجز سعدى تحت وطأة أعبائك كالحمار فى الطين ولم تحزن علىَّ أنا المسكين الذى أتثقل بأثقالك

***

لا أعلم من الذى حولك ثانية عن الوفاء بعهدنا ومن أزال ثانية نقش الوفاء لنا من فصِّ عهدك ؟

من الذى دام فى هواك علىَّ وفائه مثلى ؟ ومن الذى حمل ما أعانى إلى سمعه سوى آهاتى ؟

قلت : لشفتك إنك أنت التى استلبت قلبى . فقالت : أى قلب وما صفته ومتى وأين ومن استلبه ؟

فلا يختمر رأسك بجنون وأنت لم تلتهب نار بقلبك وإنما ساقنا إلى الجنون همك فمن الذى ساقك إليه؟ توفيق عشق وجهك كنز فمن الذى تحصل عليه ؟ واتفاق وصلك قصب السبق فمن الذى فاز به ؟

ومن الذى اجتال مئات الشيوخ والزهاد عن طريق الله غير عينيك وهو فتنة العالم القتالة ؟

فليس ياسعدى من رجل يلعب بشطرنج عشقك ، ومن الذى انطلت خدعته علىَ الزمان الخاتل وحقق مراده ؟

***

من ذاك القمر المنير الذى يمر مضيئا ؟ تفيض روح العطشان والماء المعين يمر أمامه

لو انتقل السرو من مكان إلى آخر ما أمكن القول أنه يختال بأجمل من اختيال هذا القمر

هل الحور العين تمر بمرأى من المحترقين ؟ إنه بدر التمام أو لعبة الصين لم يحقق منه أحد مأربا غير نسيم الربيع لأنه يمر علىَ شعره وعنقه وجيده .

يتخيل الناس علىَ الأرض عبوره كأنه شمس تدور فوق الأوج الأعلى

فقل لقدمه أن تطأ رأس عاشقه وعينى محبه ، وظلم إن مشى مثل هذا علىَ أديم الأرض

وقل لمن كان له قلب فى المدينة ودين أن يحذر لأن هلاك القلب والدين سيمر أمامه

أضرب فى الظن والتخمين بسبب تخيلى تردده ذهابا وإيابا بقلبى وعينى ولو مر نفسه وأنا موقن بمروره

الأمر إن نظر إلينا أو لم ينظر فهو المالك الذى يحكم علىَ ملك يمينه فانتح ياسعدى زاوية واعشق حبيبك الذى يخطر ببال المنتحى جانبا

***

ليس من الإنصاف إخفاء ذاك الوجه الجذاب لأنه ليس بالوجه الذى يمكن الصبر عليه ، وبات يقينا اليوم أنك محبوب الله لأنه أمال كل هذه القلوب إليك من عالم الروح .

أنَّى لمشتاقك ان يستريح ويصبر ولم أسمع قط أن إنسانا صبر علىً مفارقة روحه .

سرت حتى الجبال وتقطر من فراقك جفناى عبرات علىً الأحجار فنقشت عليها آثارها

فاحذروكم من القلوب تخفق كالراية المنصورة عند قرع طبول رحيلك .

قد تأخر هطول المطر فنزل بأول هذا العام لأن سحابه تأخر كثيراً لتأخر تجليك

وما دامت ريح الصبا تعتذر بانشغالها بالنظر إليك فإن ريح الخريف تهب علىً أطراف الخمائل كيفما تشاء

لكن حينما أذاع الورد بشرى عودتك فتح سلطان الصبا فاه المفعم بالذهب المصرى ، وفرش من السطوح حتى أبواب المدينة بساطا من الخضرة ونشر عليها شقائق النعمان ، ويحق للأرض أن تكتسى حلتها فهى كسعدى المشتعل رأسه شيئاً قد أسبغ عليها جلال وجهك الشباب

***

يحيا كل من يموت عند حبيبه ويموت من لا يتخذ له حبيبًا ، وكل من صفت سريرة صدره لصفاء إحساسه لا مفر لشمع قلبه من مشاهد شاهد .

وإن طلبت العشق تخيل قلبا كالشمع والفص يأبى حجر أسود المنظر ، ولا يجتذب سعدى بصورة من هو فظ القلب ولا يموت من انجذب إلى من يمثل صورة حبيبى .

أى حيلة أحتال بها وتنطلى عليك وإلى من أتوجه لكى يفصل قلبى عن قلبك ؟

قد سقطت من أعين الناس ويستحيل أن تحذر عينى الجريئة عن معاقرة العشق

وليس بقلبى الضعيف القدرة علىً أن يتدرع بالصبر أمام سهام همك

اضحك حتى تسمع مرارة عيشى لأنك إن ضحكت تتحول الدنيا إلى سكر

تمر عليَّ المريض فيتعافى وتنظر فى الميت فتنتفخ فيه روح جديدة

بكى قلمى من حرقة كلماتى لأن النار المحترقة أسرع إحراقًا فى البوص

عيناك الثملتان تستلبان مدينة بغمزة منهما ، ودلالك يستولى عليَّ عالم بنظرة واحدة

إن تواريت فى عزلتى بسبب جفائك اقتحم عليَّ بعنف خيالك من الباب والسقف

فتلطف بى قبل أن يذبل يومًا جمالك لو أمسك سعدى ليلة ذيل السحر بيد دعائه

***

قلبى قلب لا يرجع عن الهوس بحبيبه ولا يسلك طريق العقلاء فارفع بلايا العشق عن روحنا لأن روحنا لا يتوقف عن فعله

إنى أذوب وأرتضى وأصطبر والصبر لا يميط اللثام عن سر الأسرار ووجودى المعنى تحت وطأة أعباء جور الزمان وجفاء الحبيب لا يحط عن رأسى أثقاله .

يحق للمحب ألا يزعم الحب مالم يتحمل أحمال الهم بسبب محبة حبيبه

ماذا يضيره لو أخذ بيدى بوفائه لى مرة إذا لم يأخذ بيدى مرة واحدة ؟

احترق سعدى فى جهنم الفراق ولا يزال يطمع فى موعد رؤيا حبيبه

***

مَرَّ بى فسكن ثانية النار فى بيدرى وتموج بحر نارى بأمواج الدم فى عينى

كانت عادته أن يغير بعشقه عليَّ أطراف قلبى لكنه هاجم دفعة واحدة إقليم سريرتى

نشرت رؤيته التي تضيء القلوب الأرجوان تحت قدمي وصدح كلامه الذى يزكى الحياة بعزف الأرغن فى أذنى

كان يعقد المستهامين المجانين به السلاسل ، والتاث عقل كل عاقل مر حيثما كان

ربى كيف دقت يد المحبة خيمة العشق فى القلب الذى لا يسعه انشغال بذاته ؟

تضج الملائكة وتصخب فى رياضها من روحى كلما رمين بحجر آهتها الطاق الأزرق

فأخرج عنه ذاتك ياسعدى إذا كنت رجل طريق العشق ، فمن بلغ وصاله هو الذى تجاوز ذاته .

***

عليَّ العاقل أن يتقى العشق وطبعى لا يتفق مع العقل ومن تحلى قلبه بالمعانى رمى بالدارين تحت قدم حبيب له

لا يتوجس الوالد خيفة إن سأل العقاب ولا يتوقى المجنون إن انصبت عليه سهام البلاء

ولست فى النهاية أنا الوحيد فى بادية الجنون ، لأن عشق شفتيك العذبتين تثير كثيراً من الفتن والثورات . أى حيلة أحتال لأحتظى بوصلك إذا لم يساعدنى جدى ، والحقير يظل عاجزاً مهما بالغ فى صراعه . فضل منك إن دعوتى إليك وعدل ان طردتنى ، ولا يقدرك حق قدرك من تهرب من زجرك .

منذ أن عقدت قلبى بك أوصدت بابى دون الجميع ، وحيثما تحل وتقعد تقوم الفتن الكثيرة وتنهض

إن سعدى لن يصرف نظره إلى وجهك قط ، ولو أشحت عنه وجهك تشبث بذيل ثوبك .

***

ما تفوهت بكلمة إلا وسقط السكر من شفتيك ، ولم تختل وتتكسر إلا وارتفع غصنا شجر الطوبى لمنازعتك

لا يفكر ذو طبع فى الاهتواس بك ما يخسر رأسه من أجلك ولا يطير طائر فى عقبك إلا وطار ريشه.

ولا يستطيع قلبى تحمل همك زمنا إلا إذا انتحب ولا يصبر رمشى عن قطر ماء الحسرة إلا إذا حدره ، ولست أنا بالذى ينجو بروحه فى النهاية من يد الحسان ، فاقتلنى فلن ينهرق دمى أفضل من انهراقه بيدك.

وشعر سعدى نبت من أعلىَّ بحار المعنى ولكن ما فائدة الدر لحجر لا ينثره علىَّ الحبيب

***

آه من أن يد قلبى لم تبلغ مناها أو أن قلبى لن يعود من دائرة عشقك

فقسم هموم هجرك علىَّ أقساط أكثر مما تقسم عليها لأن كل هذه الآلام لا تصيب روحى وحدها بل معها غيرها

فيا سرورى السامى إن مررت بالرياض لن يبلغ السرو العالى سمو سرورك السامق

هيهات أن يتراءى إلى نظرى من يشبهك ولسوف أظل متعلقا بك قامت القيامة أو لم تقم

أتجاوز السماء علوا إن نظرت إلىَّ نظرة ، والذرة إذا لم تذق الحب لم تبلغ الثريا

تصيب يدى مثلى أنا الفقير من مائدة شفتيك بالتسول ما دامت لا تستطيع السلب منها والنهب

ولو استمرت عينى فى إسقاط قطراتها يأخذنى العجب إذا لم يبلغ السيل البحار

أرضى بالبحر إذا لم يتيسر الوصل وأجتنى الشوك إذا لم تبلغ يدى الرطب

فشرفة الوصل يا سعدى عالية وكل من لم يضع رجله فوق رأسه لن تبلغها يده

***

ماذا أفيد من هذا التعلق العابث ؟ وماذا جسدى من إرهاق قلبى دمه ؟

لا يصل المشتاق إلى نقع حافر جواده حتى يقبل يده فَبِمَ يحتظى فمى منه والحال تلك ؟

ما يصيبنى هو ما كسبت يداى من خطايا وماذا أفيد غير ما جنت يداى ؟

فتعال وإن أمسكت بتلابيب روحى مزقتها من شوقى فانظر ماذا سيصيب قميصها ؟

من الذى رأى لون الربيع يشبه لون خديك ؟ إن الماء يمحو ورد الربيع فماذا سيجرى علىَ الياسمين ؟

من الرقيب ؟ إن الملاك لا يفهم حكاية خلوتنا فماذا يمكن أن يصل إليه الشيطان ؟

وقصب السكر مع حسنه ومنظره كيف يدانى سرو قامة هذا اللطيف البدن ؟

إذا لم ينل خسروا إربه من شفة شيرين فماذا سيصيب فرهاد حافر الجبلَ منها ؟

ما أكثر من يبحث فى الجبال عن لعل شفتيك ، وما الذى سيصلنى من بين كل هؤلاء الباحثين ؟

بلغ نحيب سعدى كل من بالآفاق ، وإذا لم يحترق البخور فبم سيستفيد مجلس المجتمعين ؟

***

لن أفصم قلبى منى ما دام قلبى وروحى حيين ، ولأتحمل جورك ما دام بوسعى وطاقتى التحمل

إن تلطفت بى فأى سعادة سوف ألقاها أفضل من تلطفك ، وإن قتلتنى ممثلا بى فأى مجد أفضل مما تفعل ؟

وطالما ظل عشقك قائما لا يتحول بى عن أى رغبة فيما بالدنيا فلماذا أنصب من لوم كل من بالدنيا ؟

إن شققتنى بسيف قهرك قويت روحى ، وإن أذقتنى كأس السم زكت نفسى

حين أُبعث حيا من لحدى يوم القيامة فلسوف يظل غبار جنونك عالقا بذيل روحى

إذا كنت لا تتذكرنا فأرسل خيالك حتى يكون ليلة محرم أسرارى الخفية

لكل امرئ فى شفتيك أمنية صادية وليس لى حظ أن يذكرنى لسانك

أفتديك بروحى إن دعوت سعدى علىّ أنه المقرب إليك ، وأضحى برأسى من أجلك لو أسعدنى حظى بقربك

***

لا يستحق التفكير فى الحبيب من رعى حياته وترخص المهج أمام صحبة الحبيب

ما أهمية الشوك حتى يعيق الحاج عن الكعبة ؟ إن الهراس والسل فى طريق المشتاقين بساط من حرير . لا يجنى السوقى منك غير تبلبل الفكر وتشتت الأسرار فالحب مكنون روحه والقفل علىَ فمه

أيها الملائكى الطلعة لماذا تختبئ عن إنسان عينى وخاصية الملاك هى أنه مختف أصلا عن الإنسان ؟

لن أغادر الحياة إلا تحت جدارك حتى تكون رأسى علىّ أعتابك حين تفيض روحى .

إن أعرضت عن حكمك فأنا بخيل شحيح ، اطلب روحى فأمرك نافذ ماضٍ

أنا غريق بحر غمك هارب من جميع الخلق ولا يقرب العدو عدوه الذى سهامه مشدودة بقوسه

الخلق فيك حيارى والحق أنك مبعث الحيرة لأنهم يرون القمر علىً الأرض والقمر موجود بالسماء

لو طويت مائة طريق فهذى خاصرتك وذاك شعرك ، خاصرتك أدق من الشعر وشعرك منسدل حتى خاصرتك

لن أستطيع أن أحول وجه قلبى عنك ولو بالسيف ، وإن قتلت فى ميلى فسوف يظل ميلك فى عينى

إن سعدى سوف يرحل عن الدنيا وهو يشعر بالمرارة مثل فرهاد لكن ثورة شيرين فيه سوف تظل ما بقيت الدنيا .

***

لو ساواك سرو فى رفاعتك فلن يشبهك فى روعتك وفتنتك ، ولو شاركتنا الشمس مجلسنا فلا أظنها كفواً لك

ولو استقبل الزمان ما استدبر فهيهات أن يأتى بوليد فى مثل هيئتك ، ومن بالجيش له قوس يشبه حاجبك الجميل ؟

لو وقعت الإغارة والسلب لا قدر الله فى المسلمين فإن كل شيراز سوف تكون نهبك ، ولا يحق لنا أن نتعلق بك من تلقائنا بل إننا راضون بما تحكم به بشأننا .

أخرجنا كل العالمين مرة واحدة من قلوبنا الضيقة حتى تكون محلا لك ولنا اليوم منك وحسب وكيف نصبر عليك حتى الغد ؟

ويحلو الجنون فى رأس المجنون بشرط أن يجدر بك وبما أن رأس سعدى سوف تضيع فالأفضل لها أن تسقط تحت قدمك .

***

لا تفكر فى مشاركتنا السير لحظة إلى الصحراء كالشمس لا تدور منفردة ، وعيناك لا تأبهان من فرط دلالك بحال الدراويش إلا إذا تكرمت بدافع حسن خلقك بنظرة إلينا .

أملك أنت أم عين نور ؟ جن أم لعبة حور ؟ فليس بشجرة الورد السورى مثل جمالك ورقتك . ملكى الطلعة وقمرى البدن وياسمينى العبق وفضى الصدر ، ولا غرو من أن تثور الدنيا لحسن طلعتك

إذا عجزنا عن الحياة بدون وجهك فلا بد من الإذعان إلى طبعك فيأبى فكرنا أن نتحول عن ربعك

فلا تتجه إلى كل صوب وناحية حيث لا يدرى المساكين بقدومك فما رآك أحد إلا واستهام بك فجأة

العالم من ورائك مفتون يسح الدم لا الدمع ، وإنى لأعجب للصحراء كيف لم تتحول إلى بحر ؟

يجتاحنى كل ليلة جنونك علىَ أمل لقياك بالصباح ، أفليس لليل جنون سعدى صباح ؟

لماذا لا أظل أبكى علىَ تراب منزله حتى يتحول طيناً ؟ لكن أنفاسى لا تؤثر فيك وقلبك قاس كالحديد

***

أنا قتيل هذا الجميل البض الفضى البدن فى النهاية كالشمع المحترق حين يقتل يوما فى المجلس

إن ماس متدللا بلطف اختلب ألف قلب ، وإن خاصم بقهر أزهق ألف روح

ومع أن ماء الحياة والخلود ينبع من فمه وشفته فإنى لا يأخذنى العجب أن يقتل فمه وشفته محبيه

لو ثبت أمامه قوى أسره بعشقه ، وإن ركن إلى الفرار هاجمه بخياله

وأنا الذى أدنو قوة عن القشة كيف آمن بلاء العقل الذى قتل (فرهاد) حافر الجبل ؟

يلومنى الناس لكى أتخلى عن عشقه ، ولومهم هذا يقتلنى إذا لم يقتلنى عشقه

لو وجب شرعًا قتل عابد الأوثان فأى حاجة إلى قتلى فالوثن نفسه يقتلنى

شكوت بدافع الحب عينه الجريئة الجميلة فقال لا تعجب إن قتلك ثمل مهاجم بسيفه

إذا خالط حبيبى الأغيار لحظة واحدة أوشكت الغيرة علىَّ أن تجهز علىَّ وجودى

قال ضاحكا : أنا شمع الجمع والمجلس ياسعدى ، وما شأنى إن قتل الفراش نفسه هيامًا بى ؟

***

إلى متى حبيبى سيتحمل قلبى أثقال الوحدة ، إننى أخشى أن تنتهى أحوالى بسبب وحدتى إلى الفضيحة . من يقدر علىَّ الصبر إذا ضاع العقل ؟ولابد من وجود العقل حتى يخطو صاحبه فى طريق الصبر

إن دخلت سرورى السامى الروض كالورد فإن النرجس سيكحل عين بصيرته بغبار قدمك

فأظهر وجهك حتى جيدك من أجل أن تكونى حرقة حبشى السماء وجوه الأتراك المغيرين

تنثر الشهد إذا تنفس فوك بحلاوة ، وتثير الفتن إذا تمردت ضفيرتك بجمال

لن يبقى بامرئ ولو خلق من حديد بعد اجتذاب ساحر عينك لهم بمغناطيس الجمال

لا تزال فسدقتك الضاحكة ذات العقيقتين نقطة فانتظر حتى يجعل منها دوران الفضاء دائرة سماوية . فاصمت يا سعدى إن دَعَوْك مجنونـًا لأن العشق إذا نشأ من عارف جرَّه إلى الجنون

***

أضحى نومي الهنيء يابني ألعوبة الخيال ، وضاع أمل عمرى فى طلب الوصال

إذا لم يغلب الشوق إليه صبرى وعقلى فكيف صار هذا الطفل خاضعاً وذاك الطفل موطوء الأقدام ؟

وإن صار وصلك عليَّ حراماً فلا عجب من أن دمى صار حلالا لك

نور الشمس أن يجعل الهلال بدراً فلماذا غدا بدر وجودى فى نظرك هلالا ؟

يجمل بالقلب الذى أسر بجاهه وماله ألف يوسف أن يطلب عزة ملك مصر

فلا تعجبن لو أصرخ من أعماق قلبى صرخات الفناء والغيبة لأن نار القلب إذا اشتعلت استحال الصبر عليها

إن نظر إليه سعدى فلا تسئ الظن به فعند الآخرين أن الصدغ مقيد بشباك الشعر المنسدل عليه وحبة الخال فيه

***

قد استحال يومى هذا فى فراقك مساء آخر فقفي يا عينى حارسا فقد حرم النوم عليك ، لم يعد بى احتمال قذفى بالحجر فى ظهرى لأن دخيلتى الضعيفة صارت كالزجاجة من رقتها ، ومن أسف أن أسمع الناس يغتابوننى من وراء ظهرى قائلين انظروا هذا الناضج قد صار فجا بسبب جنونه

ولست أنا وحدى المقيد بحبة خالك ، فكل من رأى هذه الحبة أسرته شباكك وقلت له سأنظر مرة من طرف عينى فحارت فيه عينى وزاد مقامه عندى

ألم أقل لك يا قلبى اجذب عنان نظرك ، الآن قد وقع المحظور وفقدت السيطرة على نفسك

وذاع سمعى بالعشق ويقولون تب وارجع وماذا تفيد التوبة الآن وقد اشتهر عشقى وذاع ؟

إن شعرى يتولد منى بسبب عشقى طلعتك ، والببغاء إذا كسر السكر عذب لحنه وترجيعه ، وإن يشتر أبناء زمانى الغلمان بالمال فإن سعدى قد صار غلاما لك طواعية منه وحبًا

سقط ذاك المدعى فى شباكك وسكن مطيعا ولم يحدث له أن سقط بأسر أحد ، ولن ينتهى شرح ألمك بوصفى وقد بلغ جهدى منتهاه وتم دفتر شعرى

***

ساعة أن عاد ذاك السرو المستقيم إلى دارى الحقيقة أن الروح عادت إلى جسدى الميت ، والحظ السعيد الذى كان دائما خصمنا عاد إلىَّ يطلب الصلح من بداية النهار ، وكانت الشيخوخة قد بلغتنى بسبب جفاء الفلك وجور الزمان فعاد عشق الشباب إلى شيبتى ثانية .

آب حبيبى وقعد عدوى وقد حلت به المصائب وعاد هبوب نسيم الربيع على رغم أنف الخريف فأبشرى يا نفسى فقد ولت الشدائد ولا تحزن يا جسمى فقد عادت إليك روحى

لم أصدق حظى حين عاد ليصالحنى ذاك المعشوق الصلب القوس ، ولما عدت يامؤنس روحى من باب الغيب عاد الجنون إلى رأس من كان به جنون

عشق طلعتك محرم إلا على سعدى لأنه تخلى عن كل شىء فى الدنيا بسبب جنونه بك ، فلا تعيبونى رفاقى ولا تلومونى فهذا حديث لا يمكن العدول عنه

***

طلع النهار مرتفعا أيها الولد العاقل فانصب خيمتك بمواجهة حرارة الشمس ، وقد ارتضع طفل العشب لبنة فقل لفرع الشباب تِه اختيالا ، وبكى سحاب الربيع فقل للروضة اضحكى

لماذا يود الفرجة على الرياض هذا الذى حسمه كله مستقيم سروى الرفاعة ؟

لم يجز العقل البوح بأسرار العشق لكن قوة ساعد الشوق اجتثت شأفة الصبر ، والقلب الذى هام بالصحراء ليست له عين تترقب ، والرأس التى تبث القدح ليس بها آذان تسمع النصح

وقتيل سيف العشق لا يصف حاله ، والمتعطش إلى رؤية يضيق عليه مجال السؤال ، وكل من حلا فى نظره واحد مثلك يود كثيراً أن يسمع لوماً قبيحاً

وفى نظر العداة لا يحلو العسل وعند الأحباء لا يضر اللدغ ، ومن أوشك على الموت ورأسه مغللة بالقيد لا يهتم بتعلق يده بالشباك ، فإن تعلقت ياسعدى فليس العشق طريقك ولا يصح أن تصارع ذا الشكيمة والشوكة بقبضتك الواهية .

***

لن يدوم حسنك على هذا القرار ولن يبقى السكران بك دائماً فى خمارة فراع أيها الورد الضاحك الحديث الازدهار خاطر البلبل لأن الربيع لا يدوم

والحسن الفتان ليد الحبيب لن تظل الزينة والطلاء له حتى يوم القيامة ، وفى النهاية سيتخلف عنا الغبار فاحذر أن يعلق بسببك غبار بخاطر أحد

مضى العام بهمومه وأفراحه كما رأيت ، وسوف يمضى عامنا هذا ولن يبقى مثل العام المنصرم

إن حقق دور الزمان مرادك أو لم يحقق فهو غير باق ، فلماذا أنت بهذا الاضطراب والقلق ياسعدى تسعى إلى شىء لا يبقى ولايدوم ؟

إن مسلك العشق ليس اختيار أهل الأدب والعقل ، بل إذا همَّ القضاء ما بقى الاختيار

***

هؤلاء خلقهم الله من باب رحمته المحضة فرأوا راحة الروح ، وأنس القلب والنور واللطف آية فى حقهم ، والكبر والدلال قميص اقتطع بقياس قدهم ، ولا يزال ريح اللبن يفوح من شفاهم العليلة وهم العذاب الشفاه لم يرتضعوا اللبن بل السكر

أعتقد أنهم غزلان تتارية تنشر المسك ، لكنها رعت وتربت تحت ظلال شجر الطوبى أو لعل رضوان فتح جنة الفردوس فزحفت هذه الحوريات إلى ساحة الدنيا

ماء الحياة بشفاههم وبظنى أنهم ارتضعوه من حوض الكوثر ، ويد الشحاذ لا تبلغ قطف تفاح أذقان هذه الجماعة فهى التى أصابت الثمار الأولى .

والورد يجتنى من أشجار الورد يوماً بعد يوم . أقلم بعد من أشجار الورد هؤلاء ورد ، إن الهندى معذور إن عبد الصنم الحجرى أفلا يعذر المساكين إذا لم يروا هذا المعشوق الفضى ؟

فانظر هذا اللطف الذى امتزج بطينة آدمية ، واشهد هذه الروح التى نفخت فى جسد إنسانيه وشاهد نقاط الخال تلك كم حظت بجمال وهذه الخطوط الخضراء كم رسمت باتزان

كأن الحواجب على استواء قامتهم هلال مقوس بأعلى السرو المستوى المستقيم ، ومع قامتهم المرتفعة الصنوبرية المتبخترة قد اختال السرو العالى ، والصنوبر بجمال عيونهم سحر وجدائلهم وأعناقهم ومن أسف ان المؤمنين آمنوا بسحرهم هذا ، ويمكن تحقيق المراد منهم بنزف دماء الأكباد فهم الذين تربوا منذ الصغر بحدب يدمى الأكباد وكيف يتحسر التائهون بحسنهم الفتان على مجانين عشقهم إذا مزقوا جيوب أرديتهم ؟ لا تميز شجرة عنهم فى روضة الحسن وتطايرت طيور القلوب هياماً بهم .

قد سقط الكثير ونجا القليل لما رأو الشطار الفاتنين والحسان الخلابين

ولم أسمع بجماعة ذاقت العشق أنهم سمعوا نصيحة البعد عنه فاحذر الغفلة إن نظرت إلى حبة خال

فقد نصب عليها شباك الضفائر ولو لم يزل الحسان الدين والدنيا والعقل فلماذا اختير الزهاد للخلوة والزهد ؟

لم تمسك بذيل جنون وصلهم يد إلا وعضت نفسها ندماً فى النهاية ، فلا تعجب لجلوس سعدى على تراب الطريق والرجال يتشحطون فى دمائهم فما موضع التراب من الدم ؟

***

إلى متى ستظل تفكر فينا أيها القاسى الفضى الذقن ونحن بك متبلبلون ؟ وإلى متى نظل نرى بحسرة من بعيد أشواك بحر الورد ونعود عطاشا من نبع ماء الحياة ؟

وحتى متى تظل أذنى والهة بسماع كلامك العذب ؟ وتحار عينى من منظرك الخلاب ؟ وأخشى أن يفيض عجزى فأرفع صرخاتى فإلى متى يبقى صبرى معلناً ونزفى دماً وكبدى متخفياً ؟ وإلى متى ستظل برأس الدلال ونحن متوقعون فى التفكر فى جورك ؟

لم تلون الحناء يدك بل دماء قلوبنا ، فإلى متى ستعب دماء قلوب الناس بيدك ؟سوف ينهار سعدى يوماً بسببك فحتّام سيتحمل ظلمك وإلى متى سيظل هجرك ؟

***

عيناك الثملتان حين تستيقظان من نوم الصباح تثيران ألف فتنة فى كل طرف وركن ، وكيف لا يأنس بك البشر والوحش لا يهرب منك من لطف طباعك ؟

كما أن النظر فى وجه الحسان لا يحل فلا يحل أن نتقى النظر إليك وأنا فداء تلك الرأس والقدم اللذين من لطفهما وحسنهما يحق لهم أن يقفوا أمامهما على الرءوس لا الأقدام

إن كنت لا ترى قدرك فسل المتألمين كم يهرقون من عبرات شوقا إلى جمالك ، ولىَّ استقرار العقل ولم يعد مجال للصبر لأن عينك وضفيرتك تجاوزا الحد فى الفتنة والاجتذاب ، فلا تنصحنى لأن التعفف والعشق خصلتان لا تتوافقان ، فاختر ياسعدى الرضاء بحكم القضاء فليس من العقل مغالبة ذى الشوكة والشكيمة

***

اختل وتكسر بالله عليه حتى تقتلع الصبا جذور الصنوبر ، وأزل برقعك حتى تنقطع الجنة من الحور المزدانات

أسفر نقابك الحرير عن وجهك وخالك الأخاذين حتى تقتلع أمام طلعتك السماء خال كل نجم بها

قد هام الناس والهين بوجهك وتشعثوا كشعرك ولا يخطو ربعك إلا من تنازل أولا عن حياته مثلى

فقد الورد لونه وضوعه بسبب عارضك البهيج السعيد فقل لإصبع الغيرة أن تفقأ عين العبهر أو النرجس

انغرست أشواك همك بقدم روحى فى ربعك أيها الوردى الوجه المستوى ، ومن الذى يهتم بأن يخرج من قدمه أشواكك ؟

أوجهك قمر أم ملك ولعلك سكر أم ملح ؟ أظهر قدك حتى يتوب الفلك عن حب الفرقدين توبة نصوحاً ، إن مررت على الصحراء بدلالك وفتنتك لتوله القطا الدرى بك ونتف الطاووس ريشه

إذا رحل حبيبك الهندى ياسعدى فدع أريجك يبلغك فتدق خيمته قبالتك وسيقتلعها يوم الحشر

***

ماذا يفعل العبد إذا لم يتحمل الجور وإن ضاق القلب تبدل الحب ، ضاع قلبى ودينى فى سبيلك وهما هينان فخذ رأسى وروحى لأننى المجنون لا أتحملهما

يقال إن السحر حرام فى عهدنا هذا ولكن عينك تفعل من السحرِ ما لا يفعله هاروت فى بابل ، وقد غرقت فى بحرك العميق فلم أعد أدرى شيئاً حتى إننى لا أخشى ألا يبلغنى البر من البحر

لن أولى وجهاً إلى الرياض مادمت فى صدرى ، والبلبل إن شهد طلعتك ما طلب الورد ، وكل من أدرك مع الحبيب كسعدى لحظة سعادة ما تخيل شيئا ولا شخصا ثانية بنظره

***

حبيبى كل الحسان عدم أمام وجودك والسور المستوى على باب جنونك تراب الأقدام

احترقت مدينة بنار العشق هوساً بك وغرق أناس فى بحر الغم فى طلبك

أهرقت دماء العقلاء ياكعبة الحسن ، ومن أجاز قتلهم وهم صيد حرمك ؟

تُعبد الأصنام والصلبان فى بلاد الكفر ، وطرتك وطلعتك فى بلاد الإسلام صليب وصنم

فَمُرْ غبًا على صفوف المحترقة قلوبهم حتى يدعوا لك ويثنوا عليك

كل ثنية فى جعدك المنثور سحبة لقلب حتى لا تقول إن أسرى وهقك قليلون

حروف خطك الموزون حول وجهك كأنها مرموقة بالمسك الأسود على الورد الأحمر

وقف السرو فى الخميلة ثابتا والصنوبر صامتا ، فإذا لم تظهر قامتك تبختر هذان اختيالا

لا يمكنك أن تشكوا أمراء الملاحة الذين تراهم إلى أحد فهو الخصم والحكم فى أن واحد

لا خيار للعبيد من حكمك ولا مفر فماذا يفعلون ؟ هم خدامك إن طردتهم عنك أو ترفقت بهم

ما بال جور العدو إذا لم يتحمله طالب الحبيب ؟ إن الكنز والأفعى والورد والشوك والهم والفرح مختلطون متمازجون

لن أبثك هموم قلبى فأنت مرتاح البال لا تعرف كم تقاسى المحترقة أكبادهم

أنت الخفيف الحمل القوى الحال ، أنَّى تدرك أن ضعاف همك يتحملون أعباء ظلمك ؟

إن العاشق الصادق يا سعدى لا يفر من البلاء ، ويجفل من اللوم الواهية عهودهم من المحبين

***

لو نقضت عهدك فإن أحباءك يلقون إليك السلام وجور القاعدة لا يناط إلا بالعبيد

ولو وقع ألف جرح متعاقب فلا يجدر الانتقام من الحبيب وإن ضربتهم بسيفك غير آسف وإن عدت أسفرت لهم

عن وجهك زاد احترامك عندهم

فلا تنصب شباكك لى فأنا بنفسى مأسور وإنما لا يلجم غير الجواد الحرون فاضربنى بحجر كالدواجن أعد إليك ، فلست طائرا بريا تنصب له الفخاخ

فراعنا بنظرة من طرف عينك والملوك تنظر أحيانا إلى الرعية ، ومن الذى قال إن النظر فى وجوه الحسان ليس حلالا ؟ بل ليس من الحلال أن يحرم النظر إلى الأحباء فسلنى أفتك فى مذهب العشق بأن النظر فى وجهك جائز لهم أن يداوموا عليه .

يمزق نسيم الصبا أفواه البراعم حين تبتسم شفتاك اللعليتان ، وغريب المشرق والمغرب بسبب معرفتك ليس غريبا بل يقيم فى مدينتنا

ولن أشيح بوجهى عنك فشرط العشق أن أولى وجهى نحو مقصودى ودبرى إلى اللائمين فلا تبخل بروحك عن محبوبك ياسعدى إنما الحب ببلوغ كماله وغايته

***

على أمل أنهم سيرتاحون فى الحرم ليلة سهل علينا طى ألف بادية إليهم وطريق العشق تحمل الجفاء والتضحية بالروح وأى حيلة أخرى وذو القوة والشكيمة لا يصارع ؟

إن طلع على الأسقف من جهة نجم أشاروا إليه بأصابعهم كهلال العيد ، وباب الهروب مقفل لكن إلى أين سيذهب عن نظره الأسرى المصفدة أقدامهم؟

ليس فى جسدى أغلى من دمى لكنه فداء يد الحبيب إن لوثها به ،ألا يتصل بك محبوب فى خيلك ؟

ولا يكرم عشاقك فى مدينتك ؟روحى فداؤك إن طمعت فيها والغلام المسترق يفعل ما يؤمر به

إن ألف سرو ميَّاس لا تبلغ فى الحق قامتك ولو ناطحت السماء برءوسها ، ولن يزيد ألف من ليلى ومجنونها على حكاية حسنك وقصة عشقى ومثال سعدى العود إذا لم تحرقه فلن تهدأ جماعة بأنفاسه لحظة بعد أخرى ولن يستريح

***

النجوم التى تبدو إلى أنظارنا بالليل محال أن تظهر أمام الشمس ، وكذلك كل الحسان عدم أمام وجودك ولو ظهروا فى أعين الناس ذوى جمال ورواء .

يفر الناس بحياتهم من أمام القاتل متعمدين والأصفياء يسرعون عمداً إلى سيفك وحتى لا تلوم المجانين من الزهاد الذين يرون جمالك ويضجون ويصرخون فإن خرجت للفرجة يوماً فإن الناس بحق الله سوف ينثالون من الأبواب والسطوح للتفرج عليك ،

بل أرسل دلقك وسجادة شرفك إلى الحانة حتى ينخرط مريدوك فى الرقص والتمنى

فأزل من رأس الصوفى خديعة الثنائية فمن الأدب فى هذا الطريق أن يأتوا موحدين ، ولا أعرف خطر جهنم ونعيم الجنة وحينما تضرب أوتاد خيمتك يقدم عليك أهل القلوب وقد أدمت آهات سعدى أكباد المنعزلين بخلوتهم ، وما أسعد اليوم الذى يغادرون فيه خلوتهم متوجهين إلى الصحراء

***

لن تتذوق السماع ما لم تحترق بالعشق ولا يذهب بك الظن أن دخانا سوف يتصاعد من الفج النيئ

بما أن كل شيء يصدر عنه فلا فرق بين الشراب الهنيئ وطعن السيف المطعم بالسم

يهب نسيم الصبا بعبق الحبيب ، ولهذا سوف أطوى كالريح من بعد القفار بعبقه

كان يمر فنظرت إليه بطرف عينى لأسترق نظرة منه فاسترقنى من وجودى

أردت ستر أحوال عشقى بالصبر فعجزت أن أستر الشمس بالطين

من فارس العقل الذى لا يولى دبره حيثما يتجلى سلطان العشق ؟

ومن الذى يبلغه رسالتنا وفحواها أن الرضا بما يرضيك فإن شئت أجبتنى بإيلامك

لم تمر ليلة لم ينشد بها سعدى مكتوباً بالعشق شعره وحلت ليلة أخرى فأنى تستحيل نهارا بدونك ؟

***

كل ما تتناوله من يد حبيبك سكر وما تناولته من غيره قذر ولو كان تبراً

ولو نثر عدوك كمه ورداً على وجهك فهو أسوأ من سهام الفلك وحجر المقاليع

وإن اكتحل المشتاق بتراب قدم حبيبه كان به جلاء بصره وشرط الوفاء أن تجعل من روحك ترساً إذا استل حبيبك سيفه ليهاجمك فلا تهلكنى ربى إلا بيد حبيبى حتى يتعلق به نظرى وقت أن أسلم روحى

كل ما ترميه قدم الحبيب سواء روحك أو رأس عجزك ضئيل محتقر

قد طأطأنا برءوسنا وأنت معك السيف والتاج ، والسيف الذى يضرب الجميل به عنقى هو تاج العزة ، ويوم عزة المشتاق ووقت ظفره حين تدق عنقه وفاء الحبيب

ومن يخشى البلاء ويحزن لقتله عاقل ، ومسلك المجانين يخالف مسلكه ولا يمكن

قص حرقة العشق على أنصاف الناضجين ، والفج يجهل عذاب المحترقين فراع حبيبى قلب سعدى المنكسر وأنت تعلم أن آهات المحترقين ذات أثر

***

ما الذى أرميه تحت قدمك ويجدر بك ورأسى ليس بالشىء اللائق بقدمك ، ما أسعد الوجه الذى يكون بمقابلتك كل عمره وهذا لا يتأتى له إلا برضائك

وليس من ذرة ثم كافة أشلائى أنا المسكين إلا وهى متعلقة بهواك ، وما دُمتَ حالاً بقلبى أيها السرو المستقيم فلا أرضى بدلك عديلا وفائى لك لو ضربوا من طينى طوباً أخضر ما أفرغت قلبى من حبك ووفائك ، وغايتى أن أضحى من أجلك ، ولا نخشى الموت إذا أنت بقيت حياً

وأنا كالفراشة أمامك يا شمع الجمال فإن احترقت فالذنب ذنبى لا ذنبك ، والعجب من ذاك الذى رآك وسمع حديثك ولم يشتق طوال عمره إلى لقياك

ما أسعد نواح المحترقة قلوبهم بسبب آلامهم خاصة الألم الذى يؤمل أن تكون أنت علاجة

لا يساوى ملك الدنيا شيئا مع همة سعدى ، وحسبه تملكاً أن يكون شحاذاً على بابك

***

أى سرو هذا يتطاول برأسه ويستلب الأعنة من أيدى القلوب ؟من الذى ولد هذه الصورة المنظورة المحبوبة ؟ أنا أجهل ما سيتولد من هذه الصورة

لو رأيته مائة مرة تغيم الرؤية في عينى كأنى أرى الشمس ، ليس له فى عهدنا كفوا أحد ، ولكنى أخشى ألا يظل قائماً فى عهدنا ، وكلما زادت محبتى له زاد فى عدم الاكتراث بى

لا يجب قص عشق الحبيب فإن قصصت فليكن حديثك مع من يشاركك همك ، وسل المسهدين عن طول الليل

لأن الليل قصير عند المتنعمين بالنوم ولا مهرب لى منه سواء أوصدت بابى دونه أو فتح بابه لى

فدع من يصارعه حتى يخور عاجزاً ، وإن حرم إهراق دم سعدى بلا سبب لكن إذا كان هذا مراده كان حلالا

***

لا فوت للبساتين من سرو مثلك لكى تزدان به ، وإذا خلت جميع البساتين من السرو فلا بأس

لا يسع العقول ولا يأتى فى الأوهام أن ملائكيا سيتولد من صلب آدم

قد اختطفت شفتك العليلة قلوب المشتاقين حتى لم يعد بالمدينة بأسرها قلب واحد يجذب الاهتمام

لكل إنسان رغبة وأمنية إلا أنا عبد أمره حبيبى أنتظر ماذا يأمرنى به ، ولو طارت رأسى فداء قدمه لسهل الأمر ولكنى أخشى أن يلوث يده بها .

حقا لا تنبغى حياتى بالدنيا بلا حبيب وأنى فائدة للدنيا إذا لم أنشغل فيها بحبيب ؟

العقول فى انتظار مجنون من سعيد الحظ الذى سيفتح له بابه إذا طرقه ؟وأخشى ألا تميل ليلى إلى الوفاء إلى المجنون فلا تصفو مآقيه من دماء قلبه

ذاك العنيد القاسى لا يترفق بالمرضى لعله إن عاد يترحم على قتلاه فأعطنا ياساقى وخذ ما أردت من متع الدنيا فالعمر لا يبقى وعهدنا هذا لن يدوم ، ويقولون لماذا لا يتورع سعدى عن العشق ؟ إننى ثمل بالعشق ولا بد لى من عقل مفيق

***

لا فوت للفراق من قلب صلد وقلبى لا يقوى على الشوق فما زلت أدعولك مع نقضك كل عهودك معى فتعال وإن شئت أن تسبنى بما تحب ، ولو اشتروا روحى حتى لا يزيد على أحد

فاقتلنى بوسع قدرتك فلا يصيب العبد خلاف ما أمر الله له ، الأحياء والأحباء لا يميلون إليك وحدهم فحسب ، بل إن الموتى تستريح أرواحهم بنسيمك فلا تسل عن حال قتيل عشقك يكفى أن كل من يرى يشفق عليه ويتطلف أبوك الذى كان يترجاك من الله فلذة لكبده لم يكن يعرف أن الفتن سوف تتولد منك ، فلا توصد أيها الغبى بابك أمام الفقراء فإن أوصدته فتحه الله .

فإن كنت متعطشاً إلى دم سعدى فهو حلال لك فعش مخلداً لأننى نفسى لن يدوم عمرى

***

لا تخلد إلى النوم الذى يزيل الأحلام من عينيك إذا كانت مشاهدتك تتصور فى خيالك ، هذا هو مجال الصبر لدى ، ومنتهى التحمل فلا تنشد بقاء وثباتا بعد ذلك لأن العمر لا يبقى طويلا

أى هدية أفضل من أن ترى محبيك ؟ تعال أنت نفسك ولن نطلب بعدك شيئاً ، ومع أن الحسان فى الدنيا كثير ، لكن شمسك إن أشرقت أحرقت سائر النجوم

قصرت الماشطة يدها عن تزيين طلعتك فقد استحت أن تزين الشمس ولن ترى فى العالم حبيباً فى لطف حبيبى فهو يعادينى فتزيد محبته عندى ، ولن أبخل فى طلبك بكل ما أملك فأى قيمة لقلبى وقدر لروحى أمام قدرك ؟

لن يشفى المريض بعشق تساؤلاته وإلحاحه إلا مطاوعة حبيبه والقيام بما يأمر ، ولو أن آهات صدر سعدى تقتل حضرة الحبيب فليس ثمة فائدة لأن العدو نفسه يتطلف بسعدى ويرفق به

***

إن ولجت ثملا اختلط العالم وثار غبار تراب وجودنا مفارقا العدم ولو يسقط قبس من وجهك فى أركان العقول لتصاعدت من الحرم زفرات المعتزل الروحى وآهاته

فاعقد بأرواح العاشقين باقة ورد من الأمل حتى تخرج الأشواك من قدم سالكى طريق الهم

قلت سوف أحقق رغبتك فى لحظة ، ولم تتحقق رغبتى فيك وأخشى أن تنقضى لحظاتى

وقعت فى العشق وإننى أدرك مسبقا أن بذر التعشق لا يتفرع منه غير فرع الندم

يسائلنى رفاقى : إلى متى جنونك ونواحك ؟ الجنون ينشأ عن العشق والنواح من الغم

ضاع قلبى وروحى وبقى صبرى وعلمى ، ومع أن ألمى هو تألمى منك إلا أنه بقى بى هو أيضا

شَدَّ ما ينتحب سعدى كل لحظة من حرقة عشقك حتى إن الدخان يتصاعد من ريشته من فرط حرقة شعره

***

ليس عشقًا ما يصعد من القلب إلى الفم وليس عاشقًا من يسلم بروحه من معشوقه

قل لمن يغضب من لوم الناس اذهب واجلس بركبتى السلامة والدعة لأن السفينة التى تسقط فى هذه الورطة التى تهدر الدماء لم تسمع أنها وصلت إلى البر سالمة أو أن مسافراً تاه فى هذه البادية قد ظهر له خبر واسم وأمارة مرة ثانية

لا تغمض عين رغبتك التى فتحتها لرؤية حبيب ولو بدت لك السهام والأسنة ، لأن العاشق هو الذى يتقدم إلى سيف البلاء راقصاً وهو ذاهل عن نفسه من فرط سعادته بالسماع ، وحاشى لله ان أدير وجهى عن سهم أعلم أنه ينطلق من يد حبيبى وقوسه ، يرون القتيل ولا يعرفون القاتل لأن قوسه وسهامه خافية عن نظر الناس وقد بلغ بى أنس دخيلتى بك حد أننى أملُّ جميع الناس بالدنيا

وشرط العشق ألا تشكو حبيبك اللهم إلا إذا حكى لسانك عن شوقك وكل صراخك هذا يا ياسعدى ليس بدون ألم ، بل إن بى ناراً يتصاعد الدخان من أعلاها

***

لك رأس لا تطأطئ إلينا ، ولى قلب لا يصبر ، وأى عين انفتحت على وجهك كل العمر ولا تنسكب عبراتها على خديها ؟ ولا يمكن أن تغيب على جمالك إلا أن الشفقة والمحبة لا تظهران من طبعك وخلقك وأى جور لم يقع بالعاجز المسكين الشبيه بالكرة من ثنية صولجان ضفيرتك المسكية ؟ لكن لو طعن قلبى الجريح بألف طعنة منك ولو أقل إنها مقبولة منك لكان كلامى مرفوضا

يظنون أن نار المعنى ماتت فى عود صدرى المحترق فلا يفوح منك الشذى وأى عاشق لا تتصاعد زفراته المتألمة ؟ وأى مجلس لا يضج بالجلبة ؟ وأيضاً إن تخمد كل نار فإن ثورة عشق سعدى لا تخمد فقد شاب وما تغير

***

يأتى من جنة الفردوس شىء واحد : إما نجم يعبر أو ملك يأتى وكل قطعة سكر تنزل من عالم الغيب هى ملح على قلوب الأعزاء المجروحة

تبلغ نفسى خدمة وطاعة مالم تنته أنفاسها فى عمرها ، وما بقى غير نفس واحد ، فيا سعدى إن جيش سلطان آلامه يستولى على أقاليم الوجود ويرسل طلائعه تباعاً

***

اثبت ياصبرى فقد نقض الحبيب وعده وخرجت أمورى عن يدى ولم يأت حبيبى فى يدى

ثارت الزفرات من قلبي وغاصت عيني في دمائها فأى شيء صدر مني يارب حتى هجرني الحبيب ؟

ليس لي في عشق الحبيب صبر وفضة وذهب ، لكن ماء عيني ونار قلبي كلاهما رفيقاي

لما رأى قامتي بصفة القوس قد تقوست من الفم نهض من جانبي فجأة كالسهم المارق

قد عقدت خصرك يا سعدى بعبودية ولكن لا تهمز ولا تمن لأن حبيبك لم يلتزم التزامك

والآن وقد صح عدم وفاء حبيبك لك فحطم الآمال بقلبك فقد حطم حبيبك عهوده

***

كل ليلة أرى فكرة مختلفة ورأيا مختلفا وإنني سوف أتجه إلى مكان آخر بالغد بسببك

وحين أخطو بالصباح خطوة من منزلي لا يدعني حسن عهدي بأن أزيد عليها خطوة

لكل امرئ رغبة في شيء أو أمل في أحد وليس لنا أمنية في غيرك لأنه لم ينعكس على مرآة الوهم صورة وقامة أخرى في مثل جمالك

قد التاث عقل (وامق) جنونا (بعذرا) وأنا وأنت اليوم وامق وعذرا آخران

آن أوان ازدهار الورد والسنبل بالصحراء وقد خرج الناس زرافات ووحدانا كل إلى صحراء فتعال بالصباح لتتريض بالخميلة حتى لا تنشغل بالاهتمام بغيري .

بكل صباح يظهر لي همٌّ من انقلاب الزمان فأقول أضف هذا الهم إلى همومي ، ثم أعيد القول إن الحياة ليست كلها حياتنا على الأرض فتحمل ياسعدى اليوم ، وغداً له شاعر والغد له شأن مختلف

***

الولد الجذاب والقمر الخلاب يفرون من الجميع ولا مفر منك ومنذ أن تصورك قلبى الواحد لم يعد مكان لتصور غيرك فى ضميرى

ينحون عليَّ باللائمة : إلى متى تتعقب الحسان ؟ وكيف لا يسير الأسير كالعبد ؟ والمصفد بسلسلة ضفيرتك لا ينجو سريعاً ويتأخر من غاص فى القار فى الوثب والقفز

حين تمر أيها الفتان السروى القد الفضِّى الساق ولم يشهد أحد فإما أن يكون ميتا أو ضريرا ، وإذا لم أتحمل دلال الحبيب فمن الذى يشابهه ؟ إن من لا نظير له يحق له أن يدل ويتباهى .

وقامة السرو الجميلة التى بالغوا فى فى وصفها هى عالية بالصورة دانية بالمعنى ، وما أشاح بوجهه عن السيف من طلبك ، وما تراجع عن السهام من هواك

ألثم قدمك كالعبد ولو ضاع فى ذلك رأسى فارع جانبى ولو أنفق سعدى فى وصالك دمه وماله فهما ثمن بخس لمقامك العظيم ، فإن لم تكترث بنا ، وفى غنى عن كل الناس فنحن بك مستظهرون بكل العالم ضعفاء

ما أعظم مجد من ترجع من داره ، فهلمَّ والحمد لله على سلامتك ، أين كنت ولماذا أظهرت وجهك الذى لا أتصور راحة بدونه ثم أخفيته ؟

ماذا فعلت بعينيك المغمضتين الحلوتين الآسرتين حتى لا تفتحهما على وجهى ؟ وأنا لن أخون عهدك سواء فكرت أو لم تفكر بى لأن شراب وصلك أزلى فى حلق روحى ولا أزال سكران بكأس معرفتك

وقلبى الذى أفقده على ناصية ربعك هيهات أن يعود إليه نوره مالم أنعم بالنظر إليك ، ولا مناص لك من التحول إلى المدن الأخرى لأنه لم يعد بهذه المدينة قلب لم تختطفه

عامة الناس تلوم الصوفى بسبب أنه لم يرجع عن هواه وطبعه فإن أدركت حلاوة الثمالة أيها المفيق فلن تذكر الزهد والورع مرة أخرى طول عمرك ، وإن منحت نوالا مثل سعدى من العشق فلن يتحول طبعك ثانية عن الشحاذة وطلب النوال

***

كل من أخلد إلى النوم بدون حبيب لا أشك أنه يتمتع بالصبر ويحظى بالاستقرار لأن النوم لا يفارق العين التى فاض عليها سيل الألم

إن أسير العشق لا يسعى بنفسه إلى الشباك بل يحمله إليها غيره وماذا يفعل المقيد بأسر إنسان غير أن يقاسى جفوة حبيبه ؟ ومن احتاج إلى البلاط فيلزمه تحمل البواب

لا فوت من مرارة الحبيب وحلاوته وشوكه ورطبه وسمه وترياقه ، وهذا المثل ذائع وهو أن المستسقى لا يرويه نهر دجلة ولا يزول من العاجز المسكين حب أحبابه وإن فاضت روحه من جسده فأنت ياسعدى كبش الفداء ، فمن الذى يشكو إليه من جزاره ؟

***

ما أحلى المرض الذى يؤمل علاجه ولا تطول الصحراء التى لها نهاية ، وليس من شرط المحبة غير أن تجعل من روحك ترساً أمام انهمار سهام الحبيب من قوس حاجبيه ، ومن تمنى البستان عليه أن يتحمل حارسه

ويحرم وصل روح الحياة من يهتم بروحه وحياته ، ولا يجدر التراجع يأساً عن الكعبة ، وأقل شىء أن نموت فى الصحراء الممتدة إليها ومع أننى ناقص وجاهل فما أعرفه هو أن زجاجى لا يغالب سندانه ولكن احتمال الحبيب الأثير مع كافة عيوبه واجب إذا كان لا يحتمل هجرانه .

ولو أصاب وجهى ألف سهم من جفائك فمن الجفاء أن أغمض عينى خوفاً من سهامك والوفى القرن الذى يخشى على حياته إنما هو مدع زاعم لعشق حبيبه

لا تتوقع من الحكيم الذى ضاع قلبه وتاه لبه أن يعود إلى الصلاح والاهتداء ، وإن أمكن وجود وردة تشبه وجهك فى الآفاق فلا يمكن أن يكون بلبلها مثل سعدى

***

من اهتم بروحه قل له لا تدع حب روحك وآلامى هى مسببة عن طبيبى فمن الذى أطلب منه دوائى وعلاجى ؟

ومن تعلقت رأسه بشباكه ما استطاع التحول إلا بأمره ، وماذا يفعل العبد الحقير الفقير إلا أن يكون طوع أمر سلطانه ؟

ولا مفر للمحب العاشق من لوم أصحابه له ، ومن غرق فى البحر الأحمر هل يأبه بهطول المطر عليه ؟

بلغ الورد غاية نضجه فدعه حتى يشدو له بلبله ، والعقل وإن كان له ألف حجة فإن العشق يدعى بطلانه

ومن أصابه سهم العشق مرة بقى نصله مغمداً بجرحه وظل يبكى وينوح كالأطفال لأنهم يجهلون ألمه الخفى

فحذار أن تبوح بحديث العشق وإن بحت فهات براهينه ، والعاقل لا ينزل فى الماء حتى يرى أولا كم عمقه ، فإن بقيت ياسعدى لحظة بدون حبيب فلا تعدل به كلا العالمين

***

كل من تجنن بك ما اهتم بكل ما بالدنيا ، والناظر إليك كيف يقلق خوفاً من غيرك ؟

من يتعقب أثرك هو من لا يتعقب مصالحه ؟ ومن فكر بوصلك ما اهتم بروحه ، ومن لم يتحمل حبيبه لا تسمه محبًا ، ومن لم يصطبر على الملامة فى عشقه فلا تدعه رجلا

إذا خرج القلب عن السيطرة كالسهم من النشاب ما أمكن إعادته إلى قوسه ، والعاشق الصادق لا يتحول عن عشقه بسبب جفاء أو نميمة ولا يغمض عينا إن ضربته بالسهم والنصل

والميت تحت ثرى قبره إذا مررت عليه بغتة فلا عجب إن ارتدت روحه إلى رفاته

الخمائل تستحى من قامتك البهية السامية فلم ينبت بها أبداً مثل سروك المستوى

قلت سأخرج من ورطة عشقك بالصبر وها أنذا أرى أن البحر لا يبدو ساحله ، وعهدى معك ليس بالعهد الذى يتغير وإنما هو بستان لا تضره ريح الخريف

أى ذنب اقترفت فرأيت أن تقطع علاقتى بك ؟ليس صواباً أن تطرد عبداً لم يجرم ولم

ما بلغت آهات سعدى طرفا من العالم ، ولم يصدق من سمعها أن صرخاته تعالت بسبب آلامه

ولو أخفى أفلاطون مرض عشقه بحكمته فإن الحجاب سيسقط فى النهاية عن سره الخفى

***

القيامة بحضن تلك القامة والشراب السلسبيل من ذاك الينبوع اللذيذ

ذاك اللعبة الجميلة عبد من وهذا الذى حيّرنا عبيده المسترقين إليه ؟ إنه معشوق ملكى الهيئة من سحر عينيه لم تكتحل عيناى البارحة بنوم .

لا تأتى ذكراى فى خاطره وقتا وهو الذى لا تفارق ذكراه خاطرى ، ويحل له أن يسفك دمى ، ورأسى وهى تحت قدميه أشهى عندى من أن تكون أعلى منكبى

من ينصحنى بتركه لا عقل له ، فقل اذهب واسع إلى مصلحتك ، ولا يصح إخفاء الطبل تحت الكليم عن الناس والناس تحت غطاء الرأس

فتعال إلىَّ حبيبى ولو رآك عدوى فماذا سيفعل ؟ قل له انظر ومت بغيظك ؟

أنت عنا ساهٍ ونحن معك دائماً وتنبعث منا الصرخات وأنت ساكن صامت فسل غيرى عن سيرة حسنك لأن سعدى فيك حيران ومدهوش

***

قد وضع يد حسرته على رأسه من يطلب أن يضمه إلى صدره ، ومن تنعم بالمنام فى راحته متغلبا على همومه فقد تفرد فى جهله بما يجرى من أرق وهم على أقرانه .

البلغاء يبالغون فى نصحى فأصرخ فيهم بالصمت فلم يعد بأذنى موضع لنصحهم بعد سماع صوت حبيبى الأهيف وجرسه الأفصح ، وما دامت أمارة من ذاك الملكى فى خيالى يرتد إلىَّ أنا المجنون عقلى ، لو قالوا لى غض طرفك عنه فأجبهم بل استروا وجوهكم

لا يجدر سد ينبوع عينى وبحر دخيلتى يهدر ويصخب ، فتعال نشرب كل ما يناولنا المحبوب ، ويستوى أن يكون سما أو شهدا ، ودعنى على تراب طريق الحبيب وقل لعدوى امض واسع فى قتلى فليس سعدى بالناقص عهده حتى ينسى حبيبه وهو فى خضم الشدائد .

***

طاولت السماء برفعة هامتى من حسن طالعى حين صحبتك فى طريقنا إلى الصحراء ، قد قضيت عمرى كله أحتال الحيل لطلبك وتشردت سنين منك أتدبر حل واقعى معك ، اليوم غاصت قدمى فى كنز المراد وتحققت إربتى وفق مراد قلبى

فكيف تيسرت أيها الدر الأنفس من البحر ؟ وكيف حصلت عليك أيتها اللقمة الأكبر من الحوصلة ؟

تاج ملك ملوك الترك جاء للمغبر الشعر ، وخيمة السلطان قدمت إلى ساحة الفقير ، فلا عجب إن هنأ سعدى بشهد وصالك وقد ذاق اللدغات سنوات من نحل متابعتك

***

إن قبلتنى أو دفعتنى عن صدرك فلن أعرض عنك ولو افتديتك فأنت أدرى إن بى تلطف أو قذفت بما يحدثك به قلبك بناء على رأيك الأنور

ومع أن نظرك إلينا منَّة منك وثواب فإنك تعتنى بعبدك وحشمك ولو حكمت بدفعى من أمامك فلن أترك خيالك إذ يلوح أمامى

لا يفيدنى نصح الغريب فأنا راض بأن يصفعنى حبيبى الظالم ويضرب المثل بصبرى عن وجهك كأنه صبر الرضيع عن لبن ثدى أمه ويحق لك أن ترمى جميع الناس من نظرك لأنك لا ترى أحداً بمثل حسنك ومنظرك

قد قلت أفتديك بروحى عشقا لطلعتك فعاودنى الحياء من أنها أحقر من مقامك ؟ هل تلقى بالاً أو ذكراً لصحبة سعدى ؟ هيهات كم أنا مفرط فى خيالى وأحلام يقظتى بك ماذا سيصيبنى من شوقى المتغلب علىَّ هذا أتدرى ؟ هل ما يصيب النملة من ريشها

***

كل من يؤثر حبيبه لا يتخذ من دونه حبيباً آخر ، فبادر إلى جدارك ياحاذق اليد ماهر العمارة قد عقد حزام طوعك كل من تأمره لكن الأولى أن تأمر خدمك أنفسهم

قلت من أول يوم إن روحى فداء وجهك ، وليس من شرط الرجولة النكوص عن الوعد

يجيبنى كل من أسأله عن آلام عشقك قائلا أنا الذى تسألنى قد عجزت بنفسى عن حل مشكلتى معه

الصبر كالفراشة لابد من حرقها يا من تعشق من يفوقك قدراً ، وما دمت تجليت لى فما توجب أن تكسر قلبى ، أوما كان ينبغى لك ان تتجلى لى أصلاً

أرباب الحسن لا حد لجمالهم لكن للأسف لا يهتمون بالمهومين بحسنهم ، وظننت أن عقلى سوف يحل محل مشكلة عشقى لكننى على ظنى بعد ذلك فأبلغ كل من يحب أن يتحدث فى حقنا بكل ما يريد ، لن أقصر يدى عن ذيل محبوبى .

لن يشغلنى شىء عن كلام حبيبى يوم القيامة حين يكون لكل امرئ شأن يغنيه فلا تتحدث عن الورع والزهد ياسعدى فى ربع العشق فلكل متاع مشتر فى سوقها ولكل كيلة كيال .

***

الرفيق الرءوف والخل يحبه الجميع وأنا أيضاً ، والنظر إلى الحسان رسم معهود ولم أبتدع أنا فى العالم هذه البدعة ، وأن ادعيت الورع فإننى مصدقك والله أعلم ، وإن قلت إنك لا تميل إليَّ فلن أسلم بهذه الدعوى ، وإن قلت إن العشق ذنب وإثم فقد كان هذا ذنب حواء وآدم الأول .

ومن أسرته شباك الحسان لا يدرى مدحه أو ذمه وليس لى فى الدنيا أى مرهم يساوى يده الرحيمة حين تمسح على صدرى الجريح فأدر أيها الساقى كأسك المترعة وتعلم من الفلك الإدارة الكاملة .

إن علمت أن الدنيا لا تستأهل همها فاسعد بطلعة أحبائك واهنأ واغتنم كل وقتك فكل يوم كما تعلم بقى من عمرك سوف ينقص منه فلا تثق ببناء عمرك ياسعدى لأن أساسه واهٍ غير محكم

فاذهب واسعد أيها الرفيق المبتهج الفؤاد ولا تحزن لأن حياتك منتهية

***

مضى زمن وأنا هائم مجنون بطلعتك وليس لى من مضجع فى تراب ربعك وحق عينيك اللتين تفوق حظى هيجاناً وانقلاباً إننى أكثر تبعثراً وتشعثا من شعرك بسبب وجهك

قد قلَّ عن العدم فى ميزانك لى نقد كل عقل كان موجودا بكيسه ظنى ووهمى ، وليس من مواسٍ مقرَّب يحدثنى عنك وليس من محرم كاتم للأسرار يأتيك بخبر عنى

لن أغمض عينى عنك ولو أطلقت عليها سهامك إلا أننى أخاف أن تعمى نظرى عنك ، ولأننى أنا المتحنث فى محراب حاجبيك فإن الناس يتابعون حديثى عنك

ولن تدق يد الموت وتد خيمة عمرى لو دقت السعادة خيمتى بمواجهتك فلا يذهب بك ظن أننى سأتحول عن بابك بسبب العذل واللوم فأنا رهن إشارتك ولو قطعتنى بسيفك

وما أحلى كلام شعرى منغما بلحن العشاق فأمِط الحجاب عن وجهك يا حبيبى التركى فأنا عبدك الهندى

***

أنا لا آنَسُ فى نفسى مقدرة على أن أرغب عنك فأعنِّى حبيبى فقد زايلتنى طاقتى ومقاومتى

بلى جسدى وذهب عقلى ولا يزال عشقى باقيًا ، ولو ضننت عليك روحى فلست مشتاقًا بل كذابًا

فهات أيها الجميل الساقى ،لا أقول بضعة من أقداحك بل لو حببت نهر جيحون فلن ترويني وتبل صداى

وجهك محرابى أُولى إليه وجهى فى بلاد المسلمين ولن تحولنى عن محرابى ولو قاتلنى المغول

ومرادى من دنياى وآخرتى أن أعيش لحظة مع حبيبى ولا شىء بعد ذلك قبل رحيلى عن الدنيا

قلت أهيم على وجهى بسبب عجزى فى العالم مجنونا لكن الوفاء بعهد أصحابى يعقل قدمى عن التولى عنهم

ألم تقل أيها الحبيب غير الوفى أنك تحبنا ؟ فهلم إلىَّ وأدركنى فقد أوشكت على الغرق

ألا هب يا نسيم ربيعى فإن الشتاء قد حل ومست الحاجة ، وأقبل قمرى المنير فأنا مشرد بالصحراء ووسط الظلام

وما حياة سعدى ألا موته على تراب بابك ولا أعرف بابًا آخر فلا تحرمنى بابك

***

أنا حُر مختار من يوم أن أسرنى ملك متملك حين وقعت بيدك أسيراً ، ولا تؤثر فىَّ جميع هموم الدنيا من فرط سعادتى برؤية حبيبى وما أسعد اليوم الذى تفيض فيه روحى فى طلبك ويأتى الأعزاء ليهنئونى .

وأنا الذى لا أدق خيمة أنسى فى أى مقام قد ألقيت رحلى أمامك وأسلمت فؤادى

أتدرى ماذا أبتغى من المجد والصلة ؟ لا شىء ، فقد محا تذكرك مصالحى من ذاكرتى

وحق وفائى لك إننى منذ أن أسرت فؤادى لم أضمر الوفاء لغيرك ولم أفتح بابى إليه ، ومادام خيالك وقوامك وقدُّك فى فكرى فإن جميع الحسان الأهايف عندى كسرو الحديقة

لا يسع وصف عذوبة منطقك ، وأى شىء أعجب من أنك عذب مثل (شيرين) وأنا (فرهاد) ؟

وأنا لا أملك من العدة والعتاد ما ألقى به كالتراب تحت قدمك فأنا لا أعدو أن أكون كطبلة خاوية يملؤها الهواء

ويبدو أن جفاء الزمان لا يقصر بيده عن ذيلى حتى ينقض أساسى ويظهر أن المجاهدة لا تغنى مع سابق حكم الأول فاستسلمت إلى القضاء

وما بيدى غير تحمل جور الزمان وليس من منصف آخذ منه حقى ؟ وقد برمت من صحبة شيراز ، وحان الوقت لكى يأتى خبر من بغداد بطلبى وليس من شك فى أن صرختى قد وصلت بغداد ، والعجب من أن استغاثتى لم تصل إلى صاحب الديوان

وإذا كان سعدى حب الوطن قولا صحيحا لكن لا يمكن أن أموت وأنا أُعانى الصعاب بشيراز لأنى ولدت بها .

***

نقض عهد مودتى حبيبى الآسر وقطع حبل حبى ووفائى خلِّى الضعيف الآصرة ، وأقسم بتراب أقدام الأعزاء إننى صرمت قلبى بسبب حبى حبيبى عن محبة الدنيا و الآخرة .

لا أرضى من عدوى السفاح ذاك التطاول الذى صدر منك نحوى بدافع من الحب فإن قطعت ودك ونقضت عهدك فأنا مقيم على عهدى ووعدى وميثاقى

فأعطنى أيها الساقى الشمل قدح خمر العشق على رغم الناصح الذى يعظنى ، فلست ذاك الذى يقبل نصيحة العقلاء ، وقل لأبى إننى ابنه الذى لا يختشى وينزجر

قسماً بتراب قدمك وبأرواح الأحياء القلوب إننى أتمنى الموت تحت قدمك فتعال أيها المعشوق فلم يعد غير ضفيرتك لى قيداً من فرط تشعث فكرى ، ضحك قائلا : اضرب ياسعدى صفحاً عن كلامك هذا ، فإلى أين أولى وجهى وأنا حبيس سجن العشق ؟

***

نكصت عن وعدك وكنتُ ملتزماً بعهدك شاكراً لنعمتك وربيب إحسانك ، وماذا بيد العبد إذا لم يتحمل الجور ؟كان كاهلى ينوء بالأثقال وممتثلا لأمرك ولم تورم أشواك عشقك قدر نشاطى بحيث أنسى نضارة خضرتك وبستانك.

وأدركت قدر ليلة وصلك يوم هجرك فواعجبا من جهلى قدر ليل وصلك ، وإذا سئلت فى الآخرة عما حصلته من الدنيا لقلت حسبى ذاك اليوم الذى كنت فيه نصيحة حبيبى ، ومن الذى يرضى بأن تنسى عهدك القديم ؟

قسماً بوصلك إننى لم أكن أستحق هجرك ، فما أسعد اليوم الذى ترجع فيه ويقول سعدى :أتيت آه كم كنت مشتاقًا مبلبل الفكر.

***

إنى لأصب الجفاء حين أتحمله من الحبيب لكنى أتحمله منه وأنا أتعثر لأننى لا أقدر على جفائه

أنجو بروحى من يده لكى أرمى بها تحت قدمه حتى لا تعتقد أننى سأنجو بحياتى منه

وإنى أعانى القلق والقمر كل لحظة من ظلم ذاك الحبيب القاسى حتى يطل علىَّ فسواءٍ علىَّ أن تدعونى بلطف أو تطردنى بقهر كما تريد فأنا عبدك ولا مفر لى طوعا أو كرهًا من تنفيذ أمرك .

علاج داء العاشقين هو الصبر وأنا المجنون لا يسكن بى ألمى ولا أصل إلى العلاج فسر ياحادى القافلة رويداً وأصبر على العاجزين فأنت تحمل الحبيب وأنا أحمل الهجران .

قلت سأقضى ليلة من عمرى معه والآن بسبب عشق وجهه تنقضى أيامى وقد عزمت على مفارقة وطنك ثانية يا سعدى فلماذا أحمل شكواى إلى ملك الترك من ذاك التركى الجميل ؟

أنا نفسى أجهل إيفاءه قدره حين أصف شمائله وأنا حامل التمر إلى هجر والورد إلى البستان الذى يحمل منه الورد

***

من فرط وطأة حمل فراق الأحبة على لبى أصبحت أسير على قدمى وتأبى ناقتى أن تحمل محملى ، لأن الناقة تلقى بأحمالها حين تصل إلى منزل من منازل الطريق ، أما أحمال قلبى فتظل ثقيلة ولو طويت ألف منزل

فيا من تسوق الإبل اصبر ولا تسرع فإنك تجرنى من ناحية وتجذبنى سلاسلى إلى الناحية الأخرى .

وقد هتك الهوى ستر متحمل الجفاء فالطريق من أمامه وقلبه يدفعه إلى خلفه وهذه الواقعة هى مشكلتى .

كيف يفارق ذكرك لسانى وفكرك جنانى وهما يجريان بعروقى وفى مفاصلى ؟ قد انشغلت بك حتى غبت عن كل شىء وغصت فى فكرك حتى غفلت عن سائر الخلق .

إن نظرت إلي أوراق شجر صبرى وإلا فماذا سيثمر نبت أملى الباطل ؟ لن تبيد فيك ياسعدى سنة العشق ، بل إن ما يخرج من قلبى متأصل فى طينتى ، ومع كل علمى فأنا عاجز عن إدراك دواء العشق ، ومع كل عقلى فأنا جاهل بحل مشكلة حبى .

***

لم يهجس قلبى بفكر أحدٍ ما دمت بخاطرى ومن يماثلك فى العالم حتى أفصم عنه حبى ؟ وحين أولى وجهى إلى الدار الآخرة أذهب مكتويًا بحرقة الحب لأن كل ما ينبت من طينتى بحاجة إلى دواء المحبة .

وأموت ولسانى يظل يهلج باسمك ، وأنهار حبك لا يزال يجرى فى مفاصلى ، وصرفت حاصل عمرى فى طلب وصالك ، وإذا لم تقبلنى برغم كل مساعيى فما هو حاصلى ؟

فلتكن الأمانى هى دافعى فى طلب هوى القلب إذا لم يعادونى زمانى المقبل ، ولا أليق بعبوديتك بلا فضل وقيمة ، فإن قبلتنى فإنى لذو فضل مع كل نقائى .

لن يطالبك أحد بديتى إن قتلتنى بالباطل لأننى عبد لقاتلى ، فهل من ريح الصبا تبلغ إلى الساحل سفينتى التى أحاطت بها المياه وأغرقتها وصيرتها أخشابًا ؟

زال بالكلية السرو من ناظرى والبستان ، ولا يزول الصنوبرى الذى تأصلت جذوره بقلبى .

إلى أين يصل فكرى فى طلب وصالك ، إن كل ما بذاكرتى ينمحى وأظل غافلا عنك ، فجيش العشق ياسعدى ينهب العقل فلا تظن ثانية أنك عاقل .

***

لا أدرى شيئاً عن ذاتى بسببه ما دمت أدرى ، ولا يصدر منى صوت ينبئ عن وجود مع وجوده هو ، وأمزق قميصى لحظة بعد أخرى من غاية شوقى لأنه صار هو كيانى ووجودى وما أنا غير قميصى هذا.

فلا تقم بأفعال جنونك أيها الرقيب ولا تطلب قتالى فإنى أزيل بصرى ولا أزيل بصرى عنه ، ولو افترضت أنا نفسى أننى لن أبوح بما يجرى لى فإن العدو والحبيب جميعا سيعلمون بحالى قياساً على كلامى.

لم تجتمع جماعة فى كل البلاد إلا وكنت قصتهم التى يحكون فيها أحزانى وآلامى من جرائه ، قد انفصل عنى ولم يأبه بآلام قلبى ولست أنا بالمستطيع أن أنفصل عنه .

إن نفس هذا الاحتراق لو حدث لى فى قبرى أنا المسكين فسوف تجد كفنى محترقًا لو فتحت على قبرى ، فإن كنت متعطشاً للدم فهاك أنا ولا تخش رأسى فإنها بقيدك أفضل مما هى عليه لو كانت بأعلى جسمى .

ولو ثار الرجال والنساء علىَّ ليؤذونى بسببك فأنا من النساء لا من الرجال إن تحولت عن وفائى لك

ويفرض العقل أن يفر الناس من السهام وأنا سأظل مفتوح العينين لا أخشى السهام إن كانت من يدك . أخاف أن أشعل الدنيا بالثورة إن تحدثت عن منطقك العذب.

أين شفتا سعدى من ثغرك ؟ يكفيه أن يجرى ذكر شفتك فى ثغره .

***

بدون أن يجرى حديث عشقك على لسانى يخبر لون خدىَّ عن حالى الخفى ، وأقول مرة : أبكى من تفرق حالى ، ثم أعود إلى القول : هل يحتاج العيان إلى البيان ؟

لا تحمل زاوية خاطرى ذكراً لأى شيء بالدنيا والآخرة فعيناى بك منشغلتان وأنا غير دار بتلك الدارين

فإن رأيت وجهى أنا الشحاذ والمسكين يتجه إلى أبواب غيرك اطردنى عن بابك .

أفكر فى أن أفتديك بروحى ولا أفكر فى تخليص نفسى من أسرك فإن (حلا) زمانك فانظر إلينا نظرة فأنا (فرهاد) زمانى لجنونى بعشقك .

لا أطيق الغربة ولا تفكر فى القربة فأسلمت قلبى إلى الصبر ولا أعلم حيلة غيره ، وقد قلت يوم أن اتخذت طريقك إننى لن أبلغ روحى حتى تخرج روحى .

يتقطر الدر من عينى حين أذكر شفتك اللعلية ، فانظر إلىَّ نظرة حتى أقطر درًّا كثيراً

قطعت حديثى ولم أكمله فنظرت ورأيت أن عمرى ينتهى وأنا لم أحقق شيئًا .

***

لو تحصلت على ألف روح لجعلتها فداء قدمك المباركة فسر فى النهاية على رأسى يا حبيبى لعلى أكون تراب أعتابك

وسهل علىَّ كل حكم تجريه علىَّ فلا تطردنى عنك أنت الذى لا تفكر فى وصالى وأنا أدرى بحظى العاثر .

وهيهات أن يشرِّف عُشِّى بازى عظيم مثلك ، ولو كانت دارى محقرة ومظلمة فحظى ونصيبى عيناك المنيرتان .

وإن ذكروا اسمك على مسامعى تصاعدت الصرخات من روحى ، ولا تمر ليلة لا يبلغ بحبيبى عنان السماء بسبب فراق طلعتك .

ألم نكن أنا وأنت متحابين ؟ فلماذا تراجعت عن وعودك وأنا لا أزال قائما عليها ولن أفرط عقد محبتك إلا إذا انفرط تركيب عظامى ولن أترك وصالك إلا عند مفارقة روحى جسمى ، وأنا مجنون لو رضيت عن ليلى بملك العرب والعجم عديلا .

أنت (عذب) الزمان حلوه حقًا وأنا عبد (كسرى) زمانى ، ومن الملك الذى يجرؤ على أن يدعى أنه مولى أكابر الدنيا . وإن زعم أن السماء هى إيوانه الرفيع فأنت سماء

أرضى فإن علمت أن السماء لا تجيز الظلم فلا تدعها تسمع صرخاتى ، وكل امرئ ابن عهده أما أنا السعدى فابن آخر الزمان.

***

مَن يستحيل أن أصبر وأهدأ عنه مرَّ بى وأنشب أظافره العشرة فى دمى وسألنى : كيف أنت فى همِّ الفراق وألمه ؟

فأجبت إننى أعانى إلى حد أننى أعجز عن وصف حالى ، ومنذ أن صار وجهك محراب نظرى أتحمل الألسنة

تحمل الأعمدة فلا تصدق أننى تحمل جفاء فيما مضى من عمرى من إنسان فأنا لست الجدار الذى يريد أن ينقض إلا إذا كنت على ناصية ربعك.

وأخشى حين أكتب شرح هموم عشقك أن تضرم النار بريشتى من حرقتى الداخلية فأين أولئك الذين عدونى عاقلا ومفيقا حتى يدلون بشهادتهم بجنونى ؟ فاستل سيفك وقل أبتغى رأس سعدى فإذا لم أنزل عنقى حتى قدمى فأنا عاشق ضنين.

***

ليست هذه الليلة التى يهجع فيها النديم ، ولا ينام أهل النعيم فى روضة الرضوان ، ورعاية ريح الربيع تحيى التراب فمن لم يحيى قلبه بالنسيم كان صلب الفؤاد ، وإنى لأجد ريح قميص فقيدى ولو أعربت عما أجد لقالوا تالله إنك لفى ضلالك القديم .

والعاشق ليس به الأذن الصاغية إلى النصح ، ولا يطيب مرضنا بعلاجٍ الحكماء . ويقولون لى تُب عن التفكير فى المعشوق ولن تبدر منه هذه التوبة أبداً فهى عندى ذنب عظيم.

فخلوا عنا يارفاق السفر إننا نحب أن نقيم ونستقر فى دار الحبيب لأن نار آلام العشق يا أخى كأنها نار التمرد وضرامها علىَّ كضرامها على إبراهيم.

إن الميت ينبعث حيًّا من تراب لحده وهو يتراقص إن مررت فوق عظامه وهى رميم ، وإنى لأطمع فى وصلك وأجزع من هجرك وليس بى فى أى شىء آخر بعدهما من الدنيا رجاء أو خوف

فأعجب بالقتيل إذا لم يقتل على باب خيمة حبيبه ، وأغرب بالحى إذا خرج من غيره بروح سليم

فياسعدى إن العشق لا يختلط بالشهوة ، ولا يقترب الشيطان الرجيم إلى تسبيح الملائكة

***

قد استغنينا عن البستان بوجه الخلان ، ونحن فى راحة بطلعاتهم إن هبت نسائم الربيع أو رياح الخريف ، والسرو الممشوق الذى هو مقصودنا إن تيسر لنا استغنينا به عن كل سرو فى العالم ، ولو استقبل غيرى الصحراء للمتعة فنحن معك بخلوتنا سعداء الروح ، وإن أسعدتنا فنحن فى غنى عما فيه راحة الدنيا ودعة الآخرة.

نحن فى راحة من البستان إن أسرى البرق الربيعى فى الغصون ناره أو نثرت الريح الزهور فقل لراعى البستان إن كان فى بستانك شقائق فأعطها لغيرى فنحن مع الحبيب فى راحة وسكون وفى هدوء ودعة

ولو عاقبنى السلطان وحكم علىَّ القاضى ولامنى الشيخ والشاب.

ولو صعد الموج بالسفينة إلى أوج الشمس أو انحدر بها إلى القاع فنحن على البر مرتاحون قد قاسينا المتاعب

ولم نشعر بالراحة فى الدنيا فآثرنا ترك الراحة والسلامة فارتحنا فى وقتنا هذا .

ولو يخشى الأثرياء ياسعدى نقص أموالهم فنحن فى راحة من إغارة اللصوص على القوافل.

***

ألا ليت ذلك الفتان العيار قاتلى يعود يومًا فأحيا بعبقه . قد هجرنى ولا أستطيع هجرانه . وماذا أفعل وقلبى ليس كقلبه مركبا من الحديد والنحاس ، ولسوف أسقط على قدمه وأنهض ما بقيت لى قدم ، وأبحث عنه وأستفسر ما بقيت لى نفس.

عاديت نفسى بسبب حبه فماذا بقى من نفسى أنا المسكين وهو يمل طبعى ؟ أى خيال هذا وأمنية حين أتخيل أنه يقبِّل شفتىَّ؟ لن يحدث هذا إلا حينما يصنع الفخار أقداحًا من ترابى ، فلماذا تخصنى يا بدر الحسان بكل طعنات فراقك ولست أنا الوحيد فى عقفة صولجانك.

حيثما أرى صاحب حُسن أُثنى عليه وأمتدحه ، وأنت من الحسن بحيث أعجز عن مدحك ووصفك ، وكان البارحة يقول إن سعدى لا يهتم بنا وهو لا يدرى أننى لن أنفصل عنه ولو انفصل عنقى عن بدنى .

***

ألا كتب الله عليه فراق أحبته وخلانة مَن أبعدنا عن أحبتنا ، فقد بلى قلبى فى قيد وحدته كالبلبل فى قفصه فى الربيع

لم يأبهوا بنا لما حُطِّمنا تحطيم النمل تحت أقدام الفرسان وكل ما أطلب الأمان

لا أرى فى خيله غير الحانثين بعهودهم ولم أعلم أن الوفاء للموفين بعهودهم سيكون بهذا النحو فى نهاية الصحبة

كنت قد وقعت على كنز عظيم ولم أدر أنه يضم أفاعى ، فإن اضطررت إلى الحب يا قلبى فعليك أن تتحمل الأكثر من الجور وما يخالف قاعدة العشاق ياسعدى أن يولوا أدبارهم يوم الطعان وما أهنأ الرأس حين تكون أسفل قدم حبيب بإخلاص وحب من المضحين بحياتهم

***

إذا لم تبلغ معانقة السرو المستقيم فلا مناص لك من رؤيته والتحسر عليه ، والإنسان الذى يبتغى محبوبًا ويعدم المقدرة عليه أن يصبر سواء استطاعه أو عجز عنه ماذا يصنع غير أن يتقيد بالتحمل ، وشرط العشق أن ترى البلاء وترقص له

وليس أمامك إلا أن تمرغ وجهك بتراب باب حبيبك إذا لم يتيسر أن تلقاه وجهًا لوجه .

وما قيمة تضحية قليلة من المحب إلى حبيبه الذى لا يمكن إغضابه ولو أزهقت لإرضائه مائة روح

يهون كلام الحسان الفظ ويعذب جور العذاب المنطق ، ولا أشك فى أن الغزال المسكى التترى يستحى منك أنت المسكى الموشى بخطوط رقبة الغزال ، وسوف أفتديك بمهجتى الغالية

حينما يتوجب علىَّ الموت أمام قامتك وغض البصر عن الوجه الجميل ياسعدى ليس بمنحه منحة قلبك وإزكاء حبك له

***

التنزه وسط الحدائق بدونك حرام ، وأفضل أن ينفذ الشوك فى قدمى عن قطف الورد بدونك ، وأن رفعت قدمى فى المجلس بدون وجودك يحرم علىَّ حراما باتًا احتساء الخمر بدونك.

تضافر جديلتيك حلقات على شقائق وجهك علَّم الصوان كيف يعشق ويجذب ، ولو أن عباد الأصنام فى الصين رأوا وجهك الذى يشبه الصنم لندموا جميعًا على عبادتهم للأصنام ، ويكسد سوق السكر فى الدنيا حينما يفتر فوك عن ضحك لك.

تدنو أشجار سرو الخميلة حتى تغدو أشواكا إذا رأت قامتك تميس وتتكسر ، ومن أكون أنا الشحاذ حتى أتحدث عن شفتك؟ وما هى سعادتى ؟ إنها فى تقبيل تراب قدمك.

يطيب لى السكر والفضح بالعشق لأنه لا يحسن التزهد مع التعشق ونشاط الزاهد بأنواع الطاعة والورع وصفاء العارف برؤية حواجب الحسان ، فلمَ أخاف وأنت تعتنى بروح سعدى ؟ ولماذا الحزن حين توزن ذنوبى وقت المحشر ؟

***

عبراتى السائلة على وجهى الأصفر هى الشاهد الأمين على آلامى ، فأشفق على نواح العندليب ياوردى المدلل ، وإذا كان الفراق على هذه الوتيرة فإن الريح سوف تأتى إليك بغبار رفاقى .

من رأى مثل هذه النار التى تتصاعد منها أنفاسى الباردة ؟ أنا لا أضج بالصراخ بسبب جورك بل من طالعى الذى ولدت به وأنا غير جدير بعبوديتى إليك ووضعى يدنو عن قدرك .

لا أدرى ماذا يريد بطردى السيئ النية الجاهل ؟ ألا طرده الله ، وإذا كان طردى هو ما أستحقه فاعف عنى ولا تؤاخذنى ياحبيبى الشهم صاحب المروءة فاعذرنى بإنعامك إذا بدرت من فعلى زلة وأنت لا تتألم لم أبعد الله عنك الألم من أنك لا ترحم ألمى .

***

ما أعجب صورتك التى لا تفارق مخيلتى ، وكيف سيكون حالى فى طلبك فى نهاية الأمر ؟ نواحى ونحيبى يشتد بى فى كل لحظة كلما زاد عشقك فى إيلامى أيام هجرك .

يزيل وجهك الشمسى نور النجوم وقامتك يشير إليها الناس بالبنان مثل هلال ظهرى المنحنى ، وقبس نور طلعتك ينير بكل لحظة كل إنسان ، ولا يحل دور وصالى بك وإن رغب خاطرك فى سفك دمى فقد بلغ خاطرى المرتاب مراده .

تمر عليَّ ولا تنظر إليَّ فارجع البصر حتى يستمر فقرى واستغناؤك وتحملى وجورك
سمعت السماء نحيبى فقالت لا تنتحب ياسعدى فإن آهاتك تكدر صفاء مرآة جمالى

***

يا من برؤياك تتنور عينى التى أرى بها الدنيا ألا تترحم فى النهاية على قلبى المسكين
سقطت محترقا على قدمك كالفراشة وقلبك لا يحترق كالشمع فوق فراشى
حارت السماء من دمعى الذى يماثل الثريا لما رأيت معك السنبلة فوق الشمس

إذا لم ينبعث الربيع والشقائق والنسرين فقل لا تنبتوا واكشف عن محياك يا ربيعى وشقائقى ونسرينى

إن خرجت بجمالك فواحسرتاه على صبرى ووعيى ، وإن تخايلت بفتنتك فيا خسارة عقلى ودينى

إلى متى هذا الشوك ؟ اغرس الشقائق فى خميلة أملى ، وإلى متى هذا الجرح ؟ ضع مرهما على روحى المتألمة

لا رجاء لى فى الأصدقاء ولا خوف من الأعداء ما دخل هذا القلندرى ربعى المتمذهب بالعشق

ولا تقل ثورة قريحتى العذبة المنطق بسبب عبوس عدوى وفظاظة صديقى . قد رحم الناس أنينى مراراً وأنت لا تقول إلى متى يظل سعدى مسكيناً ينوح ؟

***

مرَّ بالأمس سروى البليغ بالخميلة حتى لا يأخذ الغرور بورد لونى وشذاى ، وكان ورق الورد الأحمر كاللعل شاهداً حفل الربيع فأراق حبيبى الجميل الوردى الوجه ماء وجه الخميلة

وسقط من يد عقلى درعه حين استل سيفه من مكمن العتاب حبيبى التركى الدرعى الشعر ، ولما لم يكن بساعد قلبى قوة غض البصر حطمت يد همومه قبضة قوتى ونهب العشق متاع صبر قلبى بينما لا يطوى حظى العاثر خيمته من قبالتى.

وقمت ببضع جولات مارًّا عليه من طريق العشق فلم يتفضل بأى نظرة إلىَّ وأتحمل جوره كالعبد فهو المتحكم إن يقتلنى ، وشأنه أن يقتل متجرئًا وشأنى أن أتحمل صابراً ، فاذكرنى أيها الورد الشذىُّ العبِق من بعد بقولك كان سعدى المسكين هو بلبلى الجميل التغريد .

***

أى وجه وشعر وعنق وخط وخال هذا ؟ وأى قدر خد وقامة واختيال واعتدال هذا ؟ إن من طالع فى عمره هذه المحاسن ما نظر إلى أحد ولا إلى نفسه ، محال أن ينظر كل من سألته عن كمال حسن وجودك أجابنى أنك فى غاية الكمال .

إن أطل من سطح أحد فى المساء لقال إن حاجبيه ليسا إلا هلالاً ، وشفتاك حين تعب دم محبيك كعْلان فقل أنت بنفسك أحلال عبُك الدماء ؟ بلغت السعادة حين أذكرك حد أننى لا أميز من حبى لك هل أنت مفارقى أم مواصلى ؟

قلت ليلة سوف أرى فى منامى خيالك ، لكن هل يأتينى نوم وأنا أفكر فيك ؟ ما كان هذا إلا خيالا فَسل أعين المتألمين عن طول الليل يا عزيزى هل الليلة ليلة أم ألف سنة ؟ إن ريشتى بذكراك ترشح الدر من يدى

وليس ما يسيل منها مداداً بل زلالاً والناس تحك أذقانهم حيرة من حالة سعدى المشتتة ولا يعرفون أى حالة هى .

***

أنا لا أجرؤ على التحرك نحو كل صوب بسبب ذوى الحواجب القوسية ، وتذهل عيناى من نورهم فلا أدرى أنور الشمس هو أم ضياء وجوههم ؟

ما رأيته هو الجنة وليس خدودهم وهو أوهاق وأحبولات لا عقائص وغضائر ، شفاههم الياقوتية كدماء الحمائم وسواد ضفائرهم كريش العصافير .

ليس لهذا الفتان العيار تلك القبضة التى يمكن مقاومتها بالسواعد ويبتغى من عشاقه المشتاقين كل أرواحهم فلا تزن فى ميزانه إلا قليلاً .

ليس للنفس من طيب الأنفاس إلا ما يساوى ما هو بجيب نافجة أو سرة الغزال ؟ ولا يمكن وصف شفتيه الضاحكتين العذبتى المنطق إلا بالضحاكتين الساحرتين .

إنه غريب غاية فى الفتنة فوجهه تركى وخاله هندى فعجب أن نهض على قدمه فى الخميلة وهو الذى لا يجلس السرو أمامه على ركبتيه ، وحتى لو جلس هو فى محفل عام لانبعثت مئات الصرخات من كل صوب

إن فراشى بكل الليالى هراس وأشواك بسبب تذكرى وجوه المزهرة أريجهم المورد قوامهم ، فتحمل ياسعدى جفاء حبيبك لأن جور الحسان ذنب معفو .

***

قلت سوف أتخلص بعقلى من عقاله فلم يلح لى وجه خلاص من أسره من وراء جدى وجهدى

فيا قلبى إنك مستحق اللوم ، فقد نصحك عقلى مراراً ولم تسمع نصحه ، فذاك البستان الحلو الثمار يصعب على يد الجهد أن تبلغ أعلى قامته .

قلت سوف أشد إلىَّ عنان جواده العربى لكنى لم أصل إلى نقع حوافره فأخذت أضرب هائماً على وجهى فى بلاد الدنيا لأتفاداه ، لكن كيف للمقيم بمدينته أن يغادر مدينته ؟

غضضت طرفًا من كل العالم جميعه وأقفلت عينى حتى لا أنظر أنا العاجز منه إلا إليه ، ولو ضربنى بسيفه بدل مروحته فإلى أين تذهب الذبابة المسكينة مفارقة سكره ؟

لست قانطًا لأنه هو أيضًا يضع المرهم وإلا ما شفى نهائيًا المريض به ، إنه لا يسودنا ويستبدنا إلا بلطفه ورفقه ، وإلا أى عبودية منا وطاعة تستحق رضاءه؟ فإن لم يتيسر صبرك عنه فالأولى بك أن تصبر على إتعابه لك

***

يا من اقتبس وجهك طراوته من الفردوس الأعلى وندر أن يكون مثال طلعتك فى معارض زينة العالم قد بار سوق جمال بنات مصر لو أسفر وجهك اليوسفى فى جدالك معهن

إننا نعجز عن أن نرسم صورة بمثل جمالك لأن وجهك بزينته وبهائه طغى على كل صور(مانى)النقاش [1]

أنت أرق بهاء ورواءً فى عينى من الورد والقمر والملك ، فهل الورد هو الذى اختلب لبى أم الملاك أم القمر ؟ ليس منهم شيء بل الخلاب وجهك

يتوارى القمر والثريا خجلاً من بهائك لو تجلى فى الليل وجهك الشمس، ويمزق إنسان عين الأعمى سترى فيرى من الشوق لو لاح خيال وجهك فى عين الأعمى

خطأ أن نشبه وجه كل ذى جمال بالقمر ، فإن توجَّب وصف وجه بالقمر فإنما هو وجهك

تخلى رأيى عن التزام رسوم التقوى فى عشقى لك لما تجلى مرآك وقرع طبل السلب لبلاد التقوى

وطالما أن أرواحنا تريد مفارقتنا بأى وجه فأجمل وجه يجب طلبه وجهك والأولى طلعتك

عينى مثل (فرهاد) فى عويلها وعجزها من شفتيك الياقوتيتين الحلوتين مثل(شيرين)وعقلى من فرط جنونه كالمجنون ووجهك هو (ليلى) .

---

١ - مانى المتنبى الإيرانى قبل الإسلام يضرب به المثل فى إتقان النقش وحسن الرسم .

استسلمت أقاليم الجمال لأمرك حين دبج وجهك أسطر هذا الأمر بجمال بيانه

أخذ أصحاب الخلوة فى سبى والإغلاظ منذ أن تجلى وجهك فى سوق التقوى

فلا تنتقدنى يا حبيبى فليس من شأن العقل أن العقل أن يحترق فى عشقك ولا يرتضى بديلا عنك

***

أحنَّاءٌ هذى التى انتقش بها إظفرك الآسر أم دماء قلب مجنون قتلته فى أسرك ؟

لم أر فى ولد آدم منٍ هو بلطفك أو صورتك وصفتك فأنت ملاك وأى شىء أعجب من أن قلبى مادام مريضاً بك لم يكن حاضراً لحظة ولن تغيب أنت أيضا لحظة ؟

ليس من حلقة قط لا يجرى فيها ذكرك ، ولا من أرض قط لم تبذر بها بذرك ، ونحن إذ سودنا دفاتر حكاية عشقك محوت أنت القاسى حكايتك عنا

للجمال والفتنة نهاية عند البشر وأنت لم تخلق من طينة آدم لأنك حور وقد فاق شعرك المسكى الذى أسلته حتى قدمك العنبر والبنفسج الغض

قد وقفت مشدوها حائراً فى بيان وصفك فقد تجاوز حديث حسنك حدَّه كما تجاوزت أنت ، لكن شعراء فارس يخضعون أمام سطر من خطك لعله بيت من شعر سعدى كتبته بيدك

***

لماذا أنت قاسى القلب وحرون مع أن لك هذا الطبع اللطيف واستلاب القلوب؟ قد صرمت قلبى عن سائر الدنيا وعقدته بك ، ولم أعلم أنك غير مقيم على عهدك.

بلانى ليل هجرك الحالك فادخل علىَّ مرة واغمرنى بنورك ، ورأسى على كفى جاهزة لكى أنثرها تحت قدمك حين تأتينى ، والخطأ الفادح هو الحديث بحسن جميلات الخطأ مع وجودك

أنت غاية فى الجذب والقبول لكنك واهى العهد عديم الوفاء فإن عشقت ياقلبى فاستقم على أن تعانى الشدائد وتمتحن بالمظالم فإذا لم تطق جور سيدك فامض ياسعدى فأنت لا تجدر بالعبودية

***

لا أدرى من أين أتيت يا ملائكى المنبت لأن ابن آدم لا يكون بمثل جمالك ، فإن أردت الحق ليس من الحلال أن تخفى وجهك ولا ينبغى لك أن تظهره .

ولا يقول السرو إنه يساويك سموا إذا تطاولت بقامتك الجميلة فى مجلس الخمائل ، وكل الفضائل قد تجمعت فى سائر وجودك لكن عيبك الوحيد أنك لا تترفق بمحبيك

فبحق خالقك لا تسفك دمى فليس له منه ما يلوث يدك ، وأنا لا أنتظر أن أرى الدنيا بدون وجهك فلا تمض عن عينى يا بصرى بحق عينيك

لا أتحسر على جاهٍ ولا أفكر فى مال ، وكل الأسباب مهيأة لى إذا أتيتنى وكلما زدتنى جفوة زاد جمالك وحلاوتك فى نظرى

وليس خلاك من يستحق أن أربط به حبك ، ولا أدرى من بعدك حيلة غير الوحدة حتى لو طردتنا عن بابك بإذلال فلسوف نظل على شكرك لأنك أنت الأثير عندنا .

ولن أقطب وجهى من بعدك بسبب جفائك لو أوصدت بابك دونى أو فتحت ، وماذا يفعل من يدعو الله لدوام مجدك حين يغدو مقبولا لديك ونحن حريصون على طاعتك رغم أنك لا تأمرنا بها

بنات أنفاسك ياسعدى تفتن كثيراً من القلوب بمثل معانيك المزدانة هذى التى توشيها ، وريح الربيع التى تنشر أريج الورد لا تحتظى بلطف أخيلتك .

***

إنك تفتح باباً من الجنة على من تتجلى فى الصباح بوجهك إليه والدنيا ليل وأنت الشمس المزينة للعالم ، وسعيد صبح من تخرج من بابه .

ولم تلد أم الدنيا فى كل عمرها وليداً أفضل منك له نفس ما بك من حدود الجمال ، وكل من تيسر له وصالك لحظة لن يتيسر له من بعد أى صبر

وباطن قميصك من غاية لطافة بذلك كالماء الصافى فى قارورة الظهور ، وليس لى مجال تفصيل الحديث فى وصفك لأن كمال حسنك يلجم لسان الفصيح

كنت أحترز كلام العامة حتى إننى سوف أركن من الآن إلى زاوية الوحدة ، لكن الوفاء بصحبة الأحبة ألقى على مسمع روحى : لست عاشقاً إن حاذرت من الفضيحة ، وقد جرى علىَّ ما جرى من أضرار عشقك وأنا الآن لا أزال أنتظر ماذا تأمر به من حكم

فليكن ما بقى من عمرى القصير فداء لك لو أنقصته وزدته على عمرك ، فإذا لم ينظر إليك ياسعدى بعين الإكرام فاسع أنت إلى إرضائه حتى لا يمضى أمرك عبثا

***

إن أرحتنى أو أتعبتنى فإنك تزيد عندى محبة على محبة ، ولن أتغرب عنك بضرب السيف لأن معرفتى بك منذ أمد طويل ، وأنا لا أود الخلاص من قيدك مع أن كل الطير يود النجاة من أسره

وأنا صابر على كل عقاب ولو قسا واشتد إلا على هجرك لى ، ولو وهب الغرباء لى صدقاتهم فالأولى والأحب أن أتسول من أجل حبيبى فاطبع على شفتى قبلة ، وإن عزَّ منالها فأنا محبك وأنت حبيبى

يعيبوننى ويلوكون ألسنتهم وهم لا يميزون بين الروحانية والهوى ، فقل لجميع الزهاد ليعلموا أن سعدى تاب عن الزهد وأنا لا أخشى على نفسى الخمر والزمر والنار والناقوس قدر خشيتى من الزهد المرائى

***

مشتاق إليك مع كل جورك وجفائك ، وأنت محبوبى مع كل جرمك وأخطائك

ما قيمتى أنا نفسى حتى أثمناك ؟ ومن الذى يذكر اسم شحاذ مثلى فى حضرة السلطان ؟

وأصحاب النظر لا يحبون ادعاء المحبة أو اتقاء سهام البلاء بالدروع وعلى من يخطئنى فى طلب وصالك ألا يقيم لحياته وزنًا فظلمك عدل وجفاؤك كرامة وسماع السباب منك أحلى من سماع الثناء والدعاء من الغريب عنك .

وكل عهد عاهدته إلا العهد والوفاء لك الذى لا ينقطع هوس وهوى ولو ساعدنى الحظ لجعلت من رأسى حدوة لقدم جوادك علهم يكتبون بالدم على شاهد قبرى : هذا الذى مات وفيًا لحبيبه

وإلى متى يظل نزف الدم فى قلب الطعين أمرًا مكتومًا ؟ لا شك أن هذا الطعن سوف يشتهر أمره يومًا

فمن شروط الكرم ياسعدى أن تموت بآلامك ولا تطلب من الخلق دواءك

***

يا من قلبى المجروح كرة فى عقفة صولجانك إننى عديم الفائدة عندك كالكلام الذى لا طائل وراءه

ويا من كل من يُنشب سهم عشقك به يسقط جريحًا كالقوس إذا طوى ظهره طيتين

إننى لا أعجب إن عدت فأكرمتنى لأن الكرم لا يستغرب من الكريم فلا تضيع ياسعدى همه من يدك إذا لم يأخذ بيدك ، ومتى يجود الزمان بمثله فى كل الآفاق ؟

***

لا أعتقد أن الليلة سوف تسفر عن شروق الشمس ، وكم من الخيالات قد مرت ولم يمر بى منام

فلماذا تأخرت أيها الصباح حتى أزهقت روحى ؟ لقد أثمتَ ، ولم يكتسب المؤذنون ثوابا

انحبست الأنفاس فى الديك فلم يؤذن مرة ، ومات جميع البلابل ولم يبق غير غراب

أتعلم لماذا أحب أنفاس الصباح ؟ لأنها تشبه وجه الحبيب حين يسفر

إن رأسى تدعو الله أن تسقط تحت قدمه لأن الموت غرقًا فى الماء خير من الموت عطشاً إليه

وقلبى ليس كذاك الرجل الذى يقاوم آلامه ، وهل يمكن لذبابة أن تسقط عقابًا ؟

ولم أقترف من الذنوب ما يجعلك تسلمنى إلى عدوى فتفضل بتعذيبى أنت بيدك إن أحببت

وعجبًا من قلبك يا حبيبى الحجرى إذا لم يَدُرْ بماء عين سعدى والماء يدير الطاحونة

فامض أيها الشحاذ المسكين وابحث عن باب آخر ، فقد طلبت الصدقة ألف مرة ولم تسمع جوابًا واحداً .

***

من يأخذ بيد عطشان إلى الماء والثواب فى الآخرة إلأ أصحاب الفضل والإعانة ، وأنا أنتظر الاستجابة من لسانك العذب سواء كانت مرة أو حلوة .

أنت تشبه الكنز المخبوء فى مكان خرب إن أتيتنى أو امتنعت عنى وحق عينيك لو أرسلت إلى سما لأَعُبَّنَّه كأحلى شراب .

ولو طال سرو علوك فلن تكون شمس بأعلاه ، وذو الوجه الملائكى لا يغيب عن النظر ولو حجب وجهه بمائة نقاب ، فاعلم أننى أتحرق ليلى ونهارى إملاً فى أن أنام

مرة حتى أرى وجهك لحظة ، واحدة وأملى ألا يموت العطشان قبل أن تعود مياهك إلى مجاريها .

تسعى النملة إلى حتفها إذا أرادت مغالبة العقاب ، ومع هذا فإنى أدرك أن ليلة سوف تحل على وأنا فى سجن هجرك أسمع فى سحرها خطابا منك مفاده :
طالما عانيت ياسعدى هجرنا فلن تعانى فى جهنم عذابا

***

لن أفوق مرة كل عمرى من خمارى المسكر هذا ، فقد استقررت بقلبى قبل أن أوجد فى الدنيا

وأنت لست كالشمس تشرق وتغرب بل يأتى غيرك ويولون راحلين وأنت باق كما أنت

وما الحكاية التى لم أقصصها عن فراقك ؟ لكن بما أنك تجليت علينا بوجهك فما الداعى إلى أن توصد بابك فى وجهنا ؟

فَجُدْ على محبيك بنظرة هى أشهى عندهم ألف مرة من أن ترسل إليهم بتقدمة أو تبعث إليهم بهدية

فداو قلبنا المريض أسيرك ببرهم وصالك مادمت أرهقتنا بانتظارك ، ولا يستغرب منك أن تحطم قلوب محبيك بهجرك وقد حطمت أفئدة كارهيك يوم الوغى

فامض عنا أيها الفقيه العالم وخل عنا بحق الله ، فأنت وزهدك وورعك فى طريق وأنا وعشقى وسكرى فى طريق آخر

ولا مناص للقلب الواعى من أن تسلمه لحبيب ، فإن كان لك قبلة تؤثرها بعشقك فهى أفضل لك من إيثارك وعبادتك لنفسك

وبما أن زمام السعادة والعظمة ليس بيد السعى والاجتهاد فماذا نفعل غير العجز والخضوع ؟

فليس يا سعدى شأنك أن تشكو فرقة الأحبة وجفاء الزمان فاستهن بنفسك تَنْجُ بها

***

لو شُبِّـه بخدِّك ورد فى بسـتـان لفـاقت الأرض السـمـاء بكـمـال شـرفك ولو كـان بالبستان سرو ناطق فارع لكان كسرو البسـتـان وجـودك المزين للمجلس .

ما أحلى أن أضم إلى صدرى لو استطعت ذا الطلعة البهـية والطبيعة الهنية والرائحة العنبرية والهيئة الفضية فكان هذا الحظ السعيد تيسر لى من كل عمرى وحققت أمنية حياتى ولو بقيت معى لحظة واحدة .

ليس بك عيب إلا أنك قاسٍ لا تحفظ عهدك معى يا راحة فؤادى إنك بهذا الجمال والحلاوة لكنك من أسف لا تترفق بى ولا ترحم

السكر فى فمى مُر بدون طلعته العذبة ولو شبه بالحلوى التى خالطها السم ، لكن لحظة واحدة فى صحبة الملائكى الطبيعة الجنى القوام هى الجنة الخالدة لو كان بى أمل فى الخلود

وأنا على وفائى معه لا فى دنياى وحسب وروحى بجسدى ، بل وما دام جسدى فى قبرى ولو تحول إلى عظام رميم

ويقولون إن سعدى يتألم فى صمت وكتم ، وما كان ألمى خافيًا وهو الذى ذاع فى الشـرق والغـرب ، وكل قلب اقـترن بـه روحـانـى خـاف باطنى وهو بخلوته أشبـه بدر مخبوء فى بستان .

***

تعالى الله : أى طلعة هذى كـأنها الشـمس ولو انبعثت الحيـاة فى القمـر لتوارى خجلاً منها

ولو كان للورد بصـر كالنرجس يرى به الدنيا لتصبب وجهه عرقًا كـالنيلوفر وسط الماء حياءً منها

وإذا أبدى هذا الجميل الذى أعرفه وجهه لكل إنسـان لثمل الفقير من رقصة ثمالة السكران الذى بلغ حالة خطيرة فى سكره

بلغت من السكر به إلى حد أنك تظن ألاَّ ثمةَ أملاً فى الإفاقة ، والمجنون لو سكر بالخمر يعود أحيانا إلى وعيه ولو كان للبطل (رستم) المشهور ساعده لصرع فى لحظة واحدة (افراسياب)خصمه اللدود

فهات أيها الساقى الفنان ما عندك من مُر أو حلو ، فما تعطيه بيدك سكر ولو كان سمًّا ناقعًا

لا يخالف كمال حسنك غير أخلاقك ، فيا أسفاه على تلك الشفة العذبة التى لا يخرج منها جواب عذب

لو علمت أننى علقت نظرى بحبيب غيرك فى كل عمرى لكان جفاؤك فى حقى أنا المسكين صائبًا

وليس بعد حاجتى إليك لأرضى العطشى مطر وغيث مع أن عينى تلبدت دموعها بالسحاب

إن سعدى ليحسد التراب لأنك تطؤه بقدمك ، فماذا يحدث لو كان ترابًا تحت نعليك ؟

***

لعلك سمعت ثانية كلام الخصوم حتى سترت وجهك عن محبيك كالقمر ؟ أنا لم أهجع البارحة أيها البلبل بسبب جور الزمان ، فماذا حدث لك حتى ظللت تصخب حتى الصباح ؟

فيا نفس مهما بالغت فى سعيك فلن يتغير القضاء بسبب نواح المظلوم وبكاء المحروم ، والآن قد عرفت قدر حلاوة الوصل بعد أن تجرعت شربة هم الهجر المر فارض ياسعدى بما قضى به الزمان فقد سعيت بأقصى ما تستطيع من جهد

***

جُدْ علينا في النهاية حين تمر علينا ، هل يأبى عليك كبرك أن تتذكر محبيك ؟ ولم يطلع في بلاد الختن[1] قط مثل صورتك التي تثير مزيداً من الفتن ولم ينبت أي سرو مطلقا في الخمائل يضارعك جمالاً .

فقل لنقاش الحرير الصيني انظر إلى طلعته ، فإما أن تنقش صورك بمثال صورته وإلا فتب عن التصوير والنقش توبة نصوحاً .

وإن أسفرت عن حاجبيك المخضرين المقوسين للعيان فلسوف يبور سوق الأقواس ما دام قوساك باقيين

إن أطراف سرو البستان العليا لا تحمل وجهًا كوجه خاطف القلوب ولو أشبهت الشمس وجهه فليس لها شعره العنبري ، ولم يكن لأحد ملاحته منذ أن تخلق الفلك ، ولا أعرف قمراً أو إنسيًا أو جنيًا في مثل صباحته

ومنذ أن أسلمت قلبي إلى هواك هويت في بحر الفكر والهم حتى إذا قمت إلى الصلاة ظهرت كأنك بداخل قبلتي ولم أعد أهتدي إلى الطريق فقد تاه مني كالغريق وفمك كالعقيق من كثرة ما شربت من دمي .

ولو رحلت عن الدنيا عادت إليَّ روحي التي فارقتني إن أنت جررت ذيلك على قبري ماراً به .

النار التي تشب من حدوته تحرق حدوتي[2] فإن افتداك غيري بروحه فإن سعدي ملكك يرعى روحه ليفتديك بها

وكل امرئ يدعي أنه يأتنس بك فهو مثل عجل السامري الذي ذاع بطلان سحره في عهد موسى

***

١ - الخطا أو الختا والختن من بلاد الصين وشهرت نساؤها بالجمال الخلاب .

٢ - في الأساطير أن العاشق إذا أراد أن يحبه معشوقه كتب اسمه مع بعض الأدعية على حدوة حصان ووضعها في النار وما دامت النار مشتعلة بقي المعشوق في قيد عاشقه إلا إذا استخرج حدوته من النار وثقبها ، لكن الوضع مختلف مع سعدي ومعشوقه .

ليس لدىَ زجاجة الحظ لكلى ترى ما بها ، ولست بقدر تراب السوق حتى تمر عليه ، وأنا قد تدلهت بعشق وجهك حتى غبت عن وعيى وأنت افتتنت بفتنتك حتى غفلت عنا

فبما أُشَبهُكَ فى العالمين وأنت أبهى من أى خيال يتوهمه الوهم فلا ينبغى لك أن ترفع البرقع عن مثل طلعتك لأنك تسترق قلوب جماعة بكل غمزة من عينك

والناظر الذى لا يستسلم إلى مرآك لا يمكن وصف علته إلا بأنه أعمى البصر ، وقلت أهيم على وجهى فى الدنيا هربًا من آلامك ولم أستطع لأنك فى مخيلتى ونظرى حيثما توجهت

وتبلغ إلى الفلك آهات السحر من صدورنا بينما لا تفتح أنت عينيك وأنت نائم بالسحر ، والهائئون فى نومهم لا يدرون عن محنة المسهدين ، ولن تشعر بآلام الناس ما لم تصبك آلامهم

وكل ما يقال فى وصفك جميل وحسن لكن عيبك أنك متغير الهوى متقلب كل يوم

وإن أزحت حجابك عن وجهك وأسفرت هتكت جميع أستار المتسترين المحتجبين ، ولا يعذر سعدى كل من لا يعرف حالك ، ولا يدرى حال المجنون من لم ير جنيًا

***

رأيت اليوم على الأرض قمرًا كالسرو الفارع يمر على الطريق فكأن بابًا من الجنة فتح علىَ بالصباح.

ولم أر فى الحقيقة طوال عمرى سروًا بأعلاه قمر فقل إن رأيته أو سمعت بأن شمسًا ظهر على الوجود وليد أم وأب

وقلت أغض طرفى عنه حتى لا أقع فى المهالك بسبب عينى ولا مندوحة لى من الصبر وتحمل الفراق إذا لم يسعفنى النظر إليه فكان يختال ويهمس قائلا إن العاقل هو الذى يحذر الفتنة وعليك أن تجد يا سعدى ترسًا أفضل من التقوى لتصد به سهام غمزاتنا

***

ذهبت ولا زلت بخيالي كأنك مصَور أمام عيني ولا تبلغ الأفكار منتهى جمالك فأنت أبهى حُسناً مما خطر بخيالي

لم يسر على الأرض ولم يظهر حتى للعيون حتى أظن أن وجهك قمر حتى لكنك ملاك بذاتك ، لم تختمر طينتك من هذه الأرض ولو خلقت طينتك من المسك والعنبر

نشكو منك إليك ولا يمكن أن نطلب من غيرك النصفة منك ، خلوة الفقير وحبيبه معه هي الجنة والرياض والجاه والغنى تراب يعلو الرأس بدون الحبيب ، ولا يمكنك أن تتمتع بأى نعمة ما دام حبيبك ليس كما يتمنى قلبك فى حضنك

قد وعدونا أن نسعى بأقصى جهدنا فى طلبه ، لكن ما جدوى السعى إذا لم يساعد الحظ فإن تبلغ ياسعدى وصل حبيبك فعش بذكراه حياتك

***

إن ضاعت رأس فى كل خطوة بطريق رؤيتك فأنا لست بالقوى القرن الذى يتحول عن بابك إلى كل باب ، وحتى لا يحدث وفاؤك تغيراً فى قلبى فإننى لا أنتظر أن تعاملنى بمثل وفائك لغيرى .

ولم يظهر (آزر) يحسن نقش صنمه بمثل قوامك البديع وحتى قيام الساعة فلم أر بأى بلدٍ سرواً فارعاً مثلك ، ولم أسمع بأب وأم ولدا وليداً مثلك ، ولو تألق فى جنبات السماء نجم مثلك لأخفت الشمس وجهها بمحجرها حتى لا تنظر إليه .

وليس ثمة حاجة لعنقك وجيدك إلى الزينة والبهارج أو الخضاب والكحل والعبير والعنبر ،لو هاجمت جيشاً بوجهك ما صمد بطل مغوار أمام هجمتك .

أقفلت باباً على قلبى الضيق دون العالمين حتى لا ألقى بالاً أو غمزة إلى أحد منهم فيليق بالمحتشم أن ينظر إلى عبده مع أنك الأفضل وأنا الأقل من جميع الناس فلا تقلق ياسعدى لو ضاعت رأسك فداءً له وكل من اتصل بمعظَّم ترك محقراً .

***

إن أتحفت حبيبك بألف روح فهى أحقر من أن تورد ذكرها على لسانك ، وما حملك روحك إلى حبيبك إلا كحمل الذهب إلى المنجم والورد إلى البستان كما يذكر المثل

ولم يهجس بخاطرك حتى الآن يا شمسىَّ الطلعة أن تلقى بظل منك على رأس محبك الوفى ، وما يعنيك إذا لم أنم ليلى من عنائك وأنت الملك ؟ أيليق أن تتذكر سهر حارسك ؟

أخشى على دين الناس من حسن طلعتك وأنت قد أتيت ببدعة لم تظهر بالدنيا من قبلك

ومن يتحاشى النظر إلى وجهك ما له فى النهاية إلاَّ أن يقع بأسرك من فرط مهارتك وحلاوتك

ويجب على العقلاء أن يحذروا عينك السكرى ولكنك تأتيهم من حيث لا يحتسبون

أى جواب علقم تحتفظ به لى؟ قله و لا تأبه فهو شهد محض إن نطقت به وما فائدة المرهم لجروحى إن ضحكت لى ؟ ويمكنك أن تنفخ فى الجسد الميت من روحك

فاسمع منى لطيفة يا من جبت الآفاق وتأتى باللطائف من البحر وفحواها أن بدائع سعدى إذا لم تكن بأحمال سفرك فأى هدية ستهديها أهلك وأقاربك ؟

***

ليس بأحد الملاحة التى لك أيها الغلام وعندك لقلوب العاشقين المكلومة الملح الشافى ، وبقيت أنا وحدى الذى وقعت بأسر تمنيك فكل إنسان يترغبك فمن الذى تفكر فيه ؟

أيها الملك ، أيها العظيم ، أيها الفتان ، أيها المعشوق ، أيها المتبوع ، أيها الربيع ، إننى فى حيرة لا أعلم بم أناديك ، انظر فى جيش تريق دماء آلاف به بخلاف سيفك الهندى الذى تغمده

جسـدك الرقـيق الغض اللدن له صـفـة الرخـام وقلبك القـاسى لا يقل صـلابة عن جسدك الرخامى

كل العيون ناظرة نحوك إلى حسن طلعتك وأنا الطائر الحقير الذى تأسره بشباكك فأى مخالفة منى رأيت حتى أوقفت المخالطة بى إلا أننا شحاذون وأنت ذو الحشمة والطول

لا أدرى لى ذنبًا سوى أننى محب إليك ووفى ، فأى جرم آخر اقترفت حتى تفكر فى الانتقام منى ؟ إنهم لا يعتبون عليك معاذ الله وإن كان عتاب فليس إلا لأنك غير مستقيم على الوفاء بعهدك

لن أرفع نظرى عنك كل عمرى حتى يطوينى الموت لأنك بقلبى مستقر ومتربع على عرشه وشعر سعدى اللطيف ليس شعراً بالقياس إلى الحلاوة التى ينطلى بها كلامك ويخجل منها السكر المصرى

***

ما يخرج من فيك أهو حديث أم سكر ؟ لا أصدق أن يتصف غيرك هذا اللطف الذى تتصف به فى الدنيا

ليس الذنب ذنب العاشق المسكين حين يتعقبك ، بل الذنب ذنبك لأن لك خدين أخّاذين

حين تدعى تستشهد بجمال عارض الشمس وحسن قامة السرو ولا أدرى مبلغ سلطانك ومجدك أيها الحزام حتى أحطت بيديك خصر مثل هذا المعشوق

بحثت كثيراً عن قلبى الذى ضاع منى فعرفت أنك تحتفظ به بين حاجبيك ، فلا تتجه إلى الخمائل وأنت لك مثل هذه الضفيرة والعنق والخد والقد فلك فى منزلك بستان

أى موضع بقى لقلبى ليُظهر به طاعتك وأنت بهذه الصفة من الحُسن ؟ فتقدم أنت فطريقك ممهد وسط روحى

باختيالك وتهاديك هذا أيها الطاووس لا يسعك برجي بل إن كل العالم عش لك ، فإن تجاوزت مقامك فسر بعزة لأن دماء عين سعدى قد ساحت على أعتابك

***

أنت لم تصدك شباك فأنت معذور حين تغتر بقوة ساعدك ، ولو شغلت بيدرى المحروق شيئًا فإن العشق والسرو لا يتيسران لك معًا

هذا الجميل الملائكى الطلعة هو جنة بصرى لأنه لا يشبهه فى الجنة حور لطفًا ، وقلت وأنا أبكى له ياسروى القد فضى القوام إن السرو قد غدا بك معدومًا ، وإن الورد الأحمر قد مضى باهتًا لا يرتضون منك الغلظة ونقض العهود وأنت حسن المظهر ومستلب القلوب ومحط الأنظار وأنت فى عين أهل النظر فلقة نور وسط الليل البهيم بين الناس ولو كان فى العالم طبيب فى حسنك ما دعا أحد الله لشفاء مريض.

إنك تُظهر للناس من الكبر والدلال ما يجعل المفيق يظن أنك مخمور ثمل ، ولن أتخلى عن حبك بسبب عدم وفائك فارتكب ما شئت من الآثام فأنت معذور

قد مضى الكلام فى شئون شتى ، وحلَّ حديث العشق والإفلاس والهجر .قال ضاحكًا لا تُطِل ياسعدى كلامك فأنت كالطنبور خاوى الجوف وكثير الكلام وبما أننى خاوى الوفاض صفر اليدين كالظل كغيرى فماذا سيصيبنى من مثلك وأنت شمس مشهورة

***

يحدونى الأمل أن تكرمنى بلطفك لو أسقطتنى بأسرك وإذا لم تنعطف لك الأيام فلن تستطيع المقاومة فمن اللازم أن تتكيف مع الزمان ومثال جفوة عشقك ضريبة الرءوس التى يفرضها الغزاة على الكافرين

واأسفاه على مقاومة تقواى ويدك المرقشة المزينة تتلاعب أناملها بعقلى ، وقد أكثرنا النظر والمطالعة فى نقش العالم فوجدناك متميزاً بحسنك عن كل ما يقع عليه النظر

وماذا يهمك لو حُمَّ البلاء والمحنة بألفٍ مثلى وأنت تعيش النعمة والدلال ؟ ولم أكن أفشى حديث عشقك لأحد من الناس لولا عبراتى دلَّت علىَّ حين بكيت فما أقواك من فارس تأسر مائة قلب بغمزة وتصطاد ألفاً فى هجمة واحدة .

فماذا سيحدث لو كان مثل سعدى عبداً لك وهل يضيرك أن يكون بركابك عبد شيرازى؟ إنك إن طردته بقهر عاد إليك بلطف وهذا الذهب على مثاله يظل كما هو ولو صهرته مراراً . إن شعرى الفارسى لينساب كالماء بقوة قريحتى وليس بالجواد الذى يسبقه ما هو أسرع منه .

***

إلى متى يانار الجنون تَشُبِّين برأسى ؟ وإلى متى أيها النحيب الشديد تتعالى من كبدى ؟ وختَّام يا نبع الزئبق الذى بعينى تفيض على وجهى الذى كالذهب تألماً من الحبيب ؟

ربما تتجه عيناى إلى طريق النوم وقتاً إن تحولت ياخياله ليلة عن معبرى ، فلماذا دميت يا قلبى فى صدرى وسرعان ما سوف تبرز خارجاً من عينى

وما السر فى أنك تقرع طبل النهار يا طائر السحر وأنت لا تنهض كل صباح على آهاتى بالسحر ؟

قد مللت أيها الهم من ملازمتك لى ، ألا يحدث قط أن تفارق رأسى مرة بحق الله ؟

***

إن تنفس بك الصعداء من احترق باطنه فهل ينقص مزرعة السكر وجود ذبابة بها ؟
يا من لا تنصف المحترقة قلوبهم ما كان ينبغى لك أصلاً أن تتجلى عليهم بوجهك

سوف أسقط يومًا على قدمك ولو ضاعت رأسى وقد ضاع كثيرون أفضل منى فى سبيلك ، ولا يمكن التخلى عن حبك ولو أعطيت الدنيا بأسرها فمن الظلم إذن أن تسمح لكل خسيس بأن يصل جوهرك .

لم يشتعل شعرى بهذه الحرقة من قبل اليوم لأننى لم أقع من قبل بشباك جنون وشأنى شأن البلبل الصدّاح الشادى فوق الأغصان يفتقد تلك الحرقة التى يكتسبها حين يأسره قفص ، فإذا لم تضرم ياسعدى النار من قلبك بقلمك فلماذا يتصاعد الدخان من رأسه بكل لحظة ؟

***

أتنفس أنفاسًا باردة أملاً فى إنسان لم يتذكرنى لحظة واحدة طوال سنوات ولا ينظر فى وجهى بعين الرحمة وعرك أذنى كثيرا بيد جوره وجفائه

استلب قلبى ولم يعط روحى الأمان فهل يفعل أحد مثل هذا فى بلادكم بأحد ؟ إننى أرى صورة وجهه فى كل شىء أنظر فيه فهل رأى أحد إنسانًا فى كل العالم فى مثل جنونى ؟

يستوى فى يد العشق الأسد الأسود والنملة الضعيفة ، وبشَرك الهجر البازى الأبيض والذبابة الواهية

فلا تعجبن من وجهى الأصفر ونحيبى المولول والجبل يصير قشًا إذا تحمل جفاء الأشواك

وقد خضع سعدى برأسه على أعتاب وصالك حيث لم تصل يد إلى كُمِّ خيالك

***

جن جنون قلبي وتجرأ فكرى لأن الصبر والحزن لم يعودا يفيدانني ولسوف أَلِجُ حانة التشنيع فقل للخرقة على صدرى أن تتخلى عن الورع والطُهر فظن بى ما تظن واذهب في سلوكى وخروجى كل مذهب وأخرج ياصدرى كل ما بك فقد مزقتك يد الملامة

إذا عرجت على مصطاد المحترقة قلوبهم فلسوف ترى بكل لحظة قلبًا محترقًا مأسوراً (وأنت ريان وكم حولك قلب صاد ، أنت فرحان وكم نحوك طرف باك) .

فأى ماء حياة هذى يارب بتلك العذوبة والحلاوة ، وأى سرو ممشوق بذاك الظرف والطلاوة؟ إنه رداء أعرض من أن يخرجه مشغل إمكان ولقمة أعظم من أن تهضمها حوصلة إدراك .

ما أضنى قلبي وهو فى ثنايا ضفيرتيك لأنه أسير ثعبانين ظالمين مخادعين [1]

فواغوثاه منك فأنت الداء كما أنت الدواء والحذر منك فأنت السم كما أنت الترياق

فيكفيك يا سعدى الماء لنار جنونك ولا تطلب الريح فهو لا يغنى لأنك قبضة تراب

***

ألا ليت عشق الأحبة ما وجد قط فى الدنيا أوليت قلَّ كثيراً إذا خالط قلبى ، قد اختبرت ألم العشق من قبل واكتواه آلاف المرات فليت ما اختبر المعشوق مثلى بآلامه .

لم تكتحل عينى بمنام لأننى لا أرى خياله بمنامى فليت عينى البالية أخذها الكرى ليلة ، فلماذا لا يتجلى ذلك الُمسعِد للقلوب بطلعته إلىَّ ؟ فإنى جد سعيد مبتهج بطلعته هذى ليته أظهرها

---

(١) أصل الترجمة (ضحاكين) بدل ظالمين مخادعين ووصف الشاعر الثعبانين بالضحك إشارة إلى ثعبانى الملك (الضحاك) الذى سام الإيرانين ظلمه فنبت الثعبانان على كتفيه لإيذائه كما تذكر الشاهنامة ، و(الضحاك) تعريب (اثدها) التى تعنى الثعبان .

أقول بكل لحظة قد استلب حبيبى لبى منى بآلام عشقه وداء فراقه فليته استلب منى أيضا روحى ، والأحرى ألا يسمع أحد نوحات إعيائى وضناى وليته هو سمع ليلة بكائى وضراعتى

إن سعدى يقسم بحبيبه ويحادث نفسه قائلا ليته أوفى مرة بوعوده إلىَّ .

***

تسير بغاية الجمال والدلال مرة فتحار فيك أنظار النظارة

والواجب عليه أن يظهر وجهه إلى ملاك حتى يعلمه كيف يكون وجهه ملائكيًا ، وكل من انهار أمامه تحت أثقاله ما نهض ثانية

عيناك نصف النائمتين مثلى دليل على عدم اختمارهما بالخمر فى عامهما وشهرهما ، ولم يعد صبر بمن آذيتهم فداوهم أو اقتلهم دفعة واحدة

فما تفعله بنا أيها الحبيب كما تهوى طيب ومقبول عندنا وإن أحَلَّ بالحاسدين استقبالنا لما تفعل التشتت والخراب

فسلم ياسعدى بأمره وليس للعاشق من حيلة غير العجز

***

لم أحسد قط أحداً على منصبه وماله إلا ذاك الذى واصل حبيبه واتصل به ، أتعلم أى مجد وعظمة لا توصف ؟

إنها العين التى تنفتح كل لحظة على جمال وحسن فما أسعد مَنْ يدخل محبوبه داره كرزق السعداء يأتيهم بلا محنة السؤال كلاهما مثل لبابين فى لوزة واحدة ائتنس كل منها بالآخر وابتعد عن الناس.

أتعلم من الجاهل الذى يضحك على أحوالنا ؟ هو الذى يسعد بالحب مرة فى حياته .

لم يمر عليَّ بعد الحبيب سوى خياله ولم يترك من جسدى الواهن غير خيال

كنت أول من فزت به بخبرتك وحكمتك ولو أفادك الاحتيال بدون أن تستعمل مكنتك وعظمتك ، وكأن سنة وصاله كأنها يوم واحد والآن اليوم فى انتظاره بقدر عام

للأيام كل شهر ليلة هلال واحدة وذاك القمر الخلاّب كل حاجب له هلال . إن الصوفى لا يخسر نظراً إذا طالع مثل هذا القرن المقتدر ولا ينشد سعدى غزله إلا لمثل هذا الغزال

***

لابد للفَجِّ الغِرِّ من طى أسفار طويلة حتى ينضج ولا يصفو الصوفى ما لم يعب الكئوس وقد جرى قلم التقدير فى الأزل علينا فى شيخ المماجنة وماجن الحانات

حين يحاسب الناس يوم القيامة لكل إنسان شأن يغنيه وأنا منشغل بسماع جائزتى ، فإن نُحت يا بلبل فأنا مشاركك النواح وإن عشقت الورد فأنا متعشق الوردى القوام

يُثنى الناس على سرو بحافة جدول لأنهم لم يروا سرواً بحافة سطح دار ، ولسوف ترى جسدى ضحية على رَبْعه يوماً

وهذا العيد لا يكون إلا من أجل أيامٍ ، فيا مَن حبك فى قلبى الجريح يسرح كالروح فى جسدى لا تَنْس شتمك لنا بنهاية مدحنا لك

لعلك تعرف نفسك خبراً عنا يوماً وإلا فهيهات أن يوجد من يحمل لك رسالة منا ، ولو احتلكت ليالى المشتاقين لكنهم لا يجب أن يقنطوا من إشراق النور على أسقفهم

فكيف ستحوز ياسعدى الدر وأنت على شاطئ البحر ؟ ادخل أفواه التماسيح حتى تلقى بغيتك

***

وآ كرباه ما رأيتك ليلة أمام الحانة وما رأيتك ثملاً بالنوم والخمر ! إن ليل الهجر الحالك ينتهى بالنهار المشرق بيدك

لو رأيتك مطلاً بالسحر بوجهك الشمسى فإن قتلنى عشقك بقسوة فسهل علىَّ لو رأيت شيئًا من الرفق فى خطابك لى .

لو رأيت أملاً فى مصالحتك لى فى جوابك لرشحت الدرر من ريشتى فى كتابتى رسالتى المتألمة إليك

وإن ابتغيت الحق فإهمالك لى صواب لو رأيتك بعينى غير الصائبة مثلى فى ذلك مثل المعوجى النظر

آه لو رأيتك وقتًا مثل الورد بالبستان أو الياسمين فى الخميلة أو النيلوفر فى الماء ، وإذا لم أر وجهك الشمسى فليتنى أراك كالهلال تبدو قليلاً ثم تغيب فى ستر حجبك .

ولا أعلم حجابًا يمنعنى عنك إلا خوف الرقيب فليتنى رأيتك فى حجاب عن الرقباء

وما تجرأ الفلك على الخروج عن يد نواحى لو رأيت انتظام أمر سعدى فى خدمة ركابك

لكن كيف يتيسر تحقيق هذه الأمنية فى اليقظة ألا ليت الكرى غلبنى حتى أراك فى منامى

***

الحى النائم فى موطن بدون حبيب كالميت فى كفن والعيش بدونك لا يمكن أن يسمى عيشًا وكيف يعيش الجسد بلا روح ؟ وطالما هبت الصبا على البساتين فلن ترى مثلك سرواً فى الخمائل

وما يخرج من جيب قميصك هو شمس خلاف الإمكان ، وتحت كل ثنية بلاء من كل الثنايا والعقائص والغضون لفتائل ضفيرتيك

وعلى ناصية ربع العشق سوق منصوبة ليس لألف روح فيه ثمن فحقَ منك أن تتعطف بى فلن ترى من يزيد عنى فقراً ، ولا يقام مجلس اليوم فى أقاليم الدنيا السبعة بدون إنشاد شعر سعدى

لكن أمرك لا يخرج عن اثنين: إما أنك قاسي القلب ، أو أن شعرى لا يبلغ مسامعك

***

سروى القد وسط مجتمع يفضل سبعين سرواً فى خميلة ، والجهل المطبق أن تفرق صحبة الحبيب لكى تتفرج برؤية الشقائق والياسمين

فيا من لم تر بجمالك غير نفسك فى المرآة إنك لا ترى غير عنقاء نفسك فلا جرم ألا تنظر إلى مثلى .

لن أصف ثغرك فلا يسعه وصف ، وبدنك وسط قميصك روح سرت فى بدن ، ومن رأى قوامك مجرداً قال إنه قميص يمتلئ بالورد ، ومن الخطأ أن ينظر إلى خطئى أو ختنى وأنت موجود

لو هبت عليَّ الريح لحملتنى فلم يبق لى جسد تحت ثيابى ، وما حيلة سعدى غير العجز لأنه لا يدرى حيلة أخرى ولا فناً آخر

***

لم يخطر بقلبى غيرك مادمت بخاطرى وأنت لا تضرب خيمتك خارج دخيلتى ولو للحظة وعشب حبى ، وعهودى يزيد نضارة كل زمان وأنت الذى تقتلع شجر ودادك من شأفته وأصله

إن طردتنى عن بابك فلن يقيم لى أحد وزناً ، وإن قبلتنى كنت المقبل السعيد فى الدارين ، وبما أنك بديع الصورة بلا سبب من التكدر فَمِنَ الظلم أن تنقض عهد الوفاء لمحبيك

قد تجاوز صبرى حد التحمل من تحمل همومك ، وأنَّى لحبة أن تقاوم رجحان كفة بها مائة مثقال ؟

قد جفلت من الجميع وأنست بك ولا يجتمع شمل من تفرقه

فإذا لم يؤثر بقلبك فراق ونار اشتياقه فلستَ قلبًا بل حديدًا ، وقد هربت منك إليك فأنت الخصم والحكم

ليس من علاج لأسراك غير تواضعك ، فما جدوى أن تجزع ياسعدى أولا تجزع؟ وأنَّى للمحكم القوس أن يهتم بأمر ضعيف ضعف حبة رمل ؟

***

إننى مصمم على أن أفتدى خطوك بروحى إن أتيتنى ولا يليق بالتضحية بأقل من روحى فداءً لقدمك ولا أمل لى من حظى غير أن يطول عمرك لأن الغيث يصيب الأرض العطشانة من سحاب لطفك

ولو أن صحراء فصلت بين العاشق والمعشوق لنبت زهر الأرجوان فيها بدل الأشواك ، ولا يعلم أحد غير ليلى أن الأرض بما رحبت ضيقة على المجنون كأنها سجن لأنه لا يرى طلعتها الميمونة

فواأسفاه على عهد اليسر الذى لم أقدره حقه ولا تعرف قدر الوصل إلا إذا ارتهنت بالهجر ، ولست أنا الوحيد من أسره شعرك الغجرى فكل شعرة منه تأسر قلب محب مشتت مبلبل

أى فتنة تستلب الألباب إذا ثارت من عينيك ؟ ولو حدثت فتنة بشيراز فى عهدنا فأنت مسببها

لا يجدر إحلال سفك سعدى لكن دمه حلال إن أمرت بخطك بسفكه

يعود العهد الذى ولّى لكن لا مندوحة من الصبر فلا يمكن استخلاص ربيع بدون شتاء

***

حلَّ الربيع لأن كل خاطر يتجه إلى بستان بكل ساعة ويسمع شدو كل طائر بالبستان

أتظن نسيم الربيع العليل أنفاس المسيح لأن الأرض اهتزت وربت وأنبتت لكل ما به روح وريحان ؟

انبعث السرو البستاني في جولاته واختياله فقم أنت أيها السرو الروحاني بجولة واحدة وبكل ربع

ملكي وجه يضرب كرة بصولجانه وذقنك هي كرتك فاجعل من ضفيرتك صولجانًا

وقد فزت بكثير من حيلي وحكمتي علي الجميع لكن مثل كرة هذا الذقن لم يصبها صولجاني فأظهر لي أيها البستاني سرواً في مثل قامة حبيبي سلوى قلبي فلم أشهد مثله ورداً بمزارع الورد

وأنت غزلاني العين فلن تجعلني أفلت من يدك حتى أهيم مشردا كالغزال في الصحراء ، وإني عاجز عن وصف كمال حُسن طلعتك حتى إنني أخور من الحيرة وما عسى أن يقوله الحيران ؟

ولو أن لقلبي مراداً ومطلوباً فهو وصالك ، ولو أن لهمّي نهاية وحداً فهو أن تضمني إلى صدرك

قد برم وضاق بي الطبيب قائلا : أوجز كلامك ياسعدي فلا أعلم علاجًا لمرضك غير الصبر

***

لو أنت محبوب الفقراء فدع عنك الكِبر ، والشيطان المنطلق الوجه خير من الحور المقطب الجبين ، وإني لأتمنى لحظة معك في البستان أو بأي مكان كان فأنت بذاتك بستان فجالسني أنا قتيل هجرك لحظة هنية حتى أُبعث بأنفاسك الروحانية

ولو جبت الآفاق جميعها فلن تظهر صورة مخلوق تشبه صورتك إلا فى مرآتك ،
ولا يمكن أن يمر عهد من الزمان بدون فتنة وأنت فتنة

عهدنا بحسنك وجمالك والناس لا تسجد إلى رؤيتك خوفًا من الله حين يرونك
فى الصباح وأنا لا أسجد من فرط حيرتى فيك .

فإن طردتنى عنك ولم أتحول عنك لجرأتى فاعف لأن هذا بسبب عجزى لا عصيانى ،
ولا مفر منك ولا خيار لى دونك وليس لى غير الصبر حيلة فأنت الداء والدواء معًا ،
ولا ينصب الأرقاء همًّا إلا لخلاصهم وحريتهم وأنا ملك سلطان إن دعوتنى لك عبدًا

ولدىَّ بيدر ومحصول من شعرى الأخَّاذ هذا الذى نظمته فى شرح همك وأخشى
ألا يزيد عندك مثقال ذرة ، خاصة وأنت الذى لم يتبلبل فكرك يومًا فكيف تدرى حال
المتبلبلين فكرًا ؟

فأكرم عبدك لحظة وجالسه وهدئ من روعه ولو لم تكن نار بدخيلته واسمع كلام
الأحياء القلوب

من قتيلك وكيف لا يحيا قلبى وأنت فيه الروح ؟ يمكنك ألا تدخل باب سعدى
ولكن لا يمكنك أن تخرج من خاطره

***

لماذا تحول عنانك عنى عاصيًا ، لا تفعل هذا بى حتى لا تجعلنى أهيم مشردًا بالدنيا ،
إننى سوف أتحول عن دينى يومًا بسبب عشقك فماذا يضيرك لو غيرت قلبك القاسى ؟

إذا لم ترد أن تتعب قدمك لرؤيتى فماذا يحدث لو أجريت ذكرى على لسانك ؟
فلا يذهب بك الظن إلى أننى سأقصر يدى عن حبلك بل إننى ازداد اعتصامًا بك كلما
زدت عنى ابتعادًا

وبما أن قلم القضاء قد خط وجودى على خطك فإننى أدور حيثما تدور وإن قصرت
قدمك عنى أنا غير المتحمل أو حولت نظرك عنى أنا العاجز فلا أدرى من أين احتزت
هذا الدرع الذى يمنع سهام آهاتى عن أن تبلغ السماء

إن جعلتني أنكفئ لا أقف على قدم السلامة أو رهنت روحي بضرب يد الملامة فلا تظن قط أنك سوف تزيح رأس حب سعدى لك عن أعتابك حتى القيامة

***

الأفضل للسرو أن يقف حين تختال وتتهادى ، والأولى بالببغاء أن يصمت حتى تنطق وتتحدث ولا يحبك أحد باختياره لأنك نصبت شباكك لكى تأسر محبيك

أى فتنة تثور بعينيك التركيتين الثملتين حتى تنهب بهما عقل العقلاء الموقرين ؟ وإنى لأغضب من الحب الذى أكنه لك والغيرة التى تشتعل بى من أن تنظر إلى غيرى وقد قلت إن النظر حرام . أليس خطفك القلوب حرامًا ؟ إنك أجرمت أنت بنفسك وتجرِّم الآخرين ولا تنسى قط دفتر الخلاف لذلك تكرر خلافك مع محبيك

خضبت يديك بدماء العاجزين المستجدة ولا يفعل قط أحد مثل سلبك فلماذا تفعله أنت ، توافق الأعداء وتغضب على الأصدقاء وليس ما تفعل مع محبيك حبًّا

لن أسمع النصح مادمت أسمع موسيقى المجالس الصوفية فيا أيها المدعى إنك تضيع وقتك فى نصحى .

إن هويت بسيفك فجسدى له ترس والسلام من ناحيتى إزاء القتال منك ، وحتى تتولى عن وجه محبيك ولا تولى وجهك إلى الشمس فقد جعلت الشمس تولى وجهها إلى الجدار متوارية منك فاحذر ياسعدى قلبه القاسى الكافر ، وهل يهتم الكافر إذا طلبت منه الأمان ؟

***

أنت اليوم من الحُسن يا ملكى الطلعة بما يجعلك تفوز بقصب السبق عن القمر

تأتى وبعقبك العشاق يجرون والهين فى كل اتجاه وها أنذا وشعرك الزنجى الكافر وملعب ألاعيبك السحارة سحرت عينى بغمزاتها وأثارت التشعث فى شعرى بفتنتها

وركزت سهام رموشك بقوس حواجبك لاصطياد الأفئدة وقد كسد سوق الورد والسكر بسبب جمال محياك ولعل شفتيك الأخاذتين

وقد صارت ملكة النجوم لك عبداً وغدا أسد الفلك كلباً فى ربعك وعلى سقف دار جمالك صار الحارس الهندى نجم كوكب زحل

وعارضك كورق الياسمين وفراعتك كالسرو البرى فقل بأى مشط رجَّلت ضفيرتيك وبأى ماء غسلت وجهك ؟

لأنك تضفى على الشقائق من وجهك لونه وتكسب المسك من ضفيرتك عطره ومثل سعدى آلاف البلابل يتغزلون فى روضة وجهك .

***

أخبرينى يارياح الصَّبا والصباح عن الحبيب وصفى جمال ذاك المعشوق القاسى ودعى وصف المسك وهات رائحة ضفيرته ولا تذكرى السكر وصفى لنا ثغرة

عقدت خصرى كالنملة عشقًا لخاصرته كالشعرة ، فإن رأيته وقتًا فصف له حالى هذا ومقالى .

أعرف أنكِ سوف تمرين ثانية بربعه فإن سمع حديثى فقوليه بهمس وتكتم وفحواه : يامن استلبت فؤادى من صدرى الأمر أمرك فإن اتخذت من دونك حبيباً فكأنى تخليت عن روحى

وأسرار قلبى تقفز كل لحظة على لسانى ، وقلبى يخفق مضطرباً لأن عمرى انقضى ولا يجدر منك منْجى وسر قلبى يفشو قط بلسانى فأذعه أيها اللسان إذا لم يوافق على ذاك قلبى

قد بلغ عدو سعدى مأموله يا رياح الصباح فقصى هذه الواقعة على حبيبه

***

يا من لم أشهد سروًا فارعًا بحُسن قامتك إنك تفوق كافة الأحباب ولو صدرت منك كل العداوة

فَجُرْ لأن المتحكمين يجورون على ابن السبيل والأسد الأسير يستسلم للثعلب

إلى أين يغيب عن نظرك ولو غاب فمن أسرته صحبتك لا تدعه يذهب عنك ولا تطلق سراحه منك فالأولى أن تنظر إليَّ أيها المطَّلع على آلامى وإذا لم تنظر فإن دخان القلوب له أثره وقت السحر

إنك لا تقيم وزنًا لسعدى وعمر وزيد ، وكل الذى نزعمه بهذا الشأن إنما هو قرع طبل خاوى البطن

***

لم أسمع بقمر يتوج رأسه بتاج أو بسرو يصاحب فى سيرة الشباب والسرو السامق بالبستان مع كل جماله لا يطلع فى كل صباح من جيبٍ ثوبه قمر ، وإذا لم أصف حسن اعتدالك فإن رفاعتك تدلى بشهادة أكثر حجة وبرهانًا من وصفى

وإنى لأرجو أن تجلس يومًا كالملوك لتسمع من كل ناحية من يطلب الانتصاف والعدل منك . وأى حاجة لك من قيادة جيشك لقتال عدوك وأنت تحطم جيشًا بعينيك وحاجبيك وقد وقف على طريقك كثير من المحتاجين فإن ترحمت بهم فانظر إلى قتلاك بشفقة

فلا تأمن وجهك وهو مرآة منيرة فإلى متى ستظل ساكنة والآهات تنطلق من كل صوب ؟

وتسألنى أى جرم اقترفت أنا حتى عاديتك وأنا نفسى لا أعلم فى نفسى جريمة إلا محبتك فشكراً لله على سلامتك أيها القمر السروى القامة واطمئن على حال العاجزين بين الفينة و الأخرى

قل ضؤل الأسد بسببك فصار أضعف من النملة وزاد الجبل خفة فى ميزانك حتى دنا عن القشة ، وأخشى أن أكون قد ضعت حين تعود ولا ترى على قبرى من النباتات عشبًا

فاستسلم ياسعدى لكل ما يقع لك فهذا أحرى بك ، فمن الذى ستحمل إليه ظلامتك من الملك ؟

***

أعيش كل ليلة بقلب واحد ومائة نوحة وأنا وعبراتى وسهرى ولم يبق بكبدى قطرة ماء من كثرة ذرف دموعى جواهرها ، وأين قلبك من مواساة الهموم وأنت لا تدرى معنى مواساة الهم ؟ إنك لن تفهم مبلغ معاناة روحى إلا حين تصل ليلة بنهارها مثلى

قلت هات روحك وأحمل عشقك وعين السوء بعيدة عن هذا الملك فتحملت أعباء عشقك ، وكان هذا حبيباً إلى قلبى وصار هجرك الآن أحب إلىَّ لأنك حكمت به ، فكن معى شهماً ولا تطلب إيذائى

وليس إيذاء الناس أمراً محموداً ، ولن يتحول سعدى عن يدك لو قتلته أو عفوت عنه

***

لا أدرى ماذا تريد منى أنا المكلوم الفؤاد وقد انتهيت بغمزة قلبى فماذا تريد بعد ؟

إن أنت ترفقت بالمضطربة أفئدتهم فماذا تريد منى أنا الأكثر اضطراباً وقلقاً ؟

ضاع عمرى عبثاً فى هواك وتجاوز جفاؤك حده فماذا تريد منى أيها الولد ؟

عيناى ورأسى ملك أمرك وكل ما تقول على عينى فماذا تريد من رأسى ؟

سمعت أن الشعر وسيلة لالتماسك وأنت منجم الشهد فماذا تريد من السكر ؟

قد نظرت مرة واحدة طوال عمرى إلى وجهك الجميل ، وأنا الآن أدفع غرامة تلك النظرة الوحيدة فماذا تريد منى ؟

لا يضنِّ عليك ياسعدى بكل ما يملك ويتمثل لكل ما تقول فماذا تريد بعد؟

خامســًا :الخواتيم

ما أحلى أن أرى طلعة حبيبى ثانية ، ولسوف أشكر خالقى على ذلك حتى القيامة . وقد ترك المحبون غير الأوفياء أحمال الحبيب فألقى بها فى القافلة وعقدوا هم أحمالهم ، والغرباء يراعون خواطر الناس أما أصدقاؤنا فقد ألحقوا الأذى بمن يحبونه

وإنى أترقب أملا أن يطبع مأمولى على قلبى مرهمه بعد اكتوائه بالهجر والرأى رأيك إن أردت أن تقاتل أو تصالح فقد أزلنا وتركنا خيارنا وكل من تورطت قدماه فى أرض الغربة قل له لن ترى ديارك ثانية إلا فى أحلامك السعيدة

إنْ آثرت السلامة فلا تنظر إلى الحسان وإلا ودعت نومك وهدوءك والمجوسى والمسيحى والمسلم كل له قبلة فى دينه وقبلتنا هى معشوقنا الجميل

أردت أن أكون تراب قدمه فقال لى احذر ، إننى لا أحب أن يعلق غبار بثوبى

ورأيت البارحة حوريا يخاطب محبه فى خفية عن الرقيب فى لمسة من أحبائه قائلا إذا كنت تبحث عن مرادك فاترك طلب وصالنا وإن كنت تريدنى فتخل عن اختيارك

كتمك آلام قلبك حتى تفيض دماء كبدك خير من أن تفشى إلى عدوك حالك المزرى

احذر أن تفصح إلى أحد همومك ولو فاضت بك يا أخى حتى ترى من يشاركك همك بإخلاص

فَمُن علينا بنظرة فى النهاية أيها السرو الفارع المستقيم حتى أعرض عليك افتقارى إليك وفقرى

ويسألنى رفاقى لماذا أسلمت ياسعدى قلبك إلى العشق حتى أقللت بين الخلق وقارك ؟

إننى قد رأيت صلاح أمرى فى فقرى فقولوا لكل إنسان أن يرى صلاح أمره

***

ما دامت أثقال همك ينوء بها قلبى المذهول فلن تطفئ حرقة عشقك الغليان من كبدى

ولا يهجس بقلبى ذكرى الورد والسنبل منذ أن تمكن من خاطرى تذكر ضفيرتيك وعنقك ، ولابد لى من شربة أشد مرارة من سم الفراق حتى تنسينى لذة وصالك ، وكل ليلة أتوسد فيها مع هموم هجرك فراشى إذا لم أضمك بالنهار إلى صدرى

ولو أعطيت مائة قدح من الشهد وأنت لا تشاركنى شربها فقسماً بجمال ثغرك إن السم يسرى فىَ من ذاك الشهد ، ويقول سعدى وهو بقبضة جلاَّد همك إننى عبد فاقتلنى ولا تتخلَ عنى

***

تأخرت حبيبى السكران فلن أخلى ذيلك سريعًا ، ورغم ما ألقيناه من ماء التدبير على نار عشقك فلم تخمد ولا يمكن عصيان رأيك ويستحيل الاحتجاب عن وجهك وليس لى تحول عنك كأنى سمكة تعلقت بالشَص

وما أكثر أن حطم الجنون بشفاه السكريات الثغور توبة الصالحين ، فيا أيها السرو إن البستان العالى أمام شجرة قامتك وطيء ، والعاجز المسكين من انفصل عنك وذو الدعة والسكينة من اتصل بك

سفحت عيناك دمى بدلالها ، وهل يهتم السكران إذا قتل خطأً ؟ ولا يمكن لسعدى أن يتهرب من أحابيل الجميل ما دام حيًا ، وإذا لم يسجد على أعتابه فماذا عساه أن يفعل بعد ذلك ؟

***

عيب الأحباء والأصدقاء فضل ، وكلام الأعداء لا يعتد به ، وحب الشمس لا يغادر باطننا يا أخي بل هو نقش على الحجر ، وماذا يمكنني أن أصف به لطف الحبيب ؟ إنه ألطف من كل وصف أقول فمنظور عيني وقلبي لا يمكن أن يقال له شمس أو قمر

فقل يا أخي لكل إنسان أن ينشغل بحاله فحالنا مختلف ، وأنت يا من نمت طوال الليل كيف تنصح بلبل السحر ؟ والإنسان الذى يعدم روح المعنى هو فى الحق شجرة بلا ثمرة ونحن مبلبلو الفكر ورابطو الجأش معنا وحبيبنا غائب وحاضر فى آن

يجف الورق الأخضر بعد فترة وورق أعيننا يظل نضراً دائما وروحى النفيسة فداء صحبة الحبيب وإننى أستحى من أنها فداء حقير وهى دون قدره ولكنها هى حد إمكاننا

ولا يستطيع أن يسدل ستاره على نفسه يا أخي من هتك العشق أستاره ، وسعدى فنى عن ذاته منذ أن وعى علماً بحضرة قرب الحبيب وقد وضعنا رأسنا عن طواعية حتى يقضى فيها سيدنا بالأمر

***

دخل بابى حبيبى ثملاً متبسماً كالبرعمة فى ورقها فلما رأيته ذاك البهى الطلعة استولى على باطنى الاضطراب وقلت إنه هو ، قد فتح رضوان باب جنة الخلد لأن مسام روحى قد اشتمت من عطرها طيب الفوح

أسرعت أعدو على رأسى تجاه قدمه وسقطت على رجله قائلاً ياحبيبى قد هجرتنى مرة فلا تتركنى أخرى فهذا ليس طيباً منك

وقد ارتديت قميص الغموم كالشمع ذى الطيات العشرة وقلبى ينصهر كالشمعة الوحيدة فقالت لى عينه بدلال أى عيب فى نرجسى السكران ؟ قلت كله جميل لكنه بلا وفاء وسيئ الطبع فاسمع دعاء سعدى لك لحظة مع أن كافة العالم يدعو لك .

***

لو اصطبر قلبى عليك أو لم يصطبر فليس له من علاج غير الصبر

فاحذر أيها السيد القاطن بربع الحبيب أن تغادر مقامك فطريقك مسدود ، ويعلم الناس جميعاً أن تفكير العقل لا يعتد به إذا حل العشق

يقولون لي اذهب إلى جانب آخر وليس عندى أغلى من جانبه ، وقد طفت حول البستان دائراً ما دار فلم أجد ثمرة مثله على شجرة فيه ، فأى تحفة أهديك وتليق بك ؟ليس غير روحى ولا تعدل ثمن نظرة منك

أتعلم أن من العشق هو من لا يخبر شيئاً عن كل العالم وما دام يا سعدى أمل الوصال باقياً فلا تهتم بروحك ولا تشعر بأى قلق وهم

والفراشة فى خطر من العشق لكن إذا احترقت به لم يعد أمامها خطر

***

افعل بنا ما تشاء فليس لدينا داع لقتالك وليس من الحكمة مصارعة أصحاب الشوكة والشكيمة

فمن الذى أتصل به إن فصمْتُ قلبى عنك وليس فى الدنيا نظيرك وإلا فإن العالم ليس ضيقاً

ليس كل عين ترى حبيبنا على حقيقته ، ولابد من مرآة لا يعلوها الصدأ لكى ترى بها العالم كما هو

وفِّر نصحك يا من تنصحنى إلى غيرى فأنا الآن مصغ إلى العود وقلبى ليس بسيطرتى .

لو تحقق إربك عاجلاً أو آجلاً بوصل الحبيب فلا عار عليك بعد ذلك إن لحقت به الفضيحة ، فلماذا صالحت أعداءك خلاف العقل والمنطق أيها الواهى الميثاق ؟ إذاً لم تشتعل الحرب بينك وبين أصدقائك

إذا لم تملْ إلى وصلنا فقل لنا عدم ميلك ولن يكون لمحبيك بعد ذلك أى ميل سوى لرؤيتك وإن دفعتنى بضرب الحجر عن صحبتك ففى النهاية سوف يترأف قلبك فالضرب بالحجر نهاية ، وقد ذاع اسمك يا سعدى بالمجون فقد حكاية العالمين فمم تخاف من بعد وليس بعد السواد لون

***

ليس بى الصبر على الحسان الطلعات ، وإن استغنيت عن الورد والشقائق فلا غنى لى عن الموردى الوجوه

وقد ضاع قلبى فى هذه المدينة ولا أبحث عنه وليس من واحد لا يبحث عن مطلوبى

وذاك الملكى فلقة القمر آسر قلبى لا أعرف إنسانًا لا يلتمسه طالبًا له بروحه

فأخبرنى يا حادى القافلة أخبار الحبيب ولست أنا بالذى يسمع أخبار العدو وأهتم بذوى الألسنة الحداد

والرجل قمين بأن يعانى الجور ويشكر ولا يبكى قائلاً : لا أطيق الشرار

فلا تعب يا سيدى على سعدى إن كنت بشراً فليس من بشر لا يميل إلى ذوى الطلعات الملائكية

***

يا من لا ترحمنى رحمك الله وعافاك . هل أقول إن قامتك الهيفاء أم منطقتك أم مجيئك أم ذهابك هو الجميل الحُسن الآسر للقلوب دون غيره ؟

لابد أن الشمس حين تطل من نافذتك فى الصباح تتوارى خجلاً من وجهك ويكفينى ما يحكيه قميصك عن شرح مفاتن قوامك ، فارحم شحاذ بيدرك يا من رأسك حتى قدمك بيدر ورد ، والتزم اللطف يا لطيف المنظر فالسيرة الجميلة بتحسنه كالصورة الجميلة

افتح وجهًا منك يا جمال الكعبة حتى أطوف حولك وخذ بيدى فى حياتى هذه القصيرة حتى لا آخذ بذيلك يوم القيامة ، وإنى عازم على أن أخرجك من قلبى وأسكنك داخل روحى

وما جدوى شكوى آلام القلب إلى القاسى القلب ؟ علىَّ أن أنفخ أنفاسًا باردة فى حديدك .

قلت سأسفح دمى من جورك فقال دمك فى رقبتك فقلت سوف أضرم النار فى الدنيا فقال لن تمسنى يا سعدى نارك

***

لما وقع نظر (فرهاد) على وجه (شيرين) تصاعد الدخان إلى رأسه وخرَّ منهارًا

ولما سكر المجنون بكأس طلعة ليلى هجر أهله وماله ، ولما آثر (رامين) لوعة عشق (ويس) انفصل تمامًا عن تاجه وحزامه

ولما بلغت روح (وامق)حلقه من أشجان حب(عذرا) صار شغله الشاغل معاناة الآلام وزفر آهات السحر

وهكذا فآلاف الناس من الشيوخ والفتيان سكروا بشراب العشق وذهلوا عن أنفسهم مثلى ، واستأثر وهن العشق كثيراً من الناس ولست أنا وحدى الذى وقعت به ثورته وأزمته

ونظرت عينى يومًا إلى حبيب فسقطت بسبب هذه النظرة الوحيدة الدنيا والآخرة من نظرى وجل العشق

فأضرم بقلبى النار وسقط منها فى كبدى ألف احتراق فلا تؤاخذنى بسبب أن فؤادى هام عشقا ، وكثيراً ما يقع من القضاء والقدر حادثات مثل حادثتى فإلى متى ستخفى يا سعدى عن الناس أسرار قلبك وقد ذاعت واقعة عشقك وتناقلتها الألسنة ؟

***

إن القمر لا ينير أمام وجهك ولا تعطى الشمس حكمك فاجعل الخير والطيب خلقك لأن النرجس الثمل ... والزهرة لا تطلع وقت السحر

قد خمدت النار فى باطن الليل لكن تَنورى لا يخمد أبداً فإلى أين سيتحمل فؤادى أعباء عشقك ، والقضاء والقدر لا يلينان فلا تطلق أنة غمزاتك على قلب سعدى يا حبيبى فهو لن يتحملها

***

أى هَمٍّ سيهمك بسبب حالنا المشتت ؟ لو خمد القنديل فأى هم سيهم الصَّبا ؟ وأنت الذى يتحقق كل مأمول ومقصد لك أى هم سيهمك من فشل أمثالنا ؟

وأنت الملك فإن لم تهجع عين حارسك طوال الليل فماذا سيهم الملك ؟ خطأ منك أن تؤذى قلوب محبيك ، ولكن القاتل المتعمد أى هم سيهمه من الخطأ ؟ وأنت أمير الحسن وما نحن إلا شحاذون فى خيلك

فأجبنى أى هم سيهم الأمير بسبب الشحاذ ؟

(بكى العذول على ما جرى لأجفانى) والرفيق الغافل عما جرى لى أى هم سيهمه بسببى ؟

ولو كان ألف عدو يقضون العارف ويغتابون فإن رأى وجهك البهى فأى هم سيهمه من قضاه ؟

قد جرى القضاء يا بنى بالتعاسة والسعادة فإن جلست عابسًا فأى هم سيهم القضاء ؟

والبلاء عشق عظيم لمن لا يبالى فإن أسلم قلبه للموت فأى هم سيهمه من البلاء ؟ فافعل بى ماشئت من جفاء ، فأى هم سيهم سعدى من الجفاء وقد زهد حياته ؟

***

من فرغ باله من النسرين وطيب الغالية فى الحق أنه يتمتع بالخلق الحسن والجمال ، ومن أشكوه آلام القلب إلا ريح الصبا ولا أعرف أحدا له مجال بربع الحبيب

إن القلب لا يكون بهذه القسوة بحيث يستسيغ أن يموت محب على الطريق ومحبوبه معه ماء زلال

ولا يمكن أن يقال إننى حى أرزق والحى عندى هو من يتصل بحبيبه وأنا إلى رؤيتك مشتاق ومن غيرك ملول ولو مللتنى ومللت غيرى

الطير يسلك طريقه إلى سقفك وأنا إلى ربعك تابعت الطير لأن له ريشا وجناحين ولن أبثك لواعج روحى ولوعة قلبى فليس بك لوعة قلب ويمكن أن تشرح حالك لمن يستشعر به

طالب وصالك كالمفلس الذى يفكر فى الكنز ولا يتحصل من بعد إلا على الرغبة فى المستحيل ، وفى النهاية سوف يهيم كسعدى فى الصحراء كل من اهتوس فكره بغزال مثلك

***

لو ضم صدرى ليلة مرادى فما أسعدنى وأعظم دولتى بحبيبى ، ولو أثقل الناس قلبى بكل همومهم فيكفينى أنه هو الذى يزيل عنى همى . آثرت العزلة عن كل الناس بركن غار لو أن هذا المتفرد بجماله رفيق غارى

فهو كامل لا ينتقص كماله من ناحية وهو شرف زماننا من ناحية أخرى ولا آبه بجفاء من يهتكون أستارى لو كانت عنايته هى التى تسترنى

وما يريده خاطرى شكل وليس من شكل لو كان مرادى هو مراد سيدى ولا مناص من الرضا باختيار قضاء الزمان ، فهو ليس دائما يوافق اختيارنا . ولو قتلتنا يد الحبيب الجميلة فهذا مبعث فخارنا على العالمين فإذا لم ترض بى فلا أساوى شيئا وإن قبلتنى فقد فزنا بكل شيء

ومعرض النقوش الصينيةالتى يمتدحها الجميع لا يمكن أن تنقش مثل حبيبنا ،
فلا تظن يا سعدى أن هذا الغزال الذى ذاع وصفه هو صيدنا وحدنا وليس صيد غيرنا

***

من أنت حتى إن الناس طرا لا تنظر إلا إليك ، ولا يأبى النظر إلا من عدم البصر والبصيرة

وليس من عهد الأحباء وشرط المودة أن نموت من فرط محبتنا لك وأنت عنا غافل

فلا تدفعنى عن حضرتك ما استطعت ولا ينهر السائل الذى ليس له غير الدار التى يستجدى منها

سبقت إلى الانتظار بطريقك لتنظر فى حالى فلا تأبه بى لأن عينك السكرى قد أغمضها الخمار

حديثى كل ليالىَ يدور حول السعيد الذى تنعم رموشه بالنوم ولا ينام حظه

ما أسعد الطائر البرى الذى لا يلقى جفوة أحد وأنا والطائر الداجن نقتل ولا نستطيع التحليق

لم أذنب حتى أخشى العقاب منك فلا تضن علىَّ بنظرة فهذا ليس من صواب النظر

القمر الذى تحبه تمسك به كل أيامك فربما يدمى قلبك من ليلة ليس فيها القمر ،
وأى فرق بين الصورة على الجدار والإنسان الحى الذى يقص عليه أقاصيص العشق ولا يحرك ساكنا

يمضى الليل والنهار ولابد من المرتحلين من مقام فإن بلغت مأمنا فلا تعاود السفر

يعجب البعض لطراوة شعر سعدى ، ولماذا لا يكون ورق شجر الطوبى طريا نضراً ؟

***

هذا سعدى قد ذهب على قدمه وعاد رأسه ، قد عاد مفتى جماعة أصحاب النظر حتى لا تعتقد أنه تخلى عن الجنون أو تقول إنه أفاق من سكره

عاد إلى الحضر من السفر وقلبه المدنف وخاطره المشوش لا يزالون كما كانا قبل السفر

وعادت الفتنة والجميل والمجنون وخمائل الربيع والعاشق وشدو طير السحر مضت السنون

لعل عقلى يتعلم التريث والسكون فماذا تعلم حتى إنه عاد أكثر تدلها وجنونا ؟

وحتى تعلم أن بقلبه نقطة ثابتة فقد دار مثل الفرجار ثم عاد راسه ، وانظر إلى عقله حين فر من بر طوفان هموم العشق وصار عالما وعاد إلى دوامة الخطر

عجباً منه وقد كان كالمتعطش إلى لقاء أعزائه وكأن ماء الحياة عاد إلى كبده وعروقه

وأرض شيراز دائمة إخراج الورود العبقة الرائحة فلا جرم أن عاد ثانية بلبلها الصداح

ميله وهو بالشام إلى شيراز وإلى مليكنا لذلك عاد بأفكار أحلى من السكر ، قد أجرم فلا تعاتبوه ، والكريم لا يؤاخذ المجرم إذا دخل عليه من بابه

أى ظلم لم يعانه من ليل الفراق الديجور حتى حلت الأيام التى عاد القمر بلياليها ، وقد كان عجيباً أن تبلغ نفسى مناها إلا إذا تاب الفلك الباغى عن دوره وغيه ولن تلقى بعد اليوم جور الغرباء ابنة قريحته البكر ليتمها فقد عاد أبوها إليها

وما قيمة بضع خرزات كبار وضعها فى جوال لبيعها وهو الذى عاد ببحر من الجواهر ولم يحاول

طالما أن زعامة ملك الفضل لم تسلم إليه أن يتسول فعاد إلى دور أهل الفضل

***

قلبى يعد خيالك مرشده ولا أدرى غير هذا الطريق والله تعالى هو الأعلم وإننى أنوح كالأسد من آلام ثعلب عشقك ولو اعتبر نواحى عواء كعواء الكلب

لا أشعر بأى لذة عيش بسبب هجرك ، بل أهنأ بها بعينيه القتالتين الأخاذتين ، وقد طاف همك كثيراً ثم استقر بقلبى فإلى أين يغادره وهو يعده مكانة الأنسب ؟ فلماذا تقهقه ساخراً بحال سعدى المسكين وهو الذى يعتبر أن العلاج فى همومك هو البكاء والنحيب ؟

***

تمضى القافلة ويعقدون أحمال السفر لكى يروا ثانية من الذى سيلحق بنا لكن سواس الخيل جافون والمحبون ملولون فاقتلعوا خيامنا اقتلاع قلوبنا من صحبة حبيبها

كل ذاك التدلل والتمنع والغرور الذى تراءوا به مبدين له ألقوا به وراء ظهورهم فى النهاية

يوم الفراق فلا تطمع من حبيبك ولا تتوقع منه وصلا فلا تجفنى حبيبى فإن الجفاء غير مستحب من الأحبة

نحن باقون على حالنا ومحبتنا باقية ولا يترك الصحبة القلب الذى فاض حبًا

وليس عيب العذاب الثغور أنهم يسفحون الدماء ولكن الذنب على الناظرين لأنهم هاموا بهم حبا

ومرض العشق ليس بالمرض الذى يجدر وصفه للأطباء لأنهم ليسوا علماء بهذا المرض

فلا تلق يا حادى القافلة برحلك على ظهور الجمال ولا تعقد أحمالها ففى هذه الرحلة كثرة من الأسرى العاجزين

ولا يقنع طبعنا ولا يستكثر حب أولئك الذين قنعوا بعدم رؤيتنا . ولا يحلو مجلس الرفاق بلا نواح سعدى والشمع يبكى والنظارة يضحكون

***

لست أنا الذى يكره صحبتك أو يتخذ صاحباً من دونك إن أظهرت مسلسلا ولو طردتهم مغضبا عن بابك فليس لهم طريق آخر يسلكون ، وإلى أين يذهبون لكى يتخذوا حبيبا أجمل منك ؟

وإن ضربتهم بسيفك بلا ذنب وعدت واصلوا حبهم لك حين تهش إليهم

وهلاك النفس عند طلاب مرادهم شيء هين مع أنه خطب عظيم ، ويحق لكل حسان الخلق أن يعقدوا حزام الولاء لصاحبنا

القمر لا يجرؤ على مقابلة طلعته ولوفعل لعاب جميع الناس القمر ولا يمكن أن تستصفى ملكا فى عديد من السنوات لكن ملوك الملاحة يستولون عليه بنظرة واحدة

سهم غمزات الحسان لا يخطئ هدفه ولو تدرع الزهاد بكل تروسهم فلا أقل من مطالعة بستان السلطان إذا لم يسمح راعى البستان بقطف ثماره

ولا يتيسر وصال الكعبة يا سعدى إلا بطى طريق الصحراء المكتنف بالأخطار

***

انظر السرو السامق كيف يختال وذاك القمر المحتشم كيف ينطق واشهد تلك العين السكرى التى تقصد بجمالها واختلابها هلاك ذوى الرزانة والوقار ، إن ذاك الملائكى كلما التفت حوَّل قلب صاحب التمييز إلى مجنون

قد حولنا وجوهنا عن كل العالم إلى وجهه لكن هذا الواهى الميثاق يدير عنا وجهه إلى الحائط

والعاقل لا يخبر آلام العشاق والنائم ينحى على المسهدين باللائمة

لا أطيق الجميلات ، ألم أقل لك يا سعدى لا تفقد نفسك بثنايا ضفائر الحسناوات فإنها آسرتك ؟

***

بی عـيب قـديم لا أتخلص منه وهو أننی لا أعـيش بلا خـمـر ومـعـشـوق فـلا تأمـرنی بالصبر عن الحبيب واترك

عنادك فالحب بلاء لا يفارق طباع البشر ، والطائر الأليف الذى أنس بصاحب الدار لا يفارقه

ولو ضربه بالحجر فهل تعجب بسح الدمع من مآقی بل عجبك إذا لم تسل بدماء كبدى

لن أتراجع عما بدأته ولو تحقق لی أولم يتحقق ، أردت أن ألقی نظرة وأعود فقال إن الطريق من زقاقنا مسدود ، وجدر المعشوق ليس كمثل إزعاج الرقيب كأنه سحابة لا تمر من أمام القمر

ومنذ أن ظهرت يا محط الأنظار وفتنة فارس لم يعد قلب النظر إليك ، وكم وضعنا على طعنة سيف همومك من مراهم الصدر والتعقل ولكن ذلك لم يفد فتيلا

الدنيا والنزهة والتنعم لكن الحب مهر كالنقش على الحجر لا يزول

ولا أدری موضعاً فی سائر الآفاق لا يعرف اليوم بحديثی وحسنك فيا من قلت لا تتعقب يا سعدی الحسان إلی متی تنصحنی والذبابة لا تفارق السكر

***

يدمی قلبی بصدری من الهم كل لحظة فكيف تكون نهاية أمری فی عشقی ؟ لا يقر قلبی حتی أجد نصحا

يرجعنی عن طريق العقل ومعرفته لأن حبيبی ليس ذاك الند الذی يخرج من داری والعشق ليس ذاك الحديث الذی يفارق القلب

أنا كفرهاد لا مفر له من شفتی شيرين ، ولوصار جبل محنتی مثل جبل (بيستون) ، ولا تفتر عبراتی لحظة ويستغرب السكون من الزئبق ، فأقصر عذلی يا صاح واحذر فمرض العشق يزيد بالعذل واللوم

لم أر غير عين الحبيب التى سعت أن يتحول زعفران وجهى إلى لون الشقائق ، وقد خرب جدار قلبى بحجر العناد ودار أمتعة عقلى تتعرض الآن للنهب ، وبما أن عقلى قد أزال الرسوم من حول عارضك ووجهك فإنى أخشى أن ينقلب العشق برأس سعدى جنوناً

***

حينما تجتاحنى رغبة مشاهدة طلعة الحبيب يزيد هوسى فى النحيب والعويل كالبلبل

وحين أصف وسط الجمع شفتيه اللعليتين تنهمر على ضلوعى عبراتى كالياقوت ، ويذكرنى لون شقائقى بوجه حبيبى ويذكرنى شكل خضرة ذقنى بخطه

هيهات أن يصل يدى ورد يشبه وجهك ، ولابد من ألف سنة أخرى حتى يأتى مثل ربيعه

ويحتظى الأدنياء من روضة وصله وليس لى من بستان جماله غير الشوك نصيب

فلا تطمع فى وصال لا ينتهى بفراق وكل خمر يعقبه خمار ، وقد رمانى زمانى بعيداً عن أحبتى بمنزل سفر حيث رضيت بنسيم يأتينى من ديارهم ، وفراق الخليل يستأصل جذور الصبر دفعة واحدة

ولا أعرف متى يمطر ربيع الوصل

فإن كانت جذور الصبر يا قلبى مرة لكن إذا أثمرت أمل الوصال حلت وعذبت .

وإنى لأستشعرن الأمل بعد تحملى الشدائد والصبح ينفلق من الليل والترياق يستخلص من السم ،

وما أكثر سهام الجفاء التى يرشقها الفلك المعربد فتصيب قلوب العقلاء

فإن مررت على كالعمر الطيب الأنفاس فإن هذه الأنفاس معدودة من عمرى ، والملك عار عليك يا سعدى إن خصلة من حطام الدنيا إلا أن تكون عبداً لحبيبك

***

اختطفت قلبى من بين جوانحى فأعنِّى حبيبى وأنا بحاجة إلى يد تمسح رأسى فأعنى حبيبى

وشرط أن تعيننى وتساعد العاجزين وأنا أزيد عجزا كل يوم فأعنى حبيبى ليس لبحر همومك قاع ، وأنا غريق به ، وأود أن أخرج رأسى منه فأعنى حبيبى

أرفع رأسى حتى أخلص قدمى من شراك عشقك فمتى يتيسر لى هذا ؟ فأعنى حبيبى ، قلبى يسلم روحه وهو يصرخ ومنتهى بغيتى هو أنت فأعنى حبيبى

رضيت بنظرة واحدة منك الآن بعد أن تعذر وصالك فى النهاية أنا الحقير فأعنى حبيبى ،

ليس لى يد تتعلق بأذيالك وليس لى يد تمتد إلى معين آخر فأعنى حبيبى .

لم ترفع يا سعدى يد العجز الأحمال عن كاهلك فاحملها مرة عن عاتقى وأعنى حبيبى

***

من الذى رأى القلب الذى تاه منى أنا الدرويش بعد أن انقبض من سكره وعشق همه وبيد من وقع ؟ فإن كان مسلماً فهل يحل له أن يظلم الدرويش ؟ من المروءة إعادة القلب المكسور ، فمن ذا الذى يعيد القلب الجريح إلىَّ أنا المتألم الجريح ؟

قد أسره القمر ابن الأسبوعين وصفده بقيده ومضى أسبوعان ولم يأت عنه خبر ،

إنه جافل ذاهل عن نفسه وعن ملامة الغريب ونصح القريب ، ويحق للمرء الآن ففى خلقة

النحل يجتمع الشهد واللدغ ، فلا تسلم ثانية يا سعدى قلبك إلى الجافى الجانف ، إننى لا أسلمه له لكنه يستلبه بكل شطارة وحذق

***

اجذب لحظة زمام الجمل يا قائد القافلة فعينى لم تشبع من النظر إلى الجمال ،

فمن الذى سيحمل بعد ذلك رسالتنا إلى مسامع ناسى العهد القاسى القلب اللهم إلا نسيم الشمال ؟

إن العدو الفتاك لا يقتل بسيفه الهندى كما يقتل الحبيب بسيف غمزته القتالة

الجماعة التى تقول بتحريم النظر ، حرموا النظر وأحلوا سفك الدماء ، لا تعجب إن سقط الغزال فى الشباك ولكن العجب سقوط الرجل فى شباك الغزال وأنت على ساحل الفرات

لا تدرى هذا المعنى ويعرف قدر الماء الزلال من يسير بالبيداء

وإذا كان مراد ناصحينا أن نترك الحبيب فهذا تصور منهم محال ، وما دامت رأسى على كتفى قسما بتراب قدمك لن يخرج من رأسى أمل وصاله ، وهل تحتاج إلى أن يجرى على لسانك حديث العشق

إن صورة حالك مرسومة بالعبرات الدامية ،

قد أطلنا الكلام ولا يزال له بقية وذكر الحبيب لا يمله سامع أو متحدث ،

إن الأمور لا تتيسر بالنواح يا سعدى ، ولكن نواح العاجزين مستحب فنح كما تهوى

***

هات أيها الساقى خمرك فقد أطل سقف الصباح من بيضته الخضراء فأثار نار الجنون

بماء عين الكأس بعقول شراب الخمر ، فمتى هب هذا النسيم يا رب من الفردوس

ويارب من الذى أورد من الجنة هذه الرسالة ؟ وخاطر سعدى وأعباء عشقك مركوب بطىء وراكب سريع

إن روحنا وقلبنا غلامان لوجهك فهات رطلك الثقيل يا غلام

***

لست أنا الذى جلبت فى النهاية التعشق فى العالم أو أن العشق ذنب أول من اقترفه هو أنا المسكين ،

ويا من تجهل صورة حال قلبنا لن أبث إليك هموم قلبى فأنت تجهل دائى

ويا من تعظنى وتلومنى على عشقى لم تكن موجودا حين تجرعت جام المحبة هذا فامض عنى واهتم بمصالحك فقد أسلمت روحى قبل أن أسلم قلبى

عاهدتك بأن أضحى بروحك فى سبيلك ، وإذا لم أوف هذا العهد فلست برجل

وأنا الذى أشحت بوجهى عن العالمين واتجهت إلى وصالك ليس من الإنصاف أن تتركنى فذًا وحيداً

إن أردت الحقيقة إنك تحيلنى مجنوناً ولا أطوف العالم إلا بمثل هذه الصفة

ولا أجرؤ يا حبيبى أن أكون تراب نعليك حتى لا يعلق غبارى بذيل عصمتك ، وفى يوم الحساب ستكون يدى بذيلك حتى تقول بأى جريمة آذيت قلب سعدى ؟

***

أنا ماض وأنظر من الحسرة خلفى ولا أدرى عن قدمى شيئا وأنا أطوى الأرض

أمضى بلا قلب ولا حبيب وأنا أعلم يقينا أننى لست رجل السفر بلا حبيب أنا المجنون ، وترابى يحيا بتأثير هواء شفتيك ولا يرضى بهواء غيرك ومائه

آه لو سهرت ليلة حتى النهار على ناصية ربعك ، إن الملكوت سوف يصبح من آهات سحرى

أعقد للسفر قدمى بلفافة وينعقد قلبى كقدمى وأعقد أحمالى وأنا أشد تعقدا من أحمالى

ماذا أفعل ويدى لا تمسك بخناق الأجل حتى أمزق عن جسدى فى همِّك قميص روحى ؟

بخرت نار غضبك مائى المغبر وسوف تأتيك الرياح بعد هذا بخبرى وترى فى كل طية تفتحها من لفافة غمى حروفا قد تخضبت بدماء كبدى

لا ، لا تظن أننى سوف يجرى لسانى بحرف عما بى قبل أن يشقوا رأسى كالقلم حتى صدرى ،

لسان أوراق أحاديثى الغضة قد خالطه من بداية غصنها هوى ضفيرتيك لأننى لو بحت بحرف فسوف بعد كلامى شكوى منك وأن شكوت منك فمن الذى أشكو إليه ؟

قد اشتبك شوك جنونك بذيل قلبى حتى إننى أستحى أن أمر بأطراف البستان

وبصرى المنير تخلق من كحل تراب بابك وأنا أعرف قيمة ترابك لأنى ذو بصر

ومع أن نور حضورك يعم صومعة خلوتى إلا أن السفر أفضل لى فلم يبق لى مجال للحضر ، وأستحى أن أنظر

إلى أعالى الصنوبر وسروك العالى قائم فى روضة تصورى

لا خوف إن شققت بجسدى موضعا آخر لأننى سأقف فى ركابك متخذا من قلبى غاشية على رأسى

وإن انفصلت عنك بسبب بعد السفر لعُيِّرْتُ أنا السعدى بقصر النظر

قد مضيت على قدمى ولا مناص لى من العودة على رأسى إذا لم يمسك مخلب القضاء والقدر بذيلى

تجرأت كالذباب فلام ولا جدوى من ذبَ الذباب فذَبُنى عن سكرك ، ولم أمَلَ أنا الشقى حتى الآن من اقتفائك وها أنذا ماض فى إثرك وأنا أنظر من الحسرة خلفى

***

لم يبرح خيالك من نظرى حتى ذاع فى كل العالم خبر جنونى ، ولست من الحظ والمكنة بما يجعلنى أجالسك

وليس عندى من الصبر والطاقة ما يجعلنى أخلو منك ولن أحول وجهى عنك إلى غيرك فقبيح منى أن أحول قبلتى كل يوم

قد أثر بلاء عشقك فىّ حتى إن نصح العالم والعابد لا يؤثر بى ويوم القيامة حين يحشر الناس للحساب لسوف أركز نظرى عليك وسط تلك الجلبة والضجة ، وقسما بالحبيب إننى لو ضممته إلى صدرى فلن أهتم ولو تجمع على ألف عدو

وأعجز عن وصف قوامك البديع لأن بصرى يزوغ وقت تأمله

ولا عجب منك أيضا إن لم تتعرف علىَّ لأننى أضعف من أى شىء يظهر فى النظر وقسما بروحى ورأسى أننى لن أشيح بوجهى عن وصالك

ولو انصب ألف لوم على روحى ورأسى فلا تقل لى لماذا أنت مضطرب يا سعدى ؟ إن خيال وجهك قد شوش فكرى

***

لست بالذى يفصم فؤاده عن حب حبيبه ولو فاضت روحى بسبب حقد عدوى ومكره ، ولا وجهة لى لكى أتولى عن تراب أعتاب الحبيب ولا احتمال بى للجلوس ولا قدم لى للسير ، وإلى أين أذهب وقلبى مصفد القدم بمحبة حبيب فسافروا أنتم أيها الرفاق فأنا أسير مرتهن

لا ينظر هو إلينا بعين الحب لأننى غير ظاهر من ضعفى ولو تعنت وطعنتنى فلن أقعد عن سلوك سير محبتك ، وإذا لم يكن بى ميل إلى النظر إلى الحسان فقد صح على الحقيقة أننى لست غير صورة معلقة بالجدار

إن صالحنا الحبيب فلن أهتم ولو خاصمنى كل الناس لأن سعدى يقر بشق طلعتك ولو أنكرت الدنيا كلها عليه عشقه

وأنى لى أن أنكر حبك وعبراتى تشهد على إقرارى ؟

***

لا أطمح إلى أن أحقق مأمولي إلا أن أتقدم لأراك من بعد ولم أتخيل أنني سألتقط من وسط كل هذا التشويش بفخك حبة مرادك ، وقد وقفت عبداً لك فإن قبلتني أو رفضت فلسوف أستمر عبدا لك

ولا مفر لي منك إن أنصفت أو ظلمت فإلى أين أفر بقلبي من مقامك ؟ ولا أعرف ماذا أسلك إليك بسبب أفكاري المضطربة وأعباء الفراق على قلبي

ولو عاندتني وطعنتني كما تهوى فلست بالذي يسلك طريق الانتقام منك ، وإذا لم تسمح لي بدخول بلاط قبولك أو ضاق على المجال لأقضي إربتي منك فلا فوت لي من قدري المحتوم

ومن أن أحرم على قبلة من ثغرك إذا لم تكن حلالاً

***

هذا ليس وجهًا أعرف وصف جماله فسل آخر عن وصفه لأني في حيرة منه ، والجميع لا يرى هذا الصنع الذي أراه والكل لا يقرأ هذا النقش الذي أقرأ ، ولا عجب من أن يقع من يطلب وصال الحبيب في حيرة من أمره ولكن العجب من حيرتي أنا وأنا متصل به

يغرسون السرو بالرياض فإن سمحت لي أيها السرو المستقيم غرستك برأسي وعيني

وعشقي لورد طلعتك ليس وليد اليوم فأنا بلبل بهذا البستان منذ أمد بعيد ، وحياة رأسك لن أدير رأسي عن ميثاق محبتك ولو أمرتني بالسير فوق أسنة الرماح

فأنتظر حتى تزهق روحي في طلب الحبيب فلن يعود على روحي صنيع أفضل من هذا

وإني لسميع لكل نصح منك يا رفيقي العزيز لكن لا تنصحني بالصبر عن حبيبي فلا أستطيعه ، وإن تعجب لطبعي المهووس بك فإني أعجب من أولئك الذين انعدمت طباعهم

كنت قد قلت ليس فى كل العالم غير سعدى وأنا نفسى لا أزن مثقال ذرة وإنما قدرى بقدر ما تحكم به لى

فأنا ملاك إن تكرمت عليَّ بشرف قبولك وأنا شيطان إن قرعتنى بسوط قهرك

***

من فرط ذهولى لمنظرك لا أدرى صفة لمظهرك فلا تلومونى أيها الزهاد فأنا عاجز عن التوبة من العشق

وكل من تراه هو حى بجسمه وروحه أما أنا فحياتى بوصل الحبيب وما فائدة بقية روحى إذا لم أنثرها على المعشوق ؟

إن حولت عناءك عنى فلن أتحول عنك بالسيف ، وإن دعوتنى أقمت بحضرتك ، وإن طردتنى التزمت بأمرك

ولست أنا الذى يرجع صفر اليدين ولو أشرفت على الهلاك بسبب المصاعب التى تواجهنى ، ولا حيلة لى غير الدعاء إن أجبتنى أو أهملتنى

وتسهل عليَّ صعوبة الظلمات إن نلت بيدى ماء الحياة ، فإلى متى ستتحمل الجفاء يا سعدى ؟

لكن ماذا أصنع وأنا رهين الإحسان .

إن التحمل والهدوء هما شيمة الرجال ومن أكون ؟ أنا تراب أقدام الرجال

***

لماذا أنكر على الآخرين فعلاً أنا نفسى أفعله ؟ فإن كان البلبل يعقد مجلس سماعه لورد البستان فأنا أعقده لورد شقائق خدى الحبيب . وحيثما أرى سروى قامة وشعراً يأسر القلوب جعلت من نفسى أسيراً لأحابيلهما

ولو شهر حبيبى سيفه ليقتلنى فلسوف أظل أتأمل وجهه ، ولم يبق لى شىء من العالم كله إلا رأسى أرمى بها على قدم خليلى

وقد محى من ذاكرتى كل ما قرأت إلا حديث الحبيب الذى أكرره

فإن قصرت يد قدرتى عن بلوغ أمانيها فلا مندوحة لى من الصبر على مراد النفس ، فأبلغ جارى بألا يشهد علىَّ وعلى سكرى وعشقى فأنا نفسى مقرٌّ بكل ذلك

ولن أبيع مرائيا زهدا من بعد ولن أظهر معرفة ، وما الذى أضمره فأظهره ؟ هذه روحى ولا أضن بها عن محبة الحبيب

وما أحتازه أوثر به وأضحى ، فإن عقدت زنار الكفر ألف مرة يا سعدى على وسطك لهو خير لك من أن تعقد خرقة الزهد على زنارك

***

لن أتخذ من دونك نديما فلا تنس بحق الله عهدك القديم ، وقد اتخذ كل واحد طريق الافتراق عن حلقة الجمع

إلا نحن بقينا وخيالك بنا مقيم وإن لم يفتح البستانى باب بستانه إلى الفقير فإن النسيم سيهب فى النهاية من البستان على الفقير

إن هب نسيم السحر بشذى من عبقك لضحيت بنفسى لا نقدى هدية لنسيمك

لأن أريج المحبوب إذا انتشر فوق مثوى المحبين فلا عجب إن أحيا العظام وهى رميم

فيا من لم تر عين الفلك من هو بمثل حسنك ولم تلد أم الزمان العقيم ولدا شبهك هذه هى حالى أنا الدرويش

وهذا هو جسمى الجريح كأنه عينك السقيمة ، عينك الساحرة بلا وساطة من كحل الكحيل وطاق حاجبك بلا شائبة من وسمة الوسيم

ولو توجب عليَّ أن افتديك بروحى يا آسر القلب فلا مناص لى من التسليم إلى هذا الأمر ، والعشق ليس ديدن الحكماء ولكن عينك الناعسة تستلب قلب الحكيم من بين ضلوعه ، فيا سعدى إن العشق والعفة لا يتمازجان فإلى متى تخفى تحت الكليم صوت قرع الطبول ؟

***

نشترى محبة الحبيب بالروح ولو خاصمنا العالم فلا نهتم ولو ضربنا المعشوق بسيفه فقل اضرب يا روحى

فنحن درع سيفك ولا فوت لنا من تحمل جفاء من لا نصبر على جماله فانظر إلينا بعين السخط أو بعين الرضا فنحن لك منتظرون

فنظرة واحدة إلى جمال طلعة الحبيب لو بيعت بالروح لاشتريناها ولو قلت إن مسلكنا هذا يخالف العقل فالعاقلون شىء ونحن شىء آخر

فانتظر حتى تنحدر دماؤنا ونحن ننظر إلى اليد والقبضة التى تقتلنا ونحن متسولون لنظرة واحدة منه

فإن شاء أكرم وإن شاء شح ، وبقدر قتل الحبيب لنا نزداد حياة بفضل الله فقل يا سعدى هات ما بيدك من سم قاتل نشربه كأنه شهد ، فهب علينا نسيم الصبا من روضة الأنس قبل أن تهب علينا ريح الفناء ، أنت السيد ذو القدر العالى مع أننا عبيد بلا قدر ولافضل

***

نحن متسولو خيل السلطان وحشمه وأسرى مدينة هوى الحبيب وليس لى أنا العبد تسمية إلا ما سمانا به الحبيب

ولا ندرى غير مكانه سواء عليه إن طردنا عنه أو دعانا إليه ، وتضيع رأسنا ولا نحول وجهنا عنه ولو هوى علينا بسيفه

وإن كان المجانين ينثرون الذهب فى هوى صحبة أحبائهم فنحن ننثر حياتنا فيه

فأبلغ أرباب العقل والعلم بألا يلوموننا فنحن جهلاء .

كل وردة نضرة تظهر فى العالم نغدو بعشقها بلابل تشدو لها ، وقصيرو النظر ينظرون إلى الثمار ونحن ننظر إلى البستانى

وأنت ترنو ببصرك إلى سيماء شخص ونحن فى حيرة من آثار صنع الله ،

وكل ما قلناه سوى حكاية الحبيب فى كل عمرنا قد ندمنا على قوله ، ولا يساوى العالم كله عندنا شيئا يا سعدى بدون وجود صحبة الحبيب ،

ويمكننا التخلى عن مهجتنا الغالية ولا نستطيع ترك حبيبنا العزيز

***

إن حكيتُ عن آلام الزمان لقصصت ما لا يعد من القصص ولابد لى من عمر ألف عام حتى أحكى واحدة من ألف قصة

وعينى تحكى بلسان الحال ولا أحكى أنا باختيار منى ، ويكفى أن قلوب الجمع تنفطر ألما وتحترق لو حكيت آلام فراق الحبيب وتصرخ طيور الخمائل لو قصصت للربيع عن فرقتك

فأين رفاق صحوى حتى أحكى لهم عن آلام خمارى ؟ فليس من أحد يهتم بأمرى حتى أقص له عن آلام الزمان وهموم قلب سعدى المشتت لا أذيعها إلا على المشتت قلبه

***

افعل ما بدا لك من ظلم علىَّ فلن أقبض يدى عن ذيلك فقد استأسرت طائر قلبى إليك حتى أصبح لا يحب الرجوع إلى عشه

فإن علمت أسيراً اشتبك بسلاسل ضفيرتك فلا تلق به بعيداً عنك ولا أعتقد أن سروا فى الآفاق يماثل حسن قامتك إلا وظهر أن اعتقادى هو غالب الظن

فاغرس أيها البستانى فى هذا السرو وإن كنت صوفيا عارفا فاقتلع هذا السرو ، والدنيا تنير بالقمر والشمس

ودنيانا برؤيتك منيرة فأنت المحلى بلا زينة والمزكى بلا ثياب والمزدان بلا حلية

وإنى أطمح إلى ليلة تأتينى فيها ضيفا كما يتمنى أصدقائى ويكره أعدائى ،

والعامة الجهلاء بعالم القلوب يعجبون من آهات صدرى

فإن اندلعت النار فى الدار فلا تعجب إن تصاعد الدخان من نوافذها ، وكل من رآك أحبك وليس الحب هو الذنب المعين من سعدى

***

دليل الحظ السعيد والطالع الميمون هو النظر على الصباح إلى الجمال المتزايد على الخصوص

من طبعه موزون فكيف لا يحب الشمائل الموزونة ؟ ويحل للحبيب أن يهدر كرامتك على مرأى من الجمع بل ويسفك دمك

ومثال العاشق والمعشوق الشمعة والفراشة فلا تطف حوله إن خفت على حياتك ،

وقد احترق المجنون عشقا لطلعة ليلى فعجبا لليلى إذا لم يحترق قلبها على المجنون

كيف أصف جماله وليس للحيران مجال النظق حتى يصف ، ويكفى هذا التغير الظاهرى دليلا على العشق لأن الاشتياق الباطنى لا يسعه وصف .

ولو أن شخصا باع لحظة من صحبة الحبيب لقاء امتلاكه البسيطة لكان مغبونا كثيراً ،

قد أطلنا الكلام ولا يزال لحديث المعشوق الفتان والعاشق المفتون بقية، ومهما تحمل سعدى من جفاء عشقك فلن يطرد من فكره خيال وصلك .

***

يا من عينك خلابة وسحارة قد زاغت فى عينك عين الغزال أنت فى عينى وغائب عن عينى

ولهذا أبحث عنك بعينى فى كل اتجاه ، وتنفجر ألف عين ماء من عينى حين ألقى بعينى على طلعتك

قد عصبت عينى بضفيرتك الآسرة واستلبت فهمى بعينك الساحرة ، وكل ليلة حين أتفرغ فيها من عينى أبحث عن عينى ومصباحى

فلا أصابت عين السوء عينك وثغرك ونحرك وجيدك ويدك وساعدك ، والقمر وإن حلا فى عين الخلق فأنت أحلى بعينك وحاجبك ، ومع كل سواد عين الليل الزنجية فحبيبى الهندى عينه أشد سوادا

وبحق عينيك فإن سعدى له عين وألف حبة لؤلؤ

***

أصدق القول رفاعتك تشبه سروا ، ولا تسع العبارة وصف جمال طلعتك ، وحين تحضر أفنى أنا عن نفسى

وما أشد حيرة وهمى فى سيماك ، فليت كان لى مائة عين أكثر سكرا من عينى حتى أنظر فى منظرك الجميل

فيا من اتخذت بقلبى موضعاً اجلس فوق عينى فإنى أخشى أن تضيق وهدة قلبى فلا تسعك

إن لامونى أو قامت القيامة علىَّ فلن أخضع رأسى إلا إلى فكر الهيام بك ،

فقد جرى من الأزل القضاء بوصالنا بك كما نحن عليه الآن ، وليس افتقارنا إليك واستغناؤك عنا وليدى اليوم

فأنا متملك إن دعوتنى إن طردتنى ، ولا فائدة ترجى من رأينا بدون رأيك

قد أزلت الاختيار من فكرى ونفسى قرباناً لك ومتاعى أهبه ، لك

فنحن نحبك كلك كروحنا أيها السروى القامة ، ولو ضاعت رأسى لذلك تحت قدمك

وهذا القباء صنعة سعدى (أى شعره) الذى يخلو من الحشو لا يبلغ حد الجمال إلا إذا كان على مقاسك

***

يا من استللت على رأسنا سيف جفائك ولم تميز عدوك من حبيبك إننى لا أنشغل بنفسى عن فكرك ، فمن الذى انشغلت به عنا أيها الرقيق الظريف ؟ قد أسهدت حتى الصباح من همٍّ وجهك

لبضع ليال ولم تسأل عنى ولم تكرمنى يوما واحدا

قد أزمعت سابقاً على أن أستصفى فؤادى من يدك فرأيت أنك أنشبت به مخلبك بقوة

وحتى لا يفر صيد من وهق ضفيرتك جعلت من حاجبيك قوساً ورموشك سهاماً ، فلا جرم أنه لم يبق من قلب يصاد بشيراز كلها إلا وهاجمته بسهامك وقوسك

الشمس والقمر والجن والإنس لا يساوون شيئا فأنت أعلى منها جميعاً هامة

ومع أن تجلى الطاووس واختيال القطا بك إلا أن عيبك هو أنك تفوق الفاختة قسوة لأن كل من يرانى

يسألنى بدافع جور همك ما أصابك يا سعدى من تعب حتى ذبت هكذا ؟ وأخشى الهزيمة فى لعبتى العابثة هذه معك لكن ماذا أفعل وقد سرقتنى وأنت المخادع فى لعبك

***

يا من وجهك كالمرآة المنيرة احذر آهاتى أنا المحترق ، قد أعمت عينى عن كل ما فى الدنيا الغيرة على سلطان جمالك المستعلى ، والعقل القديم الذى يتحمل الجفاء تلميذ مبتدئ لعشقك يتعلمه لحظة بلحظة

آه قد تبعثر دفعة واحدة ما جمعته بسائر عمرى ، فقد اشتريت الهمَّ فى حبك وبعت الروح فى تمنيك

وقد اشتعل بقلب سعدى قنديل غمك اشتعالا باقياً حتى الأبد

***

يا روضة الحسن لم يوجد مثيلك غصن ، ولم تـ خد الأرض مثلك خالا ، ولم يشهد الفلك قمراً أنور من جبينك

ولم يوجد هلال أجمل من حاجبك ، نظرت السماء إلى حوالى عارضك فلم تر بنفسها لطافة ، وجمالا ،

ولم يلق الفلك المشعوذ تحت حجبه السبعة خيالا أكثر أسراً من وجهك

إلى متى تئن روحى من آلام عشقك ولم يصادف يوما مثالا للطف ولم تر عنقاء صبرى لها ريشا وجناحا تحت مخلب شاهين عشقك

دار على ألسنة الناس حديثى فلم يجد فى وجودك مجالا للحديث واحدا ، وإذا تم شىء بدأ نقصه وزال

وقد زال عمرى ولم يلق بعد كماله ، فكيف يأمل ورق ورد عيشى فى الازدهار وهو الذى لم يجد من البستان وصلا من ريح الشمال ؟ وسعدى الذى يلقى المشاق والعناء منك طوال يومه لم يجد حبا واحدا منك طوال عامه

أقبل يوماً إلى البستان متبختراً مخالفا السرو وافغر فاك كالبرعم وادخل مزرعة الورد كشجر الورد

إن الحور ترسل لك لحظة بلحظة من خلد الرضوان تقول ادخل يا حور الأنس لحظة حدائق الرضوان

فإن قلقت ممن خوى كلامهم من المعنى فاعقد محجرك مستترا كالمعنى وادخل مختفيا كالفكر

قلبى يطوف حول لعلك كالإسكندر فلا تقل فى النهاية : اجلُ أيها المسكين عن ماء حياتى ، وأنت تعادينى كالعقرب وأنا معك كالميزان فاترك لصالحنا أيها القمر العقرب واتجه إلى الميزان

إن عالما يتعشقك فى عهدهم لضفيرتيك فاترك طريق نقض العهود وواثقهم بعهدك

لا يشعر سعدى بسعادة فى هذا السجن الجسمانى فادخل بإخلاص مثل إخلاصه معه فى عالم روحه

***

ما أسعد اليوم الذى تعود فيه كالورد إلى الخميلة أو ترجع إلى باب حجرتى بالبستان ، وتزدهر شجرة ورد عيشى

يوم أن تعود إلى الرياض كالسرو المختال ، ألم يحن يا شمعى اليوم الذى تضىء ليله ، وألم يأن الأوان يا روحى لكى تعود إلى جسدى ؟

خمرى مُرٌ كأنه قُلَة فى حلقى حتى تعود يوما كأنفاس إلى فمى ، فمتى تنبعث إلى رؤيتى يا منفصم الوداد

ومتى تعود إلى محادثتى يا ناقض العهد ؟ قد مَلَّ الطير قفصه وصحبتى وملنى فانصب له شباك البكاء حتى تعود إلىَّ أتعلق بك وليس لك هذا اللطف حتى ترجع إلىَّ ، فليس لى ذلك الحظ حتى أتعلق بك وليس لك هذا اللطف حتى ترجع إلىَّ ، فيا سعدى إنه ليس شيطاناً ينصرف بالتعاويذ ، أفلا يحدث أن تعود كالأنس بلين القول

***

لست أنا وحدى الأسير بشباك جدائل جميل ، فكل إنسان له اهتمام وهوس بحبيب له

وأنىَ لقرين الحبيب الجميل أن يهتم بالخمائل وألف سرو بستان فداء سروه السامى ،

وقمرى الملكى القوام ينسبنى إلى الجنون فكيف تعرف حال المجنون أنت المالك لنفسك ؟

وإنى أعلم أن صرخاتى تصل مسامعه ، لكن الملول كيف يهتم بحال غير المصطبر ؟

ويعجب رفاقى من تقبيلى يده لأنهم لم يروا المساكين قد أخضعت رءوسهم إلى قدميه

فإذا لم ينجح فرهاد فى الوصول إلى شيرين ، ألم تطلع فى النهاية روحه الأثيرة فى تمنى وصلها ؟

يسعى العقل إلى أن يستأسر العشق ولكن الضعيف لا يقوى على المقتدر

وأنا لا أخشى ملامة من القريبين إلىَّ ولو اشتدت لأن من سقط غريقا بالبحر لا يخاف المطر ،

فاهنأ إن شئت أو أكرمنا فلم يعد بنا اهتمام بأحد دونك ، ولا أظن أنك ستؤذى سعدى وتهجره وليس له فى الدنيا بعد ظل رحمتك ظل

وأنا تلك التربة الوفية التى ينتشر منها رائحة الحب ولو بعثرت الريح كل جزء منى كالتراب فى كل مكان قصى .

***

أى مصلحة رأيت لما خالفت شروط المحبة وقد مررت بمحبيك ولم تسأل عنهم ؟

ولو افترضت أنك لم تستح من الناس فقتلت بريئا ألا تخشى الله ؟

فاحجب وجهك المنقوش وشعرك المسكى

فقد غطيت على حسن طلعة الشمس ، وقد أبلغت أرواح ألف مجنون هائم بك إلى شفاههم من حسرة أن تصل

شفتاك إلى شفاههم .

وقد فطنت إلى مكانتى وقيمتى حين مررت على ولم تشترنى بنقير

قلت ألف مرة ولم يؤثر قولى لا تدر حول العشق أيها الفقير لكنك درت ولم يعد يحل لك ملامة الماجنين والعاشقين ياسعدى فأنت الذى انزلقت بنفسك .

هو الذى كان يضرب بسيفه ثم يمضى ثم يعود فيرى ولم تترك عشقك فوجدت جزاءك

***

ما أحلى الحب والحبيب معك على طرف المزارع الخضراء والمحب والمحبوب ينظر كل منهما إلى الآخر وهما بمنأى عن الحساد

وكل من صادف سروراً مع حبيب له وقتا قل له اغتنم وقتك فالوقت يطول كثيراً حتى يحبك أحد

وراحة الروح فى مصاحبة حبيب إلى الصحراء وعين العلاج هو بث همّ القلب إلى المواسى

وكل من عدم منظوراً ضيع عمره فهاك الاختيار فأدركه يا من تملك الاختيار

وما كانت المتعة فى الدنيا إذا انعدم الوجه الجميل وإذا لم يوجد الورد ما صدح البلبل فوق غصن

يتثقل قلبى بأثقال بلا حد من هيامه بالحبيب فأنزل فى النهاية أيها القاسى حملا مرة عن قلبى

أوتدرى لماذا لا أود أن أكون ترابا على قدمك ؟ حتى لا يعلق منى غبار بك أيها الرقيق الفؤاد

وإذا لم تصح صحبتك مع ذليل مثلى رميت برأسى على طريقك حتى تدوسها .

بذل الحياة فى طلب حبيب ليس ظلما ، والانتظار سهل يسير لو انفتح بعده باب الرحمة

والأصدقاء يعذرون بدافع الشهامة والرحمة متألما إن انتحب أو مشتتا إذا بكى

خاصة أن اختيال الحبيب يسلب الألباب ومنطقه يزكى الروح فكيف يتورع المتقى عن مثل حسنه ولطفه ،

ولو انتهى عمر سعدى فى أحاديث العشق فحرى به هذا ، لأنه لن يبقى أما شعره فسوف يخلد تذكارا

***

لى قلب أسير عشق آسر قلوب ياسمينى الصدر معشوق وردى الخد ظالم جاف باغ مشاغب فتان

نهاب قلوب مخادع عجيب غريب ملتهم أكباد بنفسجي الجديلة نسريني الجيد ياسميني الأريج لم يرُج بسبب حسنه سوق القمر

في عظمة العنقاء وحسن الطاووس ونطق الببغاء يختال ويتهادى كالتذرج وقت تجليه ،

اختلب فؤادى بغمزة منه وابتعد عني وبقيت الآن في فراقه كالصورة على الجدار ولأنني لا أطمع في وصاله

لأنه طائر الكناريا فقد انتحيت ركنا ورضيت برؤيته

وكل شيء يمكنك أن تفر منه ولا فرار من الحبيب ، وبماذا يحتال أسير أسر قلبه ؟

إنني لأنتحب بسبب شوقي لجماله كالبلبل حين ينوح وسط أشجار الورد ، وبما أن حديث سعدى في عشقه هزل وباطل فهو صامت لأنه يعدم لسان الكلام

***

لم نرش ماء الصبر على قلوبنا بدونك ورضينا كالقساة قلوبهم بالافتراق

ومَن بعدك يملأ نظرى ؟ والعالم في نظرى كأنه ظلمات وأنت النور ، الخلق لك مشتاقون والدنيا بك منيرة ونحن منك هاربون وأنت من الخلق نَفُورٌ ولم أسمع بخضرة تثمر وردا أحمر إلا خطك الخلاب على طرفى أذنيك

فادخل أيها السرو المختال لأن الناس تقول ليست هذه إلا جنة الخلد وأنت الحور ،

وليس وجهك بالذى يمكن الاصطبار عنه ولكن ماذا أفعل غير أن ألجأ إلى الصبر ؟

وسعدى قد قنط من وصالك بسبب جفائك ، والأفضل له أن تجور عليه من أن يصبر على فراق طلعتك

***

أنت لا تشغل نفسك بصحبة أمثالنا ولا تلقى بالا إلى حالنا المشتت ولا تحتمل وصالى بك لأننى أسير الحاجة إليك وأنت صاحب الدلال والتمنع ، وأين تهبط همتك لصيد الجراد وأنت البازى السامى التحليق ؟

وحقا أننى لم أكن منافساً لك فى لعبتك لكن انظر إلى الذباب المتجرئ حين يدور فى لعبه

لا يحتمل أحد جورا من التركى الخطائى بقدر ما أتحمله أنا من التركى الشيرازى وإذا لاق به هلاكى فلا ضرر ولاخوف لأن قتيل العشق شهيد وقاتله مجاهد

كم هو قاسى القلب من يعيب علينا حبه

لو رأى الشمس لذاب كالشمع ، ولا يتيسر لك كتم سر العشق لأن شحوب وجهك سوف يغمز به ويلمز فى النهاية

أى جرم اقترفنا حتى إنك لا تكلمنا ؟ وأى عداء صدر منا حتى إنك لا تصالح أحباءك ؟

إننى المسكين يسيل منى السيل فى فراقك كسحاب الربيع بينما تهاجمنى بخيلك وما زلت أدعو لك مع تقضك عهودك

فأكرمنى بلطفك إذ طردتنى بقهرك ولا تصنع صنيع " صاحب الديوان " حين ألقى من نظر عنايته سعدى مرة واحدة

***

لن أغض طرفى عنك لو ملت إلى حبى أو ازوررت عنه فأنت مستحبى ومحبوبى ، فأنت سرو مستقيم فى روضتك فى تصورى وأى قيمة للسرو وأنت بمنزلة الروح فى جسدى ؟

لا حاجة لك إلى الوهق والأنشوطة لصيد العالمين لأنك تزيل جيشاً بلا تعب من سيفك

يحطم المبـارزون فى العـالم قلب أعـدائهم وأنت مـاذا حدث لك إذ أنـك تحطم قلوب محبيك ؟

ولا عـجب مـن أن الناس فى حيـرة منك لأنك أنت تحـتار فى حسنـك إذا نظرت إلى وجهك بالمرآة ،

وما دمت نـظرت إلى جمـال طلعتك فالأحق ألا تـنظر ثانيـة إلينـا ، ومن رأى بالمرآة صورة بصفتك حق له أن يجفو ويجور ويتكبر ويحب ذاته

لا يسع البيـان وصـف ثغرك ولـم أسـمع بآدمى بمثل فيك العـذب ، فـهل سـمعت أن أشعار سعدى تحمل من شيراز إلى بلدان العـالم كأنها المسك من نافجة غـزال المسك ؟ اللهم إلا أن اسمك العذب قد جرى على لسانى فذاع اسمى فى العالم بعذوبة الشعر

***

أنا عبـدك لو دعـوتنـى بلـطف وأنت الحـاكم لو طردتنى عنك بقـهـر ولا يجدر لأحد أن يؤثر عليك غيرك لأنك لا تشبه فى صورتك أحدا

لا أرتضى عنك كل ما فى العالم بديلا ولو لم تعدلنى بنقير

وقلت أفـصح لك عن ألـم العـشـق الخـفى هـذا فـأنـت لى العـلاج ثم عـدت فـقلت وما حاجتى إلى القول وأنت بنفسك بقلبى مستقر وتعلم ذلك

أخذ العقل يعظ النفس لكى تتحول عن طبيعتها ، أتدرى ماذا قال العشق للتقوى ؟ لا تقاتلنا فأنت عاجز عنا .

وماذا يعـرف عن حقيـقـة العشقِ من تقيـد بـهـواه النفسـانـى ؟ من يعبـدوا ذواتهم ينظروا إلى الشخص والطاهرون نظرا ينظرون إلى الصنعة الربانية

يقع للعارفين ليلة القدر حين يعقدون مـجلس السمـاع الروحانى والرقص مباح حين تنفض كميك راقصا من الدارين ، وليس لقصة العشق نهاية فالصبر باد خاف فلا تعد قص هذا الحديث يا سعدى إلا إذا طلبوا منك أن تنشد قصته

***

تتجلى بمرآك ثم تختفى متورعا ، تزيد فتزيد سوقك رواجا ونارنا ضراما ، وإن عببت دماء قلبى حق لك أن تزيد فرحى ، وإن قصدت هلاكى أثرت طربى ، وحرى بك أن تضحك من مرارة عيشى فأنت تنثر السكر فى ضحكك

بقيت حائراً فى يدك ومديتك الجميلتين وأنت تنوى قتلى فأى فتنة وسحر يتبدى فى سعيك هذا ؟

قد تفتح وردك يا سعدى فلا ريب من أنك سوف تشدو صادحا فى الصباح شدو البلابل الساهرة إلى السحر

***

إلى متى أهيم فى كل صوب مجنونا بعشقك ؟ وحتَّام أعدو ملتاث العقل فى كل ربع من فتنتك ؟

تنبعث مائة صرخة من عمق كل شعرة بجسدى ولم تهتز شعرة واحدة فى قلبك القاسى ، وإنى لأضع حياتى فى ذكرى نحرك وجيدك نهب الريح لعل الريح تسجد على الأرض أمامك

أنا حائر دائر كالصولجان وتحت قدم جوادك أسقط وأدور كالكرة أمامك وحولك ، وأنا بذاتى قتيل حاجبك فى الحقيقة فإذا توجب قتلى فتفضل علىَّ بشرف قتلى بيدك ، وأولئك الذين فتنوا عشاقهم بجدائلهم سقطوا حتى قدمك كالجدائل ما رأوك .

ومنذ أن اقترن بنا عشقك المثير للفتن لم أشح بوجهى عن وفائك ولن يبارح عشقك قلبى حتى الأبد لأن حرزك قد عقد بساعدى منذ الأزل ، ويمكنك أن تزيل باللوم العشق من فؤاد سعدى إن استطعت إزالة اللون بالماء عن وجه الهندى

***

سادسًا :الغزليات القديمة

ما نجا من أحبولتك قلب كل من اقتنصته ، وما عاد به أمل فى التخلص من أسرك

فأزل بحق الله حجابك عن وجهك الذى يشبه النار حتى ترى قلوب العالمين جميعا بخورا يتضوع .

ما أنبت الروض زهرة مثل وجهك الفتان ، وما وجدت الصبا صنوبرا مثل قامتك الفارعة .

وإن رغبت فى سفح دماء الخلق فماذا يفعل الأسد الضرغام غير أن يخضع لك كالحمل ؟

أنت أمير بلاد الحسن فى الحق ، لكن من أسف لا تهتم بالمفتقر العاجز إليك ، ألم أقل لك يا قلبى إنه لا يراعى الوفاء فضعت من طمعك فيه وجعلك تخر على قدمك خائراً ، وأنت يا سعدى بناء على هذا الحساب لم تكن رجل العشق فقد افتقدت القوة على الفرار وتحمل الآلام

***

لجنون العشق حالة مختلفة اليوم هى أن الإسلام دينه لأنه دين ليلى وما عداه ضلال ، وفرهاد تجعله (شيرين) أو الحلوة - عابسا - أو - حامضا - بسبب أنها لا تتحمل وهو ملول ، (وعذراء) تقرأ حديث العشق غير المكتوب لأنها تعرف أن عبرات (وامق) رسالة العشق إليها ، فقل للمطرب راع نفس طريق الغزل هذا لأن هذا الطريق الذى سلكته يفضى إلى نقطة ما ويدل على شىء بعينه

أيها الراعى الذى تسير على شاطئ البحر إنك لا تدرى ما هى أحوالنا نحن الذين غرقنا فى البحر

فإلام نتحول عن هذه الحالة وهى أننا ملتزمون بترابه وهو آخذ فى سفح دمائنا ؟ فإذا لم أجعل رأسى قدما له فلن أرفعها أمام أرباب القلوب عارا أو خجلا

كل ما تفعله بعمرك خلا تذكرك الحبيب ضائع وكل ما تقول عدا سر العشق باطل ، ولم يعد لنا مع أحد قط معاملة أخرى والبيع الذى أنجزته بدونك مردود ، يفوح عبق الوفاء من كل فعل جفاء منك وبكل تعنت منك ألف استمالة ،فامح يا سعدى عن لوح قلبك نقوش غيره ، والعلم الذى لا يهدى إلى طريق الحق جهالة

***

صاح إن الجنة هى صحبة الأحباء المخلصين ورؤية محبوب غير مناسب هى جهنم ، فأدرك كل لحظة تقضيها فى حضور عزيزك فما حاصل الحياة الدنيا غير هذه اللحظة ، وليس كل من له عين وأذن وفم آدمى وما أكثر الشياطين الذين هم فى صورة أولاد آدم ، إن الآدمى من اتصف بحسن السيرة أو لطف السيرة وما عداهما حشو من العالم

لم أنفس حسدا على أحد ولم أتحسر إلا من وجهى حبيبن متوافقين متآلفين

ومن لا يذهب فى الربيع إلى الصحراء محرم عليهم رائحة الربيع الطيبة ، وقاسى القلب الذى يغمض عينيه عن الطلعة البهية

لا تنصحه لأن الجهل مستحكم بشدة به ، والعالم كله بالإجماع خلو من الراحة ، وإذا وجدت فهى فى مجاورة حبيب مخلص

إن ينزف الدم مجددا من جروح أهل القلوب فمرهمهم هورؤية طلعات أحبائهم ،

والدنيا وإن طابت والمال وإن عز والجسم وإن شرف لا يفضل واحد منها الرفيق الموافق ،

والممسك يضيق قلبه كل سنواته بسبب المال وسعدى مبتهج سعيد كل أيامه حين يرى وجه حبيبه

***

مبارك الصباح الذى يقع فيه النظر على جمال الحبيب ويحتظى فيه من شجر أمل وصال المحبوب ،

وقد سعدت حظا حين نهضت من نوم الصباح بطالع سعيد متفائل بالحبيب ، فابرح قلبى يا هم الدنيا والآخرة

فإما أن تحل الدار أنت أو تكون هى مجالا للحبيب ، أريد أن أجتث شأفه صحبة الأغيار ولا أترك فى روضة قلبى غير غصن الحبيب

شرفنى بحضوره وانصرف ولا أدرى من ذهولى أنه هل كان حبيبى أم مجرد خياله ، فلم يعد بى وعى وزايلنى عقلى وانعقد لسانى والسعيد هو من يفنى فى كمال حبيبه ،

فيا سعدى قد زال الحجاب فطهر مرآتك ، كيف تظهر المرآة التى علاها الصدأ جمال الحبيب ؟

***

حتَّام أتعايش مع فراقك ولا أطيق الوحدة وليس لدى عدة الصبر والقدرة على التحمل ؟

أخشى من الوحدة أن تفضى إلى فضح أحوالى ، وخشيتى من الوحدة لا من الفضيحة

ولست بالمتجرئ بحيث أجر روحى على حضنك وأقبل قدمك لأن يدى ليست هى اليد العليا

أنا قلق مضطرب على وردك فدعنى أنعق فى روض وصلك نعيق الغراب بما أن ليس لى شدو البلبل

انهرت خربا لكنى أتجرع ثمالة الفراق ، وعلى رغم عجزى إلا أنى أتحمل جورك

وقد ملنى طبعك ومال إلى جانب آخر فمن ألتمسه غيرك وأنا لست مثلك يتحول طبعى باختلاف الأماكن

ونار لسانك يا سعدى كالشمع مضيئة محرقة فى همومه ومع كل نار فصاحتك فليس لك جاذبيته وأسره .

***

حين أخذ سحاب ضفيرتك يدور حول قمر وجهك تبلل جانباى بالدمع الهاطل من سحاب عينى

وطفق جوابك المر يزداد حلاوة عن السكر بسبب ثورة عشقك بحلق روحى المضناة

وكان عرق عذارك يتساقط على التراب الأغبر فكانت الأجساد الميتة تحيا بمائه

ولو طلتك بالطلاء والفضة لراج أمرى كالطلاء من فضة جيدك ، فأرشد قلبى نفسى

الناطقة من نافذة فكرك على حالى المزرية فأخذت تزداد أنداء ، وسقط من الشوق إلى طلعتك برأس قلمى جنون فأخذ يدور على رأسه مثلى أنا المجنون ، وتبدى من قريحتى غزل محرق أخذ يدور بهذا القدر فى دماغى الفارغ

***

ما ألطف العباءة على جسدك السروى المستقيم آه لو التفت يدى أنا الأعجف كخصرك حول خصرك

لا يهجس قلبى إلا بفكر وصالك وأنت لا تأتى لأن لا أحد غيرك يحل محلك ، وإن رغبت فى إجابة أحد بكلام حنظل فلا يبقى حنظلا إذا خرج من فيك ، ولست بالمشهور المعلم لكى أهوى طلعتك فأنت المعلم الذى يشار إليه بالبنان والخلق إليك ترنو بأبصارها .

أوصدت باب فكرى وكسرت ريشة وهمى لأنك أبهى وأزهى من أن يسعك وصفى وبيانى

وللسرو قامة فارعة جميلة وللبدر وجه بهى وأنت لست هذا ولا ذاك ولكن لك القامة والوجه البهيين

فإن لم تفتح أيها الرقيب علىَّ باب الحبيب فيكفينى أن تبلغه أننى أدعوله وأحبه ،

وقد أوقفت عمرى على الدعاء لك فإذا لم تبغ ذاك لى فجسدى فداء لشىء من حياتك ، فلا حيلة لك يا سعدى إلا الثبات ومداراة التحمل وما دمت محتاجا إليك فلأحملن أثقالك .

***

لو آذى يوما جفاؤك قلبى أعادنى إلى مصالحتك وهق شوقك ، ولم يلح لى صبح الأمل البارحة من فرط آلام عشقك

فكيف يطيق أسير العشق بدونه الليل الطويل ؟ ولا غرو أن يحترق القلب فكيف يقاوم الشمع النار المتقدة التى تذيب الفولاذ ؟

وأنت الذى يهتز السروالمستقيم حسدا منك إن اختالت شجرة قامتك سوف أوصد علىَّ بابى دون الخلق جميعا إلا من يأتى إلى ببشارة منك

فإن قبلت سجدت برأسى على قدمك كالوثنى الذى يجعل وثنه أمامه فى صلاته

فاسمع مرة بسمع الرضا قولى وراع سعدى فحرقة عشقه تنضج الشعر العذب اللطيف

***

من لا يشبه همه همى كيف يدرى أى ليلة تقضيها عيناى من جراء شوقك ؟ وقد آن الآوان لكى أخور منهارا لأنى لم أتحمل طول عمرى حملا يشبه هجرانك ، فسلنى عن حرقة قلب يعقوب المبتلى فلا يدرى بأحزان قلوب المحروقين غير المحترق ، والمجنون مهما نصحته لا ينصاع ولو قيدته بسلسلة حطمها

لنرش ماء الصبر بدونك على قلبنا ، ومن الذى يستطيع الصبر وهو بين النار المحرقة ؟ وكلما احترقت كبدى بكت عينى بكاء ليس هو الماء الذى يخمد النار ،و لا يهدأ ليلة

سلطان خيالك إلا إذا جرى فوق رأسى صبرى أنا المسكين ، ومن لم يذقه الزمان سم الفراق ما بدا فى مذاقه سكر الوصل عذبا حلوا ،

ولو تمكنت ثانية من القبض على ذيل مأمولى وبغيتى ما أخرجه عن قبضتى أحد ما دمت حيا ،

وأخشى ألا أظل حيا بسبب إيلامك من أسف لأن الحسرة من وجهك تظل باقية فى قلبى

يتجه الرسول من فارس إلى خراسان راكبا السفينة إذا أسالت فى أعقابه عينى سيولها

تصدر عنى صرخات حين أكتب عن جور فراقك فتبعث الصرخات من قلب كل من يقرأ كتابتى

ويمكن شرح هموم هجرك إليك أيضا فهل يتضح لنا ما أبلغك الرسول عنا ؟ فاحذر إن الدم يتقطر من شعر سعدى ، وكل من تجرع مشرطه ذاك تقطرت منه الدماء

***

انظر الميل الذى يتبدى من ذاك السرو السامق وانظر السرو فهو يقصد الصحراء

لا يعرف السرو أن يبدى ميلا أحلى من هذا لكن ميله إلينا لا يحلو له ، ولا حاجة إلى الصحراء فالمرآة موجودة إذا نظرنا فيها الحبيب ذو الرياش والجمال

ويغفل عن صورته البهية من ينقش الرسوم على الديباج

قد فطنت من أول يوم إلى أن العشق يبيح الدم ويسلب الديار ولا يفيد صبرى لأن عبراتى تعلن خفى أسرارى ، فإذا لم تسر الأمور وفق مرادنا فقل نحن بهذا راضون واترك مرادك فالأمر له يفعل ما يريد

الخل البديع إن سفح دماء محبه ما استقبح فعله بل استحسن ، فلا حيلة يا سعدى بعد تحمل كل ظالم يوقعه الحبيب بنا وما دامت بالذبابة روحها الحلوة فهى تدور حول من يصنع الحلوى.

***

حين تتجول جدائله على وجهه تبور سوق المسك فى المدينة وهو عقل جوهرى تساوى فى سوق الحسن قيمة لعله مائة روح

وما اشتعلت شمس حسنه إلا وستر القمر وجهه ، وكل مقصدى وصاله وذاك الظالم لم يعزم هجرى

وإن ابتغيت ملاحة تمتلئ بالسكر فلا تخف من الملوحة التى تخرجها مزرعة

سكره ، وسهام رموشه ونشاب حاجبيه يجعلان العشاق ضحايا عيد الأضحى

وإننى لأبدى من ضروب الوفاء كل ما أستطيعه وهو يبدى من ضروب الجفاء كل ما لا يستطيعه

***

يوفى الحسان الجفاة أيضا وترسل الأدواء إلى الناس كما ترسل الأدوية

وحين يتجه ملوك الملاحة إلى المصطاد يأسرون صيدا ويسرحون آخر ، فانظر إلىَ أنا المضنى نظرة لأن أرباب الكرم ينظرون إلى الضعاف ابتغاء مرضاة الله ، فلا تطرد عاشقيك عن كنفك حتى يفتدوك بالنفس والنفيس ثم يدعون لك أيضا

إن مال قلبى إلى الحسان فلا تلمه فهذا ذنب يرتكب أيضا فى مدينتكم ، فأعطنى أو بع لى قبلة من فمك الضيق فهى متاع يوهب كما يباع

وأنت تركى خطائى طفل ولا خطأ منك

ومن عجب أن ما يصدر من أهل الصواب يحسب أيضا خطأ

ولا ضرار إن جرى ذكرى على لسانك فالملوك يذكرون الشحاذين بطريق الخطأ

فلا تنزعج يا سعدى إذا لم يذكرك ذاك القمر فمن يفكرون فينا أيضا ؟

***

كل من ولج ربع الموردى الخدود من العشاق لا أمل له فى أن يثوب ثانية إلى رشده والحمامة التى لن ترى ثانية عشها قد رمى بها قدرها إلى مخلب البازى

ولا أدرى كيف يكون حاجبك الجميل محرابا إن رآ ه الزنديق صلى فيه

وجليل القدر وسعيد الجد من دخل بابه كل لحظة مثلك

لا أقطب جبينا إن أجبتنى بمائة جواب علقم لأنها تخرج من ثغرك حلوة ولطيفة فهلم وانظر صفرة خدى واقرأ نقشهما فإن القصة تطول لو حدثتك إياها ، فاجعل من ناظرى سعدى موطئا لقدمك بدل التراب فكل من ماثلك نفاسة وكرامة تدلل وتمنع

***

تنسمت ريح الصباح وأريج الربيع بمراد الأحياء وبالحظ السعيد فهنيئا لك هذا العام وكل عام ، ومبارك لك هذا اليوم وكل يوم

وبما أن زهر الرمان يلقى النيران فى الأشجار فلا تضع المناقل ثانية ولا تشعل النار

ولما صحا نرجس عين الحظ من نومه ونهض فقل للعداة أغمضوا أعين حسدكم ، فإن أنت أيها الورد والربيع السعيد قد حل حتى تسمع أين البلابل وتحس بحرقتها

الدنيا كانت وما زالت كثيرة بدوننا فلا تدخر غير طيب الذكر وافعل من الطيبات ما يجعلك ترى السعد من حظك ولا تطع السيىء قولا وعلما ، ولا تثق يا سعدى بدار العمر فلن يبقى هذا التقوس على قبته

وأسفاه على عيش ينتهى بالموت واحسرتاه على غزال ينتهى أمره إلى الفهد

***

لا أتمكن من روحى حتى أفتديك بها ، ومن الذى أضمنه حتى أستعيد به قلبى منك ؟

لا يقوى لسان قلمى على شرح عشقك ، وإلى متى أظل أعدو على رأسى حول باب أملك ؟

أنت آمن من هديرى إذا ملأ الدنيا وأنت خال من صياحى إن أبلغته السماء ، وآهات حسرتى وعبرات عينى ولو وافقتانى فلن يعينانى على نار عشقك التى لا أقوى على إخمادها ،

أجيب كل من يسألنى عن حالة قلبى بأنه نزف دما أقطره كل لحظة من رموشى

عمرى فداء ضفيرتك التى أراها طويلة ، وروحى أفتدى بها لعليك اللذين أوصلهما إلى شفتى

ولا قدر عندى للذة الأوقات السعيدة إذا احتظيت بلحظة من يبعد ذلك منك أقدرها حق قدرها

ويخرج زمام أمانى قلبى كف اختيارى ، ولسوف أستخلص قلبى من كل أمانيه إذا لم يوافنى الأجل

وقد حكى سعدى عن عشقك وأمله لا يكف عن العشق إلى أن يفارق الدنيا

***

حين حلت نوبة بلبل السحر فوق السطوح حيث خلوتى بسببك وأنظر إلى راية الشمس من أمامى وهى تطرد إلى الأفق راية جيش الظلام ولما طلع بياض النهار من الطيلسان الأسود بدا كأن بض البدن قعد متجردا من لباسه

ودخل بابى خلاب القلوب وسكينة الأرواح ذاك ، وقلبى بالعشق أسير وروحى بالحب رهين ، وكانت رأسى لا تزال سكرى بطيب أنفاسه التى لا تسمح لعبير الورد والعنبر أن تتجه إلى المسام ، ولن يصيبنى

من بعد أدنى هم من الليل الحالك ، لأن كل ليلة مقدر لها أن تنتهى بالنهار ، ولم أفهم تماماً هل الأرجوان والورد هما داخل كمه أم يده وساعده الورديا اللون ؟

فى قارورته ماء إن قسته لم تدر ما هوالماء وما هى القارورة ، فهات يا ساقى بحر المشرق والمغرب

فإن من يستديم على شرب الخمر يتأخر فى سكره وأنت لست بالذى لا يميز بين الحلال والحرام

أجد الخمر معك حلالا والماء بدونك حراماً ، وليس بأى مدينة مثل سكرك إذ إنك تجعل الببغاوات كسعدى يصدحن بالكلام

ولا يدع نظمى الذى يشبه الدرع المحكمة أن يستل خصمى سيف ثعنته من غمده

***

ما أشدنى سعادة حين أتيتنى مسلما ، حللت أهلا ونزلت سهلا وعليك السلام والإكرام

أردت القيام إليك فقال عقلى لا تفعل فليس من شروط الأدب أن تقوم أمام السرو

وإذا أوجبت كساد سوق السكر فافتح فاك ، وإذا رغبت فى خجل السرو فَتِه متبخترا

فأنت الشمس المنيرة وغيرك نجوم وأنت الروح الطاهرة وأبناء عهدك أجسام

وإن كنت آدميا فاعتقادى أن غيرك ما هم إلا نقوش على باب الحمام

لا تحبك رداءك عليك لأن أعضاءك الفضية قد بدت من داخل ملابسك كماء الورد من داخل الكأس

وأى حادثة أشهى عند الحبيبين من أن يكونا داخل قميص واحد كأنهما لبابان داخل لوزة واحدة

إن سماع أرباب القلوب هو صوت سعدى المنتحب فما فائدة زمزمة العندليب وسجع الحمام ؟

فى سماعه هذا تشهد جميع السقاة وجه الحبيب ، وعلى شرابه هذا جميع الصوفية تشرب حتى الثمالة

***

أبلغ الناس ليعلموا أننى العاشق المدنف والسكير الثمل بأنى نقضت توبتى صحيح وصدق

وأنا خال من كل ما يقال عنى ومما يلحقنى من عدوى من أذى ومن صديقى من لوم ، وقد تخلصت من أسرك وجلست هانئا أيتها النفس التى تطلبين الشرف والرياء

ومنذ أن طالعت طلعتك مللت النظر بسبب جمال وجهك فلم أنظر إلى غيرك وكنت أعاشر من قبل كل الناس فلما رأيتك حبيبى أوصدت بابى عن غيرك

فيا أيها الساقى قبل أن تسكرنى بخمرك أنا سكران نفسى بالنظر فى قدك وقوامك ،

وتمر علىَّ الليالى وأنا مسهد بسبب تفكرى فى طلعتك حتى النهار ولا يطرق بابى جارى ،

ومن الظلم التحدث مع كل شخص عن شفتك فصب علىَّ لعناتك حتى أرسل إليك دعواتى ،

وقد مضى على سعدى وقت طويل وهو يتحدث بكل قلبه عن عشقك ولا عجب إن تعبدت هذا المعبود ،

وقد كان فؤادى أسيراً لكل هموم الدنيا فلما سقطت بأسرك تخلصت من كل شىء

***

غد مختالا إلى بابى فأنا أتمناك بكل روحى وسعيد برؤيتك وهانئ بكلامك

ولو تعلق خاطرك بكل إنسان فلا قدر الله هذا اليوم وذاك الخاطر لأنى لا أتعلق إلا بك ،

بحثت عن آخر يماثلنى ما أوهى عهدك يا صلد الفؤاد ، لا تفعل فلن تجد مثيلى وفيا لك ، ولو أن قارون نفسه ألقى بكل كنوزه تحت قدمك فكيف يضارعنى وقد ألقيت بروحى تحت قدمك

وقسماً بحياتك إننى أحبك أكثر من حياتى ومن أعماق روحى وبحق المحبة يا حياتى صدق قسمى

ولا توزع رغبتك على محبين متفرقين فى كل صوب وأنا الذى فرقت قلبى عن حب محبوبين غيرك فى كل اتجاه ،

وعجِّل إليَّ بشراب وصلك فقد تجرعت كأس هجرك واغرس شجر المودة فقد اقتلعت جذور الصبر ،

وإذا خرجت قدمي عن الطريق فأى جدوى من سيرى وإذا خرجت الأمور من يدى فماذا يفيد نصحى ؟

فقل للمعلم أقصر وعظك فأنا تلميذ مستهتر وأبلغ أبى أن يقلل نصحه فأنا ولد عاق ،

ويقول سعدى وهو يتعقبك خائرا ذليلا كالتراب المتسفل : قد رضيت بالغبار على قلبى ولم أرتضه على ذيلك

***

لست أنا الذى يهتم بالتريض بدونك وأنا كافر لو ملت إلى الرياض أو فكرت فى سير الصحراء بدونك ،

أمرُّ على الرياض فلا أستحى من عدم دخولها لأنك لست معى وأنظر فى الرياحين وأستطيع تحاشيها لأنك لا تصاحبنى ،

ولا أهيم صبابة بشدو طير الخمائل ولا أجن بوجوه الشقائق الحمراء ،

كبلبل سكران على ورد وجهك فأى أمنية لى فى وجه الشقائق والنسرين ؟ فإذا لم تجدر يدى بجذب ذيلك أجعل مفرق رأسى حيث تخطو بقدمك

إن توجهت إلى المسجد فحاجبك محرابى ولو يممت شطر الكنيس فضفيرتك صليبى ،

احترق قلبى بطبخ جنون وصالك فانظر إليَّ أنا الفج الخام ماذا جنيت ؟ بأى فكرة أعين عقلى المسكين

وبأى تدبير أصبر قلبى المفتون المستهام ؟ ففكر فى أنا الذى أعميت بصرى عن غيرك

وخذ بيدى فقد رفعت يدى عن كلا الدارين ، إن لحظة لى معك خير من الجنان الثمانى ، فإن عشتها اليوم معك أنَّى لى أن أهتم بالغد ؟

فادع سعدى قريبا إليك لأننى منك بالمعنى ولو انتسبت إلى آدم وحواء بالصورة

***

لا يزال برأسى خمار من شراب البارحة ولا يزال بحضنى ورد من جنة وصل الحبيب

ولو قلبت الدنيا بجنونى رأسًا على عقب وأنا ثمل فلا تلمنى لأن رأسى مجنونة بحبيبى ،

فهات يا ساقى قدحًا فقد تبت عن الزهد ، واعزف يا مطرب لحنًا فأنا فى عار من توبتى ،

فأرسل طوفان الفناء فوق رأسى لأن بقلبى من متربة الوجود غبارا عالقا ، قد محوت بماء الغيرة كل رسم ونقش ظاهر لأن بدويرة قلبى نقشا وحبيبا آخرين ،

وأنا موسى طور العشق فى وادى التمنى ولدى ألف مجروح (بل لن ترانى) على شاكلتى

رحلت ورحل فى إثرك قلبى وفى ركابك صبرى وعقلى فعد فلا يزال بى بقية حشاشة أفتديك بها ،

فإلى متى تجعلنى أعدو كالفرجار حولك على رأسى ؟ أنا حائر لكن قدمى ثابتة ، ولا فوت لى من عقل كامل حتى يستقر قلبى لكن قدمى ثابتة ، ولا فوت لى من عقل الحشر

خمار من تلك الخمر التى صبها عشقك فى حلق روح سعدى

***

أسعد باليوم الذى أرمى فيه برأسى تحت قدمك ، وألقى بعقلى إلى زمجرة خلق العالم ، وأتلو رسالة حسنك على العالم والجاهل ، وألقن اسمك أفواه الشيوخ والشباب ،

وإلى متى أحجب حجابى هذا المحرق للروح ؟ وحتَّام أخفى هذا السنان الذى يشك الأفئدة ؟

ومتى ينفتح مجلس الفرح للشمالى بهمومك فألقى بنفسى بينهم متطفلا

ولكيلا يصف جمالك كل جاهل فإنى أرمى بحجر تعظيمك عثرة فى طريق بيانهم ،

وإن تجولت فى ميدان محاكاتك فإنى سألقى بكرة قلبى فى ثنية صولجان لسانى ، ولا يجد القواد طريقا لهم إلى طرف أصبع قبولك حين أرمى برأس قلم وجودى أو سنه فداء لقبولك هذا فاذكر سعدى واشهد تضحية المشتاقين والله يعلم أننى أصبح ملبيا رغبتك

***

سأتعلق يوما صبًا والهًا بضفيرتك ، ولأثيرن ألف ثورة من جراء شفتيك العذبتين ، فإن قصدت الظلم فهاك أنا ورأسى وإن رمت الوفاء فهاك روحى أهرقها تحت قدمك ، ما أكثر توبتى وعفتى التى بطلت بسبب عشقك وسوف أشترط من بعد على نفسى أتحاشى التوبة ،

وقد ضاعت نقود قلبى المسكين فى تراب بابك ولا فائدة من تخلى تراب ناصية كل ربع ، وبكل مدينة ضرب عدوى دُفَّه بفضيحتى حتى ضربت دف العشق سهام نظرى الحاد

أنا المجنون بطلعة ليلى كقيس العامرى وأنا فرهاد الهائم بشفتى شيرين ككسرى برفيز ،

قلت اقعد بهمومى أو قم من قلقك على روحك وأنا طوع أمرك حبيبى إن شئت قعدت أو قمت

ولوخلت الجنة منك فلن أعتلي شرفاتها ولو ضمتك جهنم لتعلقت بسلاسلها ،

وإذ كان الشعر لا يسعف سعدى ولا يسعه إذا تذكرك فلن يعاشر غيرك لأنك نسيج وحدك

***

رب قد آتيتنى من الملك حين أطالع طلعة الحبيب وأرى بأعلى سروه الفضى وردة جنية ،

فلعل الطوبى طلعت فى دار سراب روحى لأننى أرى على كل شعبة طائرا يترنم سكرا ، أو لعل الدنيا انتهت لأنى أعب الخمر بلا أوشاب فى الجنة بكل حرية وأرى الورد بلا شوك ، وإنى فى عجب من حظى وأقع فى الظن كل لحظة هل أناسكران أو نائم أو أننى أرى جمال الحبيب ،قبلت الأرض كثيرا وأظهرت خضوعى حتى أننى ألثم الآن شفتى معشوقى وأرى وجه حبيبى ،

فأى طاعة فعلت حتى أجد هذه المكافأة

وأى أمر انصعت إليه حتى أرى هذه المنزلة ؟

أهو أنت حبيبى الذى أخذت تهاجمنى وأنا مختمر بالنوم أو أننى يا ربى أرى حظى يقظا ناهضا ؟

إذا انعقدت الخلوة فلن أكون شمع وكنتها ، ولن أتمنى الجنة لأنى أرى وجه محبوبى ،

وأى شقائق أطلب ورأسى حشى بالعنبر وأى ريحان أجعل منه باقات وأنا أرى الدنيا مزرعة ورد ؟

إن الفلك يصرخ قائلا ما أعجب هذا الأمر وهو أننى أرى سعدى يتنعم برؤية طلعة حبيبه .

***

ما إن عشق قلبى حتى رأيته يحوى الهموم بين حناياه وبأى مكان أطلب قلبا بلا همٍّ وهذا مطلب عزيز لا أراه بالعالم ،

لا يتحقق لى أن أعيش لحظة بكل روحى مع خل وفى وأنفاسى تخرج روحى حين لا أرى حبيبا وفيا مخلصا ،

وأضمر سراًّ بقلبى نما بدماء عينى ، ولكن من الذى أبثه سرى وأنا لا أرى من يكتمه ؟!

أقنع بالمرض لأنى حين أحببت لا أرى سعادة بقلبى ، وقد أهدرت عينى الندية كرامتى من كثرة بكائى فلماذا أبكى ولا أجد جدوى منه غير ذرف الدموع؟ فاصمت الآن يا سعدى فقد خرج الأمر عن يدك وتمن لحظة تقضيها مع حبيبك وإن كنت لا أرى تلك اللحظة أيضا

***

لا تظن أننى سوف أتحول عن بابك خشية الملام فقلبى مستقر بمكانك فسلمه لى حتى أمضى بسلام ،

قد تنازلت عن رأسى قبل أن أخطو إليك فلم آت مخادعا حتى أغادر ملاما ، وأنا محب قديم لك أفتديك بروحى الغالية

ولست حديث عهد بمحبتك حتى أزول عنك خوف الغرامة والخسارة .

إن بلغ مسامعى نداؤك تطلب فيه موتى فسوف أتقدم إلى القبر بكل عزة وكرامة ، وإذا عرفت وأنا فى البرزخ أننى سأحشر معك فلسوف أتوجه من لحدى راقصاً حتى أبلغ القيامة .

***

هلم إلىَّ فأنا مشوش فى همك بدون وجودك ، وتعال انظركم أنا تعيس فى همك هذا فى غيبتك

أنوح الليل من فراقك أيها الملائكى الوجه فإذا طلع النهار كأننى فى نار بدونك ، ولم تمن علىَّ لحظة بشربة وصلك حبيبى وأتجرع دائما سم فراقك بسبب عدم وجودك .

فإن تفعل مثل فعلك هذا معى أنا المسكين يا حياتى لأسحبن قدمى من الدارين بسبب غيبتك ، كتبت كتابى وقلت تعال وأسعدنى فأجبتنى قائلا أنا سعيد بدونك .

***

يا من صورتك خزينة من جوهر المعنى لنا من تحريق عشقك دفينة فى قلوبنا ، وأنت عالم بأن لآهات المحترقين أثرا ، فلا تدع نوحه تتصاعد من أى صدر ، تكفينا زينة عقدى مرجان ثغرك والعنبر من الشعر المنسدل على جنبيك وصدرك

أنا لا تتطامن جبهتى إلى سلاطين الزمان إن صرت حقيراً من بين عبيدك

النظرة التى لا أوجهها إلى وجهك من خائنة الأعين ، واللحظة التى أمضيها بدونك غبن

وليس من تدبير لدينا سوى إلقاء الدروع استسلاماً لأن خصمنا يقذف بالحجر ونحن زجاج ، ومن جاز له أن يزعم محبة الحبيب هو من يطرد عن قلبه كل حب وضغينة ،

وسعدى لم يصر مثلا فى الطهر والمجون فى هذه المدينة وحدها بل فى كل مدينة ، وشعره كالماء فى كل العالم سرى كما تسرى السفن من فارس إلى خراسان .

***

يا من الولولة من عشقك تعم كل ربع إن طلعتك تزيل من قلبنا كل همٍّ سببه وجه ، فانظر بنظر الرحمة يا زينة رأسى إلى من تأسست كل شعرة فى رأسه على آهة وزفرة ، إن عطش عينى الجريئة لا يقل مع أننى أجريت من كل رمش لها جدولا ،

يا من ارتمى كل جسد من حبك فى زاوية ، ويا من تشرد كل قلب من شوقك فى اتجاه ،

نحن لك مخلصون وأنت لا تخجل من أن تظهر كل لحظة بقصة وكل يوم بطبع وصفة .

ما نشأت في منجم مثل بدنك الجميل فضة وما نبت من الحجر وجه مثل قلبك الصلد ،

وما رتب الخريف حقل الرياحين إذا حملت الرياح إلى البساتين أريجاً من جديلتك ، ومع كل ميدان لطفك هذا فما مكانة سعدى ، إنه كرة فى عقفة صولجانك .

***

أى جرم اجترمناه حتى لا تخاطبنا ؟ وهل الجناية من طرفنا أو منك يا سيىء المعشر ؟ فزت بالرهان بحلاوتك على قصب السكر بالإجماع لكنك قصب سكر برى ، وألف روح تطلبك حبا لك

وأنت يا جلمود الفؤاد لا تلتمس قلبا تلطفا منك ، ولكن لا يمكن الاصطبار

عنك مع كافة عيوبك فأقدم ولو بدر منك كل سيئة فهى عندنا حسنة ،

فلا تنطق بفظ الكلام ولو شئت فانطقه بشفتك العذبة يخرج حلوا طيبا ، ولا أوجب لنفسى وردا ولا يرقى السرو إلى نظرى وإنما ما يجب لى هو وصالك فأنت سرو وردى الأريج .

جعلنا من ألف ثوب درعا فأصابت سهام غمزات الحسان دلقنا لكن الأمر اختلف معك ،

ولا يجدر أن تقبضى على ذيل المراد بيد جهدك إن لم يرد لك يا نفسى أن تتذوقى السعادة ، وقد صح أنه لا يمكن أن تجد متحابين وفيين فافن عن نفسك يا من تطلبه .

ما إن تضع قدمك على أعتاب العشق فتهيأ إلى أن تتخلى عن الدنيا وسل أعين المتألمين عن طول الليل ، وكيف تقدر قيمة الماء يا من أنت على الجدول ؟ إن عبق العشق ليفوح من تربة سعدى المسكين بعد موته بألف عام لو شممت عبقه .

***

أيتهـا الريح التى مررت على تراب باب الحبيب أظن أنك مرسلة من روضـة جنان الخلد

ولا يمكن بغير سبب أن يعدو مدله مفتون كل لحظة كالمجانين فى الدور والسهول ،

ولعلك قد نظرت فى وجه محبوب حتى درت حائرا مثلى فى كافة الآفاق ،
ولن أدع من كفى ذيل معشوقى الجميل فدعنى حتى يسير ذكرى يا صاح بفضيحتى .

لا يختلج بخاطرى يا روحى غير ذكراك مع أنك طردتنى دفعة واحدة من تذكرك

وماذا يفعل قلبى مع طبعك الملول إلا أن يتعايش معه ، وليست الشرطة مهيأة للقتال فى كل وقت ، وقد مررت بنا كثيراً ولم تلتفت إلينا ولم ألبث لحظة بدون تذكرك وذكراك .

أنت بديع لطيف سكرى المنطق وقمر شقائقى الخدين وسروى ياسمينى القوام ومعشوق بطبع الحور ،

وما اشتبك شصُك بامرئ إلا واصطاده ، وما شهرت سيفك على إنسان إلا وقتلته ،
ولا يمحو سيل القضاء من دفتر الأيام ما كتبته أنت فى خاطر سعدى

***

القسم الثانى : الملحقات

أولا : الصاحبيات أو القطعات

* ماذا يمكن أن يقال فى قطر مطر الربيع ؟ وما استطاع ذكره فى نافجة الغزال التترى ؟

لو أن كل شيء وسع الصفة والنعت فماذا يمكن أن يقال فى صورتك ومعناك ؟

* كفاك أيها الغلام البديع الجمال المدل المختال ، فقد أضرمت حرقة عشقك النار فى الدنيا

ولم تحتاج إلى العلاج بالنفط المعطون وأنت بغير داء وبنفس ثغرك نار من شفتك اللعلعية ؟

* يحل لى النظر إلى وجه الجميل لأن كل من رآه ، حاشاه ، صورة فى نظرى خلقت عينان برأس كل إنسان ولكنك ترى النقش وأنا أنظر إلى النقاش

* حين يضحك حبيبى بملاحة يرش ملحا زائدا على جروح المجروحين

وماذا يحدث لو أمسكت بيدى طرف ضفيرته كأنه كم الكرماء أمسك به الفقراء؟

* أخذ أحدهم يعذلنى على عشق وجهه قائلا : إلى متى تعدو غير واع سعياً إلى حتفك بظلفك ؟

فاسأل الذى يأسر بأحبولته ولا تسألنى أنا المغلل بأغلال عنقى

* إلى متى تطلب منى أن أفصم حبى عنه وأسكن نفسى بالصبر ؟

فقل للقهرمان أو حجر المغناطيس حتى لا يجتذب قشا إليه وماذا يفعل المجذوب المسكين ؟

* قلت أقابلك فى الطريق وأتشبث بذيلك يا من تحسد الشمسُ جمالك المنير
حرقت مدينة بنار هجرك وكنتُ أول من استرقه قيد حبك
* فمُن على بنظرة من طرف عين حبك حتى أكون عبدك وممتنا لك
فقال صاحب قلب ينصحنى :احذر أن تثير جلبة لأنه لا يحب صخبك
* وهو الجميل منجم لا يحتاج إلى شرح حالك له بل انظر إليه يعلم ما بضميرك
يتمنى التعساء الحظ أن تزول نعمة السعداء وجاههم
* فإذا كان الخفاش لا يرى بالنهار فما هو ذنب عين الشمس ؟
إن أردت الحق فإن ألف عين كمثلهم أفضل لها أن تعمى لا أن تسود الشمس
* الأفضل أن تبيع بستانك الموروث حتى تحوز قلوب أصدقائك
والأولى أن توقد النار لإنضاج طبيخ السعداء الحظ بدار ثياب كاملة
* وافعل الخير أيضا بالأشرار فالأفضل أن تسد فم الكلب بلقمة
والأولى فقء عيون أعداء الله الضيقة بسنان الأجل

ثانيا : المثنويات

* مطرب بعيد عن هذه الديار الميمونة ولم يره أحد فى مكان واحد فى يومين

كان إذا رفع عقيرته بالنداء اقشعرت منه جلود الناس وتسمرت شعراتهم على أبدانهم

طارت طيور الأواوين منها فزعا من صورته وأثار فينا الجنون ومزق هو حلقه من الصياح

* رفع منشد جاهل مرتفع الصوت عقيرته بالغناء لكى يظهر فضله وعلق العلماء

لا يدرى أن مقام الحجازى ذا اللحن العذب يتوقف عاجزا بسبب قرع طبل اللاعبين على الأحبال

* البطن هى سجن الريح أيها العاقل ولا يحبس عاقل ريحًا

فإذا تلوت بالبطن الريح فاتركها لأن الريح فى البطن عبء على القلب

* كم من رجال كانوا متسترين لكنهم فاقوا غيرهم من الرجال فى الكرم والنخوة

وأنت بكل رجولتك وعنفوانك أخشى أن تكون أدنى من امرأة

* تأخرت أيها المحبوب السكران فلن نتعجل فى ترك ذيل ثوبك ، لأن المعشوق الذى يطول العهد حتى يرى هو آخر من يشبع من رؤيته

* أنا لست تلك النملة التى يهرشون أقدامهم لقتلها ولا الزنبور الذى يؤذى الناس ويلدغهم

فكيف أؤدى حق الله من الشكر على أنه لم يهبنى المقدرة على ظلم الناس وإيذائهم ؟

* من أنعم الله عليهم بالمال والنعمة لماذا يعيشون فى ضنك خوفا من الضنك والشدة ؟

فاذهب واسعد يا رفيقى المبتهج ولا يجدر أن تحزن فى يومك هذا بسبب عزٍ لم يأت

ثالثا : الرباعيات

يغلي باطني ويجوش دما بكل ساعة ولا يدرى الناس ما بداخلى لأنهم لا يرون إلا ظاهرى

ولا يدرى كم من الآلام يكابد المجنون إلا من رأى وجه ليلى

العشاق أسرى بلاطك فتعال حتى لا يأخذوا عليك أنك سيىء المعشر فظ

أنت معذور في كل ما أتيت من جور وجفاء فتعال قبل ألا يقبلوا عذرك

يا ثمل العين وسكران الشراب أصحاب النظر متعطشون ووصلك سراب

يمكن أن ترى إنسانا يشبهك فى المسهل والجبل لكن من خلال مرآتك أو على سطح الماء

إذا لم تستطع أن تقتلع قلبك من هوى حبيب لك فلا علاج لك إلا التحمل والخضوع

فإما أن تلتزم بترك الورد اللعلى أو ترتضى بآلام أشواكه

قلبى يضيع من الهوى ولا أغمض عينى عن التطلع إلى الحسان ، فإذا لم يتيسر الزهد فلا يمكن التذرع بالخداع والختال

لم يحرق الشمع الفراشة المسكينة ، وإنما احترق ذاك الذى كان يشعل الشمع

قلت لى يوما سوف أسعدك ذات ليلة وأخلصك من قيود همومك

أرأيت كم من الليالى انقضت بعد قولك ذاك ولم تتذكر شيئا عما قلت ؟

قلت مائة مرة إلى غلمان بابك ألا يضعوا المرآة مطلقا فى قبالتك

لأننى أخشى من أنك حين ترى وجهك القمرى لا تنظر من بعد إلى شخص غيرك

الحبيب الذى نقض عهد المودة كان يسير وأنا ممسك بذيل ثوبه

وكان يقول سوف ترانى ثانية فى منامك وظن أننى من بعد ذلك سوف أهنأ بنوم

تمر الليالي ولا أستطيع إغماض عيني والناس كلهم يغطون في نومهم وأنا بفكرك سكران

فلعلك تسفك دمي بيدك حتى أسلم روحي وأنا متشبث بذيل ثوبك

العاقل هو من سكر جنونا بك ، والسعيد من ضاع قلبه من هوى وجهك

كل ما في العالم الوجود معدوم في غير وجودك مع أنه لا يوجد مثلك موجود في الوجود

لو كنا السبب في تزاحم سكان هذا الربع أو علة تقطيبهم وجوههم وتعاستهم

فسوف يتغير وجهنا الذى يشبه البن ، ونخرج أيضا كالشعرة من الزبادى

ما أحلى وأجمل هذه القامة التي تثير القيامة ولايعادل السرو لطافته الفضة

والأحرى بك ألا تزور أحدا حتى لا يقول الميت إن القيامة قد قامت

اكتسب السرو رفاعة قامته من قامتك واحتظى البحر بلؤلؤه المتلألئ من ثغرك

وكلما أرى بنفسجا أقول إن الرياح قد حملت من رأسك شعرة إلى الصحراء

هذه الليلة التي ستضيء بحضور الحبيب المبهج للأرواح سوف تنتهى بنهاية سعيدة على رغم أنف الأعداء

فقل للشمع أن يخمد وللقمر أن يغيب لأن تلك الليلية التي آخذ فيها الحبيب في حضني نهار مضنٍ

الليلة التي أنت فيها على صدرى نهار واليوم الذى ينقضى عليَّ وأنا معك ربيع

قد ولَّى الأمس فلا تنتظر الغد واستدرك أمرك فحاصل الحياة هو اليوم

يقال إن هواء فصل الربيع عليل طيب وأريج الورد وشدو بلبل البستان مبهج ومفرح

وفراش الحرير واللحن الجهير طيب ، لكن كل هذا أيها الجاهلون أطيب بوجود الحبيب

أقف وأمضى مادام أن الصبر لم يعد بمكنتى ، وأضحى بروحى فداء قدمه لأن سكينته فؤادى وأعترف أمام العدو والصديق إن من قتلنى برىء من دمى

ذلك القمر الذى قلت إنه ملك الرحمن لو نظرت إلى مشاقه وإيذائه قلت إنه شيطان

ووجهه الذى كان مستحبا كالنار فى الشتاء هو اليوم كالثوب الثقيل على الجسد وقت القيظ

عديم الوفاء ذلك وهو حبيبى الفظ هو شمع للآخرين ونار تلتهم فراشى

فيا من أنت مصالح لجميع الناس ومعاد لى ليس الذنب ذنبك وإنما ذنب حظى العاثر

من كثرة إيذائه قلوب الأعداء والأحباء كأن جلده مسخ بالذنوب

مضى وقت ناءت جميع الأفئدة بهمومه أما الآن هموم الدنيا مكدسة على قلبه

يا من تخللت فؤادى كالدم فى العروق والجلد إن كل ما يصيبنى بسببك حبيب إلى قلبى

ويا من صحا طائر سحره فى الصباح لم ننم ليلة من ليالينا من همِّك

بما أن حالتى السيئة فى نظر حبيبى طيبة لا غبار عليها فقل لعدوى أن يزيل حبيبى بدافع جفائه عنى

وبما أن عدوى القاسى هو رسوله إلىَّ فإذا لم أتخذ هذا العدو صديقا لى كنت سيىء العهد غير وفى

يفعل المجاهد كل ما بوسعه لكى يحصل على الشهادة ومن حزن بهمك زاد عنه فضلا

وكيف يستوى هذان الاثنان يوم القيامة ، فالأول قتيل العدو والثانى قتيل الحبيب

إذا اتجه الناس بحبهم إلى أحد فلن يكون غيرك يا حبيبى لجمال طبعك وزكى ريحك وبهاء وجهك

ويمكننى أن أصطبر على ألا وجود إلا وجودك أنت لأن وجودى كله هو أنت

لو طعنتنى يد حبيبى التى كالمرهم أو خرج مخى كاللب من قشرة اللوزة

فإن غيرتى تأبى علىَ أن أشتكى إلى أحد حتى لا يعرف الناس أنك أنت منظورى

يقولون لى اتركه فهو حبيب فظ غليظ القلب ولا يساوى جماله القسوة التى فيه

فخلوا بالله عليكم عنى وعن حبيبى فإن الطيب والخبيث والألم والراحة من حبيبى طيب مقبول

لم تمر علىَ ليلة لم تتمن عيناى وجهك ولمتك ، روحى التى بلغت حلقومى أسيرة هواك

فإن آثرت علىَ غيرى فلن أنقض عهدى فليس يوجد من يناظرك

يجب أن تحب حبيبك كما هو ولو ساح دمك داخل بدنك

والعدو الذى لا أستطيع أن أراه بعينى كرها علىَ أن أحبه من أجل رضائك عنى

وماذا أقول فيم جرى لى وحل ؟ إنه طوفان حبك قد تجاوز حده وزباه

فامسح بيدك على قلبى يا حبيبى العزيز حتى ترى أن سهمك قد نفذ من درعى

أتفاءل بوجهك يا حورى الأصل لأنه لا يمكن تقبيل الحور

والسعيد من يتفاءل بوجهك حتى يعيش فى سرور وهو فى محنتك وهمك

كل ما ترتدى يجمل بك ويحسن منظره ولو كان حريرا خاما ثم صار ديباجا وأطلسا

لا تظن أن كل من رأى طلعتك مرة سوف يصبر عنك بقية عمره

فى الربيع يبلغ السيل وسط الجبال وتتدحرج الأحجار من تلال الأطوار

قد انهمر من عين ماء عيننا كل هذا السيل وكأن قلبك يزيد قسوة وغلظة

لم نسمع بأحد قضى عمره وفيا بعهده مع حبيبه مثل هذه الفراشة الصغيرة

فالمقراض يفتح طرفيه معاداة للشمع بينما تخر الشمعة على قدمه ميتة من حبها له

العمامة التى يرتديها ذاك المعشوق الفتان كأنها تحمل عبقًا من ريح الصبا ذلك

لو فاضت هذه الريح على من مات منذ مائة عام لبعث حيًا فى الحال من تربته الغبراء

لو حملت الريح من الورد حسن شبابه فلن يقوى البلبل على أن يسكنها عن فعلها (*)

ولما استوت الأزهار وذهب العطار ليستخرج منها عصارتها وماءها فلما بلغها أهدرت هى ماء وجهه خجلا

ليس من أحد يعرف إخراج الهمِّ عن قلبنا أو يمكنه حل مشكلة عشقنا

قلت له إنه استلب بمهارة وشطارة متاعنا بيده التى يسلب بها الفارس وهو مترجل على قدميه

كلما مرَّ بى هذا الولد أتدرى ماذا يحل علىَّ من شوقه ؟

أبلغه بأن يخرج من فمه كل سب وفحش لنا فهذا فى فمنا مستساغ كالسكر

الخال الذى أعجزنى وحيرنى وصل من أجله خط ودفع ذاك الخال

كان خاله الأسود الذى أهرق دمى فظهرت بى الجروح وجعل هو كل وجهه كأنه خال

إذا لم يكن بالاستطاعة جعل حظك بتدبيرك سعيدا فلا جدوى من سعيك وقولك وفعلك

قلت سأمضى وأصبر عنه فترة لكن صبرى عجز فلم أستطع الصبر عنه

أخذ الشمع حين يبكى وينصهر ، بكى لكنه كان يضحك ضحكا مجازيا

قطعوا رأس هذا الجرىء المعاند لكنه ظل واقفا يتطاول بلسانين فى لجاجة

---

* هذه الرباعية وما بعدها تلاعب فيها الشاعر بالألفاظ والتوريات فيختفى جمال صنعته عند ترجمتها .

إن عزمت يا ريح السفر إلى تلك الأرض وواجهت بوجهك طلعة الحبيب الرقيق المنعم فأبلغيه منا كثير دعائنا وحبنا وقولى له ماذا ستفعل بشأن محبيك ؟

ذاك المحبوب الذى هو دعة قلوبنا وسكينتها يقولون لى إنه قبيح فاتركه ينتظر

فلعله لا يحلو فى أعين أحد غيرى حتى يكون هو عبئى وحدى

من له جمال القمر ينير كل من ينظر إليه ،

فإذا لم يبد نوره فى مرآة أحد فذلك لأن صاحب المرآة متكدر الطلعة

من ينظر إلى هذا وإلى ذاك هو دنىء وضيع فى نظر أصحاب النظر

والقاضى يفتى فى الشرع بشاهدين لكن فى مذهب العشق يكفى شاهد جميل واحد

كل سرو على بسيط العالم حرى به أن يحنى قامته أمام قامتك

فلا تغضن طرفك قط عن هذا السرو الفارع فمن دونه قليل العقل وإن طالت قامته

لوأنشبت قبضتك بدمائى الجارية فلا تبتئس فإن الهم إذ ذاك يقع على عاتقى

واسأله أى ذنب اقترفت أنا المسكين إلا حزنى من أنه تعب منى ؟

المسكين هو المفتون بك ومن يفيض قلبه دماً إن ابتعد عنك ، فإذا لم يسترح لحظة واحدة وأنت بعيد عنه فكيف إن تدبرت تكون حاله إن غبت عنه فترة ؟

الغزال الغر الصغير إن تعقبه أسد فكيف سيفلت المسكين من مخالبه ؟

وإلى متى سيظل هذا الملح غير مذاب بالماء ، وهذا الثلج إلى متى سيبقى تحت الشمس جامداً ؟

أى وجه سيصبرنا عنك أو سيجعلنا نتحمل حبك وهجرك ؟ ولا مناص من تغريد البلابل حيثما وجد الورد

لا تصدق أننى سأصبر عنك أو أتحمل حبك وبعدك ،لكن ماذا أفعل غير الصبر والتحمل ولا محيص من خضوع العاشقين

خال حسنه ذاك الذى كنت أراه قد خلا وتلك الدمية الجميلة قد زال جمالها

وغمازة ذقنه أو طابع نونته التى كانت روحى تستريح فيها صارت وهذه سوداء حين طلع فيها شعر اللحية

أتدرى علة خروج سرى على لسانى وسبب تحليق طائر قلبى من جوفى ؟

لا تعجب منى وهاون جسدى النحاسى ابتلى بظلم حبيبه فصاح رافعا صوته

وقع نظره يوما علىَّ أنا الفقير فرأيت أن معلما سيىء التعليم قد ظهر لى

لم يدع الشمس تشرق على ذاك الظل الكثيف حين حجبته الغيوم

قلت حلت ليلة الوصل ويوم العطلة فقد جاء ذاك الجميل يعدو بعجلة عجلاء

فقلت له ألا تضع خدك على خدى ؟ قال اذهب ولا تكن أبله فقد جاءك الفيل

آن وقت الورد ويوم السعادة وانقضى وقت عجزنا وانتهى

وفات وقت أن كان قلبك غير متحمس لنا وانتهت البرودة وحل وقت الحب والتلطف

حين دخل عينى ذاك السرو المستقيم الفارع اختطف قلبى من صدرى وداسه بقدميه

هذا الجرىء النظر يصيد القلوب بوهقه فإن شئت ألا تسلم قلبك إلى أحد فاقفل نظرك

لبست خرقة التوبة أياما عدة وجعلت النصح من فم الواعظ نصب عينى وأذنى على وعظه

وفجأة وقع نظرى على ذلك السرو الممتشق الفارع فنسيت تماماً نصح الناصحين

يقولون لا تتبع ذاك السرو الفارع ، وإلى متى ستظل يشير إليك الناس بأصابعهم ؟

فعبثا تنصحنى أيها الناصح ، وكيف لا أتبعه وهو يجرنى بأحبولته جرا ؟

يعجز عدوك عن حربك لأنه يظل أسير أنشوطتك فلا يطاوعه قلبه فى أن يضربك بسيفه ولا يصبر على إشاحة وجهه عنك

هؤلاء الملائكيو الوجوه السكريو القول ظلم منهم أن يحجبوا طلعاتهم الحسناء والنقاب عامة لا يخلو من فائدة ؛ فالقبحاء يرتدونه والحسان يتركونه

هذا الطفل العسكرى الذى يهزم عسكرا يشق دائما قلبنا كأنه قلب الكافر ، والمحبوب خير لنا أن يضرب هاماتنا بسوطه من أن يرانا ويلوى عنانه عنا

لا يعيب علينا أحد نظرنا إلى حبيبنا الختنى لأنه لا يأخذ فى نظره سببا واحدا بل جميع الأسباب

والعاطل الباطل المعوج الطباع من لا يميز بين القبيح والجميل

إذا لم يحتمل المجنون ليلى فحرى به ألا يدعى صدق العشق ، لأن فى مذهب العشق كل من له حبيب لا يتحول بقلبه عنه ولو عرضت عليه الدنيا

ليس بى هذا الداء الذى لا يعرفه الأطباء وإنما داء المحبة الذى يعرفه الأحياء

قد قتلنا همّ وجه حبيب هذه حال لا يجب أن يعرف بها الغرباء

الرجال لا يطمحون إلى الجنة والألوان والروائح أويحبون الشعر المسترسل الجميل والطلعة البهية

فلهم حبيب لا يعدله مثيل ونظير وهم يطلبونه ويحبونه أيضا فى الدنيا والآخرة

مهما اغتابونى وسبونى وشتمونى واختلقوا علىَّ الأكاذيب فلا يمكننى ترك حبيبى بسبب افتراءات عدوى

أتدرى ما السبب ؟ دعهم هم الذين يفصحون عنه

خلوت بالحبيب فى الحمام فأزال وجهه الوردى ورد الحمام فسألنى هل يحب شخص غيرك وجهى هذا ؟

فأجبته لا يمكن حجب الشمس ولو طليتها طينا

البارحة كان القضاء مساعدى والقدر ظهيرى وكانت نارنجة ذقنك بقبضتى

ورأيت أننى أعض شفته العذبة فلما استيقظت وجدتنى أعض طرف إصبعى

لا يفارق الوله بك رأسى ولا تزول صورتك عن مخيلتى ومن أسف أن رأسى تضيع تحت قدمك أيها السرو الفارع ولا تعيش بدونك

ماذا يحدث لو صرت كلبا صغيرا أنت تمتلكه ؟ وماذا يجرى لو كنت شوكة فى بستانك ؟

إن ليوث العالم هم ثعالب على بابك ، فماذا يحدث لو كنت كلبا يحرس بابك ؟

لما اطلع على طلعته فى المرآة ورأى عنقه وثغره وشفتيه وأسنانه أخذ يردد بحيث كان يستطيع أن يسمع قوله :ما أكثر الأرواح التى زهقت ولم تبلغ شفتى هذه !

أنا عبد ذاك الذى يختطف قلبا أو من يسلم قلبه إلى من تستريح له روحه

فمن ذاك الذى لا تعشقه ولا يعشق ، أولى به ألا يكون من بين مخلوقات الله

لحيتك هذى تنمو بسرعة شديدة وتطلع على غير ما نريد ، والقلوب محترقة مشوية على نار خدك ومن كثرة ما حرقت منها تصاعد الدخان من لحيتك

لا يطلع نور النهار هذه الليلة ولا نسمع تغاريد طيور السحر ، فظللت كل الليل مسهدا

وعينى على قمة الجبل ، متى ينشق قلب هذا الحجر عن الصبح ؟

مع أن العالم يمتلئ بالحسان من الشيرازيات والكازرونيات والدشتيات واللوريات

إلا أن مولاى هو ذاك العربى الحر الذى ينطق المر بثغره فنسميه حلوا

يجتبى الورد من بستان وجهك ويجنى العيش الخالد من وصلك

فأهرق قطرة من ماء لعليك على الأرض حتى تنبعث حية أقاليم الزمان

مرهمك على الجروح هو الأولى بك من كل ماتفعل وإرضاء الخلق بكل ماتستطيع أفضل منك

فلا تسلمني حبيبى إلى يد عدوى وإن قتلتنى بيدك فهذا هو الأفضل لى

يا من يد جفائك كجديلتك طويلة ، وبلا سبب عرقلتنى ، ويا من أخرجت يدك من كمك لمعاهدتى ثم سحبت اليوم قدمك إلى تحت ذيلك لمخالفتى

حتى لا أتحول عن فكرك يا أساس النعمة والدلال لن أقصر يد حاجتى عن ذيل ثوبك ،

ومهما بعد طريقى إليك وطال فلن أنكص على عقبى عنك ولو أسلمت فى طريقك روحى

لست برجل إن أدبرت عن محبتك سواء أهلكتنى بهجرك أو حبوتنى بعطفك ، وإن فررت منك يا قاعدة الدل والسعادة عدت إليك حيثما أتوجه

يا من أنت القمر المضىء الليل والنور للمضاجع ما أسعد من قضى يومه معك ونهاره

أنت بطبيعتك مزدان بكمال الخلقة فلا تتزين بالبهارج ولا تمح عرقك ولا تحرق عودك

إما أن تختلى بخلوتك ليلك ونهارك أو تزكى نار العشق وتحرق الديار

لا يستقيم الاستتار والعشق ولا يتوافقان فإن أردت ألا تهتك أستارك فأغمض عينيك

الوجه الذى لم أحب أن يرى كل إنسان إلا أن يبقى أمامى وحسب بالليل والنهار ولا ينظر إلى غيرى ،

أراه قد تعلق بالآخرين وانفصل عنى ، فيا رب أغثنى منه وأجرنى

إن نسبنى الجهلاء والعابثون من خلفى إلى الهوى والهوس ، فما ارتكبت من ذنب لم أرتكبه أنا وحدى لأن حبيبى المليح يحبه كل إنسان

المنعم المرفه الذى يقضى ليله ونهاره فى المتع أنَّى له أن يعرف دواعى لوعات الفقير ؟

وما أكثر الماء الذى يجرى فى جيحون والفرات والعطشانون فى البادية على وشك الموت فى سبيل طلبه

عارضه الموزون فوق مدورة ، وخاله المعنبر نقطة فوق نونه ، ولماذا لا أقول عن ثغره نفسه أنه نقطة وقد دار خطه حوله كالدائرة ؟

يقول العقلاء الأكياس اقنع وارض ما لم تصل يدك إلى مقصودك ،

وماذا فى مقدورى غير الصبر رضيت أم أبيت على الناعم الرقيق المتعذر ؟

جارك الذى يميل طبعك إلى النظر بتمعن إليه ما الفردوس الأعلى إلا دار بربعه ومن لا تحب أن ترى وجهه الجنة فى مواجهة النار

إما أن تظللنى بظلك كالعنقاء حتى أطيعك بكل روحى وعقلى أو أمضى إلى حالى وأعود إلى بلدى إذا لم تعدنى جديرا بخدمتك

يا من بدونك الأرض ضيقة علينا بمارحبت ، فخارنا بك وعارك منا ، نحن فى صلح معك

وأنت فى قتال ، فقل فى النهاية هل ما بصدرك قلب أم جلمود ؟

لوتحققت لى دولة أيام الوصال ولو ضاعت رأسى بسبب فكر مجنون محال ،فلأطبعن قبلة على النصف الخالى من وجهه هذا والثمن ذاك النصف الآخر الذى به الخال لثمة أخرى

كنت أعد نفسى بمقام الأسد فلما ظهر خصمى أشبهت ثعلبا وقلت لأصبرن يوم فراقه فلما وقعت الواقعة عجزت عن الصبر

يا بمن بطلعة الشمس وطلوعها أنا أسير أحبولتك أتنقل أعباءك بروحى وأتحمل جورك

فإن أردت مالى ومنالى أو ابتغيت روحى ورأسى بعت نفسى واشتريت مرادك

كل سرورى قد يمر أمام نظرى يحتار فى هيئته بصرى ، وبما أننى لا أطمع فى أن يعاودنى شبابى فلا أقل من أن أمعن النظر فى الشباب

أقضى معظم ليالىَّ الطوال مسهدا ولا أتوسد فراشى إلا قبيل السحر

وأظن أن عينى سوف تخلد إلى الكرى بلا رؤية الحبيب لكن ظنى هذا لا يغدو سوى خيال

أنا أشد عبيده أسراً وقيداً به وأبعدهم عن عين سيادته وعنايته ومع كل هذا الا يمكن أن أفصم حبى عنه لأن حبيبى كلما زادنى قتلا زدت حياة

لأنهض فلم يعد بى تدبير أكثر مما فعلت ولو ضربنى خصمى بكل سيوفه وسهامه ، ولو تحقق لى تشبثت بكمه وإلا مضيت لأموت على أعقابه

أطلقت بإصبعك سهامك لتصيب بها عروق روحى فما أشهى من أن أموت أمام يدك ، بل إننى أتمنى مخاصمتك حتى أصالحك وأضمك إلى صدرى

ذاك الحبيب الذى يرتاح لرؤيته نظرى لا تهدأ عينى عن الرؤية إذا غاب عنى ، وما أعيننا إلا لأجل رؤيته وإذا لم تر حبيبك فما فائدة عينيك ؟

مضى عهد انشغالى به وسقطتى مقتولا بسيف جفائه ، وعاد وليس فيه دهاؤه السابق وأتى بأمره المخطوط وهو أننى عنه معزول

لا تفكر فى أننى ناقض عهدك وناكص عن وعدك وأن روحى ستفتر فى حبك ،

ومع أن الجمال ينسخ بالخط لكنى أظل أقرأ خطك على مثل ذقنك الجميل

أنا عبد قوامك وقدك البقسى وأنا (فرهاد) لك عذب الكلام حلو المنطق

عينى على ثغرك وأذنى على حديثك ولا أفهم ما تقول عن عشقى لشفتيك

كلما أنظر إلى ورد وجهك أود أن أطبق أهدابى كالنرجس

ولو كنت بدونك بين الأرجوان والياسمين لجلست وما رفعت هامتى مثل البنفسج

ماذا أفعل إذا لم أبحث عن سكينة فؤادى وما صنعى إذا لم أطلبه بكل جهدى وجدى ؟

يقولون لا تسر وراءه فأنت تسعى إلى حتفك بظلفك ، وماذا أصنع ما دمت أسير وهقه ؟

قلت لن أنظر ثانية إلى المحبوب ، ولأسلكن طريق الصوفية وأكف سمعى عن المنكر

فرأيت أن هذا يخالف طبعى الموزون فتبت عنه توبة نصوحا لا أرجع فيها

لا تهدأ ثائرتى ولا يسكن طبعى فى غيبتك ولا أشتم وردا سوى عارضك الوردى الأريج ،

يقولون لى : انسه حتى يزول من ذاكرتك ، وإن نسيته أو لم أنسه فبحمد الله فهو ثابت بفكرى

لم أصحبك حتى أرى الصحراء أو أجلس على ضفة الغدير مجنونا بك ، بل قصدى أن أفرج بك همومى منك وقتما تقطف الشقائق والورد

لأنهض وأرقده وقامته الحورية وأشهد طلعته ذات الأنوار الشمسية ، إذا لم يسمحوا لى أن أدنو إليه فلن يدفعونى حتى أراه من بعيد

تأتينى فأرى لطفك وكرمك وأجد راحة فؤادى تحت قدمك ،وحين تغيب أراك أيضا وأراك ماثلا فى كل شىء يقع عليه نظرى

حين يقتلنى ذاك الذى تخجل منه الشمس والقمر فليس هذا يعنى أنى أستسلم إلى المذلة

والحيف يقتلنى بعد أن ألثم ثغره مرتين أو ثلاثا لكى يبرأ من دمى إن قتلنى

لا أعاهد غيرك لأنى أعلم أنه لا يوجد عدلك ونظيرك ، وأعقد بك قلبى لأنه سكينة روحى وإن أنا فصلته عنك فمن غيرك أعقده به ؟

نبيع حصيلة العمر لقاء لحظة واحدة ونضحى بعظيم السعادة فى نظير همٍّ واحد ، ولو تحصلنا على ألف روح كل لحظة لبعناها فى الحال مقابل حفنة تراب من قدمك

عبر فوق عبراتى التى كالجدول وظن أننى أطلب رحمته ، وكيف لى أن أحكى له قصتى ؟ قد فرغ منى فيضربنى كما يضرب الصولجان الكرة

يمزق رفاقي ثيابهم وجدا إذا سمعوا الدف والناى وأنا تدور عيناى حيرى تتفحص مكانا ما

فالعشق منى واللهو من رفاقي وعينى ثابتة عليه وآذانهم مصخية للسماع

مر يا ملك حسان العالم حتى ينحنى خاضعا أمام قوامك السرو المستقيم ، وإلى متى أتحمل من يد جفائك السخرة وليس هذا من شرع الإسلام أو قوانين جنكيز خان ؟

سوف أمسح تراب بابه بعينى فقل يا عدوى ما بدا لك ، فإن انغرست بشدة قدم الذبابة فى العسل فلا يمكن أن تتحول مهما بالغت فى ذبها وطردها

يمكن إنزال القمر من سمائه إلى سقف الدار وإحضار الصليب المقدس من روما إلى الشام

ويمكن أداء صلا ة المغرب بعد شروق الشمس لكن لا يمكن أسرك بشباك تحمل الغراس الإبرة فى عينى بدل الكحل ورؤية البرق قد نزل وأحرق بيدرى

وقبول أغلال الصليبيين لتغل بها عنقى أهون على من أن أرى عدوى بدل حبيبى

يا حبيبا آثر علينا عدونا إما تختار محبك أو عدوك ، وإن كان عدم رؤية الحبيب ألما شديدا فهى أيسر من أن أراه مع عدوى

يا من ألقت يده نارا فى بيدرى ومحصولى ولا ترفع يدك عن ذيلى

إن يدك الجميلة ،هذه هى التى غرست مسلتها فى عنقى على الرغم من أن فعلها هذا محرم

انظر ذاك اللطيف شمائله واشهد ضحكته كَلُبِّ الفسدق فى قشرته ،

لا ، لا لن تعرف حسن طلعته ، فتعال وانظر فى عينى صورة الحبيب

إذا ظهر فى جلاله وجاهه وحسنه ولونه وضوعه فهل قلب الإنسان فى النهاية حجر أو نحاس ؟

إن المعوج الطبيعة السيىء المزاج لا يعشق أحدا ولا يعشقه أحد

لو يحدث أن نخرج من المدينة إلى الصحراء أنا وأنت وليس معنا أحد ، أتدرى متى سيسعد ويهنأ كل منا بالآخر ؟ حين لا يكون خلاى وخلاك شخص ثالث

ليس مرادنا منك البرتقال أو السفرجل فأنت بنفسك سكر فلا تمنح الفسدق واللوز ،

وإن كان الزمان والقمر من نهدك فليس يفضل ذقنك شيء قط

لا يمكن تشبيهك بالسرو أو الشمس أو القمر آه منك آه وأنت لا يسعك وصف

ويسلك كل إنسان طريقا ليطلبك ولو كان طريق واحد يصل بهم إليك ما كانت هذه الطرق جميعا

ليتنى ما أطلت بعينى وما نفذ عشقك من عينى إلى

فؤادى ، وكان التقصير من قلبى والذنب من عينى فآه من قلبى ومائة ألف آه من عينى

يا من عيناى كمزرعة الشقائق بسبب عدم رؤيتها وجهك ، وهما تبكيان كسحاب الربيع ، سوف ترى يوما عينى بسبب تمنيها وجهك قد انحدرت على ضلوعى كالدموع المنهمرة

أيها المطرب أأرسل رسالة بالحنك منى أنا شريك مجلسك وسكن فؤادى أنا الملتاع بدلالك

ويا أيها الساقى أعطنى كأسا من عهد وفائه ولو نفس على حسودى فقل له دع مجلسنا

يا من ليس للعابر طريق يغادر به ربعك نحن جهلاء في العشق لا ندرى عنك خبْرا

كل من يأخذ من يدك ماء يرتوى من يدك ولا يرتوى من وجهك

هل ظهر إنسان بجماله هذا قط أو سرو برفاعة قوامه وحلاوته ؟ مسكين قلبه من تجلو عن صدره وسعيد شخصه من تدخل عليه من بابه

إذا لم أتجاوز فرضًا دائرة العقل بفتوى الرزانة والتعقل فماذا يمكننى أن أفعل إزاء الميل والهوى الذى يتولد من طبعى ؟ إن الميل عيب خلقه الله فىَّ أنَّى لى أن أعرف أنك ستعود ولن ترتكب خطأ ؟ عدت وعببت دماء المساكين

فعجبا لو أن الوالى الذى يحمل أمراً مخطوطا بالقتل رضى بجورك وقتلك الذى ارتكبته بدون أمر مخطوط

ألا ليت الناس رأوا ذاك المعشوق أو سمعوا نطقه الذى يختلب الألباب حتى يهيموا ويتولهوا ولا يضحكوا على بكاء العاشقين

قلت أتوب عن النظر إلى الجميل المنظور لعل بلاء العشق ينزاح عنى لكنى كلما نظرت إليك يا مثار حسد الملائكة أجدك فى النظرة الثانية أجمل مما كنت عليه فى النظرة الأولى

كل يوم فى دلال متجدد ولطف مختلف ومهما أنظر فيك فأنت أجمل مما كنت

فقلت أسوقك إلى القاضى حتى أستعيد منك قلبى ولكنى أخشى أن تستلب قلب القاضى أيضا

أيها البلبل الطيب الترجيع ما أجمل شدوك وأنت سكران بهواك ومقيد بهوسك ، أخشى ألا تبلغ أحبابك الأعزاء وتكف عن طيرك وتغريدك

يا من الحسان الصينيات فى مقابلتك حبشيات ليس أحد يتبختر فاتنا جذابا مثلك أيها الصنوبر

إن تجاهلتنا أوعاندتنا فنحن بك سعداء ولو لم تكن سعيدا بنا

أيها القمر أنت بكل حلاوتك ولطفك وملاحتك لست قمر الأرض بل شمس الفلك

هل أنت آدمى ومن دونك آدميون ؟ لا ، لا أنت ملك مع وجود الشعر الخفيف بوجهك

قد أفرغنا كثيراً من الكئوس المترعة من أجل أن نطبع قبلة على شفته مـــرة ، لكنى خفت من أن تغادر روحى بدنى قبل أن أبلغ وصال شفتك

لا يسع عذوبة فيك وهما أنت البعيد عن شفتى وأسنانى ولا يسمح لنا بدخول قصر الملوك وأنت لا تضرب خيمتك أمام المتسولين

إن تصورت أن يحقق الزمان رغائب قلبك فقد شيبت بلا جدوى نفسك من الهموم ،

وأفترض أنك تشكو إلى حبيبك من عدوك فماذا تفعل لو جافاك وظلمك حبيبك ؟

أيها الطفل العسكرى الذى تهزم جيشا إلى متى تحطم قلبى كأنى كافر ، إننى أفضل أن تضرب رأسى بسوطك ولا أن ترانى ثم تعرض عنى

يا أساس العلاج اجلس لحظة حتى ترى حال المتألمين على حقيقتها ، فإننى وإن تولهت صبا بك مثل (فرهاد) فلا تلمنى حبيبى فأنت كثير الحلاوة

إن آثرت علىَّ عدوى بمحبتك فماذا أفعل أنا المسكين غير المسكنة ؟ فجُر واظلم ماشئت فأنت المحبوب دائما وسب واشتم ما أردت فأنت الحلو الطلى فى كل حال

ساعدنى المجد وحسن الطالع والسعادة فلسوف أفتدى قدمك برأسى أيها السرو الفارع

وسهل علىَّ أن أغدو ترابا على قدمك ولكنى أخشى من ألا تطأ رأسى بقدمك

رابعــًا : المفردات

الغصن يستحيل شجرة بعد ثلاثين عامًا ، وتأتى ريح عاصفة فتقتلعهما من جذورها فى لحظة واحدة

– أموت ولا تموت عيناى فيظلان ينظران عن شمال ويمين حتى يتبينا أين توجد بأى مكان

– لو أن دماء جب النصرانى غير طاهر فماذا يضيرنى بعد أن أغدو يهوديا ميتا ؟

– استدرك أمرك الآن والنعمة بيدك لأن الدولة والملك ينتقلان من يد إلى أخرى

– لا يجدر الصبر عن الطلعة الحسناء لكن لا مناص لنا من الصبر والتحمل ، حين التقم الحوت يونس صار الله مؤنسه

– من يلهو ويتمتع مع أحبته كل يومه حتى ليله كيف يهتم بالمسكين الذى لا يفرق بين ليله ونهاره

– ما أكثر ذوات القامات الحسان المتخدرات بخمارهن وإن أشحن عنهن الخمار وجدتهم جدات

– ليس من المروءة التجبر على المساكين ، والطائر الدنىء هو الذى يسرق الحب من عش النمل

حين تضرم النار فى الغاب وتمر فلا يبقى بعدك فى الغابة يابس أو أخضر

– سلِّم إلى الله مجازاة خلقه عن خيرهم وشرهم ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله

– يصفق الطبيب الظريف بيديه فرحا إذ رأى منافسه فى الطب قد أصيب بالخرف

- كنت قد طمعت أن أنعم بالكرم حين باغتتني الديدان فأكلت رأسي

- لا تشك همومك إلى أعدائك لأنهم يبدون أسفهم ويبطنون فرحهم

- قبيح من النملة أن تحمل ساق جرادة هدية إلى سليمان لكن فعلها هذا يعد فضلا

- أيها المتكبر المتغرطس المتباهي المتعاجب سوف تعرف قيمتك إذا عزلت عن منصبك

كنت أسمع أنك في حسنك تشبه القمر فلما رأيتك وجدتك أبهى وأجمل منه [1]

---

(1) هذه الرباعية وما بعدها تلاعب فيها الشاعر بالألفاظ والتوريات فيختفي جمال صنعته عند ترجمتها .

المؤلف فى سطور :

الشيخ سعدى شيرازى أفصح المتكلمين ، ومن أعذب الشعراء الإيرانيين شعراً ونثراً فى القرن السابع الهجرى كله ، طوف العالم الإسلامى فى عهده فى رحلات استغرقت ثلاثين عاماً ، واستقر فترة فى بغداد والشام وشارك الشوام فى حروبهم الصليبية ، وزار مصر ووصفها ببلاد السكر والماء العذب ، وحصَّل من معايشته الناس واختلاطه بهم مع اختلاف مضاربهم وضروبهم الحكمة والمعرفة والخبرة بطباع البشر ، فبث هذا فى مؤلفاته واكتسب شعره الطابع الإنسانى فغدا صالحًا للقراءة والرفادة فى كل عصر . ومن أشهر مؤلفاته "الجلستان" وهو مزيج من الشعر والنثر و"البوستْان" وهو كتاب فى الحكمة والنصح بالشعر ومواعظه ورسائله التى نشرها المجلس الأعلى للثقافة فى السنوات الأخيرة . ويتم نقل سائر أعماله إلى العربية الآن بنشر غزلياته مترجمة إلى العربية .

المترجم فى سطور

أ. د. محمد علاء الدين منصور .

- أستاذ اللغات الشرقية بكلية الآداب - جامعة القاهرة .

- له العديد من المولفات والأبحاث والترجمات ، ومن أشهر مؤلفاته وترجماته :

تاريخ إيران بعد الإسلام ، وتاريخ سلاجقة الروم ، والشعر الإيرانى الحديث ، ونشر له المجلس الأعلى للثقافة عشرين ترجمة من عيون الأدب الفارسى ، ومنها روايات : ثريا فى غيبوبة والأرضة ، وشتاء ٨٤ ، ورق العشق ، والخفافيش ، وموت المرابى وسلسلة من الشعر الإيرانى من البداية حتى العهد المعاصر ، والجزء الثالث والرابع من تاريخ الأدب فى إيران ، تأليف المستشرق المعروف إدوارد براون .

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١-	اللغة العليا	چون كوين	أحمد درويش
٢-	الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣-	التراث المسروق	چورچ چيمس	شوقى جلال
٤-	كيف تتم كتابة السيناريو	إنجا كاريتنيكوڤا	أحمد الحضرى
٥-	ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
٦-	اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إڤيتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧-	العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكى
٨-	مشعلو الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
٩-	التغيرات البيئية	أندرو. س. جودى	محمود محمد عاشور
١٠-	خطاب الحكاية	چيرار چينيت	محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١-	مختارات شعرية	ڤيسواڤا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
١٢-	طريق الحرير	ديڤيد براونيستون وأيرين فرانك	أحمد محمود
١٣-	ديانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
١٤-	التحليل النفسى للأدب	چان بيلمان نويل	حسن المودن
١٥-	الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	إدوارد لوسى سميث	أشرف رفيق عفيفى
١٦-	أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	بإشراف: أحمد عتمان
١٧-	مختارات شعرية	فيليب لاركين	محمد مصطفى بدوى
١٨-	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
١٩-	الأعمال الشعرية الكاملة	چورچ سفيريس	نعيم عطية
٢٠-	قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح
٢١-	خوخة وألف خوخة وقصص أخرى	صمد بهرنجى	ماجدة العنانى
٢٢-	مذكرات رحالة عن المصريين	چون أنتيس	سيد أحمد على الناصرى
٢٣-	تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	سعيد توفيق
٢٤-	ظلال المستقبل	باتريك بارندر	بكر عباس
٢٥-	مثنوى (٦ أجزاء)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦-	دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
٢٧-	التنوع البشرى الخلاق	مجموعة من المؤلفين	بإشراف: جابر عصفور
٢٨-	رسالة فى التسامح	چون لوك	منى أبو سنة
٢٩-	الموت والوجود	چيمس ب. كارس	بدر الديب
٣٠-	الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣١-	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	چان سوفاجيه - كلود كاين	عبد الستار الحلوجى وعبد الوهاب علوب
٣٢-	الانقراض	ديڤيد روب	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣-	التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	أحمد فؤاد بلبع
٣٤-	الرواية العربية	روچر آلن	حصة إبراهيم المنيف
٣٥-	الأسطورة والحداثة	پول ب . ديكسون	خليل كلفت
٣٦-	نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد

٣٧-	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	جمال عبد الرحيم
٣٨-	نقد الحداثة	آلن تورين	أنور مغيث
٣٩-	الحسد والإغريق	بيتر والكوت	منيرة كروان
٤٠-	قصائد حب	أن سكستون	محمد عيد إبراهيم
٤١-	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	عاطف أحمد وإبراهيم فتحى ومحمود ماجد
٤٢-	عالم ماك	بنچامين باربر	أحمد محمود
٤٣-	اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	المهدى أخريف
٤٤-	بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	مارلين تادرس
٤٥-	التراث المغدور	روبرت دينا وچون فاين	أحمد محمود
٤٦-	عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	محمود السيد على
٤٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨-	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاتى
٤٩-	الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	عبد الوهاب علوب
٥٠-	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١-	مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م. بينياليستى	محمد أبو العطا
٥٢-	العلاج النفسى التدعيمى	ب. نوڤاليس وس . روچسيفيتز وروجر بيل	لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣-	الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	مرسى سعد الدين
٥٤-	المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	محسن مصيلحى
٥٥-	ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	على يوسف على
٥٦-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود على مكى
٥٧-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطى
٥٨-	مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	محمد أبو العطا
٥٩-	المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	السيد السيد سهيم
٦٠-	التصميم والشكل	چوهانز إيتين	صبرى محمد عبد الغنى
٦١-	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	بإشراف : محمد الجوهرى
٦٢-	لذّة النّص	رولان بارت	محمد خير البقاعى
٦٣-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤-	برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	رمسيس عوض
٦٥-	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض
٦٦-	خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧-	مختارات شعرية	فرناندو بيسوا	المهدى أخريف
٦٨-	نتاشا العجوز وقصص أخرى	ڤالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
٦٩-	العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠-	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١-	السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	حسين محمود
٧٢-	السياسى العجوز	ت . س . إليوت	فؤاد مجلى
٧٣-	نقد استجابة القارئ	چين ب . تومبكنز	حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤-	صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	حسن بيومى

٧٥-	فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	أحمد درويش
٧٦-	چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من المؤلفين	عبد المقصود عبد الكريم
٧٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٣)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨-	العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	أحمد محمود ونورا أمين
٧٩-	شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠-	بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	مكارم الغمرى
٨١-	الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	محمد طارق الشرقاوى
٨٢-	مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	محمود السيد على
٨٣-	مختارات شعرية	غوتفريد بن	خالد المعالى
٨٤-	موسوعة الأدب والنقد (جـ١)	مجموعة من المؤلفين	عبد الحميد شيحة
٨٥-	منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	عبد الرازق بركات
٨٦-	طول الليل (رواية)	جمال مير صادقى	أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧-	نون والقلم (رواية)	جلال آل أحمد	ماجدة العنانى
٨٨-	الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩-	الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠-	وسم السيف وقصص أخرى	بورخيس وآخرون	محمد إبراهيم مبروك
٩١-	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربرا لاسوتسكا - بشونباك	محمد هناء عبد الفتاح
٩٢-	أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجيل	نادية جمال الدين
٩٣-	محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	عبد الوهاب علوب
٩٤-	مسرحيتا الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	فوزية العشماوى
٩٥-	مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	سرى محمد عبد اللطيف
٩٦-	ثلاث زنبقات ووردة وقصص أخرى	نخبة	إدوار الخراط
٩٧-	هوية فرنسا (مج١)	فرنان برودل	بشير السباعى
٩٨-	الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٩٩-	تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)	ديڤيد روبنسون	إبراهيم قنديل
١٠٠-	مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	إبراهيم فتحى
١٠١-	النص الروائى: تقنيات ومناهج	بيرنار فاليط	رشيد بنحدو
١٠٢-	السياسة والتسامح	عبد الكبير الخطيبى	عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣-	قبر ابن عربى يليه آياء (شعر)	عبد الوهاب المؤدب	محمد بنيس
١٠٤-	أوبرا ماهوجنى (مسرحية)	برتولت بريشت	عبد الغفار مكاوى
١٠٥-	مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	عبد العزيز شبيل
١٠٦-	الأدب الأندلسى	ماريا خيسوس روبييرامتى	أشرف على دعدور
١٠٧-	صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى اللاتينى المعاصر	نخبـة من الشعراء	محمد عبد الله الجعيدى
١٠٨-	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من المؤلفين	محمود على مكى
١٠٩-	حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	هاشم أحمد محمد
١١٠-	النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	منى قطان
١١١-	المرأة والجريمة	فرانسس هيدسون	ريهام حسين إبراهيم
١١٢-	الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	إكرام يوسف

١١٣-	راية التمرد	سادى پلانت	أحمد حسان
١١٤-	مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	نسيم مجلى
١١٥-	غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	سمية رمضان
١١٦-	امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	نهاد أحمد سالم
١١٧-	المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	منى إبراهيم وهالة كمال
١١٨-	النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	لميس النقاش
١١٩-	النساء والأسرة وقوانين الطلاق فى التاريخ الإسلامى	أميرة الأزهرى سنبل	بإشراف: رءوف عباس
١٢٠-	الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	مجموعة من المترجمين
١٢١-	الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	محمد الجندى وإيزابيل كمال
١٢٢-	نظام العبودية القديم والنموذج المثالى للإنسان	چوزيف فوجت	منيرة كروان
١٢٣-	الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	أنينل ألكسندرو فنادولينا	أنور محمد إبراهيم
١٢٤-	الفجر الكاذب: أوهام الرأسمالية العالمية	چون جراى	أحمد فؤاد بلبع
١٢٥-	التحليل الموسيقى	سيدرك ثورپ ديڤى	سمحة الخولى
١٢٦-	فعل القراءة	ڤولڤانج إيسر	عبد الوهاب علوب
١٢٧-	إرهاب (مسرحية)	صفاء فتحى	بشير السباعى
١٢٨-	الأدب المقارن	سوزان باسنيت	أميرة حسن نويرة
١٢٩-	الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠-	الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	شوقى جلال
١٣١-	مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى	مجموعة من المؤلفين	لويس بقطر
١٣٢-	ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	عبد الوهاب علوب
١٣٣-	الخوف من المرايا (رواية)	طارق على	طلعت الشايب
١٣٤-	تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	أحمد محمود
١٣٥-	المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ماهر شفيق فريد
١٣٦-	فلاحو الباشا	كينيث كونو	سحر توفيق
١٣٧-	مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية على مصر	چوزيف مارى مواريه	كاميليا صبحى
١٣٨-	عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	أندريه جلوكسمان	وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩-	پارسيڤال (مسرحية)	ريتشارد ڤاچنر	مصطفى ماهر
١٤٠-	حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	أمل الجبورى
١٤١-	اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	نعيم عطية
١٤٢-	الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	حسن بيومى
١٤٣-	قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديرك لايدر	عدلى السمرى
١٤٤-	صاحبة اللوكاندة (مسرحية)	كارلو جولدونى	سلامة محمد سليمان
١٤٥-	موت أرتيميو كروث (رواية)	كارلوس فوينتس	أحمد حسان
١٤٦-	الورقة الحمراء (رواية)	ميجيل دى ليبس	على عبدالرءوف البمبى
١٤٧-	مسرحيتان	تانكريد دورست	عبدالغفار مكاوى
١٤٨-	القصة القصيرة: النظرية والتقنية	إنريكى أندرسون إمبرت	على إبراهيم منوفى
١٤٩-	النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	أسامة إسبر
١٥٠-	التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	منيرة كروان

العنوان	المؤلف	المترجم
١٥١- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ١)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٢- عدالة الهنود وقصص أخرى	مجموعة من المؤلفين	محمد محمد الخطابى
١٥٣- غرام الفراعنة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤- مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت
١٥٥- الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسى
١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى	چى أنبال وآلان وأوديت ڤيرمو	مى التلمسانى
١٥٧- خسرو وشيرين	النظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
١٥٨- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ٢)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٩- الأيديولوچية	ديڤيد هوكس	إبراهيم فتحى
١٦٠- آلة الطبيعة	بول إيرليش	حسين بيومى
١٦١- مسرحيتان من المسرح الإسبانى	أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢- تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوى	صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣- موسوعة علم الاجتماع (جـ ١)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
١٦٤- شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	نبيل سعد
١٦٥- حكايات الثعلب (قصص أطفال)	أ. ن. أفاناسيفا	سهير المصادفة
١٦٦- العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	محمد محمود أبوغدير
١٦٧- فى عالم طاغور	رابندرنات طاغور	شكرى محمد عياد
١٦٨- دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٦٩- إبداعات أدبية	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٧٠- الطريق (رواية)	ميجيل دليبيس	بسام ياسين رشيد
١٧١- وضع حد (رواية)	فرانك بيجو	هدى حسين
١٧٢- حجر الشمس (شعر)	نخبة	محمد محمد الخطابى
١٧٣- معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤- صناعة الثقافة السوداء	إيليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥- التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	جلال البنا
١٧٧- أنطون تشيخوف	هنرى تروايا	حصة إبراهيم المنيف
١٧٨- مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدى إبراهيم
١٧٩- حكايات أيسوب (قصص أطفال)	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠- قصة جاويد (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١- النقد الأدبى الأمريكى من الثلاثينيات إلى الثمانينيات	فنسنت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢- العنف والنبوءة (شعر)	و.ب. ييتس	ياسين طه حافظ
١٨٣- چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	فتحى العشرى
١٨٤- القاهرة: حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	دسوقى سعيد
١٨٥- أسفار العهد القديم فى التاريخ	توماس تومسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦- معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧- الأرضة (رواية)	بُزرج علوى	محمد علاء الدين منصور
١٨٨- موت الأدب	ألفين كرنان	بدر الديب

١٨٩-	العمى والبصيرة: مقالات فى بلاغة النقد المعاصر	پول دى مان	سعيد الغانمى
١٩٠-	محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	محسن سيد فرجانى
١٩١-	الكلام رأسمال وقصص أخرى	الحاج أبو بكر إمام وآخرون	مصطفى حجازى السيد
١٩٢-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ١)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
١٩٣-	عامل المنجم (رواية)	پيتر أبراهامز	محمد عبد الواحد محمد
١٩٤-	مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى الحديث	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
١٩٥-	شتاء ٨٤ (رواية)	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
١٩٦-	المهلة الأخيرة (رواية)	ڤالنتين راسپوتين	أشرف الصباغ
١٩٧-	سيرة الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	جلال السعيد الحفناوى
١٩٨-	الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩-	تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداو	جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠-	ضحايا التنمية: المقاومة والبدائل	چيرمى سيبروك	فخزى لبيب
٢٠١-	الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٢٠٢-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٤)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣-	الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤-	تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	أحمد هويدى
٢٠٥-	الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى- سفورزا	أحمد مستجير
٢٠٦-	الهيولية تصنع علمًا جديدًا	چيمس جلايك	على يوسف على
٢٠٧-	ليل أفريقى (رواية)	رامون خوتاسندير	محمد أبو العطا
٢٠٨-	شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	محمد أحمد صالح
٢٠٩-	السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٠-	مثنويات حكيم سنائى (شعر)	سنائى الغزنوى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١-	فردينان دوسوسير	جوناثان كللر	محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢-	قصص الأمير مرزبان على لسان الحيوان	مرزبان بن رستم بن شروين	يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣-	مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	سيد أحمد على الناصرى
٢١٤-	قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	محمد محيى الدين
٢١٥-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢١٦-	جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٧-	مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت وهارولد بينتر	نادية البنهاوى
٢١٨-	لعبة الحجلة (رواية)	خوليو كورتاثار	على إبراهيم منوفى
٢١٩-	بقايا اليوم (رواية)	كازو إيشجورو	طلعت الشايب
٢٢٠-	الهيولية فى الكون	بارى پاركر	على يوسف على
٢٢١-	شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	رفعت سلام
٢٢٢-	فرانز كافكا	رونالد جراى	نسيم مجلى
٢٢٣-	العلم فى مجتمع حر	باول فيرابند	السيد محمد نفادى
٢٢٤-	دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥-	حكاية غريق (رواية)	جابرييل جارثيا ماركيث	السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦-	أرض المساء وقصائد أخرى	ديڤيد هربت لورانس	طاهر محمد على البربرى

٢٢٧-	المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	خوسيه ماريا ديث بوركى	السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨-	علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	چانيت وولف	مارى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩-	مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠-	عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز چاكوب	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١-	الدرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية)	خايمى سالوم بيدال	جمال عبدالرحمن
٢٣٢-	ما بعد المعلومات	توم ستونير	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣-	فكرة الاضمحلال فى التاريخ الغربى	آرثر هيرمان	طلعت الشايب
٢٣٤-	الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	فؤاد محمد عكود
٢٣٥-	ديوان شمس تبريزى (جـ١)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦-	الولاية	ميشيل شودكيفيتش	أحمد الطيب
٢٣٧-	مصر أرض الوادى	روبين فيدين	عنايات حسين طلعت
٢٣٨-	العولمة والتحرير	تقرير لمنظمة الأنكتاد	ياسر محمد جادالله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩-	العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلا رامراز - رايوخ	نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠-	الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كاى حافظ	صلاح محجوب إدريس
٢٤١-	فى انتظار البرابرة (رواية)	ج . م. كوتزى	ابتسام عبدالله
٢٤٢-	سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	صبرى محمد حسن
٢٤٣-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٢٤٤-	الغليان (رواية)	لاورا إسكيبيل	نادية جمال الدين محمد
٢٤٥-	نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس وآخرون	توفيق على منصور
٢٤٦-	مختارات قصصية	جابرييل جارثيا ماركيث	على إبراهيم منوفى
٢٤٧-	الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	والتر أرمبرست	محمد طارق الشرقاوى
٢٤٨-	حقول عدن الخضراء (مسرحية)	أنطونيو جالا	عبداللطيف عبدالحليم
٢٤٩-	لغة التمزق (شعر)	دراجو شتامبوك	رفعت سلام
٢٥٠-	علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ماجدة محسن أباظة
٢٥١-	موسوعة علم الاجتماع (جـ٢)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٥٢-	رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	على بدران
٢٥٣-	تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوڤا	حسن بيومى
٢٥٤-	أقدم لك: الفلسفة	ديڤ روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥-	أقدم لك: أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦-	أقدم لك: ديكارت	ديف روبنسون وكريس جارات	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧-	تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	محمود سيد أحمد
٢٥٨-	الفجر	سير أنجوس فريزر	عُبادة كُحيلة
٢٥٩-	مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور	نخبة	فاروجان كازانجيان
٢٦٠-	موسوعة علم الاجتماع (جـ٣)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٦١-	رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢-	مدينة المعجزات (رواية)	إدواردو مندوثا	محمد أبو العطا
٢٦٣-	الكشف عن حافة الزمن	چون جريبن	على يوسف على
٢٦٤-	إبداعات شعرية مترجمة	هوراس وشلى	لويس عوض

٢٦٥-	روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	لويس عوض
٢٦٦-	مدير المدرسة (رواية)	جلال آل أحمد	عادل عبدالمنعم على
٢٦٧-	فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عرودكى
٢٦٨-	ديوان شمس تبريزى (جـ٢)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩-	وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ١)	وليم جيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧٠-	وسط الجزير العربية وشرقها (جـ٢)	وليم جيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧١-	الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ	توماس سى. باترسون	شوقى جلال
٢٧٢-	الأديرة الأثرية فى مصر	سى. سى. والترز	إبراهيم سلامة إبراهيم
٢٧٣-	الأصول الاجتماعية والثقافية لحركة عرابى فى مصر	چوان كول	عنان الشهاوى
٢٧٤-	السيدة باربارا (رواية)	رومولو جاييجوس	محمود على مكى
٢٧٥-	ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
٢٧٦-	فنون السينما	مجموعة من المؤلفين	عبدالقادر التلمسانى
٢٧٧-	الچينات والصراع من أجل الحياة	براين فورد	أحمد فوزى
٢٧٨-	البدايات	إسحاق عظيموف	ظريف عبدالله
٢٧٩-	الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	طلعت الشايب
٢٨٠-	الأم والنصيب وقصص أخرى	بريم شند وآخرون	سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٨١-	الفردوس الأعلى (رواية)	عبد الحليم شرر	جلال الحفناوى
٢٨٢-	طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس وولبرت	سمير حنا صادق
٢٨٣-	السهل يحترق وقصص أخرى	خوان رولفو	على عبد الروف البمبى
٢٨٤-	هرقل مجنوناً (مسرحية)	يوريبيديس	أحمد عتمان
٢٨٥-	رحلة خواجة حسن نظامى الدهلوى	حسن نظامى الدهلوى	سمير عبد الحميد إبراهيم
٢٨٦-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٣)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢٨٧-	الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كنج	محمد يحيى وآخرون
٢٨٨-	الفن الروائى	ديڤيد لودچ	ماهر البطوطى
٢٨٩-	ديوان منوچهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠-	علم اللغة والترجمة	چورچ مونان	أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١-	تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ١)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٢-	تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ٢)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٣-	مقدمة للأدب العربى	روچر آلن	مجدى توفيق وآخرون
٢٩٤-	فن الشعر	بوالو	رجاء ياقوت
٢٩٥-	سلطان الأسطورة	چوزيف كامبل وبيل موريز	بدر الديب
٢٩٦-	مكبث (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٢٩٧-	فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازى	ماجدة محمد أنور
٢٩٨-	مأساة العبيد وقصص أخرى	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٢٩٩-	ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	چين ماركس	هاشم أحمد محمد
٣٠٠-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج١)	لويس عوض	جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال
٣٠١-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج٢)	لويس عوض	جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢-	أقدم لك: فنجنشتين	چون هيتون وجودى جروڤز	إمام عبد الفتاح إمام

٣٠٣- أقدم لك: بوذا   چين هوب وبورن فان لون   إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤- أقدم لك: ماركس   ريوس   إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥- الجلد (رواية)   كروزيو مالابارته   صلاح عبد الصبور
٣٠٦- الحماسة: النقد الكانطى للتاريخ   چان فرانسوا ليوتار   نبيل سعد
٣٠٧- أقدم لك: الشعور   ديڤيد بابينو وهوارد سلينا   محمود مكى
٣٠٨- أقدم لك: علم الوراثة   ستيف چونز وبورين فان لو   ممدوح عبد المنعم
٣٠٩- أقدم لك: الذهن والمخ   أنجوس جيلاتى وأوسكار زاريت   جمال الجزيرى
٣١٠- أقدم لك: يونج   ماجى هايد ومايكل ماكجنس   محيى الدين مزيد
٣١١- مقال فى المنهج الفلسفى   ر.ج كولنجوود   فاطمة إسماعيل
٣١٢- روح الشعب الأسود   وليم ديبويس   أسعد حليم
٣١٣- أمثال فلسطينية (شعر)   خايير بيان   محمد عبدالله الجعيدى
٣١٤- مارسيل دوشامب: الفن كعدم   چانيس مينيك   هويدا السباعى
٣١٥- جرامشى فى العالم العربى   ميشيل بروندينو والطاهر لبيب   كاميليا صبحى
٣١٦- محاكمة سقراط   أى. ف. ستون   نسيم مجلى
٣١٧- بلا غد   س. شير لايموڤا- س. زنيكين   أشرف الصباغ
٣١٨- الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة   مجموعة من المؤلفين   أشرف الصباغ
٣١٩- صور دريدا   چايترى سبيڤاك وكرستوفر نوريس   حسام نايل
٣٢٠- لمعة السراج لحضرة التاج   مؤلف مجهول   محمد علاء الدين منصور
٣٢١- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ١)   ليڤى برو ڤنسال   بإشراف: صلاح فضل
٣٢٢- وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى   دبليو يوچين كليناور   خالد مفلح حمزة
٣٢٣- فن الساتورا   تراث يونانى قديم   هانم محمد فوزى
٣٢٤- اللعب بالنار (رواية)   أشرف أسدى   محمود علاوى
٣٢٥- عالم الآثار (رواية)   فيليب بوسان   كرستين يوسف
٣٢٦- المعرفة والمصلحة   يورجين هابرماس   حسن صقر
٣٢٧- مختارات شعرية مترجمة (جـ١)   نخبة   توفيق على منصور
٣٢٨- يوسف وزليخا (شعر)   نور الدين عبد الرحمن الجامى   عبد العزيز بقوش
٣٢٩- رسائل عيد الميلاد (شعر)   تد هيوز   محمد عيد إبراهيم
٣٣٠- كل شىء عن التمثيل الصامت   مارڤن شبرد   سامى صلاح
٣٣١- عندما جاء السردين وقصص أخرى   ستيفن جراى   سامية دياب
٣٣٢- شهر العسل وقصص أخرى   نخبة   على إبراهيم منوفى
٣٣٣- الإسلام فى بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥   نبيل مطر   بكر عباس
٣٣٤- لقطات من المستقبل   آرثر كلارك   مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣٥- عصر الشك: دراسات عن الرواية   ناتالى ساروت   فتحى العشرى
٣٣٦- متون الأهرام   نصوص مصرية قديمة   حسن صابر
٣٣٧- فلسفة الولاء   چوزايا رويس   أحمد الأنصارى
٣٣٨- نظرات حائرة وقصص أخرى   نخبة   جلال الحفناوى
٣٣٩- تاريخ الأدب فى إيران (جـ٣)   إدوارد براون   محمد علاء الدين منصور
٣٤٠- اضطراب فى الشرق الأوسط   بيرش بيربروجلو   فخرى لبيب

٣٤١-	قصائد من رلكه (شعر)	راينر ماريا ريلكه	حسن حلمى
٣٤٢-	سلامان وأبسال (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٣٤٣-	العالم البرجوازى الزائل (رواية)	نادين جورديمر	سمير عبد ربه
٣٤٤-	الموت فى الشمس (رواية)	بيتر بالانجيو	سمير عبد ربه
٣٤٥-	الركض خلف الزمان (شعر)	يونه ندائى	يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦-	سحر مصر	رشاد رشدى	جمال الجزيرى
٣٤٧-	الصبية الطائشون (رواية)	چان كوكتو	بكر الحلو
٣٤٨-	المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ١)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٤٩-	دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدهورن وآخرون	أحمد عمر شاهين
٣٥٠-	بانوراما الحياة السياحية	مجموعة من المؤلفين	عطية شحاتة
٣٥١-	مبادئ المنطق	چوزايا رويس	أحمد الانصارى
٣٥٢-	قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نعيم عطية
٣٥٣-	الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة الهندسية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٣٥٤-	الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة النباتية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٣٥٥-	التيارات السياسية فى إيران المعاصرة	حجت مرتجى	محمود علاوى
٣٥٦-	الميراث المر	بول سالم	بدر الرفاعى
٣٥٧-	متون هرمس	تيموثى فريك وبيتر غاندى	عمر الفاروق عمر
٣٥٨-	أمثال الهوسا العامية	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٣٥٩-	محاورة بارمنيدس	أفلاطون	حبيب الشارونى
٣٦٠-	أنثروبولوچيا اللغة	أندريه چاكوب ونويلا باركان	ليلى الشربينى
٣٦١-	التصحر: التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	عاطف معتمد وآمال شاور
٣٦٢-	تلميذ بابنبرج (رواية)	هاينرش شبورل	سيد أحمد فتح الله
٣٦٣-	حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد چيبسون	صبرى محمد حسن
٣٦٤-	حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	نجلاء أبو عجاج
٣٦٥-	سأم باريس (شعر)	شارل بودلير	محمد أحمد حمد
٣٦٦-	نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	مصطفى محمود محمد
٣٦٧-	القلم الجرىء	مجموعة من المؤلفين	البراق عبدالهادى رضا
٣٦٨-	المصطلح السردى: معجم مصطلحات	چيرالد پرنس	عابد خزندار
٣٦٩-	المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	فوزية العشماوى
٣٧٠-	الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	فاطمة عبدالله محمود
٣٧١-	المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ٢)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٧٢-	عاش الشباب (رواية)	وانغ مينغ	وحيد السعيد عبدالحميد
٣٧٣-	كيف تعد رسالة دكتوراه	أومبرتو إيكو	على إبراهيم منوفى
٣٧٤-	اليوم السادس (رواية)	أندريه شديد	حمادة إبراهيم
٣٧٥-	الخلود (رواية)	ميلان كونديرا	خالد أبو اليزيد
٣٧٦-	الغضب وأحلام السنين (مسرحيات)	چان أنوى وآخرون	إدوار الخراط
٣٧٧-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٤)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٣٧٨-	المسافر (شعر)	محمد إقبال	يوسف عبدالفتاح فرج

٣٧٩-	ملك فى الحديقة (رواية)	سنيل باث	جمال عبدالرحمن
٣٨٠-	حديث عن الخسارة	جونتر جراس	شيرين عبدالسلام
٣٨١-	أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢-	تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد اسفنديار	أحمد محمد نادى
٣٨٣-	هدية الحجاز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٨٤-	القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	إيزابيل كمال
٣٨٥-	مشترى العشق (رواية)	محمد على بهزادراد	يوسف عبدالفتاح فرج
٣٨٦-	دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧-	أغنيات وسوناتات (شعر)	چون دن	بهاء چاهين
٣٨٨-	مواعظ سعدى الشيرازى (شعر)	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور
٣٨٩-	تفاهم وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٩٠-	الأرشيفات والمدن الكبرى	إم. فى. روبرتس	عثمان مصطفى عثمان
٣٩١-	الحافلة الليلكية (رواية)	مايف بينشى	منى الدروبى
٣٩٢-	مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانجا	عبداللطيف عبدالحليم
٣٩٣-	فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	زينب محمود الخضيرى
٣٩٤-	القوى الأربع الأساسية فى الكون	پول ديڤيز	هاشم أحمد محمد
٣٩٥-	آلام سياوش (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
٣٩٦-	الساڤاك	تقى نجارى راد	محمود علاوى
٣٩٧-	أقدم لك: نيتشه	لورانس جين وكيتى شين	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٨-	أقدم لك: سارتر	فيليپ تودى وهوارد ريد	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٩-	أقدم لك: كامى	ديڤيد ميروفتش وآلن كوركس	إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠-	مومو (رواية)	ميشائيل إنده	باهر الجوهرى
٤٠١-	أقدم لك: علم الرياضيات	زياودن ساردر وآخرون	ممدوح عبد المنعم
٤٠٢-	أقدم لك: ستيفن هوكنج	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٠٣-	ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايتان)	تودور شتورم وجوتفرد كولر	عماد حسن بكر
٤٠٤-	تعويذة الحسى	ديڤيد إبرام	ظبية خميس
٤٠٥-	إيزابيل (رواية)	أندريه جيد	حمادة إبراهيم
٤٠٦-	المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	جمال عبد الرحمن
٤٠٧-	الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	مجموعة من المؤلفين	طلعت شاهين
٤٠٨-	معجم تاريخ مصر	چوان فوتشركنج	عنان الشهاوى
٤٠٩-	انتصار السعادة	برتراند راسل	إلهامى عمارة
٤١٠-	خلاصة القرن	كارل بوبر	الزواوى بغورة
٤١١-	همس من الماضى	چينيفر أكرمان	أحمد مستجير
٤١٢-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢)	ليڤى بروڤنسال	بإشراف: صلاح فضل
٤١٣-	أغنيات المنفى (شعر)	ناظم حكمت	محمد البخارى
٤١٤-	الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوڤا	أمل الصبان
٤١٥-	صورة كوكب (مسرحية)	فريدريش دورينمات	أحمد كامل عبدالرحيم
٤١٦-	مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	محمد مصطفى بدوى

الرقم	العنوان	المؤلف	المترجم
٤١٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٥)	رينيه ويليك	مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨-	سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية	چين هاثواى	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩-	العصر الذهبى للإسكندرية	چون مارلو	نسيم مجلى
٤٢٠-	مكرو ميجاس (قصة فلسفية)	ڤولتير	الطيب بن رجب
٤٢١-	الولاء والقيادة فى المجتمع الإسلامى الأول	روى متحدة	أشرف كيلانى
٤٢٢-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ١)	ثلاثة من الرحالة	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣-	إسراءات الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤-	لوائح الحق ولوامع العشق (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥-	من طاووس إلى فرح	محمود طلوعى	محمود علاوى
٤٢٦-	الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧-	بانديراس الطاغية (رواية)	باى إنكلان	ثريا شلبى
٤٢٨-	الخزانة الخفية	محمد هوتك بن داود خان	محمد أمان صافى
٤٢٩-	أقدم لك: هيجل	ليود سپنسر وأندزجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠-	أقدم لك: كانط	كرستوفر وانت وأندزجى كليموفسكى	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١-	أقدم لك: فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢-	أقدم لك: ماكياڤللى	پاتريك كيرى وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣-	أقدم لك: جويس	ديڤيد نوريس وكارل فلنت	حمدى الجابرى
٤٣٤-	أقدم لك: الرومانسية	دونكان هيث وچودى بورهام	عصام حجازى
٤٣٥-	توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ناجى رشوان
٤٣٦-	تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧-	رحالة هندى فى بلاد الشرق العربى	شبلى النعمانى	جلال الحفناوى
٤٣٨-	بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	عايدة سيف الدولة
٤٣٩-	موت المرابى (رواية)	صدر الدين عينى	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠-	قواعد اللهجات العربية الحديثة	كرستن بروستاد	محمد طارق الشرقاوى
٤٤١-	رب الأشياء الصغيرة (رواية)	أرونداتى روى	فخرى لبيب
٤٤٢-	حتشبسوت: المرأة الفرعونية	فوزية أسعد	ماهر جويجاتى
٤٤٣-	اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها	كيس فرستيغ	محمد طارق الشرقاوى
٤٤٤-	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	صالح علمانى
٤٤٥-	حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلرى	محمد محمد يونس
٤٤٦-	التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	أحمد محمود
٤٤٧-	ملحمة السِّيد	تراث شعبى إسبانى	الطاهر أحمد مكى
٤٤٨-	الفلاحون (ميراث الترجمة)	الأب عيروط	محى الدين اللبان ووليم داوود مرقس
٤٤٩-	أقدم لك: الحركة النسوية	نخبة	جمال الجزيرى
٤٥٠-	أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية	صوفيا فوكا وريبيكا رأيت	جمال الجزيرى
٤٥١-	أقدم لك: الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن وبورن ڤان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢-	أقدم لك: لينين والثورة الروسية	ريتشارد إبجينانزى وأوسكار زاريت	محيى الدين مزيد
٤٥٣-	القاهرة: إقامة مدينة حديثة	چان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤-	خمسون عاماً من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	سوزان خليل

٤٥٥- تاريخ الفلسفة الحديثة (مج٥)	فردريك كوبلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦- لا تنسنى (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت محمد
٤٥٧- النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان موللر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨- الموريسكيون الأندلسيون	مرثيديس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩- نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	جلال البنا
٤٦٠- أقدم لك: الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١- أقدم لك: لكان	داريان ليدر وجودى جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢- طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣- الدولة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
٤٦٤- ديمقراطية للقلة	مايكل بارنتى	حصة إبراهيم المنيف
٤٦٥- قصص اليهود	لويس جنزبيرج	جمال الرفاعى
٤٦٦- حكايات حب وبطولات فرعونية	ڤيولين فانويك	فاطمة عبد الله
٤٦٧- التفكير السياسى والنظرة السياسية	ستيفين ديلو	ربيع وهبة
٤٦٨- روح الفلسفة الحديثة	چوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٤٦٩- جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	مجدى عبدالرازق
٤٧٠- الأراضى والجودة البيئية	جارى م. بيرزنسكى وآخرون	محمد السيد النتة
٤٧١- رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ٢)	ثلاثة من الرحالة	عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢- دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٣- دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٤- الأدب والنسوية	بام موريس	سهام عبدالسلام
٤٧٥- صوت مصر: أم كلثوم	ڤرچينيا دانيلسون	عادل هلال عنانى
٤٧٦- أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسى	ماريلين بوث	سحر توفيق
٤٧٧- تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين	هيلدا هوخام	أشرف كيلانى
٤٧٨- الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى دونج	عبد العزيز حمدى
٤٧٩- المقهـــى (مسرحية)	لاو شه	عبد العزيز حمدى
٤٨٠- تساى ون جى (مسرحية)	كو مو روا	عبد العزيز حمدى
٤٨١- بردة النبى	روى متحدة	رضوان السيد
٤٨٢- موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير چاك تيبو	فاطمة عبد الله
٤٨٣- النسوية وما بعد النسوية	سارة چامبل	أحمد الشامى
٤٨٤- جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	رشيد بنحدو
٤٨٥- التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦- الذاكرة الحضارية	يان أسمن	عبدالحليم عبدالغنى رجب
٤٨٧- الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد آبادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨- الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩- هُسِّرل: الفلسفة علمًا دقيقًا	إدموند هُسِّرل	محمود رجب
٤٩٠- أسمار الببغاء	محمد قادرى	عبد الوهاب علوب
٤٩١- نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	سمير عبد ربه
٤٩٢- محمد على مؤسس مصر الحديثة	چى ڤارچيت	محمد رفعت عواد

٤٩٣-	خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	محمد صالح الضالع
٤٩٤-	كتاب الموتى: الخروج فى النهار	نصوص مصرية قديمة	شريف الصيفى
٤٩٥-	اللوبى	إدوارد تيفان	حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦-	الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ١)	إكوادو بانولى	مجموعة من المترجمين
٤٩٧-	العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط	نادية العلى	مصطفى رياض
٤٩٨-	النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	أحمد على بدوى
٤٩٩-	تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع	مجموعة من المؤلفين	فيصل بن خضراء
٥٠٠-	فى طفولتى: دراسة فى السيرة الذاتية العربية	تيتز رووكى	طلعت الشايب
٥٠١-	تاريخ النساء فى الغرب (جـ١)	أرثر جولد هامر	سحر فراج
٥٠٢-	أصوات بديلة	مجموعة من المؤلفين	هالة كمال
٥٠٣-	مختارات من الشعر الفارسى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد نور الدين عبدالمنعم
٥٠٤-	كتابات أساسية (جـ١)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٥-	كتابات أساسية (جـ٢)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٦-	ربما كان قديسًا (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥٠٧-	سيدة الماضى الجميل (مسرحية)	بيتر شيفر	شوقى فهيم
٥٠٨-	المولوية بعد جلال الدين الرومى	عبدالباقى جلبنارلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٥٠٩-	الفقر والإحسان فى عصر سلاطين المماليك	أدم صبرة	قاسم عبده قاسم
٥١٠-	الأرملة الماكرة (مسرحية)	كارلو جولدونى	عبدالرازق عيد
٥١١-	كوكب مرقَّع (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥١٢-	كتابة النقد السينمائى	تيموثى كوريجان	جمال عبد الناصر
٥١٣-	العلم الجسور	تيد أنتون	مصطفى إبراهيم فهمى
٥١٤-	مدخل إلى النظرية الأدبية	جوناثان كولر	مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥-	من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطى دوجلاس	فدوى مالطى دوجلاس
٥١٦-	إرادة الإنسان فى علاج الإدمان	أرنولد واشنطون ودونا باوندى	صبرى محمد حسن
٥١٧-	نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨-	استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	هاشم أحمد محمد
٥١٩-	محاضرات فى المثالية الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٥٢٠-	الولع الفرنسى بمصر من الحلم إلى المشروع	أحمد يوسف	أمل الصبان
٥٢١-	قاموس تراجم مصر الحديثة	أرثر جولد سميث	عبدالوهاب بكر
٥٢٢-	إسبانيا فى تاريخها	أميركو كاسترو	على إبراهيم منوفى
٥٢٣-	الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٥٢٤-	الملك لير (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٥٢٥-	موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون	نادية رفعت
٥٢٦-	أقدم لك: السياسة البيئية	ستيفن كرول ووليم رانكين	محيى الدين مزيد
٥٢٧-	أقدم لك: كافكا	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	جمال الجزيرى
٥٢٨-	أقدم لك: تروتسكى والماركسية	طارق على وفِلْ إيفانز	جمال الجزيرى
٥٢٩-	بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى	محمد إقبال	حازم محفوظ
٥٣٠-	مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر

٥٣١-	ما الذى حَدَثَ فى «حَدَث» ١١ سبتمبر؟	جاك دريدا	صفاء فتحى
٥٣٢-	المغامرُ والمستشرق	هنرى لورنس	بشير السباعى
٥٣٣-	تعلُّم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد طارق الشرقاوى
٥٣٤-	الإسلاميون الجزائريون	سيڤرين لابا	حمادة إبراهيم
٥٣٥-	مخزن الأسرار (شعر)	نظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
٥٣٦-	الثقافات وقيم التقدم	صمويل هنتنجتون ولورانس هاريزون	شوقى جلال
٥٣٧-	للحب والحرية (شعر)	نخبة	عبدالغفار مكاوى
٥٣٨-	النفس والآخر فى قصص يوسف الشارونى	كيت دانيلر	محمد الحديدى
٥٣٩-	خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصيلحى
٥٤٠-	توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	رءوف عباس
٥٤١-	هى تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	مروة رزق
٥٤٢-	قصص مختارة من الأدب اليونانى الحديث	نخبة	نعيم عطية
٥٤٣-	أقدم لك: السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	وفاء عبدالقادر
٥٤٤-	أقدم لك: ميلانى كلاين	روبرت هنشل وآخرون	حمدى الجابرى
٥٤٥-	يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	عزت عامر
٥٤٦-	ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق على منصور
٥٤٧-	أقدم لك: بارت	فيليب تودى وآن كورس	جمال الجزيرى
٥٤٨-	أقدم لك: علم الاجتماع	ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون	حمدى الجابرى
٥٤٩-	أقدم لك: علم العلامات	بول كوبلى وليتاجانز	جمال الجزيرى
٥٥٠-	أقدم لك: شكسبير	نيك جروم وبيرو	حمدى الجابرى
٥٥١-	الموسيقى والعولمة	سايمون ماندى	سمحة الخولى
٥٥٢-	قصص مثالية	ميجيل دى ثربانتس	على عبد الرءوف البمبى
٥٥٣-	مدخل للشعر الفرنسى الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	رجاء ياقوت
٥٥٤-	مصر فى عهد محمد على	عفاف لطفى السيد مارسوه	عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥-	الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادى والعشرين	أناتولى أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالى
٥٥٦-	أقدم لك: چان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	حمدى الجابرى
٥٥٧-	أقدم لك: الماركيز دى ساد	ستوارت هود وجراهام كرولى	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨-	أقدم لك: الدراسات الثقافية	زيودين ساردارويورين ڤان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩-	الماس الزائف (رواية)	تشا تشاجى	عبدالحى أحمد سالم
٥٦٠-	صلصلة الجرس (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٥٦١-	جناح جبريل (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٥٦٢-	بلايين وبلايين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٦٣-	ورود الخريف (مسرحية)	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٤-	عُش الغريب (مسرحية)	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٥-	الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا ج. جيرنر	أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦-	تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى	موريس بيشوب	على السيد على
٥٦٧-	الوطن المغتصب	مايكل رايس	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨-	الأصولى فى الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر

٥٦٩- موقع الثقافة	هومى بابا	ثائر ديب
٥٧٠- دول الخليج الفارسى	سير روبرت هاى	يوسف الشارونى
٥٧١- تاريخ النقد الإسبانى المعاصر	إيميليا دى ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢- الطب فى زمن الفراعنة	برونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣- أقدم لك: فرويد	ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتى	جمال الجزيرى
٥٧٤- مصر القديمة فى عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين السباعى
٥٧٥- الاقتصاد السياسى للعولمة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦- فكر ثربانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشرى محمد
٥٧٧- مغامرات بينوكيو	كارلو كولودى	محمد قدرى عمارة
٥٧٨- الجماليات عند كيتس وهنت	أيومى ميزوكوشى	محمد إبراهيم وعصام عبد الرءوف
٥٧٩- أقدم لك: تشومسكى	چون ماهر وچودى جرونز	محيى الدين مزيد
٥٨٠- دائرة المعارف الدولية (مج١)	چون فيزر وبول سيترجز	بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٥٨١- الحمقى يموتون (رواية)	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢- مرايا على الذات (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣- الجيران (رواية)	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤- سفر (رواية)	محمود دولت آبادى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥- الأمير احتجاب (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦- السينما العربية والأفريقية	ليزبيث مالكموس وروى آرمز	سهام عبد السلام
٥٨٧- تاريخ تطور الفكر الصينى	مجموعة من المؤلفين	عبدالعزيز حمدى
٥٨٨- أمنحوتب الثالث	أنييس كابرول	ماهر جويجاتى
٥٨٩- تمبكت العجيبة	فيلكس ديبوا	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠- أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	محمود مهدى عبدالله
٥٩١- الشاعر والمفكر	هوراتيوس	على عبدالتواب على وصلاح رمضان السيد
٥٩٢- الثورة المصرية (جـ١)	محمد صبرى السوربونى	مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان
٥٩٣- قصائد ساحرة	بول ڤاليرى	بكر الحلو
٥٩٤- القلب السمين (قصة أطفال)	سوزانا تامارو	أمانى فوزى
٥٩٥- الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ٢)	إكوادو بانولى	مجموعة من المترجمين
٥٩٦- الصحة العقلية فى العالم	روبرت ديجارليه وآخرون	إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧- مسلمو غرناطة	خوليو كاروباروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨- مصر وكنعان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	بيومى على قنديل
٥٩٩- فلسفة الشرق	هرداد مهرين	محمود علاوى
٦٠٠- الإسلام فى التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١- النسوية والمواطنة	ريان ڤوت	أيمن بكر وسمر الشيشكلى
٦٠٢- ليوتار:نحو فلسفة ما بعد حداثية	چيمس وليامز	إيمان عبدالعزيز
٦٠٣- النقد الثقافى	آرثر أيزابرجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى
٦٠٤- الكوارث الطبيعية (مج١)	پاتريك ل. أبوت	توفيق على منصور
٦٠٥- مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروسكى (الصغير)	مصطفى إبراهيم فهمى
٦٠٦- قصة البردى اليونانى فى مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدنى

٦٠٧- قلب الجزيرة العربية (جـ١)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٨- قلب الجزيرة العربية (جـ٢)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٩- الانتخاب الثقافى	أجنر فوج	شوقى جلال
٦١٠- العمارة المدجنة	رفائيل لوبث جوثمان	على إبراهيم منوفى
٦١١- النقد والأيديولوچية	تيرى إيجلتون	فخرى صالح
٦١٢- رسالة النفسية	فضل الله بن حامد الحسينى	محمد محمد يونس
٦١٣- السياحة والسياسة	كولن مايكل هول	محمد فريد حجاب
٦١٤- بيت الأقصر الكبير(رواية)	فوزية أسعد	منى قطان
٦١٥- عرض الأحداث التى وقعت فى بغداد من ١٩٩٧ إلى ١٩٩٩	أليس بسيرينى	محمد رفعت عواد
٦١٦- أساطير بيضاء	روبرت يانج	أحمد محمود
٦١٧- الفولكلور والبحر	هوراس بيك	أحمد محمود
٦١٨- نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	تشارلز فيلبس	جلال البنا
٦١٩- مفاتيح أورشليم القدس	ريمون استانبولى	عايدة الباجورى
٦٢٠- السلام الصليبى	توماش ماستناك	بشير السباعى
٦٢١- رباعيات الخيام (ميراث الترجمة)	عمر الخيام	محمد السباعى
٦٢٢- أشعار من عالم اسمه الصين	آى تشينغ	أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى
٦٢٣- نوادر جحا الإيرانى	سعيد قانعى	يوسف عبدالفتاح
٦٢٤- شعر المرأة الأفريقية	نخبة	غادة الحلوانى
٦٢٥- الجرح السرى	چان چينيه	محمد برادة
٦٢٦- مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	نخبة	توفيق على منصور
٦٢٧- حكايات إيرانية	نخبة	عبدالوهاب علوب
٦٢٨- أصل الأنواع	تشارلس داروين	مجدى محمود المليجى
٦٢٩- قرن آخر من الهيمنة الأمريكية	نيقولاس جويات	عزة الخميسى
٦٣٠- سيرتى الذاتية	أحمد بللو	صبرى محمد حسن
٦٣١- مختارات من الشعر الأفريقى المعاصر	نخبة	بإشراف: حسن طلب
٦٣٢- المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا	دولورس برامون	رانيا محمد
٦٣٣- الحب وفنونه (شعر)	نخبة	حمادة إبراهيم
٦٣٤- مكتبة الإسكندرية	روى ماكلويد وإسماعيل سراج الدين	مصطفى البهنساوى
٦٣٥- التثبيت والتكيف فى مصر	جودة عبد الخالق	سمير كريم
٦٣٦- حج يولندة	جناب شهاب الدين	سامية محمد جلال
٦٣٧- مصر الخديوية	ف. روبرت هنتر	بدر الرفاعى
٦٣٨- الديمقراطية والشعر	روبرت بن وارين	فؤاد عبد المطلب
٦٣٩- فندق الأرق (شعر)	تشارلز سيميك	أحمد شافعى
٦٤٠- ألكسياد	الأميرة أنّاكومنينا	حسن حبشى
٦٤١- برتراند رسل (مختارات)	برتراند رسل	محمد قدرى عمارة
٦٤٢- أقدم لك: داروين والتطور	چوناثان ميلر وبورين ڤان لون	ممدوح عبد المنعم
٦٤٣- سفرنامه حجاز (شعر)	عبد الماجد الدريابادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٦٤٤- العلوم عند المسلمين	هوارد د تيرنر	فتح الله الشيخ

٦٤٥- السياسة الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية	تشارلز كجلى ويوجين ويتكوف	عبد الوهاب علوب
٦٤٦- قصة الثورة الإيرانية	سيهر ذبيح	عبد الوهاب علوب
٦٤٧- رسائل من مصر	چون نينيه	فتحى العشرى
٦٤٨- بورخيس	بياتريث سارلو	خليل كلفت
٦٤٩- الخوف وقصص خرافية أخرى	چى دى موباسان	سحر يوسف
٦٥٠- الدولة والسلطة والسياسة فى الشرق الأوسط	روچر أوين	عبد الوهاب علوب
٦٥١- ديليسبس الذى لا نعرفه	وثائق قديمة	أمل الصبان
٦٥٢- آلهة مصر القديمة	كلود ترونكر	حسن نصر الدين
٦٥٣- مدرسة الطغاة (مسرحية)	إيريش كستنر	سمير جريس
٦٥٤- أساطير شعبية من أوزبكستان (جـ١)	نصوص قديمة	عبد الرحمن الخميسى
٦٥٥- أساطير وآلهة	إيزابيل فرانكو	حليم طوسون ومحمود ماهر طه
٦٥٦- خبز الشعب والأرض الحمراء (مسرحيتان)	ألفونسو ساسترى	ممدوح البستاوى
٦٥٧- محاكم التفتيش والموريسكيون	مرثيديس غارثيا أرينال	خالد عباس
٦٥٨- حوارات مع خوان رامون خيمينيث	خوان رامون خيمينيث	صبرى التهامى
٦٥٩- قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	نخبة	عبداللطيف عبدالحليم
٦٦٠- نافذة على أحدث العلوم	ريتشارد فايفيلد	هاشم أحمد محمد
٦٦١- روائع أندلسية إسلامية	نخبة	صبرى التهامى
٦٦٢- رحلة إلى الجنور	داسو سالديبار	صبرى التهامى
٦٦٣- امرأة عادية	ليوسيل كليفتون	أحمد شافعى
٦٦٤- الرجل على الشاشة	ستيفن كوهان وإنا راى هارك	عصام زكريا
٦٦٥- عوالم أخرى	پول داڤيز	هاشم أحمد محمد
٦٦٦- تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	وولفجانج اتش كليمن	جمال عبد الناصر ومدحت الجيار وجمال جاد الرب
٦٦٧- الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربى	ألڤن جولدنر	على ليلة
٦٦٨- ثقافات العولمة	فريدريك چيمسون وماساو ميوشى	ليلى الجبالى
٦٦٩- ثلاث مسرحيات	وول شوينكا	نسيم مجلى
٦٧٠- أشعار جوستاف أدولفو	جوستاف أدولفو بكر	ماهر البطوطى
٦٧١- قل لى كم مضى على رحيل القطار؟	چيمس بولدوين	على عبدالأمير صالح
٦٧٢- مختارات من الشعر الفرنسى للأطفال	نخبة	إبتهال سالم
٦٧٣- ضرب الكليم (شعر)	محمد إقبال	جلال الحفناوى
٦٧٤- ديوان الإمام الخمينى	آية الله العظمى الخمينى	محمد علاء الدين منصور
٦٧٥- أثينا السوداء (جـ٢، مج١)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٦- أثينا السوداء (جـ٢، مج٢)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٧- تاريخ الأدب فى إيران (جـ١ ، مج١)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٨- تاريخ الأدب فى إيران (جـ١ ، مج٢)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٩- مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	وليام شكسبير	توفيق على منصور
٦٨٠- المدينة الفاضلة (ميراث الترجمة)	كارل ل. بيكر	محمد شفيق غربال
٦٨١- هل يوجد نص فى هذا الفصل؟	ستانلى فش	أحمد الشيمى
٦٨٢- نجوم حظر التجوال الجديد (رواية)	بن أوكرى	صبرى محمد حسن

٦٨٣-	سكين واحد لكل رجل (رواية)	تى. م. ألوكو	صبرى محمد حسن
٦٨٤-	الأعمال القصصية الكاملة (أنا كندا) (جـ١)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٥-	الأعمال القصصية الكاملة (الصحراء) (جـ٢)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٦-	امرأة محاربة (رواية)	ماكسين هونج كنجستون	سحر توفيق
٦٨٧-	محبوبة (رواية)	فتانة حاج سيد جوادى	ماجدة العنانى
٦٨٨-	الانفجارات الثلاثة العظمى	فيليب م. دوبر وريتشارد أ. موار	فتح الله الشيخ وأحمد السماحى
٦٨٩-	الملف (مسرحية)	تادوش روجيفيتش	هناء عبد الفتاح
٦٩٠-	محاكم التفتيش فى فرنسا	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩١-	ألبرت أينشتين: حياته وغرامياته	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩٢-	أقدم لك: الوجودية	ريتشارد أبيجانسى وأوسكار زاريت	حمدى الجابرى
٦٩٣-	أقدم لك: القتل الجماعى (المحرقة)	حائيم برشيت وآخرون	جمال الجزيرى
٦٩٤-	أقدم لك: دريدا	چيف كولينز وبيل مايبلين	حمدى الجابرى
٦٩٥-	أقدم لك: رسل	ديڤ روبنسون وچودى جروف	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٦-	أقدم لك: روسو	ديڤ روبنسون وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٧-	أقدم لك: أرسطو	روبرت ودفين وچودى جروفس	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٨-	أقدم لك: عصر التنوير	ليود سبنسر وأندرزيجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٩-	أقدم لك: التحليل النفسى	إيڤان وارد وأوسكار زارايت	جمال الجزيرى
٧٠٠-	الكاتب وواقعه	ماريو بارجاس يوسا	بسمة عبدالرحمن
٧٠١-	الذاكرة والحداثة	وليم رود ڤيڤيان	منى البرنس
٧٠٢-	مدونة چوستنيان فى الفقه الرومانى (ميراث الترجمة)	چوستينيان	عبد العزيز فهمى
٧٠٣-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٢)	إدوارد جرانڤيل براون	أمين الشواربى
٧٠٤-	فيه ما فيه	مولانا جلال الدين الرومى	محمد علاء الدين منصور وآخرون
٧٠٥-	فضل الأنام من رسائل حجة الإسلام	الإمام الغزالى	عبدالحميد مدكور
٧٠٦-	الشفرة الوراثية وكتاب التحولات	چونسون ف. يان	عزت عامر
٧٠٧-	أقدم لك: ڤالتر بنيامين	هوارد كاليجل وآخرون	وفاء عبدالقادر
٧٠٨-	فراعنة من؟	دونالد مالكولم ريد	رءوف عباس
٧٠٩-	معنى الحياة	ألفريد آدلر	عادل نجيب بشرى
٧١٠-	الأطفال والتكنولوچيا والثقافة	إيان هاتشباى وجوموران - إليس	دعاء محمد الخطيب
٧١١-	درة التاج	ميرزا محمد هادى رسوا	هناء عبد الفتاح
٧١٢-	الإلياذة (جـ١) (ميراث الترجمة)	هوميروس	سليمان البستانى
٧١٣-	الإلياذة (جـ٢) (ميراث الترجمة)	هوميروس	سليمان البستانى
٧١٤-	حديث القلوب (ميراث الترجمة)	لامنيه	حنا صاوه
٧١٥-	سر تقدم الإنكليز السكسونيين (ميراث الترجمة)	إدمون ديمولان	أحمد فتحى زغلول
٧١٦-	جامعة كل المعارف (جـ٢)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٧-	جامعة كل المعارف (جـ٣)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٨-	جامعة كل المعارف (جـ٥)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٩-	مسرح الأطفال. فلسفة وطريقة	م. جولدبرج	جميلة كامل
٧٢٠-	مداخل إلى البحث فى تعلم اللغة الثانية	دونام چونسون	على شعبان وأحمد الخطيب

٧٢١-	فلسفة المتكلمين فى الإسلام (مج١)	هـ. أ. ولفسون	مصطفى لبيب عبد الغنى
٧٢٢-	الصفيحة وقصص أخرى	يشار كمال	الصفصافى أحمد القطورى
٧٢٣-	تحديات ما بعد الصهيونية	إفرايم نيمنى	أحمد ثابت
٧٢٤-	اليسار الفرويدى	پول روبنسون	عبده الريس
٧٢٥-	الاضطراب النفسى	چون فيتكس	مى مقلد
٧٢٦-	الموريسكيون فى المغرب	غييرمو غوثالبيس بوستو	مروة محمد إبراهيم
٧٢٧-	حلم البحر (رواية)	باچين	وحيد السعيد
٧٢٨-	العولمة: تدمير العمالة والنمو	موريس آليه	أميرة جمعة
٧٢٩-	الثورة الإسلامية فى إيران	صادق زيباكلام	هويدا عزت
٧٣٠-	حكايات من السهول الأفريقية	آن جاتى	عزت عامر
٧٣١-	النوع: الذكر والأنثى بين التميز والاختلاف	مجموعة من المؤلفين	محمد قدرى عمارة
٧٣٢-	قصص بسيطة (رواية)	إنجو شولتسه	سمير جريس
٧٣٣-	مأساة عطيل (مسرحية)	وليم شيكسبير	محمد مصطفى بدوى
٧٣٤-	بونابرت فى الشرق الإسلامى	أحمد يوسف	أمل الصبان
٧٣٥-	فن السيرة فى العربية	مايكل كوبرسون	محمود محمد مكى
٧٣٦-	التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (جـ١)	هوارد زن	شعبان مكاوى
٧٣٧-	الكوارث الطبيعية (مج٢)	پاتريك ل. أبوت	توفيق على منصور
٧٣٨-	دمشق من عصر ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية	چيرار دى چورچ	محمد عواد
٧٣٩-	دمشق من الإمبراطورية العثمانية حتى الوقت الحاضر	چيرار دى چورچ	محمد عواد
٧٤٠-	خطابات السلطة	بارى هندس	مرفت ياقوت
٧٤١-	الإسلام وأزمة العصر	برنارد لويس	أحمد هيكل
٧٤٢-	أرض حارة	خوسيه لاكوادرا	رزق بهنسى
٧٤٣-	الثقافة: منظور داروينى	روبرت أونجر	شوقى جلال
٧٤٤-	ديوان الأسرار والرموز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبد الحميد
٧٤٥-	المآثر السلطانية	بيك الدنبلى	محمد أبو زيد
٧٤٦-	تاريخ التحليل الاقتصادى (مج١)	چوزيف أ. شومبيتر	حسن النعيمى
٧٤٧-	الاستعارة فى لغة السينما	تريڤور وايتوك	إيمان عبد العزيز
٧٤٨-	تدمير النظام العالمى	فرانسيس بويل	سمير كريم
٧٤٩-	إيكولوچيا لغات العالم	ل.ج. كالڤيه	باتسى جمال الدين
٧٥٠-	الإلياذة	هوميروس	بإشراف: أحمد عتمان
٧٥١-	الإسراء والمعراج فى تراث الشعر الفارسى	نخبة	علاء السباعى
٧٥٢-	ألمانيا بين عقدة الذنب والخوف	جمال قارصلى	نمر عاروري
٧٥٣-	التنمية والقيم	إسماعيل سراج الدين وآخرون	محسن يوسف
٧٥٤-	الشرق والغرب	أنّا مارى شيمل	عبدالسلام حيدر
٧٥٥-	تاريخ الشعر الإسبانى خلال القرن العشرين	أندرو ب. دبيكى	على إبراهيم منوفى
٧٥٦-	ذات العيون الساحرة	إنريكى خارديل بونثيلا	خالد محمد عباس
٧٥٧-	تجارة مكة	پاتريشيا كرون	آمال الروبى
٧٥٨-	الإحساس بالعولمة	بروس روبنز	عاطف عبدالحميد

٧٥٩-	النثر الأردى	مولوى سيد محمد	جلال الحفناوى
٧٦٠-	الدين والتصور الشعبى للكون	السيد الأسود	السيد الأسود
٧٦١-	جيوب مثقلة بالحجارة (رواية)	فيرچينيا وولف	فاطمة ناعوت
٧٦٢-	المسلم عدواً و صديقاً	ماريا سوليداد	عبدالعال صالح
٧٦٣-	الحياة فى مصر	أنريكو بيا	نجوى عمر
٧٦٤-	ديوان غالب الدهلوى (شعر غزل)	غالب الدهلوى	حازم محفوظ
٧٦٥-	ديوان خواجه الدهلوى (شعر تصوف)	خواجه مير درد الدهلوى	حازم محفوظ
٧٦٦-	الشرق المتخيل	تييرى هنتش	غازى برو وخليل أحمد خليل
٧٦٧-	الغرب المتخيل	نسيب سمير الحسينى	غازى برو
٧٦٨-	حوار الثقافات	محمود فهمى حجازى	محمود فهمى حجازى
٧٦٩-	أدباء أحياء	فريدريك هتمان	رندا النشار وضياء زاهر
٧٧٠-	السيدة بيرفيكتا	بينيتو بيريث جالدوس	صبرى التهامى
٧٧١-	السيد سيجوندو سومبرا	ريكاردو جويرالديس	صبرى التهامى
٧٧٢-	بريخت ما بعد الحداثة	إليزابيث رايت	محسن مصيلحى
٧٧٣-	دائرة المعارف الدولية (جـ٢)	چون فيزر وپول ستيرجز	بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٧٧٤-	الديموقراطية الأمريكية: التاريخ والمرتكزات	مجموعة من المؤلفين	حسن عبد ربه المصرى
٧٧٥-	مرآة العروس	نذير أحمد الدهلوى	جلال الحفناوى
٧٧٦-	منظومة مصيبت نامه (مج١)	فريد الدين العطار	محمد محمد يونس
٧٧٧-	الانفجار الأعظم	چيمس إ. ليدسى	عزت عامر
٧٧٨-	صفوة المديح	مولانا محمد أحمد ورضا القادرى	حازم محفوظ
٧٧٩-	خيوط العنكبوت وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم وسارة تاكاهاشى
٧٨٠-	من أدب الرسائل الهندية حجاز ١٩٣٠	غلام رسول مهر	سمير عبد الحميد إبراهيم
٧٨١-	الطريق إلى بكين	هدى بدران	نبيلة بدران
٧٨٢-	المسرح المسكون	مارڤن كارلسون	جمال عبد المقصود
٧٨٣-	العولمة والرعاية الإنسانية	ڤيك چورچ وپول ويلدنج	طلعت السروجى
٧٨٤-	الإساءة للطفل	ديڤيد أ. وولف	جمعة سيد يوسف
٧٨٥-	تأملات عن تطور ذكاء الإنسان	كارل ساجان	سمير حنا صادق
٧٨٦-	المذنبة (رواية)	مارجريت أتوود	سحر توفيق
٧٨٧-	العودة من فلسطين	جوزيه بوفيه	إيناس صادق
٧٨٨-	سر الأهرامات	ميروسلاف فرنر	خالد أبو اليزيد البلتاجى
٧٨٩-	الانتظار (رواية)	هاچين	منى الدروبى
٧٩٠-	الفرانكفونية العربية	مونيك بونتو	جيهان العيسوى
٧٩١-	العطور ومعامل العطور فى مصر القديمة	محمد الشيمى	ماهر جويجاتى
٧٩٢-	دراسات حول القصص القصيرة لإدريس ومحفوظ	منى ميخائيل	منى إبراهيم
٧٩٣-	ثلاث رؤى للمستقبل	چون جريڤيس	رءوف وصفى
٧٩٤-	التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (جـ٢)	هوارد زن	شعبان مكاوى
٧٩٥-	مختارات من الشعر الإسبانى (جـ١)	نخبة	على عبد الرءوف البمبى
٧٩٦-	آفاق جديدة فى دراسة اللغة والذهن	نعوم تشومسكى	حمزة المزينى

٧٩٧- الرؤية فى ليلة معتمة (شعر)	نخبة	طلعت شاهين
٧٩٨- الإرشاد النفسى للأطفال	كاترين جيلدرد ودافيد جيلدرد	سميرة أبو الحسن
٧٩٩- سلم السنوات	أن تيلر	عبد الحميد فهمى الجمال
٨٠٠- قضايا فى علم اللغة التطبيقى	ميشيل ماكارثى	عبد الجواد توفيق
٨٠١- نحو مستقبل أفضل	تقرير دولى	بإشراف: محسن يوسف
٨٠٢- مسلمو غرناطة فى الآداب الأوروبية	ماريا سوليداد	شرين محمود الرفاعى
٨٠٣- التغيير والتنمية فى القرن العشرين	توماس باترسون	عزة الخميسى
٨٠٤- سوسيولوجيا الدين	دانييل هيرفيه-ليجيه وجان بول ويلام	درويش الحلوجى
٨٠٥- من لا عزاء لهم (رواية)	كازو إيشيجورو	طاهر البربرى
٨٠٦- الطبقة العليا المتوسطة	ماجدة بركة	محمود ماجد
٨٠٧- يحى حقى: تشريح مفكر مصرى	ميريام كوك	خيرى دومة
٨٠٨- الشرق الأوسط والولايات المتحدة	ديفيد دابليو ليش	أحمد محمود
٨٠٩- تاريخ الفلسفة السياسية (جـ١)	ليو شتراوس وجوزيف كروپسى	محمود سيد أحمد
٨١٠- تاريخ الفلسفة السياسية (جـ٢)	ليو شتراوس وجوزيف كروپسى	محمود سيد أحمد
٨١١- تاريخ التحليل الاقتصادى (مج٢)	جوزيف أ.شومبيتر	حسن النعيمى
٨١٢- تأمل العالم: الصورة والأسلوب فى الحياة الاجتماعية	ميشيل مافيزولى	فريد الزاهى
٨١٣- لم أخرج من ليلى (رواية)	أنى إرنو	نورا أمين
٨١٤- الحياة اليومية فى مصر الرومانية	نافتال لويس	آمال الروبى
٨١٥- فلسفة المتكلمين (مج٢)	هـ. أ. ولفسون	مصطفى لبيب عبدالغنى
٨١٦- العدو الأمريكى	فيليپ روچيه	بدر الدين عرودكى
٨١٧- مائدة أفلاطون: كلام فى الحب	أفلاطون	محمد لطفى جمعة
٨١٨- الحرفيون والتجار فى القرن ١٨ (جـ١)	أندريه ريمون	ناصر أحمد وباتسى جمال الدين
٨١٩- الحرفيون والتجار فى القرن ١٨ (جـ٢)	أندريه ريمون	ناصر أحمد وباتسى جمال الدين
٨٢٠- هملت (مسرحية) (ميراث الترجمة)	وليم شكسبير	طانيوس أفندى
٨٢١- هفت بيكر (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٨٢٢- فن الرباعى (شعر)	نخبة	محمد نور الدين عبد المنعم
٨٢٣- وجه أمريكا الأسود (شعر)	نخبة	أحمد شافعى
٨٢٤- لغة الدراما	دافيد برتش	ربيع مفتاح
٨٢٥- عصر النهضة فى إيطاليا (جـ١) (ميراث الترجمة)	ياكوب بوكهارت	عبد العزيز توفيق جاويد
٨٢٦- عصر النهضة فى إيطاليا (جـ١) (ميراث الترجمة)	ياكوب بوكهارت	عبد العزيز توفيق جاويد
٨٢٧- أهل مطروح البدو والمستوطنون والذين يقضون العطلات	دونالد پ.كول وثريا تركى	محمد على فرج
٨٢٨- النظرية النسبية (ميراث الترجمة)	ألبرت أينشتين	رمسيس شحاتة
٨٢٩- مناظرة حول الإسلام والعلم	إرنست رينان وجمال الدين الأفغانى	مجدى عبد الحافظ
٨٣٠- رق العشق	حسن كريم بور	محمد علاء الدين منصور
٨٣١- تطور علم الطبيعة (ميراث الترجمة)	ألبرت أينشتين وليوپولد إنفلد	محمد النادى وعطية عاشور
٨٣٢- تاريخ التحليل الاقتصادى (جـ٣)	جوزيف أ.شومبيتر	حسن النعيمى
٨٣٣- الفلسفة الألمانية	ڤرنر شميدرس	محسن الدمرداش
٨٣٤- كنز الشعر	ذبيح الله صفا	محمد علاء الدين منصور

٨٣٥-	تشيخوف: حياة فى صور	بيتر أوربان	علاء عزمى
٨٣٦-	بين الإسلام والغرب	مرثيدس غارثيا	ممدوح البستاوى
٨٣٧-	عناكب فى المصيدة	ناتاليا ڤيكو	على فهمى عبدالسلام
٨٣٨-	فى تفسير مذهب بوش ومقالات أخرى	نعوم تشومسكى	لبنى صبرى
٨٣٩-	أقدم لك: النظرية النقدية	ستيوارت سين وبورين ڤان لون	جمال الجزيرى
٨٤٠-	الخواتم الثلاثة	جوتهولد ليسينج	فوزية حسن
٨٤١-	هملت: أمير الدانمارك	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٨٤٢-	منظومة مصيبت نامه (مج٢)	فريد الدين العطار	محمد محمد يونس
٨٤٣-	من روائع القصيد الفارسى	نخبة	محمد علاء الدين منصور
٨٤٤-	دراسات فى الفقر والعولمة	كريمة كريم	سمير كريم
٨٤٥-	غياب السلام	نيكولاس جويات	طلعت الشايب
٨٤٦-	الطبيعة البشرية	ألفريد أدلر	عادل نجيب بشرى
٨٤٧-	الحياة بعد الرأسمالية	مايكل ألبرت	أحمد محمود
٨٤٨-	تاريخ الدولة العربية (ميراث الترجمة)	يوليوس فلهاوزن	عبد الهادى أبو ريدة
٨٤٩-	سونيتات شكسبير	وليم شكسبير	بدر توفيق
٨٥٠-	الخيال، الأسلوب، الحداثة	مقالات مختارة	جابر عصفور
٨٥١-	الطب التجريبى (ميراث الترجمة)	كلود برنار	يوسف مراد
٨٥٢-	العلم والحقيقة	ريتشارد دوكنز	مصطفى إبراهيم فهمى
٨٥٣-	العمارة فى الأندلس: عمارة المدن والحصون (مج١)	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٨٥٤-	العمارة فى الأندلس عمارة المدن والحصون (مج٢)	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٨٥٥-	فهم الاستعارة فى الأدب	چيرارد ستيم	محمد أحمد حمد
٨٥٦-	القضية الموريسكية من وجهة نظر أخرى	فرانثيسكو ماركيث بانو بيانويا	عائشة سويلم
٨٥٧-	نادچا (رواية)	أندريه بريتون	كامل عويد العامرى
٨٥٨-	جوهر الترجمة: عبور الحدود الثقافية	ثيو هرمانز	بيومى قنديل
٨٥٩-	السياسة فى الشرق القديم	إيڤ شيمل	مصطفى ماهر
٨٦٠-	مصر وأوروبا	ڤان بملن	عادل صبحى تكلا
٨٦١-	الإسلام والمسلمون فى أمريكا	چين سميث	محمد الخولى
٨٦٢-	ببغاء الكاكادو	أرتور شنيتسلر	محسن الدمرداش
٨٦٣-	لقاء بالشعراء	على أكبر دلفى	محمد علاء الدين منصور
٨٦٤-	أوراق فلسطينية	دورين إنجرامز	عبد الرحيم الرفاعى
٨٦٥-	فكرة الثقافة	تيرى إيجلتون	شوقى جلال
٨٦٦-	رسائل خمس فى الآفاق والأنفس	مجموعة من المؤلفين	محمد علاء الدين منصور
٨٦٧-	المهمة الاستوائية (رواية)	ديڤيد مايلو	صبرى محمد حسن
٨٦٨-	الشعر الفارسى المعاصر	ساعد باقرى ومحمد رضا محمدى	محمد علاء الدين منصور
٨٦٩-	تطور الثقافة	روبن دونبار وآخرون	شوقى جلال
٨٧٠-	عشر مسرحيات (جـ١)	نخبة	حمادة إبراهيم
٨٧١-	عشر مسرحيات (جـ٢)	نخبة	حمادة إبراهيم
٨٧٢-	كتاب الطاو	لاوتسو	محسن فرجانى

٨٧٣-	معلمون لمدارس المستقبل	تقرير صادر عن اليونسكو	بهاء شاهين
٨٧٤-	النهر الخالد (مج١)	جاويد إقبال	ظهور أحمد
٨٧٥-	النهر الخالد (مج٢)	جاويد إقبال	ظهور أحمد
٨٧٦-	دراسات فى الموسيقى الشرقية (جـ١)	هنرى جورج فارمر	أمانى المنياوى
٨٧٧-	أدب الجدل والدفاع فى العربية	موريتس شتينشنيدر	صلاح محجوب
٨٧٨-	ترحال فى صحراء الجزيرة العربية (جـ١، مجـ١)	تشارلز دوتى	صبرى محمد حسن
٨٧٩-	ترحال فى صحراء الجزيرة العربية (جـ١، مجـ٢)	تشارلز دوتى	صبرى محمد حسن
٨٨٠-	الواحات المفقودة	أحمد حسنين بك	عبد الرحمن حجازى وأمير نبيه
٨٨١-	المستنيرون : خدمة وخيانة	جلال آل أحمد	سلوى عباس
٨٨٢-	أغانى شيراز (جـ١) (ميراث الترجمة)	حافظ الشيرازى	إبراهيم الشواربى
٨٨٣-	أغانى شيراز (جـ٢) (ميراث الترجمة)	حافظ الشيرازى	إبراهيم الشواربى
٨٨٤-	تعلم الأطفال الصغار	باربرا تيزار ومارتن هيوز	محمد رشدى سالم
٨٨٥-	روح الإرهاب	چان بودريار	بدر عرودكى
٨٨٦-	الترجمة والإمبراطورية	دوجلاس روبنسون	ثائر ديب
٨٨٧-	غزليات سعدى (شعر)	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٩٣٤٠ / ٢٠٠٥